

لواء (المركز الثقافي)

تعدّد نساء الأنبياء

ومكانة المرأة

في اليهودية والمسيحية والإسلام



Bibliotheca Alexandrina



0125230

الناشر

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

لواء (أحمد عبد الوهاب)

تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية/عاجين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

:

جميع الحقوق محفوظة

دار النور التوزيعية
للطباعة والبيع الآلى
الأنزهر/٣ رمضان الموصلى بجوار جامع العاء
ت : ٩٢٥٣٠٤ القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ
أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِعَايَةٍ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝

(الرعد : ٣٨)

*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا حديث يعالج موضوعين رئيسيين يرتبطان معا أشد الارتباط .
أما الأول : فهو تعدد الزوجات بوجه عام ، وبين الأنبياء على وجه الخصوص .

وأما الثاني : فهو مكانة المرأة ، حيث تسير المعالجة وفق دراسة مقارنة لكل منهما في اليهودية والمسيحية والاسلام .
ولقد قصد بهذه الدراسة أن تعطى القدر الضروري والكافي من المعرفة بهذين الموضوعين الخطيرين اللذين تلوكهما الألسن كثيرا بغير علم ، وتأخذ من التقاليد المتوارثة - رغم ما لحق بها من دخل وأباطيل - ما تعتبره حقائق أساسية ومسلمات لا تقبل الجدل .

لقد أثبت الواقع أن كثيرا لا يقرءون كتابهم المقدس ، وإذا تسرت القراءة فهيئات من حديث عن الدراسة والاستيعاب . وإذا كان الأمر كذلك - وانه كذلك - فمن باب أولى ألا يقرأوا كتاب غيرهم المقدس ، فتشيع الأمية الدينية بين مختلف الطوائف ، وينعكس هذا بدوره على اشاعة سوء الفهم والتقدير .

✱

لقد أطلق لفظ النبي في اليهودية والمسيحية على الأنبياء الحقيقيين الذين يتحدثون باسم الله ، كما أطلق على الأنبياء الكذابين أو الوثنيين ، وقد بينا ذلك في دراسة سابقة (١) .

أما في الاسلام فالأمر جد مختلف ، فلا حديث في القرآن الا عن أنبياء الله الحقيقيين الذين طابت ذكراهم جميعا وبرأهم الله من كل دنس ونقيصة .

(١) راجع كتاب : « النبوة والانبياء » للمؤلف - ص ١٣ - ٢٨

وللتمييز بين هؤلاء وهؤلاء الذين جاء ذكرهم في الكتاب المقدس
فلسوف تأخذ معيارا ما جاء في قول موسى : « يا ليت كل شعب الرب
كانوا أنبياء ، اذ جعل الرب روحه عليهم - سفر العدد ١١ : ٢٩ » .
وهو ما علمه صموئيل نبي الله ، لشاوول أول مسيح ملك في بني اسرائيله
اذ قال له : « عند مجيئك الى هناك .. تصادف زمرة من الأنبياء ..
وهم يتبأون فينحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم ، وتتحول الى رجل آخر ،
واذا أتت هذه الآيات عليك فافعل ما وجدته يدك لأن الله معك -
صموئيل الأول ١٠ : ٥ - ٧ » .

معيار الحكم على أنبياء الكتاب المقدس هو أن يكونوا من الذين
(حل عليهم روح الرب) أو من (مسحائه) أو من الذين (كان الله
معهم) . وان هذا هو المعيار الذي أعلنه بطرس - رئيس التلاميذ -
خاصا بمعلمه المسيح عيسى ابن مريم حين قال : « أتم تعلمون الأمر
الذي صار في كل اليهودية .. يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه
الله بالروح القدس والقوة الذي جال يصنع خيرا ويشفي جميع المتسلط
عليهم ابليس لأن الله كان معه - أعمال الرسل ١٠ : ٣٧ - ٣٨ » .

*

لننظر ، اذن ، في أخبار تعدد نساء الأنبياء ومشروعيتها ، ولنبحث
حقيقة مكانة المرأة ، حسبما يستبان من الكتب المقدسة ، وما يتعلق
بها من دقيق البحوث والدراسات . وسينلنا الى ذلك هو وضع
النصوص بين يدي القارئ ، فهي أقرب السبل الى البيان والاقناع .
واذا كان هناك ما أرجوه ، فهو أن يجد القارئ العادي - الذي
طحنته مشاكل الحياة ومشاغلا - في هذا الكتاب ، ثرة معلومات
ميسرة ، جاءت من مصادر موثوقة ، تعينه على استجلاء الحقائق ، وبإذن
كثير من الاشاعات والأوهام التي سرت قرونا بين الناس ، واكتسبت
بكثرة التردد قوة وقبولا جعلها تبلغ حد البديهيات .

﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين ﴾ .

أحمد عبد الوهاب

الباب الأول

نساء الأنبياء

- نساء إبراهيم •
- نساء يعقوب •
- نساء موسى •
- نساء جدهون •
- نساء داود •
- نساء سليمان •
- نساء هوشع •
- نساء محمد •

نساء ابراهيم

ابراهيم هو الأب الروحي لكل المؤمنين بالله : الاله الواحد الأحد الذى تنزه عن الشبيه والمثل • يتعلق به اليهود والمسيحيون والمسلمون ويفخرون بالانتساب اليه ، وقد طابت ذكراه فى كتبهم المقدسة •

تقول فيه التوراة : « قال الرب لابرام : اذهب من ارضك ومن عشيرتك •• الى الأرض التى أريك • فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك ، وتكون بركة • وأبارك مباركك ولاعنك ألعنه وتبارك فيك جميع قبائل الأرض - تكوين ١٢ : ١ - ٣ » •

« ظهر الرب لابرام وقال له : أنا الله القدير • لا يدعى اسمك بعد ابرام بل يكون اسمك ابراهيم • لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم • وأثمرك كثيرا جدا وأجعلك أمما •• وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهدا أبديا لأكون الها لك ولنسلك من بعدك - تكوين ١٧ : ١ - ٧ » •

لقد عاش ابراهيم مائة عام بعد تلقيه أول وحى الهى ، قضاها فى البر واسلام القلب والمشية لله • ولما بلغت حياته مائة وخمس وسبعين سنة « أسلم ابراهيم روحه ومات بشيئة سالحة - تكوين ٢٥ : ٨ » •

ويقول الانجيل فى ابراهيم على لسان المسيح : « أقول لكم : ان كثيرين سيأتون من المشارق والمغرب ويتكثون مع ابراهيم واسحق ويعقوب فى ملكوت السموات - متى ٨ : ١١ » •

ويقول القرآن فى ابراهيم : ﴿ واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن ، قال انى جاعلك للناس اماما ، قال ومن ذريتى ، قال لا ينال عهدى الظالمين ﴾ (البقرة : ١٢٤) •

﴿ ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين • شاكرا لانعمه ، اجتباه وهده الى صراط مستقيم • وآتيناه فى الدنيا حسنة ،

وانه في الآخرة لمن الصالحين . ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ،
وما كان من المشركين (النحل : ١٢٠ - ١٢٣) .

ولقد كان ابراهيم أبو الأنبياء هو الذي اتفقت في شأنه النصوص
المقدسة وقررت أنه خليل الله .

تقول أسفار العهد القديم : « وقف يهوشافاط في جماعة يهوذا
وأورشليم في بيت الرب . . وقال : يارب اله آبائنا . أما أنت هو الله
في السماء وأنت المتسلط على جميع ممالك الأمم . . ألست أنت الهنا
الذي طردت سكان هذه الأرض من أمام شعبك اسرائيل وأعطيتهما
لنسل ابراهيم خليلك الى الأبد - أخبار الأيام الثاني ٢٠ : ٥ - ٧ » .

وتقول أسفار العهد الجديد : « ألم يتبرر أبونا ابراهيم بالأعمال . .
فترى أن الايمان عمل مع أعماله وبالأعمال أكمل الايمان . . فأمن ابراهيم
بالله فحسب له برا ، ودعى خليل الله رسالة يعقوب ٢ : ٢١ - ٢٣ » .

ويقول القرآن : ﴿ ومن احسن ديناً ممن اسلم وجهه لله وهو
محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا ، واتخذ الله ابراهيم خليلاً ﴾
(النساء : ١٢٥)

ذلك هو ابراهيم الذي طابت ذكراه في الكتب المقدسة : عاش صالحاً
ومات صالحاً ، وضمن الحياة الأبدية ﴿ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾
فما هي أخبار ابراهيم ونسائه الكثيرات ؟

*

من المعلوم أن ابراهيم كان متزوجاً بسارة ، أخته من أبيه
(تكوين ٢٠ : ١٢) ، ثم تزوج هاجر المصرية التي أنجب منها بكره
اسماعيل . وبعد أربع عشرة سنة ولدت سارة اسحق الابن الثاني
لابراهيم . فجمع ابراهيم بين الزوجتين : سارة وهاجر . ثم ما لبث أن
اتخذ ابراهيم سراري أنجب منهن ذراري ، سكت الكتبة الاسرائيليون
عن أخبارهن واكتفوا بإشارة مقتضبة تحرص على جعل جدهم اسحق

هو الوريث الوحيد لابراهيم ، وذلك في قولهم « اما بنو السراى اللواتى كانت لابراهيم فأعطاهم ابراهيم عطايا وصرفهم عن اسحق ابنه شرقا الى أرض المشرق وهو بعد حى - تكوين ٢٥ : ٦ » .

وإذا أخذنا بتتابع الأحداث وفق روايات التوراة ، نجد أنه بعد موت سارة : « عاد ابراهيم فاخذ زوجة اسمها قطورة . فولدت له : زمران ، ويقشان ، ومدان ، ومديان ، ويشباق ، وشوحا . وولد يقشان : شبا ، وددان .

وكان بنو ددان : أشوريم ، ولطوشيم ، وأمميم . وبنو مديان : عيفة ، وغفر ، وحنوك ، وأبيداع ، والبعة . جميع هؤلاء : بنو قطورة - تكوين ٢٥ : ١ - ٤ » .

وتذكر المصادر التاريخية أن ابراهيم تزوج « امرأتين من العرب : أحدهما قنطورا بنت يقطان (ذكرتها المصادر الاسرائيلية باسم قطورة) فولدت له ست بنين . والأخرى منهما حجور بنت ارهير ، فولدت له خمسة بنين . كيسان ، وشورخ ، وأمميم ، ولوطان ، ونافس » (١) .

هذا - ونريد الآن استقصاء عدد سراى ابراهيم اللاتى ذكرن سلفا ، فنقول : تتحدث الفقرة الخاصة بهن عن جماعة من النساء أى أن عددهن يبدأ من ثلاثة فأكثر : والى هنا نقطع بأن ابراهيم قد جمع بين سبع نساء على أقل تقدير هن : سارة ، وهاجر ، وقطورة ، وحجور وثلاث سراى . وإذا اعتبرنا أن زواج ابراهيم بقطورة وحجور حدث بعد موت سارة التى عاشت ٣٧ سنة بعد مولد ابنها اسحق (تكوين ٢٣ : ١ ، ١٧ : ١٧) فان الوضع يبقى كما هو ، أى : ست نساء زوجات لابراهيم على الأقل .

(١) تاريخ الطبرى : الجزء الاول - ص ٣١١

وفي دراسة احصائية مثل هذه ، تبغى تحديد عدد سرارى ابراهيم، فاننا نستطيع استخدام طريقة ((الاستقراء)) ، وهى طريقة مستخدمة فى شتى الدراسات الاحصائية ، وخاصة تلك المتعلقة بالانشطة السكانية ، مع مراعاة العرف السائد فى تلك المنطقة فى العصور القديمة .

تقول مونيكا بيتر فى كتابها : « الوضع النسوى عبر العصور » (١) عن تعدد الزوجات فى العصر القديم : « ان تعدد الزوجات فى شكله المطلق بدأ يترسخ شيئاً فشيئاً . فأولاد يعقوب الاثنا عشر ، الذين هم من أمهات مختلفات ، كانوا متساوين فى الحقوق . وقد كان لجدعون سبعون ولدا ، ولعبدون أربعون (٢) ولرحبعام ثمانى عشرة زوجة وستون خليفة ، ولداود تسع زوجات عدا الخليلات . وقد بلغ الشطط أوجه مع سليمان الذى كانت له ٧٠٠ زوجة و٣٠٠ خليفة » (٣) .

من ذلك يتبين أن التسرى بعشر نساء يعتبر عددا مقبولا جدا ومتواضعا ، ونستطيع الأخذ به فى الحالات التى يحدثنا فيها « الكتاب المقدس » عن سرارى لأى رجل ، دون أن يحدد لنا عددهن . وتتدعم صحة هذه الفرضية حين نعلم أن داود حين أراد الهرب من اورشليم ابان الثورة التى قادها ضده ابنه ابشالوم ، فانه : « ترك عشر نساء سرارى لحفظ البيت - صموئيل الثانى ١٥ : ١٦ » وهؤلاء كن جزءا من سرارى داود .

مما سبق نخلص الى أن ابراهيم قد جمع فى وقت واحد بين ١٣ امرأة على الأقل .

(١) نشرته دار الطليعة ببيروت تحت عنوان : المرأة عبر التاريخ وهو ترجمة لكتاب :

LA CONDITION FEMININE A TRAVERS LES AGES, 1976

(٢) جدعون وعبدون كانا من قضاة اسرائيل ، وكذلك كان ابسان « وكان له ثلاثون ابنا وثلاثون ابنة - قضاة ١٢ : ٩ » .

(٣) المرجع السابق - ص ٣٦

نساء يعقوب

تقرأ في بعض الطبقات الحديثة من تراجم الكتاب المقدس عناوين فرعية لفقراته ، قصد بها أن تساعد القارئ على تفهم معاني تلك الفقرات وفي واحدة من هذه الطبقات العربية^(١) نقرأ هذا العنوان الفرعي :
مصارعة الله ... !

ان هذا العنوان يصدم كل مؤمن بالله وخاصة اذا علمنا أن ترجمته عن الفرنسية يجب أن تكون : يعقوب يصارع الله (٢) ... !
كيف كان ذلك ؟ !

يروى كتبه التوراة هذا في حديثهم عن هرب يعقوب وأهل بيته من خاله - وحميه - قاصدا أرض كنعان ، فيقولون :

« قام في تلك الليلة وأخذ امرأته وجارتيه وأولاده الأجد عشر .. أخذهم وأجازهم الوادي وأجاز ما كان له ..

فبقى يعقوب وحده .. وصارعه انسان حتى طلوع الفجر .. ولما رأى أنه لا يقدر عليه ، ضرب حق فخذه .. فانخلع حق فخذه يعقوب في مصارعته معه .. وقال : أطلقني لأنه قد طلع الفجر .. فقال (يعقوب) لا أطلقك ان لم تباركني .. فقال له : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب .. فقال : لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب ، بل اسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت .. وسأل يعقوب وقال : أخبرني باسمك .. فقال : لماذا تسأل عن اسمي ؟ وباركه هناك .. فدعى يعقوب اسم المكان : فنئيل ، قائلا : لأنني نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسي -
تكوين ٣٢ : ٢٢ - ٣٠ » ..

(١) صدرت عن : دار المشرق بيروت - الجزء الأول من الكتاب المقدس بعنوان : كتب الشريعة الخمسة ، تعريبا للترجمة الفرنسية المسكونية .

(٢) النص الفرنسي هكذا : Jacob lutte avec Dieu

وفي تفسير كأنه اعتذار عن هذه الرواية التي تقرر أن يعقوب
أغتصب البركة من الله ، يقول مفسرو الكتاب المقدس : « المقصود في
هذه الرواية الغامضة ، هو الصراع الجسدي ، أى صراع مع الله ،
يبدو فيه يعقوب الغالب أولاً ، لكنه حين عرف طبيعة خصمه السامية ،
أغتصب بركته ، مع العلم بأن النص يتجنب اسم الرب ، كما أن المعتدى
المجهول يرفض أن يسمى نفسه » (١) .

والآن ما هي أخبار نساء يعقوب هنا الذي اغتصب البركة من رب
كتبه التوراة ومن يسيرون على خطاهم الى اليوم ؟

لقد تزوج يعقوب ابنتى خاله : ليئة ، وراحيل ، كما تزوج جارتيهما :
زلفة ، وبلهة . « وكان بنو يعقوب اثني عشر :

بنو ليئة : رأوين بكر يعقوب ، وشمعون ، ولاوى ، ويهوذا ،
ويساكر ، وزبولون .

وابنا راحيل : يوسف ، وبنيامين .

وابنا بلهة جارية راحيل : دان ، وفتالي .

وابنا زلفة جارية ليئة : جاد ، وأشير - تكوين ٣٥ : ٢٣ - ٢٦ » .

كما أن ليئة : « ولدت ابنة ودعت اسمها : دينة - تكوين

٣٠ : ٢٠ » .

وهكذا جمع يعقوب في وقت واحد بين ٤ زوجات ، ومنهن جاء

بنو اسرائيل أصحاب التاريخ المعروف . . .

(١) المرجع السابق - ص ١١٨

فساء موسى

تربى موسى في كنف فرعون ولما كبر عوده واشتد « رأى رجلا
مصريا يضرب رجلا عبرانيا من اخوته • فالتفت الى هنا وهناك ورأى
أن ليس أحد ، فقتل المصري وطمره في الرمل ••

سمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى • فهرب موسى
من وجه فرعون وسكن في أرض مديان وجلس عند البئر ••

وكان لكاهن مديان سبع بنات •• نهض موسى وأنجدهن وسقى
غنمهن • فلما أتت الى رعوثيل أبيهن •• قلن : رجل مصرى أنقذنا من
أيدي الرعاة •• فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل • فأعطى موسى
صفورة ابنته • فولدت ابنا فدعا اسمه جرشوم - خروج ٢ :
• ١١ - ٢٢ ••

لقد ذكر اسم حمى موسى هنا بأله : رعوثيل كاهن مدين ، وذكر
في مواضع أخرى بأسماء مختلفة مثل : يثرون ، وحوباب القيني •
وفي هذا يقول مفسرو الترجمة الفرنسية المسكونية : « لا تتفق
النصوص على اسم حمى موسى وشخصيته • فالنص الذي نحن بصدده
يذكر رعوثيل ، كاهن مدين • وفي (سفر التكوين) ٣ : ١ ، ٤ : ١٨ ،
١٨ : ١ نرى أن اسمه يثرو (أو يثرون) • ويتكلم سفر العدد
١٠ : ٢٩ عن حوباب بن رعوثيل المديني ، بينما يتكلم سفر القضاة
١ : ١٦ ، ٤ : ١١ عن حوباب القيني • وفي سفر العدد ١٠ : ٢٩
محاولة للتوفيق بين التقليدين : زواج قيني وزواج مديني • يتضارب
في الواقع هذان التقليدان ، ولا حاجة الى التوفيق بينهما » (١) •



(١) المرجع السابق - ص ١٥٥

لقد كان المتوقع أن تكون أخبار موسى العائلية أكثر وضوحا من أخبار جده الأكبر يعقوب ، لكن الواقع أن الغموض الذي يحيط بسيرته كثيف من جميع الجوانب ، مما دفع علماء الكتاب المقدس الى الاعتراف صراحة بعدم امكانية فهم كثير من النصوص .

فبعد أن تلقى موسى الرسالة في سيناء « اخذ موسى امراته وبنيه وأركبهم على الحمير ورجع الى أرض مصر . وأخذ موسى عصا الله في يده . . . وحدث في الطريق في المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله . فأخذت صفورة صوارة وقطعت غرلة ابنها ، ومست رجله . فقالت : انك عريس دم لى . فانفك عنه . حينئذ قالت : عريس دم من أجل الختان - خروج ٤ : ٢٤ - ٢٦ » .

وفي هذا يقول المفسرون تعليقا على هذه الرواية أنها : « رواية غامضة بسبب اقتضاها ، وعدم وجود أى سياق فى الكلام . لا يسمى موسى : ولا نعلم الى من تعود الضمائر . يجوز التكهن والقول بأن : قلف موسى (باعتباره لم يكن قد ختن) يجلب عليه غضب الله ، وان هذا الغضب سكن حين خنت صفورة ابنها وتظاهرت بختن موسى فلمست عورته بقلقة الولد » (١) .

فكان امرأة موسى خدعت رب موسى بتلك الحيلة !

وإذا كان الحديث فى الرواية السابقة قد ذكر ابنا واحدا لموسى يدعى جرشوم ، فقد جاء ذكر ابن آخر له يدعى اليعازر (خروج ١٨ : ٤) وذلك عند الحديث عن مجيء « يثرون حمى موسى وابناه وامراته الى البرية حيث كان نازلا عند جبل الله (بعد الخروج بينى اسرائيل من مصر) - خروج ١٨ : ٥ » .

*

وفى برية سيناء - بعد الخروج من مصر - تزوج موسى من امرأة كوشية وعمره آنذاك نحو ٩٠ عاما ، فانتقده بسببها أقرب الناس

(١) المرجع السابق - ص ١٥٩

اليه وهما : هارون أخوه ، ومريم أخته • وهنا تدخل الله ليدافع عن موسى ويعاقبهما لولا شفاعته موسى •

وفي هذا تقول التوراة :

« تكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية (الحبشية) التي اتخذها • لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية • فقالا : هل كلم الرب موسى وحده ؟ ألم يكلمنا أيضا ؟ فسمع الرب • وأما الرجل موسى فكان حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض •

فقال الرب حالا لموسى وهارون ومريم : اخرجوا أتم الثلاثة الى خيمة الاجتماع •

فخرجوا هم الثلاثة • فنزل الرب في عمود سحب ووقف في باب الخيمة ودعا هارون ومريم فخرجا كلاهما • فقال : اسمعا كلامي • وان كان منكم نبي فيالرؤيا أستعلن له ، في الحلم أكلمه • وأما عبدي موسى فليس هكذا ، بل هو أمين في كل بيتي •

فما الى فهم ، وعيانا أتكلم معه ، لا بالألغاز ، وشبه الرب يعاين • فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدي موسى • فحصى غضب الرب عليهما ، ومضى • فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة ، اذا مريم برصاء كالثلج • فالتفت هارون الى مريم واذا هي برصاء •

فقال هارون لموسى : أسألك ياسيدي لا تجعل علينا الخطية التي حمقنا واخطانا بها • فلا تكن كالميت الذي يكون عند خروجه من رحم أمه قد أكل نصف لحمه • فصرخ موسى الى الرب قائلا : اللهم اشفها • فقال الرب لموسى : ولو بصق أبوها بصقا في وجهها أما كانت تخجل سبعة أيام • تحجز سبعة أيام خارج المحلة وبعد ذلك ترجع •

فحجرت مريم خارج المحلة سبعة أيام - سفر العدد ١٢ :
١ - ١٥ » •

ان هذا التعليم الالهي المجيد ، دفاعا عن موسى ومباركة لزواجه
الثاني ، اما هو اعلان للبشر عبر القرون ونذير سوء للحمقى منهم ،
الذين لا يخشون أن يتكلموا بسوء على عبيد الله من الأنبياء وخاصة
أولى العزم أصحاب الرسالات الكبرى ، الذين جاهدوا في الله حق
جهاده ، وقاتلوا في سبيله وتعرضوا للأهوال والمحن ، وأحاط بهم
الموت من كل مكان حتى كتب الله لهم النصر ، فأخرجوا أمما من الظلمات
الى النور •

*

ذلك بعض ما كان من أمر موسى ذى الزوجتين : المدينة والحشية •

** .

نساء جدعون

هو فتى اسرائيل وقاضيها الذي اختاره الله - بعد موسى ويشوع - ليخلص شعبه من ذل المديانيين والكنعانيين : « اذا زرع اسرائيل كان يصعد المديانيون والعمالقة وبنو المشرق يصعدون عليهم • وينزلون عليهم ويتلفون غلة الأرض الى مجيئك الى غزة ولا يتركون لاسرائيل قوت الحياة ولا غنما ولا بقرا ولا حميرا •• فذل اسرائيل جدا من قبل المديانيين • وصرخ بنو اسرائيل الى الرب - قضاة ٦ : ٣ - ٦ » •

وقد كلمه الله مرارا - عن طريق ملائكته وفي الرؤى والأحلام - وأرسله ليخلص اسرائيل من سطوة أعدائهم : « فظهر له ملاك الرب وقال له : الرب معك يا جبار البأس •

فقال له جدعون : أسألك ياسيدي • اذا كان الرب معنا ، فلماذا أصابتنا كل هذه ، وأين كل عجائبه •• الآن قد رفضنا الرب وجعلنا في كف مديان •

فالتفت اليه الرب وقال : اذهب بقوتك هذه وخلص اسرائيل من كف مديان • أما أرسلتك !؟
فقال له : أسألك ياسيدي • بماذا أخلص اسرائيل ؟ ••

فقال له الرب : انى آكون معك ، وستضرب المديانيين كرجل واحد - قضاة ٦ : ١١ - ١٦ » •

ولقد كان الرعب الذي أوقعه المديانيون بالاسرائيليين يفوق الوصف حتى ان جدعون سخر من نفسه أن يكون هو مخلص اسرائيل • ولذلك عمل تجربتين ليتأكد من أن الله يكلمه فعلا •

ففي التجربة الأولى قال للملاك : « ان كنت وجدت نعمة في عينيك

فاصنع لى علامة أنك أنت تكلمنى » • وكأنت العلامة أن يقدم جدعون
قربانا ، « فصعدت نار من الصخرة وأكلت اللحم والفطير • وذهب
ملاك الرب عن عينيه •

فرأى جدعون أنه ملاك الرب ، فقال جدعون : آه ياسيدى
الرب ! لأنى قد رأيت ملاك الرب وجها لوجه •

فقال له الرب : السلام لك • لا تخف • لا تموت - قضاة
٦ : ١٧ - ٢٣ » •

وكانت التجربة الثانية حين « قال جدعون لله : ان كنت تخلص
بيدى اسرائيل كما تكلمت ، فما انى واضع جزء الصوف فى البيدر :
فان كان ظل على الجزء وحدها وجفاف على الأرض كلها ، علمت أنك
تخلص بيدي اسرائيل ، كما تكلمت •

• • وكان كذلك • •

فقال جدعون لله : لا يحجم غضبك على ، فأتكلم هذه المرة فقط •
امتحن هذه المرة فقط بالجزء : فليكن جفاف فى الجزء وحدها ،
وعلى كل الأرض ليكن ظل •

ففعل الله كذلك فى تلك الليلة - قضاة ٦ : ٣٦ - ٤٠ » •

« ولبس روح الرب جدعون » فخلص بنى اسرائيل من سطوة
المديانيين « • « وذل مديان أمام بنى اسرائيل ، ولم يعودوا يرفعون
رؤوسهم • واستراحت الأرض أربعين سنة فى أيام جدعون - قضاة
٦ : ٣٤ ، ٨ : ٢٨ » •

ولقد حاول بنو اسرائيل تنصيبه ملكا عليهم ، وأن يكون الملك
وراثة فى نسله من بعده ، لكنه أبى ، وبقي مخلصا لله • فقد « قال
رجال اسرائيل لجدعون : تسلط علينا أنت وابنك وابن ابنك لأنك قد
خلصتنا من يد مديان •

فقال لهم جدعون : لا أتسلط أنا عليكم ، ولا يتسلط ابني عليكم •
الرب يتسلط عليكم - قضاة ٨ : ٢٢ - ٢٣ » •

وأخيرا « مات جدعون بن يوآش بشيئة سالحة - قضاة ٨ : ٣٢ » ،
تماما كميته جده الأكبر ابراهيم (تكوين ٢٥ : ٨) •

وعن أخبار نسائه تقول الأسفار : « كان لجدعون سبعون ولدا
خارجون من صلبه ، لأن كانت له نساء كثيرات • • وسريته التي في
شكيم ولدت له هي أيضا ابنا فسماه أيمالك - قضاة ٨ : ٣٠ - ٣١ » •
وفي استقراء لعدد نساء جدعون بمعلومية أولاده ، نقول : أنجب
ابراهيم ١٣ ولدا من ٤ نساء ، هن : هاجر ، وسارة ، وقطورة ،
وحجور • فيكون المتوسط التقريبي = ٣ أولاد لكل امرأة •

كذلك : أنجب يعقوب ١٢ ولدا من ٤ نساء •

فيكون المتوسط = ٣ أولاد لكل امرأة •

ولما كان جدعون قد أنجب ٧٠ ولدا : اذن ، يكون عدد نساء
جدعون لا يقل عن ٢٣ امرأة ، وهو ما يتفق والنص الذي يقول :
« كانت له نساء كثيرات » •

**

نساء داود

هو فخر الاسرائيلين ، « جبار بأس ، ورجل حرب ، وفصيح ،
ورجل جميل ، والرب معه - صموئيل الأول ١٦ : ١٨ » • اختاره الله
مسيحا له « فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه وسط اخوته • وتل روح
الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا - صموئيل الأول ١٦ : ١٣ » •

ولما جاء المسيح بعد داود بألف عام ، كان الذين آمنوا به من
بنى اسرائيل - وهم المسيحيون حقا - يدعونه ابن داود ، تكريما له
واقراراً بنبوته وبركاته • فيها هو بارتيمائوس الأعمى « لما سمع أنه
يسوع الناصري ، ابتداء يصرخ ويقول : يا يسوع بن داود
ارحمني • فاتته كثيرون ليسكت • فصرخ أكثر كثيرا : يا بن داود
ارحمني •

فوقف يسوع وأمر أن ينادى • • وجاء الى يسوع • فأجاب
يسوع وقال له : ماذا تريد أن أفعل بك ؟ فقال له الأعمى : ياسيدي
أن أبصر •

فقال له يسوع : اذهب • ايمانك قد شفاك • فلوقت أبصر
وتبع يسوع في الطريق - مرقس ١٠ : ٤٧ - ٥٢ » •

وفي دخوله اورشليم « كثيرون فرشوا ثيابهم في الطريق •
وآخرون قطعوا أغصانا من الشجر وفرشوها في الطريق • والذين
تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين : أوصنا • مبارك الآتى باسم
الرب • مبارك مملكة ابينا داود الآتية باسم الرب - مرقس ١١ :
٨ - ١٠ » •

وداود عند المسلمين نبي عظيم : « آتاه الله الملك والحكمة
وعلمه ما يشاء » (البقرة : ٢٥١) •

*

لقد كان داود يكلم الله ويستشيريه ، وكان الله يكلم عبده ونبيه .
داود ، وينبئه بأمر المستقبل ، فيسير داود على هديه ويحقق النصر .
فقد « أخبروا داود قائلين : هو ذا الفلسطينيون يحاربون قعيلة وينهبون
البيادر . فسأل داود من الرب قائلاً : اذهب واضرب هؤلاء الفلسطينيين ؟
فقال الرب لداود : اذهب واضرب الفلسطينيين ، وخلص قعيلة .
فقال رجال داود له : ها نحن هنا في يهوذا خائفون ، فكم
بالجري اذا ذهبنا الى قعيلة ضد صفوف الفلسطينيين !

فعاد ايضا داود وسأل من الرب ، فاجابه الرب وقال : قم انزل
الى قعيلة فاني ادفع الفلسطينيين ليدك .

فذهب داود ورجاله الى قعيلة ، وحارب الفلسطينيين وساق
مواشيهم وضربهم ضربة عظيمة ، وخلص داود سكان قعيلة - صموئيل
الأول ٢٣ : ١ - ٥ » .

وتكررت استشارة داود لربه مرات ومرات . وقد « كان بعد ذلك
ان داود سأل الرب قائلاً : اصعد الى احدى مدن يهوذا ؟

فقال له الرب : اصعد . فقال داود : الى اين اصعد ؟
فقال : الى حبرون .

فصعد داود الى هناك . . . وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود
ملكاً على بيت يهوذا - صموئيل الثاني ٢ : ١ - ٤ » .

بعد ذلك « سأل داود من الرب قائلاً : أأصعد الى الفلسطينيين ؟
أتدفعهم ليدي ؟ . فقال الرب لداود : اصعد لأني دفعا أدفع
الفلسطينيين ليدك .

فجاء داود الى بعل فراصيم وضربهم داود هناك . . . وتركوا
هناك أصنامهم فنزعها داود ورجاله .

ثم عاد الفلسطينيون فصعدوا أيضا وانتشروا في وادي الرفائين .
فسأل داود من الرب ، فقال : لا تصعد ، بل در من وراءهم
وهلم عليهم مقابل أشجار البكا . وعندما تسمع صوت خطوات
في رؤوس أشجار البكا حينئذ احترس لأنه اذ ذاك يخرج الرب أمامك
لضرب محطة الفلسطينيين . ففعل داود كذلك كما أمره الرب وضرب
الفلسطينيين من جبع الى مدخل جازر - صموئيل الثاني ٥ :

١٩ - ٢٥ » .

ولقد استمر داود صاحب درجة عليا عند الله ومسيحا رضى الله
عنه حتى آخر أيام حياته . « فهذه هي كلمات داود الأخيرة :

وحى داود بن يسي ، ووحى الرجل القائم في العلا ، مسيح اله
يعقوب ، ومرنم اسرائيل الحلو . روح الرب تكلم بي ، وكلمته على لساني .
قال اله اسرائيل الى : اذا تسلط على الناس بار ، يتسلط بخوف الله ،
وكنور الصباح اذا أشرقت الشمس - صموئيل الثاني ٢٣ : ١ - ٣ » .

والآن : ما هي اخبار داود ونسائه ؟

✱

ميكال ابنة شاول : ارتفع نجم داود بعد أن قتل جالوت (جليات
الفلسطيني) « فجعله شاول على رجال الحرب ، وحسن في أعين جميع
الشعب ، وفي أعين عبيد شاول أيضا . فلما رأى شاول أنه مفلح جدا
ففرغ منه » لقد خاف شاول أن ينتزع داود المملكة منه ، فتربص
به ، وأخيرا اهتدى الى حيلة مأكرة وهي أن يزوجه ابنته
بمهر هو ١٠٠ غلقة من الفلسطينيين . فيكون على داود أن يحارب
الفلسطينيين ويقتل منهم ١٠٠ رجل على الأقل ثم يقطع غلقة
كل منهم - أي : غلاف مقلمة عضو الذكورة - ويأتي بها مهرا .
وهناك يتعرض داود لخطر محقق ، فقد يقضى عليه الفلسطينيون .
وبذلك يتخلص منه شاول بسهولة : « وميكال ابنة شاول أحببت
داود ، فأخبروا شاول ، فحسن الأمر في عينيه . وقال شاول : أعطيه
اياها ، فتكون له شركا وتكون يد الفلسطينيين عليه ..

فقال شاول : هكذا تقولون لداود . ليست مسرة الملك بالمهر ،
بل بمائة غلقة من الفلسطينيين للاتقام من أعداء الملك .

قام داود وذهب هو ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئتي رجل
وأتى داود بغلفهم (٢٠٠ غلقة) فأكملوها للملك لمصاهرة الملك . فأعطاه
شاول ميكال ابنته امرأة - صموئيل الأول ١٨ : ٢٠ - ٢٧ » .

ولما ساءت الأمور بين شاول وداود ، لم يلبث شاول أن فسخ
زواج ابنته من داود وزوجها لشخص آخر : « أعطى شاول ميكال
ابنته ، امرأة داود ، لفلطى بن لابش الذى من جليم - صموئيل
الأول ٢٥ : ٤٤ » .

وكان بعد مقتل شاول أن استعاد داود زوجته ميكال ثانية .
فحين انقلب أبنير رئيس جيش شاول على ابنه ايشبوشث الذى نصبه
ملكاً خلفاً لأبيه بسبب إحدى سرارى شاول « أرسل أبنير من فوره
رسلاً الى داود قائلاً : لمن هى الأرض ؟ يقولون اقطع عهدك معى وهو ذا
يدى معك لرد جميع اسرائيل اليك .

فقال (داود) : حسناً . أنا أقطع معك عهداً ، الا أنى أطلب منك
أمراً واحداً وهو ألا ترى وجهى ما لم تأت أولاً بميكال بنت
شاول حين تأتى لترى وجهى . وأرسل داود رسلاً الى
ايشبوشث بن شاول يقول : أعطنى امرأتى ميكال التى خطبتها لى
بمائة غلقة من الفلسطينيين فاخذها ايشبوشث واخذها من عند رجلها ،
من فلطييل بن لابش . وكان رجلها يسير معها ويبكى وراءها -
صموئيل الثانى ٣ : ١٢ - ١٦ »

✱

اييجليل امرأة نابال الكرملى : عمل داود فترة قاطع طريق يفرض
اتاوة على الناس حوله ويرعبهم بعصايته ذات الست مائة مقاتل . وحين
كان نابال الكرملى يجز غنمه أرسل داود يطلب منه دفع الاتاوة ، لكن
الرجل رفض فما كان من داود الا أن خرج اليه فى عصابته يريد قتله

وكل بيته • ولم يوقف هذه المجزرة الا تدخل امرأته أيجاييل •
وبعد عشرة أيام مات نابال فلم يلبث داود أن أخذها زوجة له • وفي هذا
تقول الأسفار : « كان رجل في معون وأملاكه في الكرمل وكان الرجل
عظيما جدا • • واسم الرجل نابال واسم امرأته أيجاييل • وكانت المرأة
جيدة الفهم وجميلة الصورة • • • • • سمع داود في البرية أن نابال يجر غنمه
فأرسل داود عشرة غلمان وقال • • • • • قولوا لنابال : حين كأن رعائك معنا
لم تؤذهم ولم يفقد لهم شيء كل الأيام التي كانوا فيها في الكرمل • • • • •
فأعط ما وجدته يدك لعبيدك ولابنك داود • • • • • فأجاب نابال عبيد
داود وقال : من هو داود ؟ • • • • • آخذ خيزى ومائى وذبيحى الذى
ذبحت لجازى وأعطيه لقوم لا أعلم من أين هم ؟ !

فقال داود لرجاله : ليتقلد كل واحد منكم سيفه • • • • • وتقلد داود
أيضا سيفه • • وصعد وراء داود نحو أربع مئة رجل ومكث مئتان مع
الأمته • •

فبادرت أيجاييل وأخذت متى رغيغ خبز وزقى خمر وخمسة
جرفان • • • • • ووضعتها على الحمير • • • • • واذا بداود ورجاله منحدرون
لاستقبالها فصادفتهم •

وقال داود : انما باطلا حفظت كل ما لهذا في البرية فلم يفقد من كل
ماله شيء ، فكافأنى شرا بدل خير • • هكذا يصنع الله لأعداء داود وهكذا
يزيد ان ابقيت من كل ما له الى ضوء الصباح بانلا بحائظ(1) •

ولما رأت أيجاييل داود أسرع وتزلت عن الحمار وسقطت أمام
داود على وجهها وسجدت الى الأرض وسقطت على رجليه وقالت :

(1) كناية عن قتل جميع الأنفس الحية اذ كان من عادتهم - التى
لا تزال معمولا بها في المناطق الريفية النائية الى اليوم - أن يتبول الذكور
على حوائط المباني المنعزلة ، كما تتخذ الاناث من تلك الحوائط
ستارا لهن •

على أنا ياسيدى هذا الذنب والآن هذه البركة التى أتت بها
جارتك الى سيدى فلتعط للغلمان السائرين وراء سيدى . . .

فقال داود لأبيجايل : مبارك الرب اله اسرائيل الذى أرسلك
هذا اليوم لأنك منعتنى من اتيان الدماء واتقام يدي لنفسى . .
وبعد نحو عشرة أيام ضرب الرب نابال فمات . فلما سمع داود
أن نابال مات أرسل داود وتكلم مع أبيجايل ليتخذها له امرأة . .
فقامت أبيجايل وسارت وراء رسل داود وصارت له امرأة
— صموئيل الأول ٢٥ : ٢ — ٤٢ « .

*

أخينوعم اليزرعيلية : « ثم أخذ داود أخينوعم من يزرعيل ، فكاتنا
(هى وأبيجايل امرأة نابال الكرملى) له كلتاهما امرأتين — صموئيل
الأول ٢٥ : ٤٣ « .

وكان ذلك قبل أن يستعيد داود امرأته السابقة مينكال بنت شاول،
بعد مقتل أبيها .

هذا ، وقد « سبيت امرأتا داود : أخينوعم اليزرعيلية ، وأبيجايل
امرأة نابال الكرملى » فى غارة للعماليق ، لكن داود ضربهم « واستخلص
كل ما أخذه عماليق وانقذ داود امرأتيه — صموئيل الأول ٣٠ : ٥ ، ١٨ « .

*

معكة بنت تلماي ملك جشور ، وحجيث ، وايطال ، وعجلة :
هؤلاء الزوجات الأربع ، اضافة الى أخينوعم وأبيجايل ولدن لداود
فى حبرون ستة اولاد هم :

« بكره أمنون من أخينوعم اليزرعيلية ، وثانيه كلاب من أبيجايل
امرأة نابال الكرملى ، والثالث أشالوم ابن معكة بنت تلماي ملك
جشور ، والرابع أدونيا ابن حجيث ، والخامس شفتيا ابن ايطال ،
والسادس يثراعام من عجلة امرأة داود . هؤلاء ولدوا لداود فى
حبرون — صموئيل الثانى ٣ : ٢ — ٥ « .

« ولم يكن ليكال بنت شاول ولد الى يوم موتها - صموئيل
الثانى ٦ : ٢٣ » •

*

بعد ذلك ببيع داود ملكا على كل اسرائيل فانتقل من حبرون الى
اورشليم وبدأ ملكه فى الاستقرار ، وهناك كانت له مع النساء
صولات وجولات • وقد استمر يضيف الى قائمة نسائه الكثير حتى
آخر أيام حياته •

« جاء جميع أسباط اسرائيل الى داود الى حبرون ••••• ومسحوا
داود ملكا على اسرائيل •

كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك ، وملك أربعين سنة •
فى حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة أشهر • وفى اورشليم
ملك ثلاثا وثلاثين سنة على جميع اسرائيل ويهوذا • وذهب الملك
ورجاله الى اورشليم ••••• وكان داود يتزايد متعظما ، والرب اله الجنود
معه - صموئيل الثانى ٥ : ١ - ١٠ » •

*

بشبع امرأة اوريا الحثى : « كان فى وقت المساء أن داود قام
عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة
تستحم • وكانت المرأة جميلة المنظر جدا • فأرسل داود وسأل عن
المرأة فقال واحد : أليست هذه بشبع امرأة اوريا الحثى (أحد
جنوده) •

فأرسل داود رسلا وأخذها ، فدخلت اليه ، فاضطجع معها • وهى
مطهرة من طمئتها • ثم رجعت الى بيتها • وحبلت المرأة ، فأرسلت
وأخبرت داود وقالت : انى حبلى •

فأرسل داود الى يوب (قائد الجيش) يقول : أرسل الى اوريا ••
فأتى اوريا اليه ••••• وقال داود لأوريا : انزل الى بيتك واغسل رجلك

(لعله يضطجع مع امرأته فتضيع معالم جريمة الزنا ويعتبر الحمل من أوريا نفسه) •• فخرج أوريا من بيت الملك •• ولم ينزل الى بيته • فآخبروا داود •• فقال لأوريا : أما جئت من السفر • فلماذا لم تنزل الى بيتك ؟ فقال أوريا لداود (بشهامة الرجال) : ان التابوت واسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوأب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء ، وأنا آتى الى بيتي لأكل وأشرب وأضطجع مع امرأتى ! وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر ••

ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره وخرج عند المساء •••• والى بيته لم ينزل •

(وهنا لم يجد داود بدا من التآمر عليه بقتله في الحرب) وفي الصباح كتب داود مكتوبا الى يوأب وأرسله بيد أوريا • وكتب في المكتوب يقول : اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة ، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت •

وكان في محاصرة يوأب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البناس فيه ••••• ومات أوريا الحشى ••

فأرسل يوأب وأخبر داود •• فقال داود للرسول : هكذا تقول ليوأب : لا يسؤ في عينيك هذا الأمر ، لأن السيف ياكل هذا وذاك •• فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ، ندمت بعلمها • ولما مضت المناحة ، أرسل داود وضمها الى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا • وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب - صموئيل الثاني ١١ : ١ - ٢٧ » •

وكانت هذه الزوجة هي التي أنجب منها داود - فيما بعد -

سليمان الحكيم !

*

ولا شك في أن هذه الرواية تتنافى مع عظمة الأنبياء التي يحرص
الاسلام على اثباتها لهم .. وقد جاء في تفسير القرطبي فيما نقله عن
السدى : أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال :
لو سمعت رجلا يذكر أن داود عليه السلام قارف من تلك المرأة محرما
لجلدته ستين ومائة ، لأن حد قاذف الناس ثمانون ، وحد قاذف الأنبياء
ستون ومائة ..

وقد أثنى الله تعالى على داود عليه السلام : ﴿ وشهدنا ملكه

وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ (سورة ص : ٢٠) •

*

سرارى داود ونسائه في اورشليم : « علم داود أن الرب قد أثبتته

ملكا على اسرائيل ، وأتته قد رفع ملكه من أجل شعبه اسرائيل •

وأخذ داود أيضا سرارى ونساء من اورشليم بعد مجيئة من حبرون

فوجد أيضا لداود بنون وبنات - صموئيل الثانى ٥ : ١٢ - ١٣ » •

ويمكن استقراء عدد نساء داود في اورشليم كالاتى :

ملك داود في حبرون على سبط يهوذا مدة نحو سبع سنين كانت

معه ست زوجات ، أى بمعدل متوسط نحو زوجة جديدة كل سنة •

ولما انتقل داود الى اورشليم ملكا على كل اسرائيل كان عمره نحو

سبعة وثلاثين سنة ، وقد بدأت المملكة تستقر « وأراحه الرب من كل

الجهات من جميع أعدائه - صموئيل الثانى ٧ : ١ » فمن المتوقع أن

يستمر معدل اضافة الزوجات الجدد كما كان سلفا ، أى زوجة جديدة

كل سنة • واذا أخذنا عامل السن في الاعتبار ، فانتا نستطيع

تقسيم مدة حياته في اورشليم - التى بلغت ثلاثا وثلاثين سنة - الى

ثلاث فترات تبلغ كل منها احدى عشرة سنة ، ويكون المعدل المقبول

لكل من هذه الفترات هو اضافة زوجة جديدة كل سنة للفترة

الأولى ، واطافة زوجة جديدة كل سنتين للفترة الثانية ، واطافة زوجة

جديدة كل ثلاث سنوات للفترة الثالثة والأخيرة •

وبذلك يكون عدد زوجات داود الجدد اللاتى اخذهن في اورشليم =

٢٠ زوجة على الأقل •

كذلك يمكن استقراء عدد السراى اللائى كن فى حزن داود
فى أورشليم كالآتى :

فى الثورة التى قادها أبشالوم من حبرون ضد أيبه داود : « كان
الشعب لا يزال يتزايد مع أبشالوم فقال داود لجميع عبيده الذين
معه فى أورشليم : قوموا بنا نهرب لأنه ليس لنا نجاته من وجه أبشالوم
أسرعوا للذهاب لثلا يبادر ويدركنا وينزل بنا الشر ويضرب المدينة
(أورشليم) بحد السيف . فقال عبيد الملك للملك : حسب كل ما يختاره
سيدنا الملك نحن عبيده .

فخرج الملك وجميع بيته وراه . وترك الملك عشر نساء سراى
لحفظ البيت - صموئيل الثانى ١٥ : ١٢ - ١٦ » .

لقد كانت أورشليم عاصمة مملكة داود على وشك الاجتياح
بقوات أبشالوم الضخمة التى قيل فيها : « ان قلوب رجال اسرائيل
صارت وراء أبشالوم » ، ومن ثم كان على داود ألا يبقى لحفظ بيته
الا أقل القليل من النساء ، باعتبار أن أسرهن بيد الثوار صار مؤكدا .
وإذا قدرنا أن ذلك العدد من نساء حفظ البيت لا يتجاوز ربع سراى
داود ، كان معنى ذلك :

ان مجموع سراى داود لا يقل عن ٤٠ سرية .

*

وجدير بالذكر أن السراى العشر اللائى تركهن داود فى أورشليم
لحفظ بيته ، قد وقعن فى أسر أبشالوم والثائرين معه ، كما كان متوقعا .
وهناك أشار حكيم اسرائيل على أبشالوم أن يزلئ بسراى أيبه اغاظة
فيه وقطعا لكل صلة طيبة معه .

« قال أبشالوم لأختوفل : أعطوا مشورة ماذا تفعل . فقال
أختوفل لأبشالوم : ادخل الى سراى ايبك اللواتى تركهن لحفظ البيت ،
فيسمع كل اسرائيل أنك قد صرت مكروها من ايبك ، فتشدد أيدى
جميع الذين معك .

فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم الى سرارى
أبيه امام جميع اسرائيل .

وكانت مشورة أخيتوفل التى كان يشير بها فى تلك الأيام كمن
يسأل بكلام الله . هكذا كل مشورة أخيتوفل على داود وعلى أبشالوم
جميعا - صموئيل الثانى ١٦ : ٢٠ - ٢٣ » .

هذا - وبعد مقتل أبشالوم وانهاء ثورته ضد أبيه ، « جاء داود
الى بيته فى اورشليم وأخذ الملك النساء السرارى العشر اللواتى تركهن
لحفظ البيت وجعلهن تحت حجز ، وكان يعولهن ، ولكن لم يدخل اليهن ،
بل كن محبوسات الى يوم موتهن فى عيشة العزوبة - صموئيل الثانى
٢٠ : ٣ » .



- أيشج الشونمية : « شاخ الملك داود ، تقدم فى الأيام ، وكانوا
يدثرونه بالثياب فلم يدفاً .

فقال له عبيده : ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء فلتقف
أمام الملك ، ولتكن له حاضنة ، ولتضطجع فى حصنك فيدفا سيدنا
الملك .

فتشوا على فتاة جميلة فى جميع تخوم اسرائيل ، فوجدوا
أيشج الشونمية فجاءوا بها الى الملك .
وكانت الفتاة جميلة جدا ، فكانت حاضنة الملك ، وكانت تخدمه ،
ولكن الملك لم يعرفها - الملوك الأول ١ : ١ - ٤ » .



ما سبق جميعه نخلص الى الآتى :

- كان لداود ٩ زوجات ينمن فى حصنه ، وأنجب من أغلبهن ذرية،
وقد ذكرت أسماءهن فى الأسفار وهن :

ميكال ابنة شاول - وأييجابل امرأة نابال الكرملى - وأخينوعم
اليزرعيلية - ومعكة بنت تلماي ملك جشور - وحجيث - وأييطال -
وعجلة - وبشبع امرأة أوريا الحثى - وأيشج الشونمية .

واذا كانت الأسفار قد قالت عن أبيشج أن داود لم يعرفها ، أى لم يعاشرها معاشرة الأزواج ، فما ذلك الا لأنه قد : « شاخ داود وشع أياما - اخبار الأيام الأول ٢٣ : ١ » ، أما هى فقد كانت حاضنته ، يداعبها وتداعبه

— كان لداود زوجات أخريات من اورشليم صممت الأسفار عن ذكرهن وقدر عددهن بنحو ٢٠ زوجة •

— كان لداود سرارى لا يقل عددهن عن ٤٠ سرية •

وبذلك يكون لداود ٢٩ زوجة ، و ٤٠ سرية ، اى ٦٩ امرأة •

وهذا تقدير معقول يعضده قول الرب لناثان النبى الذى أرسله لداود ، لكى يضرب له مثلا بين حجم جريمته ، اذ قال له : « كان رجلان فى مدينة واحدة ، واحد منهما غنى والآخر فقير • وكان للفنى فتم وبقر كثيرة جدا • وأما الفقير فلم تكن له شىء الا نعجة واحدة صغيرة ••• - صموئيل الثانى ١٢ : ١ - ٢ » •

لقد كان لداود - اذن - نساء كثيرة جدا •••

بل ان حساب ٦٩ امرأة لداود يعتبر رقما متواضعا اذا قورن بما كان عليه الحال فى زمنه وأسرقه •

فقد كان لابنه سليمان زوجات وسرارى بالمئات ، كما كان لحفيده - رحبعام بن سليمان - زوجات وسرارى بالعشرات • وفى هذا الأخير تقول الأسفار : « أحب رحبعام معكة بنت أبشالوم أكثر من جميع نساؤه وسراريه • لأنه اتخذ ثمانى عشرة امرأة ، وستين سرية ، وولد ثمانية وعشرين ابنا ، وستين ابنة - اخبار الأيام الثانى ١١ : ٢١ » •

* *

نساء سليمان

بعد أن استقر الملك لداود ، عزم على بناء بيت لعبادة الله وكلم
ناثان النبي الذي رحب بالفكرة • ولكن « في تلك الليلة كان كلام
الرب الى ناثان قائلاً : اذهب وقل لعبدي داود ••••• قد أرحتك من
جميع أعدائك • والرب يخبرك أن الرب يصنع لك بيتا •
متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذي
يخرج من أحشائك وأثبت مملكته • هو يبنى بيتا لاسمي ، وأنا اثبت
كرسي مملكته الى الأبد •

أنا أكون له ابا وهو يكون لي ابنا • ان تعوج أودبه بقضيب
الناس وبضربات بني آدم ولكن رحمتي لا تنزع منه كما نزعته من شاول
الذي أزله من أمامك ويأمن بيتك ومملكته الى الأبد أمامك • كرسيك
يكون ثابتا الى الأبد - صموئيل الثاني ٧ : ٤ - ١٦ » •
وعندما شاخ داود « دعا سليمان ابنه وأوصاه أن يبنى بيتا للرب
اله اسرائيل • وقال داود : كأن الى كلام الرب قائلاً ••••• هوذا يولد
لك ابن يكون صاحب راحة وأريحه من جميع أعدائه حوالبه لأن اسمه
يكون سليمان • فأجعل سلاما وسكينة في اسرائيل في أيامه • هو يبنى
بيتا لاسمي ، وهو يكون لي ابنا وأنا له ابا ، وأثبت كرسى ملكه على
اسرائيل الى الابد - أخبار الأيام الأول ٢٢ : ٦ - ١٠ » •

*

وجدير بالذكر أن هذا القول الخطير الذي ذكره سفر أخبار الأيام
الأول عن سليمان : « هو يكون لي ابنا ، وأنا له ابا » ، لم يذكر أنه
قيل للمسيح الا نصفه فقط ، حسب زعم كتبة الأناجيل •
فيذكر انجيل متى أن المسيح بعد أن اعتمد من يوحنا المعمدان في
نهر الأردن ، « اذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل

حماسة وآتيا عليه • وصوت من السماء قائلا : هو ذا ابني الحبيب

الذي به سررت - ٣ : ١٦ - ١٧ « •

وقد أوردتها انجيل مرقس بطريقة مخالفة ، فالخطاب هنا موجه الى المسيح ، بدلا من الحديث عنه بضمير الغائب ، كما في متى : « وكان صوت من السماء • أنت ابني الحبيب الذي به سررت - ١ : ١١ « •

وقد أوردتها لوقا بطريقة تقترب من مرقس مع خلاف أيضا ، فقال :

((أنت ابني الحبيب بك سررت - ٣ : ٢١ « •

فقول مرقس : ((الذي به سررت)) ، غيره لوقا الى : ((بك سررت))

*

هذا ، ولقد كان سليمان نبيا يكلمه الله في الرؤى والأحلام • وقد « تشدد سليمان بن داود على مملكته ، وكان الرب الهه معه وعظمه جدا ••

في تلك الليلة تراءى الله لسليمان وقال له : اسأل ماذا أعطيك • فقال سليمان لله : انك قد فعلت مع داود ابي رحمة عظيمة وملكتني مكانه •••• فأعطني الآن حكمة ومعرفة لأخرج امام هذا الشعب وأدخله فقال الله لسليمان : من أجل أن هذا كان في قلبك ، ولهم تسأل غنى ولا أموالا ولا كرامة ولا أنفوس مبغضيك ، ولا سألت أياما كثيرة ، بل انما سألت لنفسك حكمة ومعرفة تجكم بهما على شعبي الذي ملكتك عليه ، قد أعطيتك حكمة ومعرفة ، وأعطيتك غنى وأموالا وكرامة لم يكن مثلها للملوك الذين قبلك ولا يكون مثلها لمن بعدك - أخبار الأيام الثاني ١ : ١ - ١٢ « •

«ولما أكمل سليمان بناء بيت الرب •••• أن الرب تراءى لسليمان ثانية •••• وقال له الرب : قد سمعت صلواتك وتضرعت الذي تضرعت به أمامي •

قدمت هذا البيت الذي بنيته لأجل وضع اسمي فيه الى الأبد ، وتكون عيناى وقلبي هناك كل الأيام - الملوك الأول ٩ : ١ - ٣ « •

« واعطى الله سليمان حكمة ، وفهما كثيرا جدا ، ورحبة قلب كالرمل الذى على شاطئ البحر . وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بنى المشرق . . وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته - الملوك الأول ٤ : ٢٩ - ٣٤ » .

والآن - ما هى اخبار نساء سليمان الذى حظى بتلك المكانة العظيمة عند الله والناس ؟

*

يقول كبة الأسفار : « أحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون :- موآبيات ، وعمونيات ، وأدوميات ، وصيدونيات ، وحثيات . ومن الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى اسرائيل : لا تلخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة .

وكانت له سبع مئة من النساء السيدات ، وثلاث مئة من السراى ، فامالت نساؤه قلبه .

وكان فى زمان شيخوخة سليمان ان نساءه املن قلبه وراء آلهة اخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود ابيه . فذهب سليمان وراء : عشتورث الالهة الصيدونيين ، وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماما كداود ابيه . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموائيين . . ولولك رجس بنى عمون . وهكنا فعل لجميع نساؤه الغريات اللواتى كن يوقدن وينبحن لآلهتهن .

ففضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب اله اسرائيل الذى تراءى له مرتين وأوصاه فى هذا الأمر أن لا يتبع آلهة اخرى . فلم يحفظ ما أوصى به الرب - الملوك الأول ١١ : ١ - ١٠ » .

لقد جعل كتبة الأسفار سليمان كافرا في « زمان شيخوخته » ،
والعياذ بالله ! ولم يكن العيب في تعدد نسائه اللاتي بلغن ١٠٠٠ امرأة ،
انما كان العيب ومكمن الخطر هو في اختياره اياهن من الوثنيات اللاتي
لا تعرفن الاله الواحد الحق رب اسرائيل .

وجدير بالذكر أن القرآن قد برأ سليمان من تلك التهمة الظالمة
الخطيرة التي ألحقها كتبة الأسفار به ، واعتبرها حديث شياطين ، فقال :
﴿ واتبعوا ما تنزلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن
الشياطين كفروا ﴾ (البقرة : ١٠٢) .

* *

نساء هوشع

« أول ما كلم الرب هوشع ، قال الرب لهوشع : اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى ، لأن الأرض قد زنت تاركة الرب • فذهب وأخذ جومر بنت دبلايم ، فحببت وولدت ابنا • فقال له الرب : ادع اسمه يزرعيل ••

ثم حببت أيضا وولدت بنتا ، فقال له : ادع اسمها لورحامة ، لأنى لا أعود أرحم بيت اسرائيل أيضا ، بل أنزعهم نزعاً •• ثم فطمت لورحامة وحببت فولدت ابنا ، فقال : ادع اسمه لوعسى ، لأنكم لستم شعبى وأنا لا أكون لكم - هوشع ١ : ٢ - ٩ • بعد ذلك يقول هوشع وحيا من الله : « قال الرب لى : اذهب أيضا أحبب امرأة حبيبة صاحب وزاوية ، كمحبة الرب لبني اسرائيل وهم ملتفتون الى آلهة أخرى ومحبون لأقراص الزبيب •

فاشتريتها لنفسى بخمسة عشر شاقل فضة وبحومر ولثك شعير • وقلت لها : تقعدين أياما كثيرة لا تزفنى ولا تكونى لرجل ، وأنا كذلك لك - هوشع ٣ : ١ - ٣ • *

لقد نقض هوشع - أو بالأحرى كتبه الأسفار الذين نسبوا هذه الفواحش اليه - تعاليم التوراة التى تحرم على الكاهن الزواج من الزاوية بل ومن الأرملة والمطلقة • فمن باب أولى أن يحرم ذلك على كل نبي يدعى أنه يتلقى وحى الله •

فقد « قال الرب لموسى : كلم الكهنة بنى هرون وقل لهم •••• امرأة زانية او مدنسة لا ياخذوا ولا يأخذوا امرأة مطلقة من زوجها •••• والكاهن الأعظم •••• هذا يأخذ امرأة عذراء • أما الأرملة والمطلقة والمدنسة والزانية فمن هؤلاء لا ياخذ - لاويين ٢١ : ١ - ١٤ • وحفا يقول القرآن لهؤلاء المقترين : ﴿ ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ (الاعراف : ٢٨) .

لقد كان هذا هو خبر هوشع النبي صاحب الزوجتين الزانيتين !

* *

نساء محمد

خديجة بنت خويلد : « كانت خديجة ابنة خويلد أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهم شرفا ، فهي ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي . . وأما فاطمة ابنة زائدة بن الأصم بن رواحة . . تزوجت وهي بكر (مرتين قبل محمد) ، كان الأول هو عتيق ابن عابد بن عبد الله فولدت له (ابنة) ، ثم هلك عنها ، فتزوجها بعده أبو هالة النباش بن زرارة فولدت له (ابنا يدعى هالة ، وابنة تدعى هند) ثم هلك عنها . .

وكانت خديجة امرأة تاجرة ذات مال ، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه . وكانت قريش قوما تجارا . فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعظم أماته وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجرا إلى الشام ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله منها وخرج في مالها ذلك ، ومعه غلامها ميسرة حتى قدم الشام . . ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة . فلما قدم مكة على خديجة بمالها ، باعت ما جاء به فأضعف أو قريبا « (١) . لقد ربحت تجارة خديجة بفضل محمد . فلما أخبرها ميسرة بما لمسه من عظم أخلاق محمد وبشاراته وكراماته ، مال قلبها لاختياره زوجها بعد أن صدق حسن اختيار عقلها له من قبل ليكون عاملا لديها .

ولكن ، كيف السبيل لتحقيق ذلك ، والمعاذير كثير . انها أرملة في الأربعين من عمرها تزوجت قبله مرتين وأنجبت ذرية ، أما هو فشاب في الخامسة والعشرين . وفي تلك البيئة العربية التي تنضج فيها الفتاة

(١) سيرة ابن اسحق - ص ٥٩ ، ٢٢٩

مبكرا وتتزوج في سن العاشرة وتلد بنين وبنات ، لا تصلح خديجة -
بمقياس السن - لمحمد الا أما ، تعوضه حرمان الأمومة الحانية التي
فقدتها منذ كان طفلا لم يتجاوز السادسة . .

وهناك تدخلت صديقتها نفيسة بنت منية فقالتت محمدا ، تحشه
على الزواج لكي تهنا حياته ، فكان جوابه : ما بيدي ما اتزوج به .

الا أن جوابه هذا قد شجعها على لفت نظره الى خديجة . .
وبين هذا وذاك، تشجعت خديجة وأرسلت اليه قائلة : « يا بن عم ،
انى قد رغبت فيك لقرابتك منى ، وشرفك فى قومك ، وسطنتك (١) فيهم ،
وأمانتك عندهم ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك . .

فلما قالت ما قالت ، ذكر ذلك لأعمامه . فخرج معه حمزة
ابن عبد المطلب ، حتى دخل على أسد بن أسد فخطبها اليه « (٢) .
وهكذا تزوج محمد خديجة ، فولدت له كل أولاده -
الا ابراهيم - بهم : القاسم وبه كان يكنى ، وعبد الله ، وزينب ،
ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة . وقد مات البنون قبل النبوة ،
أما البنات فقد أدركن الاسلام فأسلمن وهاجرن معه .



انقضت خمس عشرة سنة على زواج محمد بخديجة كانا
فيها نعم الزوجين وفي اقترابه من الأربعين عاما بدأت تلوح
له ارهاصات النبوة ، وأولها الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا فى نومه
الا تحققت . ولقد حجب اليه الخلاء والبعد عن صخب الحياة ، ثم بدأ
يعتزل وحيدا فى غار حراء أياما أو أسابيع كل عام ، حتى اذا كانت احدى
الليالى من العشر الأواخر من رمضان ، فجى الوحيء محمدا وبدأ
يتلقى القرآن . .

(١) قوله : وسطنتك ، فسرہ السهيلي من الوسط ، وقال : فلان
أوسط القبيلة ، أعرفها وأولاها بالصميم .

(٢) المرجع السابق - ص ٦٠ - ٦١

يقول محمد رسول الله : « جاءني جبريل ينمط من
ديباج فيه كتاب • فقال : اقرأ • قلت : ما أنا بقارىء • قال :
فغتنى به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ • قلت :
ما أنا بقارىء • فغتنى به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ •
فقلت : ماذا أقرأ ؟ وما أقولها الا تنجيا أن يعود لى بمثل الذى صنع بى •

فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ
وربك الاكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم ﴾ (العلق : ١-٥) .
قال : فقرأتها ، ثم انتهى فانصرف عني • فخرجت حتى اذا كنت في
وسط الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول
الله وأنا جبريل • فرفعت رأسى الى السماء أنظر : فاذا جبريل في صورة
رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله
وأنا جبريل • فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف
وجهي عنه في آفاق السماء ، فلا أنظر في ناحية منها الا رأته كذلك •
ثم انصرف عني » •

رجع رسول الله الى خديجة يرتجف ، حتى اذا ذهب عنه
الروع قال لها : أى خديجة ، مالى ؟ لقد خشيت على نفسى • ثم
أخبرها الخبر •

فقال له خديجة : أبشر يا بن عم واثبت • فوالله لا يخزيك الله
أبدا • انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقري
الضيف ، وتعين على نوائب الحق •

لقد كانت أخلاق محمد - التى خبرتها خديجة عن كذب
وما اشتهر به بين الناس من جميل المحامد وعظيم السجايا ،
هى حيثيات الحكم التى استندت اليها فى التأكيد على صدق ما جاءه ،
وأنه « الحق » من الله • لكن الأمر لا يقف عند هذا الحد ، فما كان
خبر السماء الا ليؤخذ بكل الجد ويستيقن منه بالبحوث والتجارب •
وهناك يحدث أمران هما بمقياس العصر تجارب عملية كتلك التى
تجرى لدراسة ظاهرة من الظواهر الطبيعية •

الأول : انطلقت خديجة الى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد عرف
خبر الوحي من الأسفار السابقة ، فلما أخبرته بما حدث لمحمد
وما رآه وسمعه ، أطرق مليا ثم قال : قدوس ! قدوس !
والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتني يا خديجة ، لقد جاءه
الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ، والله لنبي هذه الأمة ، فقولي له
فليثبت » •

الثاني : طلبت خديجة الى محمد أن يخبرها بمجيء الملك متى رآه •
فلما جاء الملك - يراه محمد ولا تراه خديجة - أجلست زوجها محمدا على
فخذها الأيسر ، ثم على فخذها الأيمن ، ثم في حجرها ، وفي كل مرة
تسأله عنه فيخبرها أنه لا يزال يراه • حتى اذا حسرت وألقت خمارها
فاذا بمحمد لم يعد ير الملك •

لم يبق - اذن - شك في ان هذا الذي ياتيه انما هو ملك طاهر ،
كما لم تبق هناك أية فرصة للشك في أن محمدا صلى الله عليه وسلم
وخديجة كانا أكثر الناس حرصا على التثبت من حقيقة هذا الامر الجديد
الذي لا عهد لهما ولأمتهما به من قبل •

*

وهنا يستدعى انتباهنا ثلاث نقاط هامة نعرضها فيما يلي :
١ - ان حرص محمد وخديجة على التثبت من حقيقة هذا
الامر الجديد يأتى برهاننا على الصدق مع النفس ، وهذا
ولا شك أول درجات الصدق • فاذا كان الانسان صادقا مع نفسه ،
كان حريا به أن يكون صادقا مع أهله وقومه وخاصة اذا كان الأمر يتعلق
بدعوة كبرى يتوقف عليها مصائر الناس في الدنيا والآخرة • ان هذا
ما اتسم به رجال الله الصادقين •

ولقد رأينا - سلفا - كيف تصرف جدعون مع « ملاك الرب »
الذي أرسله « ليخلص اسرائيل من كف مديان » (١) ، فقد أجرى معه

(١) راجع ص ١٩ ، ٢٠

تجربتين ليستوثق من أن الرب « يخلص بيده اسرائيل ، كما تكلم » حقا
وصدقا .



٢ - دفع الملك الأعظم جبريل الكتاب الى محمد قائلا له :
« اقرأ » ، فقال له محمد : « ما أنا بقارىء » . . .

سبحان الله ! ان هذه واحدة من نبوءات اشعيا التي سبق أن
ألمح اليها في مثله الذي قال فيه :

« يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له : اقرأ هذا ، فيقول :
لا اعرف الكتابة - اشعيا ٢٩ : ١٢ » .

لقد تحققت هذه النبوءة كاملة في محمد خاتم النبيين حين جاءه
الوحي لأول مرة .
ومع ذلك ، فهنا شيء خطير لا بد من استنباطه . . .

ان النبوءة السابقة من سفر اشعيا (٢٩ : ١٢) تتحدث عن يدفع
اليه الكتاب ، « ويقال له : اقرأ هذا » . فاذا كان لا يعرف القراءة كان
حرى أن تكون اجابته : « لا أعرف القراءة » ، وليس : « لا أعرف
الكتابة » كما نجد مسطورا في التراجم العربية للكتاب المقدس ، سواء
ترجمة البروتستانت ، أو ترجمة الكاثوليك (طبعة ١٩٨٣) .
ولقد دفعني هذا الى مراجعة التراجم الحديثة للكتاب المقدس ،
فكان الأمر كما توقعت ، وعلى غير ما تقول به التراجم العربية .

فالنسخة الانجليزية المعروفة باسم : الترجمة القياسية المراجعة
(REVISED STANDARD VERSION) تقول هذه الجملة كالآتي :
« And when they give the book to one who cannot read, saying,
(Read this, , he says) I cannot read » .

وترجمتها : « وعندما يدفعون الكتاب لمن لا يعرف القراءة
قائلين له : اقرأ هذا ، فيقول : لا اعرف القراءة » .

والنسخة الفرنسية المعروفة باسم : الترجمة الفرنسية المسكونية .
(TRADUCTION OECUMENIQUE de La BIBLE)

تقول نفس الجملة السابقة كالآتي :

« On le donne alors à celui qui ne sait pas lire en disant : (Lis donc ceci ! il répond) : ' Je ne sais pas lire. »

وترجمتها : « يدفع (الكتاب) بعدئذ لمن لا يعرف القراءة ، ويقال له : اقرأ هذا ، فيرد قائلاً : لا اعرف القراءة » .

لقد حرف مترجمو الكتاب المقدس الى العربية تلك النبوءة ، واضعين كلمة « الكتابة » ومشتقاتها بدلا من كلمة « القراءة » ومشتقاتها ، حتى لا يلمح القارئ العربي قول المجيب : « لا اعرف القراءة » أو « ما اقرأ » أو « ما أنا بقارئ » وهو ما عبر عنه محمد رسول الله ﷺ في رده على الملك الأعظم جبريل في أول وحى تلقاه . ان الذى يكذب على الناس يفقد الثقة والاعتبار وترفض شهادته في امور دنياهم ، فمال هؤلاء القوم لا يزالون سادرين في غيهم الى اليوم رغم افتضاح أمرهم (١) بسبب التلاعب في تراجم الكتاب المقدس . وما هو كتابهم ينطق عليهم بخطيئة التحريف التي اعتادوها منذ القديم ، فيقول : « كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا . حقانه الى الكذب حولها قام الكنية الكاذب . »

أما وحى الرب فلا تذكره بعد لأن كلمة كل انسان تكون وحيه ، اذ قد حرفتم كلام الاله انحى رب الجنود الهنا - أرميا ٨ : ٨ ،
٢٣ : ٣٦ » .

*

(١) من أراد المزيد من أمثلة العبث بتراجم الكتاب المقدس ، فليراجع كتاب المؤلف : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس - الناشر : مكتبة وهبة بالقاهرة .

٣ - فجىء الوحي محمداً في غار حراء فأصابه من الفزع الشيء الكثير . وكانت زوجته خديجة نعم المواسي والصديق المخلص ذو العقل الرشيد . فلقد أذهبت عنه روع المفاجأة بكلماتها الحانية ، وساندته بثقتها في الله الذي طبعه على الخلق العظيم ، فمحال أن يخزيه ، ثم سلكت به سبيل أهل الخبرة بوحي السماء حين هرعت الى ورقة بن نوفل الذي أخبرها أن ما تعرض له محمد إنما هو نداء السماء له ، فليثبت .

والحق أن هذا هو طابع الوحي مع عبيد الله من الأنبياء المختارين :

الفجاءة في المجيء ، والشدة والكرب عند التلقين .

يقول اريك هيتون في كتابه : « انبياء العهد القديم » عن الملامح المشتركة بين انبياء الله : « ان رجال الله حينما حملوا الرسالة الى البشر ، فانهم بقوا بشرا كما كانوا واذا أردنا الحديث عن القوة الجبرية التي تلقى بها الأنبياء وحي الله ، فيجب ان نعلم انها كانت اقوى نوع من الجبرية واعظمه ان رجال الله لم يولدوا لمهنة ، ولم يمروا خلال فترة للتلمذة ، ولم تكن هناك نقابة للأنبياء ينتسبون اليها ، كذلك فانهم لم يتلقوا دراسة خاصة في التعاليم اللاهوتية تؤهلهم لذلك . لقد انتهوا كما بدأوا رجالا بسطاء ألقيا .

وقد كان عاموس مثل اليسع ، كلاهما جاءته كلمة الله وهو يعمل في الحقل : « أخذني الرب من وراء الضأن وقال لي الرب : اذهب تنبأ لشعبي اسرائيل - عاموس ٧ : ١٥ » .

ان بساطة هذا القول تعطيه الصدق والثقة فيه . وبالمثل كان موسى يرعى غنم حميه عندما رأى الشجيرة المشتعلة ، وهي تماثل ما رآه اشعيا في الهيكل (اشعيا - الاصحاح ٦) « (١) .

E. Heaton : THE OLD TESTAMENT PROPHEETS, (1)
pp. 52 - 53.

لقد كانت الفجأة في المجيء خاصة مشتركة بين هؤلاء الأنبياء ،
 وغيرهم مثل داود (صموئيل الثاني ٧ : ٨) واليشع (الملوك
 الأول ١٩ : ١٦ - ٢٠) . ونجد في صموئيل مثلا حيا لبساطة الاختيار
 المفاجيء ليكون نبيا . فقد « كان الصبي صموئيل يخدم الرب أمام
 الكاهن عالي » . وبعد أن اضطجع للنوم ، اذا به يسمع صوتا
 يناديه ، فظنه الكاهن عالي ، فذهب اليه ، فقال عالي : « لم أدع .
 ارجع واضطجع » . ولما تكرر ذلك للمرة الثالثة « فهم عالي أن
 الرب يدعو الصبي ، فقال عالي لصموئيل : اذهب اضطجع ويكون اذا
 دعاك تقول : تكلم يا رب لأن عبدك سامع » .
 فجاء الرب ودعا كالمرات الأولى . فقال صموئيل : تكلم لأن
 عبدك سامع وكبر صموئيل وكان الرب معه وعرف جميع
 اسرائيل أنه قد أوتمن صموئيل نبيا للرب - صموئيل
 الأول ٣ : ١ - ٢٠ » .

*

هذا بالنسبة لمفاجئة الوحي في المجيء ، وأما بالنسبة للشدة
 والكرب عند التلقين فتلك خاصة أخرى مشتركة بين أنبياء الله . ففي
 أول وحي تلقاه موسى : « غطى موسى وجهه لأنه خاف -
 خروج ٣ : ٦ » .

واستمر الحال كذلك ، اذ كانت شدة الوحي تنعكس على
 وجهه « وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة في
 يد موسى عند نزوله من الجبل ، أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار
 يلمع في كلامه معه . فنظر هارون وجميع بني اسرائيل موسى ، واذا
 جلد وجهه يلمع . فخافوا أن يقتربوا اليه ولما فرغ موسى من
 الكلام معهم جعل على وجهه برقعاً - خروج ٣٤ : ٢٩ - ٣٣ » .

وتكلم عن ذلك أسفار العهد الجديد فتقول : « كان المنظر هكذا
 مخيفا ، حتى قال موسى : أنا مرتعب ومرتعد - هيرانيين ١٢ : ٢١ » .

ولقد استمر الوحي شديداً مع النبي محمد فيعاني من شدته الكثير . ولقد شاهد أصحابه هذه الشدة واستشعروها . وفي هذا قال عبادة بن الصامت : « كان النبي إذا نزل عليه الوحي كرب له ، وتريد وجهه » . وقال زيد بن ثابت : « أنزل (الوحي) على رسول الله ﷺ ، وفخذه على فخذي ، فكادت ترض فخذه فخذي » . ولم تكن شدة الوحي أمراً تفرد به موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، بل تراها ظاهرة غالبية في الأنبياء الكبار .

فها هو الياس (ايليا) يتلقى الوحي وسط جو مفرع حدثت فيه « ريح عظيمة وشديدة شقت الجبال وكسرت الصخور وبعد الريح زلزلة وبعد الزلزلة نار وبعد النار صوت منخفض خفيف . فلما سمع ايليا لف وجهه بردائه - الملوك الأول ١٩ : ١١ - ١٣ » .

وكان الوحي شديداً مع اشعيا حتى ان الملاك كوى شفثيه بالجمر الملتهب حتى يهيئه لتلقى الرسالة الى شعبه « طار الى واحد من السرافيم (الملائكة) وبيده جمره قد اخذها بملقط ومس بها فمى ، وقال : ان هذه مست شفثيك فاتزع اثمك وكفر عن خطيتك - اشعيا ٦ : ٦ - ٧ » .

وكذلك كان الوحي شديداً مع حزقيال الذي يصف ذلك بقوله : « حملني روح فسمعت خلفي صوت رعد عظيم . . . فحملني الروح وأخذني فذهبت مرا في حرارة روي ويد الرب كانت شديدة على - حزقيال ٣ : ١٢ - ١٥ » .

✱

هذا - ونعود الآن الى خديجة التي تزوجت محمداً وعاشا معاً خمسة عشر عاماً في هناة وطيب مقام ، أنجبا خلالها بنين وبنات قرت بهم العيون . ثم كان الوحي والنبوة والرسالة بمثابة

فتح جديد ، قلب المعتقدات والمفاهيم الخاطئة ، وأعاد صياغة العلاقات بين الله والانسان والكون على أسس من الحق والخير والجمال . وكان لهذا أثره الواضح في حياة تلك الأسرة السعيدة ، اذ بدأ عهد الجهاد والمشقة بعد أن ولى عهد الراحة وهدوء البال . قام رسول الله صلى عليه وسلم يدعو الناس سرا فاستجاب له نفر قليل ، وكانت زوجته خديجة أول من آمن به من النساء ، واستمر على تلك الحال ثلاث سنين سرى خلالها الاسلام بين المكين على الرغم من تصدى عتاة القوم للرسول وصحبه وتعذيبهم والتنكيل بهم . فلما رأى الرسول ما يصيب أصحابه من البلاء ، وأنه لا يقدر على حمايتهم ، عرض عليهم أن يهاجروا الى الحبشة اذ علم أن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، حتى يجعل الله لهم مخرجا . فكانت الهجرة الأولى الى أرض الحبشة . فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله « قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا ، وأن النجاشي (ملك الحبشة) قد منع من لجأ اليه منهم . . . وجعل الاسلام يفسو في القبائل ، اجتمعوا واثمروا بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى عبد المطلب : ألا ينكحوا اليهم ، ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ، ولا يتعاون منهم .

فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم « (١) .

وما كانت هذه المقاطعة والحصار القاتل الا ليزيد أبا طالب - عم الرسول - على توكيد حمايته له وللمسلمين معه ، فأدخلهم شعبه الذي يحمل اسمه .

ولما رجع عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة - مبعوثا قريش الى النجاشي ليحرضانه على طرد المسلمين من أرضه -

(١) تهذيب سيرة ابن هشام - ص ٧٤

وأخبرا قومها بنفشل مهمتهما « آذوا النبي ﷺ وأصحابه أذى شديدا ، وضربوهم في كل طريق ، وحصروهم في شعبهم ، وقطعوا عنهم المادة من الأسواق ، فلم يدعوا أحدا من الناس يدخل عليهم طعاما ولا شيئا مما يرفق بهم .. »

فعلوا ذلك ثلاث سنين حتى بلغ القوم الجهد الشديد ، وحتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب « (١) » .

*

لقد خرجت خديجة مع زوجها رسول الله ، وأولادهما ، الى شعب أبي طالب . وعاشت معه ومع المسلمين عيشة الضنك والجوع والخوف ، وكانت نعم المجاهدة في سبيل الله ، حتى أذن الله بتفريج الكرب ، فنقضت تلك الصحيفة الظالمة ، وعاد المؤمنون الى ديارهم بسكينة . ولم تكن تلك العودة ايذانا بنهاية عهد الاضطهاد والتعذيب ، لكنها كانت بداية لمرحلة أخرى جديدة من فتن المسلمين وصددهم عن دين الله .

وما هي الا بضعة شهور بعد فك ذلك الحصار ، حتى توفيت خديجة عن عمر يناهز الخامسة والستين عاما ، وكان ذلك عقب أيام معدودات من وفاة أبي طالب ، فكان ذلك العام - كما دعاه المؤرخون بحق - عام الحزن .

لقد عاشت خديجة زوجة وحيدة لمحمد ﷺ طيلة خمسة وعشرين عاما ، أفنى معها كل شبابها حتى دلف الى شيخوخته ، وكانت خير زوجاته على الاطلاق . لقد أقسم الرسول على ذلك لعائشة البكر الوحيدة بين نسائه ، والتي زعموا أنها كانت صاحبة الحظوة عنده .

فبعد الهجرة الى المدينة أقبلت هالة - أخت خديجة - الى بيت

(١) سيرة ابن اسحق - ص ١٤٠

الرسول فلما سمع صوتها ، وكان يشبه صوت زوجته
العزيزة الراحلة خديجة ، هتف قائلاً : « اللهم هالة ! فما ملكت عائشة
نفسها أن قالت : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش ، حمراء الشدين ،
هلكت في الدهر ، أبدلك الله خيرا منها !

فتغير وجهه عليه الصلاة والسلام ، وزجر عائشة غاضبا :
والله ما أبدلني الله خيرا منها : آمنت بي حين كفر الناس ، وصدقنتني
اذ كذبنى الناس ، وواستني بما لها اذ حرمني الناس ، ورزقني منها الله
الولد دون غيرها من النساء •

فأمسكت عائشة وهي تقول في نفسها : والله لا أذكرها
بعدها أبدا •••

وكانت قبل ذلك ، لا تكف عن الكلام فيها !
قالت له يوما وقد ألفتها لا ينقطع عن ذكرها : كأن لم يكن في
الدنيا امرأة الا خديجة !
فرد عليها ، صلى الله عليه وسلم : ••• انها ••• وكانت ••• ، وكان لي
منها ولد !

وطالما سمعت عائشة رضى الله عنها تقول :
ما غرت من امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما غرت من خديجة ،
لما كنت أسمع من ذكره لها . وما تزوجني الا بعد موتها بثلاث
سنين « (١) •



وهكذا كان الزواج الأول لمحمد صلى الله عليه وسلم : أرملة في سن أمه ،
قضى معها ربع قرن في حياة زوجية كريمة ، حتى اذا مات
ظل يصرح لمن حوله بحبها واكبارها ، ثم يقسم أنها خير نساءه لأسباب
هي : الايمان برسالته ، ودعوه ماديا ومعنويا ، ثم انجابها الذرية له •
وجميعها أسباب لا تمت الى متعة الجسد وشهوته المشروعة من

(١) نساء النبي : للدكتورة عائشة عبد الرحمن ص ٥١ - ٥٣

قريب أو بعيد • وحتى اذا كانت تلك المتعة والشهوة المشروعة
دافعا لزواج محمد ﷺ - سواء بخديجة أو بغيرها - فما
ذلك بعيب طالما كان انسانا كاملا يملك نفسه ولا تملكه أهواء النفس •
ومن مثل محمد ﷺ يملك نفسه ، كما قالت عائشة زوجة
فيما بعد • فهو أولا وأخيرا بشر كما قال القرآن بوضوح :
﴿ قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ﴾ (الكهف : ١١٠)
•• لكنه بحق أفضل البشر •

* *

سودة بنت زمعة : لقد ماتت خديجة بنت خويلد وأبو طالب في
عام واحد فتنابت على رسول الله ﷺ المصائب « بهلك خديجة ،
وكانت له وزير صدق على الاسلام ، يشكو اليها ، وبهلك عمه
أبي طالب ، وكان له عضدا وحرزا في أمره ، ومنعة وناصرا على قومه •
وذلك قبل مهاجره الى المدينة بثلاث سنين •

فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى
ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفينة
من سفهاء قريش ، فنثر على رأسه ترابا • ودخل رسول الله ﷺ
بيته والتراب على رأسه ، فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل
عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله ﷺ يقول لها : لا تبكى
يا بنية ، فان الله مانع أبابك • ويقول بين ذلك : ما نالت منى قريشا
شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب « (١) •

لقد كان « الصحابة يرقبون آثار الحزن على نبيهم فيشفقون
عليه من تلك الوحدة ، ويودون لو يتزوج ، لعل في الزواج ما يؤنس
وحشته بعد أم المؤمنين الراحلة •

لكن واحدا منهم لم يجرؤ على التحدث اليه في موضوع
الزواج حتى كانت خولة بنت حكيم السلمية هي التي سعت اليه ذات

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ص ٨٧ ، ٨٨

مساء متلطفة مترفقة ، تقول : يا رسول الله ، كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة !

فاجاب : أجل ، كانت أم العيال وربة البيت .

فتشاغلت خولة بالنظر الى بعيد ، ثم أقبلت على الرسول فاقترحت عليه فجأة أن يتزوج . . فسألها في نبرة عتاب : من بعد خديجة ؟

فردت خولة على الفور : عائشة . . . بنت أحب الناس اليك . .

فاجاب : لكنها ما تزال صغيرة يا خولة . . .

وكان رد خولة حاضرا : تخطبها اليوم الى أبيها ثم تنتظر حتى تنضج . . لكن ، من للبيت يرعى شئونه ، ومن لبنات الرسول يخدمهن ؟ فاقترحت عليه : سودة بنت زمعة بن قيس العامرية . . فأذن لها رسول الله ﷺ في خطبتها « (١) » .

وهكذا « تزوج رسول الله ﷺ ، بعد خديجة ، سودة بنت زمعة ، وكانت قبله عند السكران بن عمرو ، وكان ابن عمها ، تزوجها وهي بكر ، فهاجر الى أرض الحبشة ، ثم قدما مكة فمات عنها مسلما بمكة ، فتزوجها رسول الله ﷺ ، ولم يصب منها ولدا حتى مات » (٢) .

لقد كانت سودة أرملة مسنة ليس لها من الجمال أو المال نصيب ، وما تزوجها رسول الله ﷺ الا ليجبر كسرهما ويرحم شيخوختها ، وقد أبلت في الاسلام بلاء حسنا ، وتحملت المخاطر والأهوال في الهجرة مع زوجها الى الحبشة ثم في العودة الى مكة . ولما مات زوجها صارت مهيضة الجناح معرضة لنكال أبيها الذي كان مشركا . والحل الوحيد أن يتزوجها رجل مسلم - والمسلمون يومئذ قليل - ليحميها ويرد عنها الفتنة في دينها . وما كان غير رسول الله ﷺ لينقذ

(١) نساء النبي ص ٥٨ ، ٥٩

(٢) سيرة ابن اسحق ص ٢٣٨

هذه المسكينة ويعوضها خيرا ، فيتخذها زوجا ويجعلها أما راعية لبناته .

لقد كانت سودة ثقيلة الجسم ، في مشيتها مما يثير ضحك ناظرها ، وكان فيها طيبة تقرب من السذاجة . ولقد كانت هي أول من يعلم مثالبها ، وأنها لن تستطيع أن تملأ مكان خديجة . ولما جاءت عائشة زوجة للرسول بعد سنوات ، لم تملك الا أن تعلن له أنها لم تعد تريد ما يريد النساء من أزواجهن ، وأنها تتنازل عن بلتها لعائشة .

وهكذا صارت سودة بنت زمعة - كما قال نظمى لوقا بعق -
زوجة شرف ، لا غير .

عائشة بنت ابي بكر : « تزوج رسول الله ﷺ بعد سودة بنت زمعة ، عائشة بنت بنت ابي بكر . ولم يتزوج بكرا غيرها ، ولم يصب منها ولدا حتى مات » (١) .

وكيف لا يهاجر الرسول ﷺ ابا بكر وهو : أول من آمن من الرجال ، قال فيه الرسول : « ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد ، الا ما كان من ابي بكر ابن ابي قحافة ، ما عكم - أي ما تلبث - حين ذكرته له وما تردد فيه » ، وقال أيضا : « ما نفعتي مال قط ، ما نفعتنا مال ابي بكر » . قيل : فبكى أبو بكر وقال : « يا رسول الله ، وهل أنا ومالي الا لك » ١٤

لقد خطب رسول الله عائشة - على القول الراجح - وهي في السابعة من عمرها ، ودخل بها بعد أن بلغت العاشرة . وقد كانت عادة تلك البيئات - ولا تزال الى اليوم - أن تخطب الفتاة مبكرا ثم تتزوج

(١) سيرة ابن اسحق ص ٢٣٩

خلال بضع سنين بعد أن ينضج ويكتمل بناؤها • وهذا ما كان من أمر عائشة قبل خطبتها الى رسول الله ، فقد خطبها المطعم بن عدى لابنه جبير • فلما جاءت خولة بنت حكيم لتخطبها لرسول الله قال لها أبو بكر : « انتظرنى حتى أرجع ... »

وقالت أم رومان (زوجه) تجلو الموقف للخاطبة : ان المطعم بن عدى كان قد ذكر عائشة على ابنه جبير • ولا والله ما وعد أبو بكر شيئا قط فأخلف • فدخل أبو بكر على مطعم وعنده امرأته أم جبير - وكانت مشركة - فقالت العجوز : يا بن أبى قحافة ، لعننا ان زوجنا ابنا ابتك ، أن تصبئه وتدخله فى دينك الذى أمت عليه !؟

فلم يرد عليها أبو بكر ، بل التفت الى زوجها المطعم فقال : ما تقول هذه ؟

أجاب : أنها تقول ذلك الذى سمعت • فخرج أبو بكر وقد شعر بارتياح لما أحله الله من وعده ، وعاد الى بيته فقال لخولة : ادعى لى رسول الله « (١) » •

فما كان أبو بكر ليزوج ابنته فى بيت من المشركين الذين ينقمون على الاسلام والمسلمين •

ولقد خاض جهلة المستشرقين فى أمر فارق السن بين رسول الله وعائشة اذ غابت عنهم خصائص تلك البيئة العربية وما شابها - قديما وحديثا - والتي لا تجعل فارق السن بين الزوجين محل اعتبار ، حيث ان انجاب الذرية هدف أساسى يرجح تحقيقه فى حالة الزوجة صغيرة السن ذات الخصوبة العالية التي لا تلبث أن تتضاءل كلما مرت الأيام • « فلقد تزوج عبد المطلب الشيخ من هالة بنت عم آمنة فى اليوم الذى تزوج فيه عبد الله أصغر أبنائه من ترب هالة : آمنة بنت وهب • وسيتزوج عمر بن الخطاب من بنت على بن أبى طالب ، وهو

(١) نساء النبى ص ٧١

في سن فوق سن أبيها ! ويعرض عمر على أبي بكر أن يتزوج ابنته
الشابة حفصة ، وبينهما من فارق السن مثل الذي بين الرسول
وعائشة « (١) » .

وفي تاريخ الأنبياء السابقين مثل ذلك ، بل وأكثر من ذلك . . .
فها هو إبراهيم - خليل الله ، وأبو الأنبياء - يخبرنا كتبه التوراة
أنه لما خرج مهاجرا الى أرض كنعان « كان ابن خمس وسبعين سنة -
تكوين ١٢ : ٤ » بعد ذلك حدثت مجاعة اضطرته أن ينحدر « الى مصر
ليتغرب هناك » . وبعد ما حدث من فرعون مصر لسارة ، وما منح
إبراهيم بسببها من عبيد وجواري وأنعام ، عاد ثانيا الى أرض كنعان
(تكوين ١٢ : ١٠ - ٢٠) . ولما كان لا يزال بلا ذرية بسبب عقم
سارة ، فقد أخذت هذه « هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين
لاقامة ابرام في أرض كنعان وأعطتها لابرام رجلا زوجة له ، فدخل على
هاجر فحبلت - تكوين ١٦ : ٣ - ٤ » وكان ابرام ابن ست وثمانين
سنة لما ولدت هاجر اسماعيل لابرام - تكوين ١٦ : ١٦ » .

وباعتبار أن هاجر عندما قدمت لإبراهيم وسارة كهديفة فرعونية
كانت لم تتعد العشرين ربيعا^(٢) ، وهي السن المقبولة لمثل هؤلاء
الفتيات ، نجد أن :

عمر إبراهيم عندما تزوج هاجر : ٨٦ - ١ = ٨٥ سنة .
وعمر هاجر عندما تزوجت إبراهيم : ٢٠ + ١٠ = ٣٠ سنة .
وبذلك يكون فرق السن : ٥٥ سنة .

وفي حالة داود نجد أنه لما توفي كان عمره (حسب سفر صموئيل
الثاني ٥ : ٤) يبلغ سبعين عاما .

(١) نساء النبي ص ٧٥

(٢) كانت جويرية بنت الحارث أقل من ٢٠ سنة لما وقعت سبية
في غزوة بني المصطلق ، وكانت صفية بنت حبي بن أخطب أقل من ١٧ سنة
لما وقعت سبية في غزوة خيبر - نهاية الأرب ص ١٨٣ ، ١٨٧

« ولما شاخ الملك داود وتقدم في الأيام .. فتشوا على فتاة جميلة .. فوجدوا أيشج الشوتمية فجاءوا بها الى الملك » .
فهذه الفتاة ما كانت لتتعدى العشرين ربيعا أو دون الخامسة والعشرين على أقصى الفروض . وهى حاضنة لداود يداعبها وتداعبه .
لقد كان فرق السن بين داود وآخر نسائه يتعدى ٤٥ سنة على أقل تقدير .



ومهما يكن من أمر ، فها هو بودلى - يرد على بعض اقتراءات بنى جلدته فيقول : « قام محمد بعد موت خديجة بفعل ما كان منتظرا ، فقد تزوج من اثنتين ، وما كان الحب الدافع الى احدى الزوجتين . فقد كانت احدى الزوجتين طفلة في السابعة من عمرها (حين خطبها) ، وكانت الثانية متوسطة في العمر وليست على جانب من الجاذبية ، وكان زوجها ممن هاجر الى الحبشة سنة ٦١٤ م ومات بها . وكان الدافع الى هاتين الزوجتين دافعا عمليا . فكانت الطفلة عائشة بنت أبى بكر ، صديقه الحميم ، وأول الناس اسلاما . ولا يمكن أن تسب الى محمد فكرة الارتباط بعائشة ، فقد كان لموت خديجة أسوأ الأثر في نفسه ، وكان الى جوار ذلك يلاقى من شائيه اضطهادا . فما كان والحال هذه خلى البال ليفكر في الزواج ، ولكن جاء الاقتراح عن طريق خولة بنت حكيم ، وقد قالت له : ان زواجه من عائشة في ذلك الوقت ان هو الا خطبة ، وبذلك يضمن أن بنت أعز أصدقائه وأخلصهم تصبح من أسرته ، فقبل محمد ذلك ..

ان كثيرا من المؤرخين قد لاموا محمدا على ذلك الزواج ، فمحمد لم يفكر في ذلك الزواج ابدا ..

أما الزوجة الثانية فهي سودة بنت زمعة ، فانها دخلت بيت محمد

كمرية أكثر من أى شيء آخر ، وكانت امرأة ضخمة ثقيلة ، ولم يشعر محمد نحوها بأدنى عواطف الحب ، ولكنها كانت من أوائل المسلمات ، وقد مات عنها زوجها في مهجره في سبيل عقيدته ، وقد قالت خولة لابن أختها ان أقل ما يفعله لها هو أن يتزوج بها ، فانها لم تعش الا قليلا وزوجها الأول . وقد حاول محمد في ظروف كثيرة أن يتخلص منها ، ولكنها عرضت أن تبقى دون أن يكون لها امتيازات ، وبقيت في الحريم الى أن ماتت دون أن تجد من يلحظ موتها أو يحزن عليها .

ولو أنه قد تيسر لمحمد أن يتزوج الكثيرات ، الا أنه لم يجد راحة البال ، فبعد موت خديجة وأبي طالب ، عمل أبو جهل وأبو سفيان جاهدين على التخلص من هذا الصابىء ، فأعلنوا دون مناقشة في مكة أن لا بد من قتل محمد ، فوجد محمد نفسه مضطرا الى الفرار مرة أخرى « (١) » .

لعل في قول بودلى هذا - رغم حاجته الى تنقيح - ما يزيل الغشاوة عن أعين أولئك الجاهلين ، فيكفوا عن ترديد أكاذيب ورثوها حول تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم .

* *

حفصة بنت عمر : « كانت حفصة من المهاجرات ، وكانت قبل رسول الله ﷺ عند خنيس بن حذافة السهمي وكان بدريا (ومن أصحاب الهجرتين ، هاجر الى الحبشة مع المهاجرين الأولين اليها ، ثم الى المدينة . وقد شهد احدا كذلك ، ثم مات بعدها في دار الهجرة من جراحة أصابته في احد) ، فلما مات عنها وتأيمت ، ذكرها عمر لأبي بكر وعرضها عليه ، فلم يرجع اليه أبو بكر كلمة ، فغضب من ذلك عمر . ثم عرضها على عثمان حين ماتت »

(١) الرسول : حياة محمد - تأليف : ر . ف . بودلى -

رقية بنت رسول الله ﷺ فقال عثمان : ما أريد أن أتزوج اليوم •
فانطلق عمر الى رسول الله ﷺ وأخبره بعرضه حفصة عليه ، فقال له
رسول الله ﷺ : يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ، ويتزوج عثمان
من هي خير من حفصة •

ثم خطبها رسول الله ﷺ الى عمر فتزوجها •• على رأس ثلاثين
شهرًا من مهاجره «(١)» •

ولقد سمع عمر « يوما من زوجته أن ابنته تراجع الرسول
ﷺ حتى يظل يومه غضبان ، فمضى من فوره حتى دخل عليها
فسألها ان كان ما سمعه حقا ؟ أجابت بأنه حق ، فصاح يزجرها :
تعلمين ألى أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ، يا بنية ، لا يفرنك
هذه التي أعجبها حسنها (عائشة) وحب رسول الله ﷺ اياها •
« والله لقد علمت ان رسول الله ﷺ لا يحبك ، ولولا انا لطلقك » ! (٢) •

زينب بنت خزيمة (أم المساكين) : « تزوج رسول الله ﷺ
بعد حفصة ، زينب ابنة خزيمة الهلالية أم المساكين • وكانت
قبله عند الحصين بن الحارث ، أو عند أخيه الطفيل بن الحارث
ابن عبد المطلب بن عبد مناف ، فماتت بالمدينة أول نساءه موتا ، ولم
يصب رسول الله ﷺ منها ولدا » (٣) •

وقد اختلف الرواة فيمن كانت عنده قبل أن يتزوجها رسول
الله ، فقالوا : « كانت قبل رسول الله ﷺ عند الطفيل بن الحارث
ابن عبد المطلب بن عبد مناف فطلقها ، فخلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث

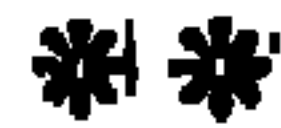
(١) نهاية الأرب - ص ١٧٧ (٢) نساء النبي ص ١٢٣

(٣) سيرة ابن اسحق ص ٢٤١

فقتل عنها يوم بدر شهيدا ، فخلف عليها رسول الله ﷺ في شهر رمضان على رأس واحد وثلاثين شهرا من مهاجره .

وقيل : كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد ، فتزوجها رسول الله ﷺ « (١) » .

ورغم اختلاف الرواة فقد أجمعوا على أشياء منها : أن زينب بنت خزيمة كانت امرأة رحيمة القلب بارة بالفقراء والمساكين ، وأنها كانت أرملة لشهيد قرشي ، ولم تعرف بالجمال بين النساء ، ولم تمكث زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم سوى شهر معدودات حتى توفاهما الله فماتت في حياته ودفنت بالبقيع ، بالمدينة ، فكانت أول من دفن فيه من أمهات المؤمنين .



أم سلمة : تزوج رسول الله « أم سلمة هند بنت أبي أمية . وكانت قبله عند أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . هاجرا جميعا الى أرض الحبشة ، ثم قدما المدينة ، فأصابته جراحة بأحد ، فمات بها من جراحته ، وتزوجها (أبو سلمة) وهي بكر ، فولدت له سلمة ، وعمر ، ودرة ، وزينب .

ولم يصب رسول الله ﷺ منها ولدا « (٢) » .

لقد كان زوجها ابن عمه رسول الله ، وكانت هي قرشية مخزومية ، أيوها أحد أجواد قريش المشهورين بالكرم . وقد شهد

(١) نهاية الأرب ص ١٧٨

(٢) سيرة ابن اسحق ص ٢٤٢ .

أبو سلمة غزوة بدر الكبرى ، ثم شهد يوم أحد وأبلى فيه بلاء حسنا ،
ورمى بسهم في عضده مكث يداويه . وبعد شهرين خرج على رأس سرية
ضد بني أسد ، فقاد معركة ظافرة ، لكن جرحه يوم أحد لم يلبث أن
قضى عليه .

وهكذا ترملت أم سلمة ، وقد كان لها ولزوجها سبقا في الاسلام ،
وفي الهجرة ، وفي الجهاد في سبيل الله .

تقول أم سلمة في وصف ما لحق بها من أذى في هجرتها الى
المدينة : « لما أجمع أبو سلمة الخروج الى المدينة ، رحل بغيره له
وحملني وحمل معي ابني سلمة ، ثم خرج يقود بغيره . فلما رآه رجال
بني المغيرة قاموا اليه ، فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها . أرايت
صاحبتنا هذه ، علام تتركك تسير بها في البلاد ؟

ونزعوا خظام البعير من يده وأخذوني ، فغضب عند ذلك بنو
عبد الأسد ، وأهروا الى ولدنا سلمة ، وقالوا لرهب زوجي : والله
لا تترك ابنا عندها اذا نزعتموها من صاحبنا .

فتجاذبوا ابني سلمة حتى خلعوا يده ، وانطلق به رهط أييه ،
وحبسني بنو المغيرة عندهم . ومضى زوجي أبو سلمة حتى لحق
بالمدينة .

وفرق بيني وبين زوجي وابني ، فكنت أخرج كل غداة وأجلس
بالأبطح ، فما أزال أبكي حتى أمسى ، سنة او قريبا منها .

حتى مر بي رجل من بني عمي ، أحد بني المغيرة ، فرأى ما بي ،
فرحمني ، فقال : لبني المغيرة : ألا تخرجون هذه المسكينة ؟
فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها ! وما زال بهم حتى قالوا : الحق
بزوجك ان شئت .

ورد على بنو عبد الأسد عند ذلك ابني ، فرحلت بعيري ووضعت ابني في ججري ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة ، وما معي أحد من خلق الله « (١) » . وفي الطريق الى المدينة هيا لها الله من يقودها الى منزل زوجها أبي سلمة في مهاجره .

لقد كان التقدم للزواج من هذه الأرملة المجاهدة واجب دين ، وواجب أخوة ، وواجب نخوة . وما كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتقاعسوا عن أداء هذا الواجب . فقد تقدم لها أبو بكر ، فاعتذرت . ثم تقدم لها عمر ، فاعتذرت ، ثم تقدم لها رسول الله ﷺ ، فاعتذرت قائلة : « اني امرأة كبيرة ، واني أغار على زوجي ، وأخاف أن أغار على رسول الله ﷺ وأنا امرأة محسوسة سهمي ، وأنا مطفلة ذات عيال .

فقال رسول الله ﷺ : أما ما تذكرين من الكبر فإنه ليس عليك أن تتزوجي من هو أكبر منك ، وأنا أكبر منك . وأما ما تذكرين من الغيرة ، فاني أدعو الله أن يذهبها عنك ، وأما ما تذكرين من السهم ، فأنا أدعو الله أن يحسن سهمك ، وأما ما تذكرين من العيال ، فمن ترك مالا فلورثته ، ومن ترك ديناً او عيالا ، فعلى الله وعلى رسوله .

فتزوجها رسول الله ﷺ « (٢) » بعد أن داوى كل معاذيرها .

زينب بنت جحش : « تزوج رسول الله ﷺ بعد أم سلمة ، زينب ابنة جحش ، أخت عبد الله بن جحش ، إحدى نساء بني أسد بن خزيمة . وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة . زوجه الله إياها ، فمات رسول الله

(١) نساء النبي ص ١٣٩ - ١٤٠

(٢) سيرة ابن اسحق ص ٢٤٣

ﷺ ولم يصب منها ولدا» (١) . « وكان اسم زينب : برة ، فسماها رسول الله ﷺ زينب . وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، عممة رسول الله ﷺ . . تزوجها رسول الله ﷺ وهي يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة .» (٢) .

كان زيد غلاما في الثامنة من عمره حين بيع - اثر هجمة فبلية - في احدى أسواق العرب ، فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد ، ثم دفعه ليد عمته خديجة بنت خويلد . فلما تزوجها سيدنا محمد ، وهبته زيدا ، فأعتقه وتبناه قبل المبعث ، وأعلن للملا أن زيدا صار ابنه ، وارثا وموروثا . ومنذ ذلك اليوم ، دعى الغلام : زيد بن محمد .

وعندما آخى النبي بين أصحابه المهاجرين الى المدينة ، كان زيد - هذا الذي بيع في سوق الرقيق - وحمزة بن عبد المطلب الهاشمي ، أخوين .

ولما بلغ زيد سن الزواج اختار له النبي زينب بنت جحش زوجة ، وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب .

ولقد كرهت زينب ، وكره أخوها عبد الله بن جحش هذه الخطبة منذ الوهلة الأولى ، فما كان لشريفة قرشية أن تزف الى مولى من الموالى .

ففي احدى الروايات « أن رسول الله قال لها : انى أريد أن أزوجك زيد بن حارثة ، فانى قد رضيتك لك .

فردت زينب على ولى أمرها - رسول الله ﷺ - وقالت :

(١) سيرة ابن اسحق ص ٢٤٤ (٢) نهاية الأرب ص ١٨

ولكنى لا أرضاه لنفسى وأنا أيم (عزية) قومي ، وبنت عمك ، فلم
أكن لأفعل » (١) .

وبعد أخذ ورد ، قال لها رسول الله : « قد رضيتك
لك زوجا » . فأجابت : « وقد رضيتك زوجا يا رسول الله » .

لقد قبلت زينب الزواج من زيد على مضض ، امثالاً للأمر الله -
سبحانه - في قوله : ﴿ وما كان المؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله
ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ، ومن يعص الله ورسوله
فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ (الأحزاب : ٣٦) .

لقد تزوج زيد زينب قبل الهجرة بثمان سنوات ، وهاجرا الى
المدينة ، وبقيت في عصمته نحو ١٣ سنة ، كانت الحياة الزوجية فيها عبئا
ثقيلا عليهما ، بل وعذابا لكل منهما . وكم من مرة اشتكى زيد لولي
نعمته - رسول الله ﷺ - من استعلاء زينب عليه ، وعدم تمكنه من
القوامة على امر بيته ، وما يعانیه كل منهما من هم وغم ، بحيث لم يعد هناك
من حل سوى الطلاق . وفي كل مرة ينصحه رسول الله ﷺ أن يصبر على
أمره ، ويمسك عليه زوجه ، فأبغض الحلال الى الله الطلاق . ولما
بلغ السيل الزبي ، واستحالت العشرة ، طلقها زيد ، ثم فرض الله على
رسوله الزواج منها لحكمة تشريعية واضحة ، وهي ابطال عادة جاهلية
كانت تجعل الأبناء الأديعاء - مثل زيد الذي دعى : زيد بن محمد -
تماما مثل الأبناء من الأصلاب ، فيما يتعلق بالميراث والزواج ونحوه .

فآية القرآنية تقول في ذلك : ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا
زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج ادعيائهم اذا قضوا
منهن وطرا ، وكان امر الله مفعولا ﴾ (الأحزاب : ٣٧) .
لكن هذا الزواج - الوحيد الذى تم بأمر مباشر من السماء - أثار

(١) قصة زينب بنت جحش ، للدكتور محمد بديع شريف ص ١٥

من أحاديث الهمز واللمز والأقاويل الشيء الكثير . فقديمًا قال المشركون وأشياعهم : حرم محمد نساء الولد ، وقد تزوج امرأة ابنه .

وحديثًا يتخذ المستشرقون وأشياعهم من المبشرين ، من هذا الزواج مادة للهجوم على الإسلام ونييه ، يثونها في نشراتهم المسمومة ، لعلها توقف تقبل العرب للإسلام اليوم !

ولقد أغراهم بذلك ما وجدوه في كتب التراث الإسلامي من روايات كثيرة مختلفة ، يزعم بعضها : محمدًا ﷺ أعجبت به زينب ، ورغم أنه كتم ذلك في نفسه ، فما لبث أن تزوجها بمجرد أن طلقها زيد .

لقد تمسك خصوم الإسلام بمزاعم هذا البعض ، ونسجوا حوله الأكاذيب . ونريد الآن أن ننظر في تلك الروايات التي جاءت في كتب التراث الإسلامي حول زواج رسول الله من زينب بنت جحش ، ثم تقييم الموقف بصفة عامة ، آخذين في الاعتبار عوامل المنطق وأحداث التاريخ .

*

يقول الحق في القرآن مخاطبًا نبيه : ﴿ واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا ﴾ (الأحزاب : ٣٧)

إن الاتفاق تام حول عدد من المسائل التي جاءت في هذه الآية الكريمة منها : أنها تتعلق بزويد بن حارثة متبنى رسول الله ، الذي أنعم الله عليه بالإسلام . وأنعم عليه الرسول بالعتق والرعاية ، كما تتعلق بزوجه زينب بنت جحش التي طالما اشتكى منها زيد وأراد تطليقها ،

وفي كل مرة يقول له رسول الله : أمسك عليك زوجك واتق الله . حتى إذا نفذ الصبر وطلقها زيد ، زوجها الله سبحانه - لنيبه ، ليقطع دابر تقليده جاهلي يسوي الأبناء من الأصلاب والأبناء الأذعياء . لكن الخلاف نشأ حول المقصود بقوله تعالى : ﴿ وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾ .

فالبعض يرى أن هذا القول موجه الى زيد ، استكمالاً لقول النبي له : « أمسك عليك زوجك واتق الله » . وبذلك يكون المعنى باختصار هو : « احتفظ يا زيد بزوجك ، واتق الله في أمرها ولا تنشى أسرار الزوجية بينكما في الأكثر من شكواك التي أظهر الله بعضها على لسانك ، وخف الله من اصرارك على فراقها ، ولا تخشى قالة الناس في عدم قدرتك على أن تكون سيد بيتك ، وأن زوجك تؤذيك بترفها عليك ، فإن الله الذي أنعم عليك نعمة الاسلام ، وجعل بينك وبين زوجك مودة ورحمة أولى بأن ترى شريعته ، وأحق بالخشية من الناس » (١) .

أما الآخرون ، وهم كثير ، فيرون أن الحديث عن الاخفاء في النفس وخشية الناس ، إنما هو موجه الى رسول الله . ومن هنا بدأ التساؤل حول حقيقة هذا الذي أخفاه الرسول في نفسه ، وبتعلق خشيته الناس ، فوقع الخطب في التاويل كما قال بحق ابن حجر .

فلنرجع الآن الى الروايات التي تتحدث عن الفصل الأخير في العلاقة الزوجية بين زيد وزينب ، مبتدئين بأقدم تلك الروايات حسبما نجده في المصادرة المتاحة .

✱

● من سيرة ابن اسحق :

عاش محمد بن اسحق بن يسار في الفترة (٨٥ - ١٥١هـ) ، ويعتبر كتابه هذا المسمى : البتدا والبعث والمغازي ، من أقدم ما كتب في السيرة النبوية . وقد قام معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالمغرب -

(١) المرجع السابق ص ٥٦

مشكورا - نشره ، بعد أن عهد الى العلامة المدقق محمد حميد الله (١) بتحقيقه والتعليق عليه ، حيث قدم له يبحث عن التاريخ عند المسلمين ، ونبذة عن حياة ابن اسحق .

من هو ابن اسحق : يقول محمد حميد الله في مقدمته : « هو محمد ابن اسحق بن يسار بن خيار . . قال ابن سعد (الطبقات ٢/٧ ص : ٦٢) أن جده يسار من سبى عين التمر . . وروى الخطيب البغدادي (٢١٥/١) عن عبد الله بن جعفر بن درستوية عن يعقوب بن سفيان أن ابن اسحق فارسي . . ويمكن لنا أن نقول ان ابن اسحق كان يعرف الانجيل جيدا ، تعلمه من علماء عصره ، لا من اجداده . . ونقل عن التوراة أيضا مثلا قصة هايل (تاريخ الطبري) ١/١٤١ : كتاب (سفر) التكوين من التوراة (٩/٤ - ١٦) وعمر يوسف عليه السلام (تاريخ الطبري ١/٤١٣ : كتاب التكوين ٢٢/٥٠) وسفينة نوح عليه السلام (الطبري ١/١٨٩ - ٢١٢ : كتاب التكوين ١٤/٦) . . وما يطعن به عليه ما رواه الذهبي (تذكرة الحفاظ ١/١٦٤ ، وميزان الاعتدال ٣/٢٢) عن ابن عدي أن ابن اسحق كان يلعب بالديوك .

وأشنع من ذلك ما رواه ابن النديم بكلمة (يحكى) وما تلاه ياقوت عن الواقدي ، واللفظ لياقوت : كان محمد بن اسحق يجلس قريبا من النساء في مؤخر المجلس فيروي عنه أنه كان يسامر - وعند ابن النديم : يغازل - النساء . فرفع الى هشام وهو أمير المدينة . وكانت له شعرة حسنة . فرقق رأسه وضربه أسواطاً ، ونهاه عن الجلوس هناك . .

.. (١) محمد حميد الله عالم موسوعي وباحث مدقق يتقن عددا من اللغات وله ترجمة فرنسية مشهورة لمعاني القرآن الكريم . وقد كان لي شرف التعرف اليه والاستماع الى محاضراته وقراءة بعض مؤلفاته وأبحاثه . وهو يعيش حاليا في باريس وقد كرس حياته وماله لخدمة الدعوة الاسلامية بعيدا عن الاضواء .

ولما صنف مالك الموطأ ، قال ابن اسحق : ايتوني به فأنا ييطاره .
فنقل ذلك الى مالك . فقال : هذا دجال من الدجاجة ، يروى عن
اليهود . . (وكان مالك) ينكر عليه تتبعه غزوات النبي ﷺ
من أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة خبير وقريظة
والنضير وما أشبه ذلك من الغرائب عن أسلافهم . وكان ابن اسحق
يتبع هذا عنهم ، ليعلم ذلك من غير أن يحتج بهم ، وكان مالك
لا يرى الرواية الا عن متقن . .

وقد حذف ابن هشام ايضا اشياء من كتاب ابن اسحق عندما
هذبه ، وقال (سيرة ابن هشام ، ص ٤) : وتارك بعض ما ذكر
ابن اسحق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر . . وأشياء
بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره . .

وأكبر طعن طعنه به المحدثون هو ان ابن اسحق يدلس الأحاديث .

فروى (الخطيب ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، وابن سيد الناس ص ١١ ،
وابن حجر ص ٤٣) : ان أحمد بن حنبل ذكر محمد بن اسحق فقال :
كان رجلا يشتهى الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه . . .
سألت أحمد بن حنبل فقلت : يا أبا عبد الله ، اذا تفرد ابن اسحق
بحديثه قبله ؟ قال : لا والله . اتى رأيت يحدث عن الجماعة بالحديث
الواحد ، ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا (١) .



رواية ابن اسحق : نعرض فيما يلي رواية ابن اسحق ، بعد أن
نقسمها الى فقرات متسلسلة ، حتى تسهل المقارنة بينها وبين روايتين
آخرين للطبري سنعرضهما لاحقا بذات الكيفية . وبذلك يكون لدينا
ثلاث روايات : الأولى لابن اسحق ، والثانية والثالثة للطبري . ولسوف

(١) سيرة ابن اسحق : مقدمة محمد حميد الله .

يسبق الرقم المسلسل لكل فقرة ، رقم الرواية نفسها ، وبذلك تكون -
مثلا - الفقرة : ٢ - ٧ ، هي الفقرة رقم ٧ في الرواية رقم ٢ ، وهكذا .

الرواية الأولى (لابن اسحق) :

١ - ١ « مرض زيد بن حارثة ، فذهب اليه رسول الله ﷺ

يعوده ، وزينب ابنة جحش امراته جالسة عند رأس زيد .

١ - ٢ فقامت زينب لبعض شأنها ، فنظر اليها رسول الله ﷺ

ثم طأ رأسه .

١ - ٣ فقال : سبحان مقلب القلوب والأبصار .

١ - ٤ فقال زيد : أطلقها لك ، يا رسول الله .

١ - ٥ فقال : لا

١ - ٦ فأنزل الله عز وجل : ﴿ واذ تقول للذي أنعم الله عليه

وانعمت عليه ﴾ . . . الى قوله : ﴿ وكان امر الله مفعولا ﴾ (الأحزاب : ٣٧) (١) .

*

● من تاريخ الطبرى :

عاش أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى الفترة (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)

« شهد عصر المأمون ، وحضر خلافة المعتصم والواثق ، وشهد فتنة

(القول) بخلق القرآن فى ذروتها ، وهى فتنة عانى من جرائها العلماء

الاضطهاد . . . وكان (ابن جرير) يجمع أخباره ويدونها فى زمن ضعف

فيه الاسناد ، وكثر الوضاع ، اما تدليساً أو جبا للشهرة ، أو تكسبا

للقمة العيش . وكان ابن جرير يستند فى تفسيره القرآن الكريم على

مثل هذه الروايات « (٢) .

ان الاعتراف سيد الأدلة . . . ما فى ذلك شك .

وها هو ابن جرير يقول فى مقدمة تاريخه كيف كان نهجه فى الجمع

(١) المرجع السابق : ص ٢٤٤

(٢) قصة زينب بنت جحش : ص ١٣

والتأليف : « ليعلم الناظر في كتابنا هذا ان اعتمادى في كل ما احضرت ذكره فيه مما شرطت الى راسمه فيه ، انما هو ما رويت من الأخبار التى أنا ذاكرها فيه ، والآثار التى أنا مسندها الى روايتها فيه ، دون ما أدرك بحجج العقول ، واستنبط بفكر النفوس ، الا اليسير القليل منه ، اذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين ، وما هو كائن من أنباء الحداثين ، غير واصل الى من لم يشاهدتم ولم يدرك زمانهم ، الا باخبار المخبرين ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول ، والاستنباط بفكر النفوس . فما يكن من كتابى هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجها من الصحة ، ولا معنى فى الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت فى ذلك من قبلنا ، وانما أتى من قبل بعض ناقليه الينا . وانا انما ادينا ذلك على نحو ما ادى الينا » (١) .

ولقد عرف المستشرقون هذه العيوب فى الطبرى . يقول يبرى ، أستاذ التاريخ الحديث بجامعة كامبردج : « لم يكن الطبرى ذا ملكة تاريخية ، ولم يكن لديه أدنى فكرة عن نقد مصادره أو تمحيصها . لقد كان عمله مجرد ترصيص لروايات المؤلفين السابقين ، دون التوفيق بين تناقضاتها ، أو محاولة استنباط الحقيقة » (٢) .

والآن نعرض من روايات الطبرى فى موضوع زواج النبى من زينب بنت جحش وهو ما اصطلحنا على تسميته - سلفا - باسم الرواية الثانية ، والرواية الثالثة ، باعتبار أن رواية ابن اسحق كانت هى الرواية الأولى .

*

(١) تاريخ الطبرى : الجزء الاول - ص ٧ ، ٨

G. Wells : The Jesus of the Early Christians, (٢)
pp. 208 - 209.

الرواية الثانية (للطبرى) :

٢ - ١ « جاء رسول الله ﷺ الى بيت زيد بن حارثة وكان زيد
انما يقال له : زيد بن محمد ، ربما فقد رسول الله ﷺ الساعة ، فيقول
أين زيد ؟ فجاء يطلب منزله فلم يجده .

٢ - ٢ وقامت اليه زينب بنت جحش زوجته فضلا (أى تلبس
ثوبا واحدا) .

٢ - ٣ فأعرض عنها رسول الله ﷺ فقالت : ليس هو ههنا
يا رسول الله ، فادخل بأبي أنت وأمي ! فأبى رسول الله أن يدخل .

٢ - ٤ وإنما عجلت زينب أن تلبس اذ قيل لها : رسول الله
ﷺ على الباب ، فوثبت عجلة .

٢ - ٥ فأعجبت رسول الله ﷺ .

٢ - ٦ فولى وهو يهمهم بشيء لا يكاد يفهم .

الا أنه أعلن : سبحان الله العظيم . سبحان الله مصرف القلوب .

٢ - ٧ فجاء زيد الى منزله ، فأخبرته امرأته أن رسول الله
ﷺ أتى منزله ، فقال زيد : ألا قلت له : ادخل ! فقالت :
قد عرضت عليه ذلك فأبى .

قال : أفسمعتيه يقول شيئا ؟ فقالت : سمعته يقول حين ولى :
سبحان الله العظيم . سبحان الله مصرف القلوب .

٢ - ٨ فخرج زيد حتى أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول
الله ، بلغنى أنك جئت منزلى . فهلا دخلت ! بأبي أنت وأمي يا رسول
الله ! لعل زينب أعجبتك فأفارقها ؟

٢ - ٩ فقال رسول الله ﷺ : امسك عليك زوجك .

- ٢ - ١٠ فما استطاع زيد اليها سيلا بعد ذلك اليوم .
 ٢ - ١ فكان يأتي رسول الله ﷺ فيخبره ، فيقول له رسول الله ﷺ امسك عليك زوجك .
 ٢ - ١٢ ففارقها زيد واعتزلها ، فحلت « (١) » .



الرواية الثالثة (للطبري) :

- ٣ - ١ « كان النبي ﷺ قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ، ابنة عمته فخرج رسول الله ﷺ يوما يريد .
 ٣ - ٢ وعلى الباب ستر من شعر ، فرفعت الريح الستر فانكشف وهي في حجرتها حاسرة .
 ٣ - ٣ فوق اعجابها في قلب النبي ﷺ .
 ٣ - ٤ فلما وقع ذلك ، كرهت الى الآخر (أى كرهها زيد منذ ذلك اليوم) !
 ٣ - ٥ فجاء (زيد) فقال : يا رسول الله ، انى اريد ان افارق صاحبتى .
 ٣ - ٦ فقال (رسول الله) : مالك ؟ اراك منها شيء ؟
 فقال : لا والله يا رسول الله . ما رابنى منها شيء ، ولا رأيت الا خيرا .
 ٣ - ٧ فقال له رسول الله ﷺ : امسك عليك زوجك واتق الله .
 فذلك قول الله ، عز وجل : ﴿ واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه ﴾ .

(١) تاريخ الطبري : ج ٢ - ص ٥٦٢ ، ٥٦٣

(قال الطبرى) : تخفى فى نفسك ان فارقتها (زيد) تزوجتها « (١) » .



● نظرة على هذه الروايات الثلاث :

١ - تتناقض الرواية الأولى (لابن اسحق) مع الروايتين : الثانية والثالثة (للطبرى) فى نقطة جوهرية ، هى المدخل الرئيسى لكل منها . فبينما تقول الأولى : ان زيدا كان مريضا بمنزله ، وزينب امرأته جالسة عند رأسه ، ورسول الله جالسا معهما يعبده (الفقرة ١ - ١) ، اذ تقول روايتنا الطبرى : ان زيدا كان خارج منزله .

ان هذا يعنى - بداءة - اسقاط احدى المجموعتين بالكلية : فاما رواية ابن اسحق ، واما روايتى الطبرى . فزيد لا يمكن أن يكون فى منزله ، وخارج منزله فى وقت واحد ، الا اذا كان الرجل الخفى ، من رجال الأساطير ١٠٠٠

٢ - حسب الرواية الأولى : كان زيد أول من سمع تسيبحة الرسول بأذنيه (الفقرة ١ - ٣) ، بينما نقلتها زينب الى زوجها بزعم أنها قد سمعتها (الفقرة ٢ - ٧) أما الرواية الثالثة فقد أسقطت التسيبحة تماما .

٣ - تحولت التسيبحة - فى الرواية الأولى - من قوله ﷺ : سبحان مقلب القلوب والأبصار الفقرة ١ - ٣) لتكون فى الرواية الثانية - بعد ١٥٠ سنة تفصل بين ابن اسحق وبين ابن جرير الطبرى - فى صيغة : سبحان الله العظيم . سبحان الله مصرف القلوب .

(١) المرجع السابق ص ٥٦٣

٤ - اختلفت روايتا الطبرى (الثانية والثالثة) معا فيما يتعلق بنقطة جوهرية وهى : كيف رأى رسول الله زينب فى بيتها أول مرة .
فعلى حسب الرواية الثانية ، وبضم الفقرتين (٢ - ٢) ، (٢ - ٤) وهو شئ يتطلبه وصف الأحداث ؛ نجد أن رسول الله وقف بباب زيد يسأل عنه ، وهناك من أخبره بعلم وجود زيد (الفقرة ٢ - ١) ، وحتى تلك اللحظة لم ير زينب ولم تره . لكن هناك من أخبرها بوجود رسول الله بالباب (الفقرة ٢ - ٤) فعجلت زينب أن تستكمل لبسها ، ومن ثم خرجت اليه فضلا .

بينما تقول الرواية الثالثة : أن رسول الله لما وقف بباب زيد ، رفعت الريح ستر الشعر ، فأراها حاسرة (الفقرة ٣ - ٢) .

٥ - وبناء على رؤية رسول الله لزينب : فضلا أو حاسرة ، زعمت الروايتان أنها أعجبت به (الفقرتان ٢ - ٥) ، (٣ - ٣) .
ولما كان هذا الاعجاب جاء تأسيسا على روايتين متناقضتين ، تعطى كل منهما صورة مختلفة عن الأخرى ، كان ذلك الاعجاب المزعوم قائما على غير أساس ، وصار بالتالى زعما باطلا .

لقد جهل القائلون بذلك الاعجاب المزعوم مجموعة من الحقائق منها : أن زينب ابنة عمه رسول الله ، وأنه يكبرها بنحو ٢٠ عاما ، ومن ثم فهو يعرف كل خصائصها الجسمانية والنفسية ، وأنه هو الذى خطبها الى زيد وأصر على اتمام الزواج رغم معارضتها هى وأخيها .

ولما كانت حياتها الزوجية مع زيد قد استمرت نحو ١٣ عاما على كره منها ، ودون انجاب لذرية تخفف من ذلك الشقاء ، كان معنى هذا أن جمال زينب الذى دخلت به بيت زيد أول مرة قد ذبل سريعا وانحسر خلال تلك السنين الطوال . ومن ثم يستحيل القول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى زينب بعد ذلك - فضلا أو حاسرة - قد فجئه جمالها فوق اعجابها فى قلبه .

ان ذلك وهم نسجه خيال مريض . . .

ففى تقديرى - بعد ما رأينا من تهالك تلك الروايات - ان الريح
لم تعبت بستر الشعر الذى قيل انه كان على باب حجرة زينب بنت جحش
(كما تدعى الرواية الثالثة) فانكشفت ، وانما هو الخيال الجنسى الذى
عبث بفكر أولئك الرواة . . .

٦ - واذا كان ذلك الاعجاب المزعوم قد جاء استنتاجا من تسييحه
رسول الله (الفقرتان ١ - ٣) ، (٢ - ٦) ، فذلك هو الجهل
بعينه ، وهو حكم طائش فقد العلم والروية .

لقد كان استخدام رسول الله لفظ : « مقلب القلوب »
لازمة من لوازمه . فعن شهر بن حوشب قال : قلت لأم سلمة رضى الله
عنها : يا أم المؤمنين ، ما أكثر دعاء رسول الله ﷺ اذا كان عندك ؟
قالت : كان أكثر دعائه : « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على
دينك » (١) .

ولقد علم القرآن المسلمين أن يسبحوا الله فى كل حين فقال :
﴿ يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا . وسبحوه بكرة واصيلا ﴾
(الأحزاب : ٤١ - ٤٢)

وعلمهم أن يسبحوا الله حين يتعرضون لمواقف تفرض عليهم سماع
منكر من القول وزور ، أو رؤية ما لا ينبغى أن يرى من الحرمات .
ففى حديث الافك - وكل أفك - يقول القرآن العظيم :

﴿ ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك
هذا بهتان عظيم ﴾ (النور : ١٦) .

فاذا كان رسول الله لا يشغل نفسه بتسييح الله فى مختلف

(١) رواه الترمذى فى الدعوات باب : « يا مقلب القلوب ثبت قلبى » .

المواقف ، وبمختلف الصيغ ومنها لفظ « مقلب القلوب »
الذى هو احدى لوازمه ، فمن غيره يفعل ذلك ؟!

وإذا صح شيء من هذه الروايات المتناقضة ، وأن رسول الله
قد سبح الله بعد رؤيته زينب : فضلا ، أو حاسرة ، أو حتى شبه
عارية ، فما تأويل ذلك ؟

لا يعلم تأويله الا الله ، الذى « يعلم السر واخفى » ، ويعلم تأويله
رسول الله الذى أعلن تسييحه ، وهو أعلم بنفسه من الناس . وحيث
انه لم يؤثر عنه حديث يشرح خفايا هذا الموقف ، كان حريا بكل مسلم
- لا ابل بكل ذى عقل وضمير - أن يفسر تلك التسييحة على ضوء
تعاليم القرآن ، وخاصة الآية رقم ١٦ من سورة النور .

فتسييحة رسول الله ﷺ تلك لا تعنى - اذن - سوى اعتذار عن رؤيه
ما كان ينبغى الا يرى ...

اما اذا فسرنا بعض المسلمين على انها دلالة على اعجاب رسول الله ﷺ
بزينب ، فهذا افتراء عليه ، وقول سفه بغير علم ، حسابه عند الله ، حتى
لو كان مسمى ذلك : زيد بن حارثة ، ومن خلفه من المفسرين .
هى اذن سقطة من صديق ، وما أفظح سقطات الأصدقاء ...
لقد عقلها كاتب مسيحي متتور - هو الدكتور نظمي لوقا -
بينما غابت عن مسلمين مخلصين . فهو يقول : ان محمدا « ليعلم
علم اليقين - وهو الانسان ذو القلب الكبير - أن هوى
القلب لا حيلة للمرء فيه ، ولا ياتمر بارادة أو يذعن لعقل . فهو
لا يستطيع أن يلوم زينب لأن قلبها عصاها ، وأبى أن يهفو للفتى الذى
يجبه هو حب الأبناء .

وعلى هذا التأويل اعقل أنا قوله : سبحان مصرف القلوب !

اى سبحان الذى صرف قلب الشابة الحسناء عن الفتى الوسيم
زيد ، فلم تستطع ان تسكن اليه بعد ان تزوجته طائعة منعنة .

ذكر الرسول عندئذ ربه وحكمته ، فكيف بعدئذ يلومها على ما لا تملك من هوى قلبها ، وسبجان مصرف القلوب « ١ (١) .

٧- زعمت الروايتان الأولى والثانية أن زيدا عرض على رسول الله أن يطلق زينب بعد أن فهم من تسييحته أنها ربما تكون قد أعجبتة (الفقرتان ١ - ٤) ، (٢ - ٨) ، بينما أوردت الرواية الثالثة سببا آخر مختلفا تماما ، وهو أن زيدا كره زينب منذ تلك اللحظة ، فذهب الى رسول الله يستأذنه في فراق زوجته (الفقرة ٣ - ٤) .

٨ - أجمعت الروايات الثلاث على أن رسول الله رفض عرض زيد بتطليق زينب ، مهما كانت دوافعه (الفقرات ١ - ٥) ، (٢ - ٩) ، (٣ - ٦) ، (٣ - ٧) . ورغم الحاح زيد في تطليقها ، فقد كان رسول الله مصرا على ابقائها في عصمته .

*

هذا - ولقد نقل ابن هشام عن ابن اسحق ، وعن الطبري نقل البيضاوي والزمخشري وآخرون . ولقد عرفنا - منذ قليل - خلفية ابن اسحق والطبري وكيف كانا يجمعان رواياتهما ويكتبونها ، ومن هنا جاءت تلك الروايات المتهاككة ، والتي لا تصمد الواحدة منها للدراسة والتمحيص .

على أن بعض المفسرين أسقطوا تلك الروايات من حسابهم لما فيها من تخبط وضعف واضح . ومن هؤلاء ابن كثير الذي قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ : « ذكر ابن أبي حاتم ، وابن جرير ههنا آثارا عن بعض السلف رضى الله عنهم ، احببنا ان نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها . . لكن الله تعالى أعلم نبيه ﷺ أنها (زينب بنت جحش) ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها . فلما أتاه زيد

(١) محمد في حياته الخاصة : الدكتور نظمي لوقا ص ١٢٥ - ١٢٦

رضى الله عنه ليشكوها اليه قال : ﴿ امسك عليك زوجك واتق الله ﴾
فقال : قد أخبرتك أنى مزوجكها ، وتخفى في نفسك ما الله مبديه •
وهكذا روى عن السدى أنه قال نحو ذلك » •

وكذلك قال الخازن في « لباب التأويل في معاني التنزيل »
« ان المراد بقوله تعالى ﴿ وتخفى ﴾ أن الذى أخفاه ، علمه بأنها ستكون
زوجته ، وأنه عوتب على هذا الاخفاء • وانما أخفى ذلك استحياء
أن يخبر زيدا أن التى تحتك وفى نكاحك ستكون زوجتى » •

* * *

● مواقف حرجة فى حياة الانبياء :

أنبياء الله بشر ولدوا جميعا من نساء جئن من ذرية آدم ،
اصطفاهم الله ، فهم : ﴿ عباد مكرمون • لا يسبقونه بالقول وهم بأمره
يعملون ﴾ • (الأنبياء : ٢٦ ، ٢٧) • وبين امر الله والعمل فى خدمة
رسالاته ، حمل المرسلون أثقالا ، وتعرضوا لضغوط عالية ومواقف
حرجة ، وقاسوا محنا وآلاما ، وكانت حياتهم جهادا خالصا فى سبيل الله •
وترينا دراسة أحوال الأنبياء والمرسلين أن الأمور لم تجر دائما
وفق مشيئتهم ، فلم يكن لهم « من الأمر شيء » لأن « الأمر كله لله »
ومن هنا كان الصراع العنيف ، وكانت المعارك الطاحنة ، فى داخل تلك
النفوس البشرية بفرائضها المعروفة ، والعالية بتساميها ، قبل أن تكون
فى خارجها •

ويذكر الكتاب المقدس أن موسى اعتذر عن قبول الرسالة الالهية
فى أول وحى تلقاه ، وتعرض بذلك لغضب الله ، الا أن رحمته الواسعة —
سبحانه — تداركته :

« قال موسى للرب : استمع أيها السيد ! لست أنا صاحب كلام
منذ أمس ولا أول أمس ولا من حين كلمت عبدك • بل أنا ثقيل الفم
واللسان •

فقال له الرب : من صنع للانسان فما أو من يصنع أخرس
أو أصم أو بصيرا أو أعمى ؟ أما هو أنا الرب ؟! فالآن اذهب وأنا أكون
مع فمك وأعلمك ما تتكلم به .

فقال : استمع ايها السيد ! ارسل بيد من ترسل !

فحمى غضب الرب على موسى - خروج ٤ : ١٠ - ١٤ « .

وحين كره بنو اسرائيل أكل المن والسلوى « وبكوا وقالوا من
يطعمنا لحما . قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجانا والقضاء
والبطيخ و . . .

فلما سمع موسى الشعب يكون . . . وحمى غضب الرب جدا ،
ساء ذلك في عيني موسى . فقال موسى للرب : لماذا اسات الى
عبدك ، ولماذا لم أجد نعمة في عينيك حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا
الشعب على . العلى حبلت بجميع هذا الشعب ، او لعل ولدته ، حتى
تقول لى احملة في حضنك كما يحمل الربى الرضيع . . لا اقدر انا وحدى
أن أحمّل جميع هذا الشعب لأنه ثقيل على . فان كنت تفعل بي
هكذا ، فاقتلنى قتلا ان وجدت نعمة في عينيك . فلا ارى بليتى -
عدد ١١ : ٤ - ١٥ « .

لقد دفع الضيق والخرج موسى أن يطلب الموت لنفسه !

وفي قصة النبي صموئيل وشاول نجد صورة من عتاب الله لأبيائه ،
ذلك العتاب الذى يصل حد التوبيخ . ذلك أن صموئيل هو الذى
مسح شاول ملكا على بنى اسرائيل فصار مسيحا جل عليه روح الله ،
ونبيا . لكن شاول أخطأ باجتهاده مرة ، فكان كلام الرب الى صموئيل
قائلا : ندمت على انى قد جعلت شاول ملكا ، لانه رجع من ورائى ولم
يقم كلامى - صموئيل الأول ١٥ : ١٠ « .

فرفض الرب شاول ، وأعلم نبيه صموئيل بذلك ، فحزن حزنا

شديدا من أجل شاول واستمرت مشاعره طيبة نحوه . وكان غضب الله على شاول لم يكن كافيا لأن يراعى صموئيل ذلك ، فيكبت عواطفه الطيبة نحو شاول ويجعل الاعتبار لأمر الله وحده . وهنا عاتب الله صموئيل عتابا شديدا ، « فقال الرب لصموئيل : حتى متى تنوح على شاول ، وأنا قد رفضته عن أن يملك على إسرائيل ؟! - صموئيل الأول ١٦ : ١ » .

وحين هرب الياس (ايليا) من وجه الملك الطاغية أخاب ، ذهب ليختبئ بأمر الله عند امرأة أرملة تعوله . « مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتد مرضه جدا حتى لم تبق فيه نسمة » فقالت لايليا : مالي ولك يا رجل الله ! هل جئت لتذكير ائمي واماتة ابني ؟!

فقال لها : أعطيني ابنك . . وصرخ الى الرب وقال : ايها الرب الهى ! أيضا الى الأرملة التى انا نازل عندها قد اسات باماتتك ابنها فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ الى الرب . . فسمع الرب لصوت ايليا ، فرجعت نفس الولد الى جوفه فعاش - الملوك الأول ١٧ : ١٧ - ٢٢ » .

ومنذ بدأ القرآن ينزل على محمد رسول الله ، أعلمه ربه أن الأمر جد وعبء ثقيل ، فقال فى واحدة من أوائل السور نزولا : ﴿ انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ﴾ (المزمّل : ٥) .

وأعلمه أنه سيتعرض لضغوط شديدة ، ومواقف حرجة ، فقال سبحانه : ﴿ كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتندرب به وذكرى للمؤمنين ﴾ (الأعراف : ٢) .

﴿ طسم . تلك آيات الكتاب المبين . لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ﴾ (الشعراء : ١ - ٣) (١) .

(١) باخع نفسك : أى قاتلها غما .

﴿ فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا
لولا انزل عليه كنز أو جاء معه ملك ، انما انت نذير ، والله على كل شيء
وكيل ﴾ (هود : ١٢) •

وها هي سورة الأحزاب تبدأ بما لم تبدأ به سورة
أخرى من سور القرآن ، فتقول مخاطبة رسول الله : ﴿ يا ايها النبي اتق
الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ، ان الله كان عليما حكيماء . واتبع ما يوحى اليك
من ربك ، ان الله كان بما تعملون خبيراً • وتوكل على الله ، وكفى بالله وكيلاً ﴾
(الأحزاب : ١ - ٣)

فهي تحمل أربع أوامر لرسول الله ، أولها : ﴿ اتق الله ﴾
ولم يوجه مثل هذا القول اليه في أى سورة أخرى من
سور القرآن •

ثم يعقب ذلك قول حاسم في ابطال بعض أعراف الجاهلية ومنها
عادة الأبناء الأديعاء :

﴿ ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه ، وما جعل ازواجكم اللائي
تظاهرون منهن امهاتكم ، وما جعل ادعياءكم ابنائكم ، ذلكم قولكم بافواهكم ،
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل • ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله ،
فان لم تعلموا آباءكم فاخوانكم في الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح
فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ، وكان الله عفورا رحيماً ﴾
(الأحزاب : ٤ - ٥)

فمن الواضح أنه من أوائل مقاصد هذه السورة ، ابطال دعوى
التبني الزائفة ، فاستفتحت بهذا الأمر الالهي ، ليكون تشريعا تخضع
له جميع الحالات •

وفي حياة الناس ، تكتسب قوانينهم الوضعية الثقة حين يبدأ

التطبيق بأولى الأمر • وما كان غير رسول الله ليفرض عليه البدء
بجعل التشريع الالهي واقعا ملموسا • ولهذا جاءت الآية
السابعة والثلاثون من نفس السورة لتعالج واقعا يرتبط به - عليه
الصلاة والسلام - وتقرر أن الله زوجة مطلقه دعيه زيد بن حارثة ، ليبطل
بذلك احدى دعاوى الجاهلية •

﴿ فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين
حرج في ازواج ادعياتهم اذا قضوا منهن وطرا ، وكان امر الله مفعولا ﴾
(الأحزاب : ٣٧)

لقد شعر رسول الله بحرج شديد اذ قد علم بأن زينب
ستكون احدى زوجاته ، وقدر ما سيقوله المتربصون بالاسلام
ونبيه • وفي صراعه النفسى بين هذا وذاك ، اضطر أن يقول لزيد
كلما جاءه يستأذنه فى طلاق زينب : ﴿ امسك عليك زوجك واتق الله ﴾
فلعل « الله يحدث بعد ذلك أمرا » • فقضاء الله نافذ لا محالة ، وكل
ما يرجوه العبد أن يكون الانفاذ بأقل الخسائر •

من هنا كان رسول الله فى أشد حالات الحرج والضيق ، ولكنها
لازمة من لوازم الأنبياء والمرسلين •

*

ولهذا جاءت الآية التالية لآية تزويج النبي بمطلقة متبناه زيد
ابن حارثة ، تدعو لكسر حاجز الحرج (الآية ٣٨) ، وتؤكد على ضرورة
خشية الله وحده واسقاط أى اعتبار لخشية تقولات الآخرين (الآية ٣٩) ،
ثم التأكيد مرة أخرى على أن محمدا رسول الله ليس أبا لزيد بن حارثة
ولا لغيره (الآية ٤٠) •

﴿ ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله فى الذين
خلوا من قبل ، وكان امر الله قدرا مقدورا •
الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ، ولا يخشون احدا إلا الله ،
وكفى بالله حسيبا •

ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ،
وكان الله بكل نبي عليماً . *

وأخيراً نقول : رحم الله زينب بنت جحش ، كانت كما شهدت
لها غريمتها عائشة : « لم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب ، وأتقى
الله ، وأصدق حديثاً ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالاً
لنفسها في العمل الذي يتصدق به ويتقرب به الى الله عز وجل » (١) .
ولقد كانت أول من مات من نساء النبي بعده ، فكانت
أسرعهن لحاقاً به .

* *

جويرية بنت الحارث : « بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق
يجمعون له - وقائدهم الحارث بن أبي ضرار . فلما سمع رسول الله
ﷺ خرج اليهم حتى لقيهم على ماء يقال له « المريسيع » ، من ناحية
قديد الى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله
بني المصطلق » (٢) .

لقد قتل من بني المصطلق عشرة ، وقتل من المسلمين رجل يقال
له هشام بن صبابه . ولم يجد بنو المصطلق ، بعد قليل من التراشق
بالنبال ، مفراً من التسليم تحت ضغط المسلمين السريع ، فوقعوا في
الأسر ، وكانت جويرية بنت الحارث قائدة بني المصطلق من بين السبايا .
« وقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار
بفداء ابنته . فلما كان بالعقيق ، نظر الى الابل التي جاء بها للفداء ،
فرغب في بعيرين منها ، فغيبهما في شعب من شعاب العقيق . ثم أتى
النبي ﷺ وقال : يا محمد ، أصبتم ابنتي ، وهذا فداؤها . فقال
رسول الله ﷺ : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق في شعب كذا ،
وكذا ؟

(١) نساء النبي - ص ١٦٩

(٢) تهذيب سيرة ابن هشام - ص ١٩٧

فقال الحارث : أشهد أن لا اله الا الله ، وأنت محمد رسول الله •
فوالله ما اطلع على ذلك الا الله •

فأسلم الحارث وأسلم معه ابناؤه له وناس من قومه ، وأرسل الى
البعيرين فجاء بهما ، فدفعا الابل الى النبي صلى الله عليه وسلم
ودفعت اليه ابنته جويرية ، فأسلمت وحسن اسلامها ، فخطبها النبي
ﷺ الى أبيها ، فزوجه اياها ، وأصدقها أربعمئة درهم (١) •

فلما بلغ المسلمون الخبر ، أطلقوا من بأيديهم من أسرى بني المصطلق
باعتبارهم أصهار رسول الله ، فأعتق بزواج جويرية من رسول الله نحو
أهل مائة بيت من بيوت بني المصطلق •

وجدير بالذكر أن شريعة موسى تقول في سبأيا الحرب : « اذا
خرجت لمحاربة أعدائك ، ودفعهم الرب الهك الى يدك وسبيت منهم
سبيا • ورأيت في السبي امرأة جميلة الصورة والتصقت بها واتخذتها
لك زوجة ، فحين تدخلها الى بيتك ، تحلق رأسها ، وتقليم أظفارها ،
وتنزع ثياب سبيها عنها ، وتقع في بيتك ، وتبكي أباه وأما شهرا
من الزمان ، ثم بعد ذلك تدخل عليها وتتزوج بها ، فتكون لك زوجة -
ثنية ٢١ : ١٠ - ١٣ » •

ولقد كانت عائشة تقول عن جويرية : ما أعلم امرأة كانت
أعظم على قومها بركة منها •

* *

صفية بنت حبي بن اخطب : كان لليهود الدور الحاسم في تجميع
القرشيين وغيرهم ، في محاولة أخيرة لغزو المدينة والقضاء على محمد

(١) سيرة النبي : لابن هشام - المجلد الثالث - ص ٢٥٣

ﷺ ومن معه • وكان من زعمائهم : سلام بن أبي الحقيق النضري ،
وحبي بن اخطب النضري •• في نفر من بني النضير ، ونفر من بني وائل
وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ - خرجوا حتى قلموا
على قريش مكة فدعوهم الى حرب رسول الله ﷺ وقالوا : انا سنكون
معكم عليه حتى نستأصله •

فقلت لهم قريش : يا معشر يهود ، انكم اهل الكتاب الأول ،
والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، افديننا خير ام دينه ؟
قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وانتم اولى بالحق منه •

فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : ﴿ ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى
من الذين آمنوا سبيلا • اولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد
له نصيرا ﴾ (النساء : ٥١ - ٥٢) •

فلما قالوا ذلك لقريش ، سرهم ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب
رسول الله ﷺ فاجتمعوا لذلك واتعدوا له •

ثم خرج أولئك نفر من يهود حتى جاءوا غطفان ، فدعوهم الي
احرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشا
قد تابعوهم على ذلك •• فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب ،
وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن •

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب
الخنديق على المدينة •

وخرج حبي بن اخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي ••
وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه (بني قريظة)
وعاقدة على ذلك وعاهدة •• فقال حبي : ويحك يا كعب ا
جتتك بعز الدنيا وبيحر طام ، جتتك بقريش على قاذتها

وسادتها • وبغطفان على قادتها وسادتها • • قد عاهدوني وعاهدوني على
الا يبارحوا حتى نستاصل محمدا ومن معه •

فقال له كعب : جئتنى والله بذل الدهر • • ويحك يا حيى ! فدعنى
وما أنا عليه فانى لم ار من محمد الا صدقا ووفاء • •

فلم يزل حيى بكعب • • حتى نقض كعب بن أسد عهده ، وبرىء
مما كانا بينه وبين رسول الله ﷺ « (١) •

وهكذا كان لحيى بن أخطب - سيد بنى النضير - الدور الحاسم
في حشد أعداء المسلمين في محاولة للقضاء عليهم قضاء مبرما •

لكن هذا التجمع العدواني الذي عرف باسم الأحزاب هزمه الله
شر هزيمة فيما عرف باسم غزوة الأحزاب ، ، فرجموا عن المدينة خائبين
يجلهم الخزى والبوار •

لقد أظهرت غزوة الخندق أنه لا أمان مع اليهود ، فهم ناقضو
العهود • فلما كان النصف الأول من العام السابع الهجرى ، خرج
رسول الله الى خيبر بحصونها المنيعة • وكان حصار وكان قتال انتهى
بأن طلبوا الصلح على أن تحقن دماؤهم ، وقد قبل رسول الله
ﷺ ذلك ، ولقد كانت صافية بنت حيى بن أخطب من بين سبايا هذه
الغزوة ، فجاء « دحية فقال (لرسول الله ﷺ) : أعطنى جارية من السبى •

قال : اذهب فخذ جارية • فأخذ صافية بنت حيى •

فقيل : يا رسول الله ، انها سيدة قريظة والنضير ، ما تصلح
الا لك •

فقال له النبي ﷺ : خذ جارية من السبى غيرها « (٢) •

(١) تهذيب سيرة ابن هشام - ص ١٧٦ - ١٧٩

(٢) نهاية الأرب - ص ١٨٧

وهكذا تزوج رسول الله ﷺ صفيية ، ولم ينبج منها ذرية ، وكانت قبله قد تزوجت مرتين •

* *

أم حبيبة بنت أبي سفيان : تزوج رسول الله ﷺ « أم حبيبة بنت أبي سفيان • وكانت قبله عند عبد الله بن جحش بن رثاب •• كان تزوجها وهي بكر ، وكان له منها حبيبة ابنة عبد الله ، فمات عنها بأرض الحبشة • وقد تنصر (هناك) بعد اسلامه • وكانت مهاجرة معه بأرض الحبشة » •

فلما علم رسول الله ﷺ بذلك أرسل « عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي ، فزوجه أم حبيبة ابنة أبي سفيان ، وساق عنه أربع مائة دينار » (١) • وقد تم الزواج بالحبشة بحضور المسلمين وفيهم جعفر بن أبي طالب ، وخالد بن سعيد بن أمية كبير المهاجرين من قوما بني أمية •

لقد بقيت أم حبيبة - بعد هذا العقد على بعد - سنوات في الحبشة ولكن بعد أن ردت اليها كرامتها ، واستوثقت أن خروجها مهاجرة في سبيل الله ، ما كان الله ليضيعه ، فجاءها خير عوض بتزويجها من رسول الله • فلم يكن أحد يعاني مثل ما عانت أم حبيبة : بين زوج في المهجر معها ما لبث أن تخلى عن دينه وأهله ثم هلك ، وأب في الوطن - مكة - لا يزال على كفره ، بل انه ليتزعم الكافرين في حربهم ضد الاسلام • لكن الله سلم ، بعد أن حملت اسم رسوله زوجها لها •

وبعد سنوات بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي ، ليعود بمن بقي من المهاجرين ، فحملهم في سفينتين ، فقدم بهم الى المدينة يوم فتح خيبر ، وكانت أم حبيبة مع العائدين • وحين أبصر رسول الله ﷺ في عودته المظفرة من خيبر -

(١) سيرة ابن اسحق - ص ٢٤١ - ٢٤٢

ابن عمه جعفر بن أبي طالب عائدا على رأس المهاجرين ، قبله بين عينيه وقال : ما أدري بأيهما أنا أسر ! بفتح خير أم بقدم جعفر !

ولقد احتفلت المدينة بدخول أم حبيبة بنت أبي سفيان بيت النبي ، وأولم خالها عثمان بن عفان وليمة تتناسب وما حل بالمسلمين في تلك الأيام من أفراح .

وما كان رسول الله ليخلد الى شيء يسير من الراحة والسكن في بيت النساء ، فالأحداث سريعة ومتلاحقة ، وهامى قریش قد نقضت صلح الحديبية . ولما كانوا يتوقعون أن يأخذ الرسول زمام المبادرة فيباغتهم في حملة تأديبية ، بعد أن صار المسلمون قوة لا يستهان بها ، فقد أرسلوا زعيمهم أبا سفيان في محاولة لتجديد الهدنة . وما يهمننا في هذا المقام هو ما كان بين أبي سفيان وبين ابنته أم حبيبة التي غابت عنه سنوات مهاجرة من أجل عقيدتها .

« خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة . فلما جلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه . فقال يا بنية : ما أدري ! أرغبت بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به عني ؟! »

قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ .
قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر « (١) .

*

وهكذا ، كانت هجرة أم حبيبة في سبيل الله ، وكان زواج الرسول منها في سبيل الله .

* *

(١) تهذيب سيرة ابن هشام - ص ٢٣١

مارية القبطية : بعث رسول الله رسلا الى هرقل امبراطور الروم ،
وكسرى ملك فارس ، والمقوقس عظيم القبط بمصر ، وغيرهم ، يدعوهم
الى الاسلام .

وقد كان رد المقوقس يحمل في ثناياه التصديق بنبي منتظر مع
حرص شديد على سلطانه بابقاء الحال على ما هو عليه . فقال في
كتابه الى رسول الله : « أما بعد .. فقد قرأت كتابك ، وفهمت
ما ذكرت فيه وما تدعو اليه . وقد علمت أن نبياً قد بقى ،
وكنت أظن أنه يخرج بالشام .. »

وقد أكرمت رسولك ، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط
عظيم ، وبكسوة ، ومطية لتركبها . والسلام عليك « (١) .
وكانت الجاريتان هما : مارية التي تسرى بها النبي ، وسيرين
التي أعطاها لحسان بن ثابت .

وبعد نحو عامين حملت مارية من رسول الله ، ولما اكتمل
حملها ولدت له ابناً ، فرح به كثيراً ، وسماه ابراهيم تيمناً
بجده الأكبر ابراهيم أبي الأنبياء .

لكن الفرحة لم تدم طويلاً ، فما هو الا عام وبعض عام ، حتى
توفاه الله ، وحزن لذلك الرسول والمسلمون ، حزن الصابرين
المحتسين . ولقد حدث يوم وفاة ابراهيم ودفنه في قبره أن انكسفت
الشمس ، فقال بعضهم : انها انكسفت لموت ابراهيم .

وما أن بلغ هذا القول رسول الله حتى التفت الى أصحابه
يقول : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا تخسفان لموت
أحد ولا لحياته » .

لقد كان رسول الله يومئذ في أشد حالات الحزن ،
لكنه لم يستطع السكوت على غير ما علمه الله من حقائق الدنيا

(١) نساء النبي - ص ٢١٥

والآخرة ، فانتزع نفسه من أحزانها ليرد المسلمين الى الصواب ، ويخرجهم
من تخرصات الظنون والأوهام •

* *

ميمونة بنت الحارث : خرج رسول الله في العام السادس الهجرى
ومن معه من المسلمين قاصدين بيت الله الحرام بمكة لأداء العمرة • لكن
قريش صدتهم عن ذلك • ولما كان الرسول لا يريد الحرب ، فقد أجرى
معهم مفاوضات شاقة انتهت بتوقيع صلح الحديبية الذى
كان فى شروطه أن يرجع هو وأصحابه عن مكة عامهم هذا على أن
يعودوا اليها فى العام القادم فيدخلوها ويقيموا بها ثلاثة أيام ، ومعهم
من السلاح السيوف فى قربها ، ولا سلاح غيرها •

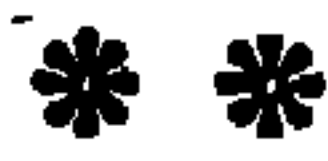
فلما كان العام التالى جاء رسول الله وأصحابه معتمرين ،
فجئت قريش عن مكة ، وفق صلح الحديبية ، وصعدت التلال
المجاورة ، تطل على البيت الحرام ، وترقب الرسول صلى الله عليه وسلم
وأصحابه •

ولقد كان المنظر أخاذا ، فها هو محمد وصحبه الذين
خرجوا منها مهاجرين خلسة ، وفرارا بدينهم منذ سبع سنوات ،
يعودون اليها اليوم أشداء ، أقوىاء العزيمة كما عبر عن ذلك قوة رجح
تكبيرهم وتليبتهم نداء ربهم • وهناك لم تملك واحدة من أكرم نساء العرب
ضبط مشاعرها وهى تطل على ذلك المشهد المهيب ، حتى وهبت نفسها
للنبي • تلك كانت ميمونة بنت الحارث ، شقيقة أم الفضل زوج العباس
عم رسول الله •

وما كان رسول الله ليرد من جادت بنفسها ، فقبل الزواج
منها • ولقد رأى بثاقب بصره أن هذه قد تكون فرصة
طيبة تتألف فيها القلوب ، وتخفف قريش من عدائها لأبنائها الذين
أسلموا ولم يجدوا مفرا من الهجرة الى المدينة حفاظا على
ايمانهم بالله الواحد الأحد ، فاقترح عليهم رسول الله أن يدخل

بميمة بينهم ، فقال لمبعوثي قريش اليه : « ما عليكم لو تركتموني فأغرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه » ؟

لكن المبعوثين أجابا في غلظة وجفاء : « لا حاجة بنا الى طعامك ، فأخرج عنا » . فلم يتردد رسول الله في النزول على رأيهما تنفيذا لعهد مع قريش الذي يقضى بالألا- تزيد مدة الاقامة في مكة عن ثلاثة أيام ، فخرجوا من مكة عائدين الى المدينة .



● نساء النبي :

هؤلاء كن نساء النبي اللاتي دخل بهن : كان له من اثنتين منهن ذرية هما : خديجة ، ومارية ، وتوفي منهن في حياته اثنتان هما : خديجة ، وزينب بنت خزيمة التي لم تمكث معه سوى شهرين قلائل . ولم تكن منهن بكر سوى عائشة ، وأما الباقيات فكن ثيبات ، وخاصة من الأراامل المهاجرات .

ويلاحظ أنه في أغلب حالات زواجه ، لم تكن المبادأة من جاتبه . ففي حالة خديجة ، جاء الاقتراح من صديقتها نفيسة بنت منية ، فكان رده : ما بيدي ما أتزوج به . وهنا تشجعت خديجة فأرسلت اليه تلعهوه أن يتزوجها . ولما ماتت خديجة ، وترمل رسول الله زمانا ، عرضت عليه خولة بنت حكيم أن يتزوج ، ليخرج من أحزانه على خديجة وتنتظم أمور بيته ، ثم اقترحت عليه اسم عائشة بنت أبي بكر ، فلما أجابها قائلا : لكنها ما تزال صغيرة ، اقترحت عليه أن يتزوج سودة بنت زمعة ، أرملة من المهاجرات ، فقبل .

ولقد كان زواجه من حفصة بنت عمر ، حفظا لماء وجه أيها الذي شعر بالمهانة حين عرضها على أبي بكر فاعتذر بصمته ، ثم عرضها على عثمان فرد بالرفض ، ثم هي أرملة شهيد قرشي .

ولم يكن بد من زواجه من زينب بنت جحش ، مطلقة متبناه زيد ابن حارثة ، انصياعا للأمر الله .

ولم تكن المبادأة من جانبه حين تسرى بهارية ، فلقد أرسل اليه المقوقس عظيم القبط جاريتين ، اكتفى بواحدة هي مارية ، وأعطى الأخرى لحسان بن ثابت . وفي ظروف كنتك ، جرى العرف أن يضم الجاريتين الى نسائه .

وما كان له من دافع في زواجه بميهونة بنت الحارث ، فهي شقيقة امرأة عمه العباس ، وهي التي وهبت نفسها له .

اما المبادأة من جانب رسول الله ﷺ فكانت في حالات اخرى هي :

زينب بنت خزيمة (أم المساكين) التي كانت أرملة شهيد ، وام سلامة أرملة شهيد قرشى هو ابن عمته ، وام حبيبة بنت أبي سفيان ، تزوجها على البعد ، وهي في الحبشة ، ليقيل عثرتها ، ولم يدخل بها الا بعد سنوات . ثم كان زواجه من جويرة بنت الحارث ، وصفية بنت حيي ابن اخطب وقعتا أسيرات ، وكانت كل منهما : ابنة سيد قومه . ولقد كان من تعاليمه صلى الله عليه وسلم التي التزم بها طوال حياته هي قوله : « اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه » (١) .

ولقد بدأ رسول الله تعدد الزوجات بعائشة قرب نهاية العام الهجرى الأول وانتهى بميمونة قرب نهاية العام الهجرى السابع ، وكان أمر الله اليه : ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك ، وكان الله على كل شيء رقيبا ﴾ (الأحزاب : ٥٢) . ولقد توقف الرسول عن التزوج بعد ذلك ، وكان جملة من جمع بينهن تسع زوجات وسرية ، أى عشر نساء .

والآن ، تقول : ماذا لو أضاف رسول الله الى نسائه - مثلا - تسع زوجات أخريات ... لقد كان مثل هذا القدر

(١) رواه ابن ماجه .

من التعدد سنة الأنبياء السابقين ، أهل الوحي والحديث مع الله ، وان هذا ما علمناه من أنباء ابراهيم وجدعون وداود وسليمان ...



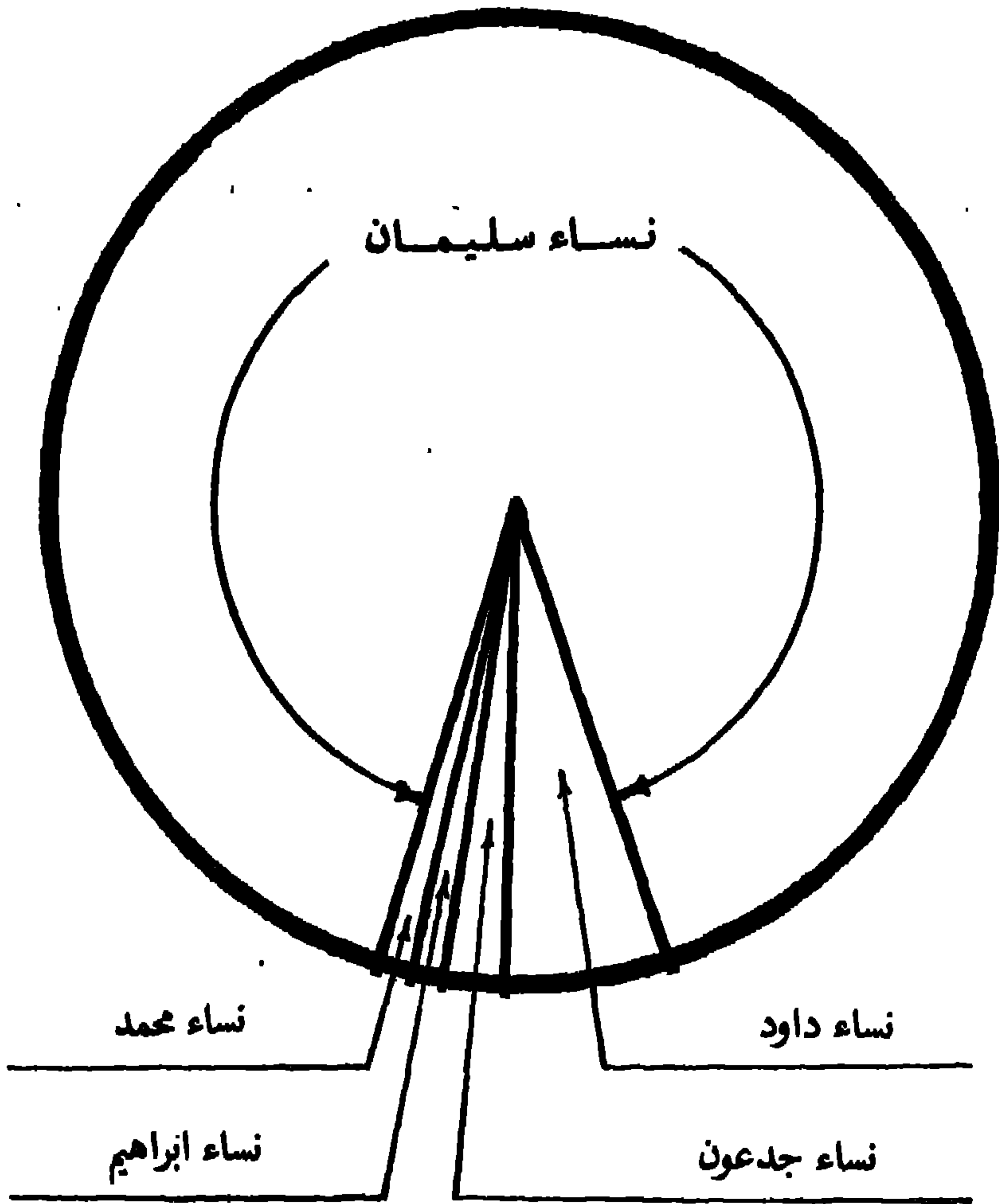
هذا - ويقول الدكتور نظمي لوقا في تقرير عام عن زوجات النبي : « هؤلاء زوجاته اللواتي بنى بهن ، وجمع بينهن • لم تكن واحدة منهن هدف اشتهاه كما يزعمون • وما من واحدة منهن الا كان زواجه بها أدخل في باب الرحمة واقالة العثار والمواساة الكريمة ، أو لكسب مودة القبائل وتأليف قلوبها بالمصاهرة وهي بعد حديثه عهد بالدين الجديد •

هي ضريبة واجب اذن أو ضريبة مكانة وزعامة • وأخال لو كان له اخوة لزوجهم على ذلك المنوال ليحملوا عنه بعض تلك الأعباء •• وما كان من الهين على رسول قائد جيش وحاكم دولة محاربه ان يزيد أعباءه بما يكون في بين كثير النساء من خلافات على صغائر الأمور ••• ولكنه الواجب : واجب الدعوة أو واجب النخوة •• وستان ذلك وما يتشدقون به من أمانة النزوة و •••

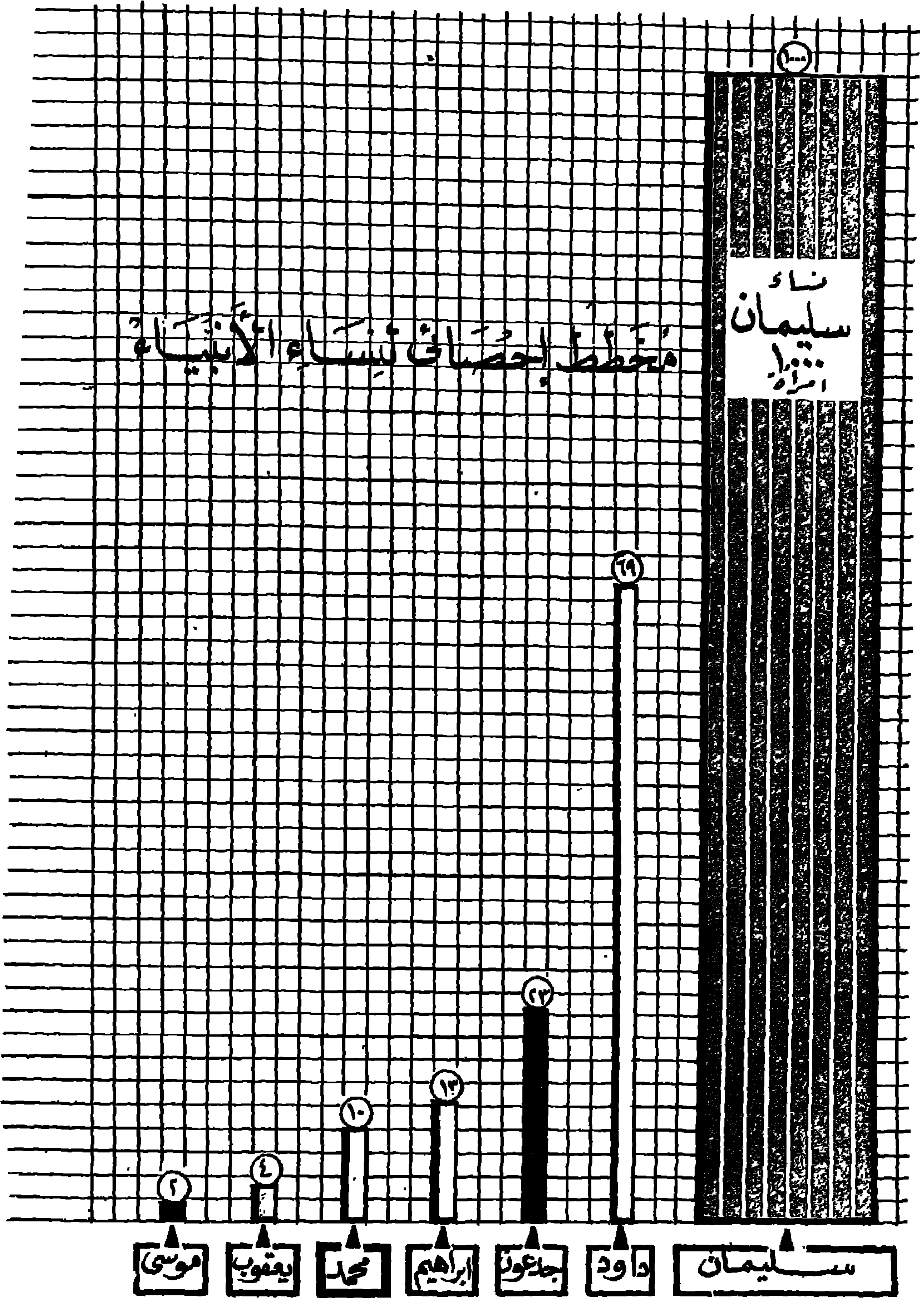
واجب باهظ التكاليف من أعصابه وذهنه ، واجب أقدم البعض على استغلاله استغلالا منكرا ، فرأينا من يعضلها أن تجد زوجا ، لا ترعى الحشمة وتذهب الرسول تعرض عليه نفسها ، متطاولة الى شرف أمومة المؤمنين ، وهي غير أهل لذلك الشرف بمحتد أو فضل أو سابقة جهاد • ويسكت محرجا لا يريد أن يجرح كرامة تلك المجترئة ، عسى أن تنصرف عنه • وهو يعلم أن قبوله الزواج من مثلها سيفتح عليه بابا لا قبل له به • ولولا أن أحد أصحابه جعل نفسه فداء للرسول في ذلك الزواج بالهبة ، لأوذى في حياته باحدى خطتين : اما التورط في القبول ، أو المجاهرة بالرفض الصريح •••

وأقنذه القرآن بعد ذلك من مثل هذا التورط الفادح ، فحرم

المخطط النسبي لتعدد نساء الأنبياء



تناسب مساحة القطاع مع عدد نساء النبي المناظر له



شكل رقم (1)

عليه بصريح النص في سورة الأحزاب (الآية ٥٢) أن يتزوج النساء من بعد أو أن يبدل بهن أزواجهن أخريات « (١) » .

ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ﴾ (الأحزاب : ٥٠) : « أن رسول الله ﷺ جاءته امرأة فقالت : يا رسول الله ، انى قد وهبت نفسى لك . فقامت قياما طويلا .

فقام رجل ، فقال : يا رسول الله ، زوجنيها ان لم يكن لك بها حاجة .

فقال رسول الله ﷺ : هل عندك شيء تصدقها اياه ؟
فقال : ما عندي الا ازارى هذا . فقال رسول الله ﷺ :
ان أعطيتها ازارك ، جلست لا ازار لك ، فالتمس شيئا . فقال :
لا أجد شيئا . فقال : التمس ولو خاتما من حديد . فالتمس فلم يجد شيئا .

فقال له النبي ﷺ : هل معك من القرآن شيء ؟ قال :
نعم ، سورة كذا ، وسورة كذا - السور يسميها - فقال له
النبي ﷺ : زوجتكها بما معك من القرآن » .

*

وان نظرة على المخطط الاحصائي لنساء الأنبياء - شكل (١) -
لكفيلة بيان ما كان من أمر تعدد نساء الأنبياء ، وتسهيل المقارنة
بينهم في هذا الجانب من حياتهم ، والذي دأب كثير على الخوض فيه
بغير علم ، أو طمسا للحقائق بغرض التزييف . . فمن هذا الشكل يتبين
أن عدد النساء لكل هؤلاء الأنبياء كالاتى : سليمان ١٠٠٠ امرأة ،
داود ٦٩ امرأة ، جدهون ٢٣ امرأة ، ابراهيم ١٣ امرأة ، محمد ١٠ نساء ،
يعقوب ٤ نساء ، موسى امرأتان .

*

(١) محمد في حياته الخاصة ص ١١٠ - ١١١

ولننظر بتمعن أيضا المخطط الزمني(١) لتعدد نساء داود ومحمد -
شكل(٢)- آخذين في الاعتبار مجموعة من العوامل الهامة ، يأتي في مقدمتها :
أن محمدا صاحب رسالة الهيئة عالمية وشريعة جديدة وجب أن توضع موضع
التنفيذ ، وهو شيء لا عهد للعرب بمثله من قبل • وفي هذا
يقول القرآن تبكيئا لأولئك الجاحدين : ﴿ أم آتيناهم كتابا من قبله
فهم به مستمسكون • بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم
مهتدون • وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال
مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتصدون • قال
او لو جئناكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا انا بما ارسلتم به
كافرون ﴾ (الزخرف : ٢١ - ٢٤) •

هذا ، بينما كان كل هم داود أن يثبت مملكته الصغيرة لتعمل
وفق شريعة موسى التي يعرفها بنو اسرائيل جيدا •

بعد ذلك تأتي عوامل : السن وفترة الشباب وطور الشيخوخة ،
ومرحلة الحروب المتتالية ، ثم احتكاك القوة الاسلامية الناشئة بقوتى
عصر النبوة العظيمين وهما الروم والفرس •

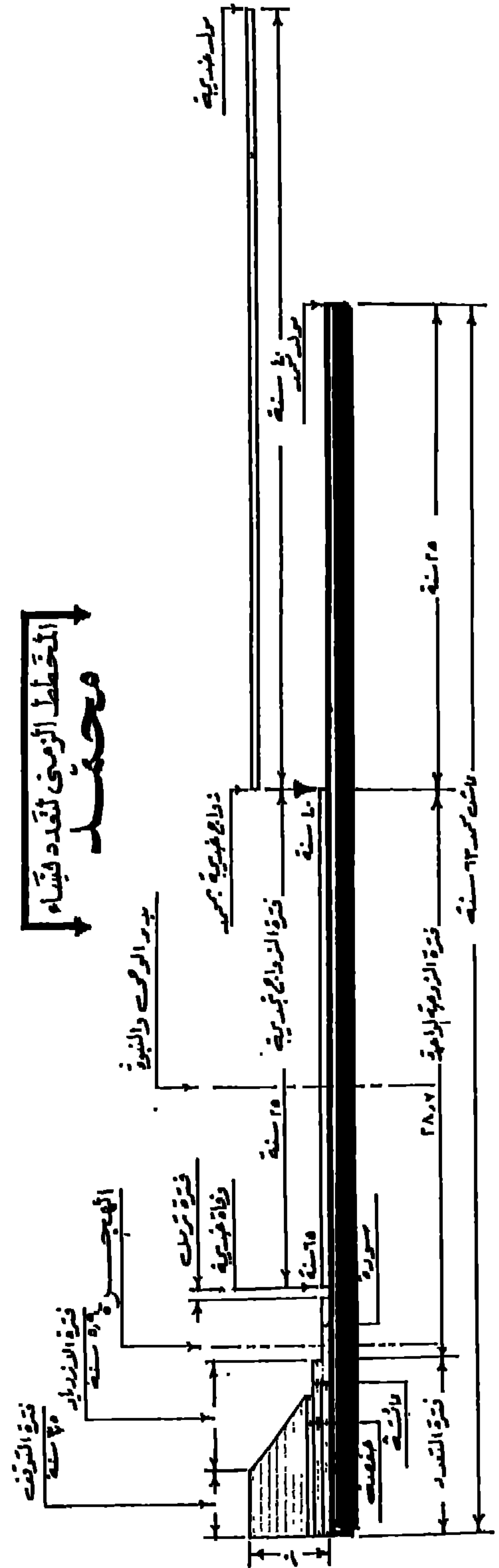
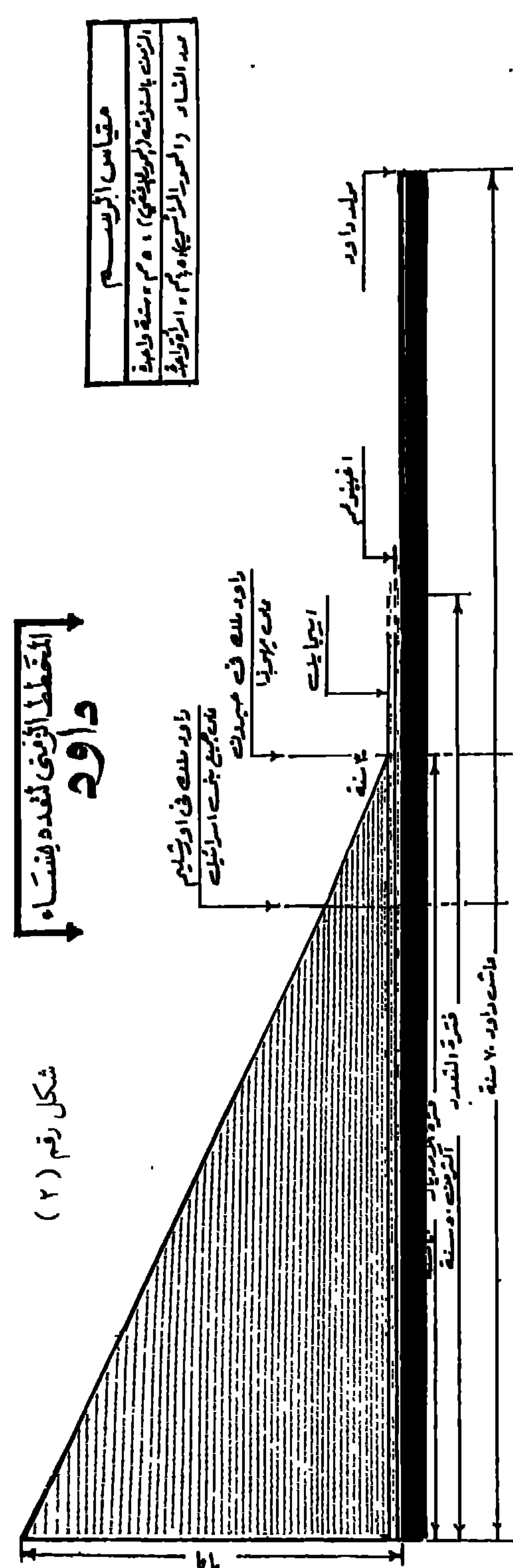
على أن مقارنة بيانات المخطط تعطينا الآتى :

- عدد داود نساءه مبكرا في حياته واستمر لمدة تزيد على
٥٠ سنة ، بينما عدد محمد نساءه لمدة تقل عن ٥٠ من السنوات •

- ملك داود وعمره ٣٠ سنة ، ومنذ ذلك الحين وبحكم عوامل
الملكية والحروب والسبى ازدادت نساؤه • وقد استمرت فترة

(١) مقياس الرسم المذكور في المخطط يمثل النسب قبل عملية
تصغير الشكل الى أبعاده الحالية .

شكل رقم (٢)



الازدياد حتى آخر سنى عمر داود - بأيشج الشونمية - فبلغت
٤٠ سنة ، بينما بدأ محمد فترة الازدياد بعائشة قرب نهاية
العام الهجرى الأول ، وانتهى ييمونة بنت الحارث فى عمرة
القضاء قرب نهاية العام الهجرى السابع ، فبلغت فترة الازدياد أقل
من ٦ سنوات •

- توقف محمد بعد ذلك عن الزواج حتى نهاية حياته ،
وكأنت فترة التوقف هذه نحو ٣٥ من السنوات ، بينما
لا يعرف لدواد فترة توقف حيث استمر الازدياد حتى نهاية حياته •

- أمضى محمد أكثر من ٢٨ سنة من حياته صاحب زوجة
واحده ، فقضى ٢٥ سنة مع خديجة ، أعقبها فترة ترميل ، ثم نحو
٣ سنوات مع سودة الى أن جاءت عائشة •

- توفيت خديجة وعمرها ٦٥ سنة ، وكان عمر محمد صلى الله
عليه وسلم ٥٠ عاما ، فقضى معها كل شبابه الى أن دخل شيخوخته •

*

هذا ، وترينا شبكة العلاقات الزوجية والعائلية - شكل (٣) -
الصلوات التى قامت بين رسول الله وأصحابه ، الأحياء منهم
والشهداء ، وهم الذين كان لهم الدور البارز فى نشر الاسلام •

فهذه الصلات الزوجية ربطت أسماء لها بريقها الاسلامى مثل :
أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وهؤلاء جاهدوا أعظم الجهاد فى سبيل
الاسلام بأموالهم وأنفسهم ، ثم كانوا فيما بعد الخلفاء الراشدين
الذين أعلنوا « لا اله الا الله » للناس من المحيط الأطلسى غربا الى حدود
الصين شرقا •

فلقد تزوج النبى ﷺ عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر •
وتزوج على فاطمة بنت محمد ﷺ •

ثم هناك سبع نساء أخوات هن زينب بنت خزيمة ، وميمونة بنت الحارث ، وسلمى بنت عميس ، وأم الفضل (لبابة الكبرى بنت الحارث) ، وأسماء بنت عميس ، ولبابة الصغرى بنت الحارث ، ثم عصماء بنت الحارث . وهؤلاء النسوة أمهن جميعا هي هند بنت عوف بن زهير ، ولدتهن من آباء مختلفين ، ثم كانت بهن صهرا الى سادة قريش وكبرائها .

ولقد تزوج النبي منهن أختين : الأولى ، زينب بنت خزيمة (أم المساكين) التي بقيت معه بضعة شهور ، ثم توفاه الله . وكانت أرملة لعبيدة بن الحارث شهيد بدر ، وابن الحارث عم النبي .

وأما الثانية ، فكانت ميمونة بنت الحارث ، أرملة في السادسة والعشرين من عمرها ، وهبت نفسها للنبي ، وكانت آخر زوجاته .

ولقد كانت أختها الثالثة سلمى بنت عميس زوجة لحمزة عم النبي ، بطل غزوة بدر الكبرى ، وأسد الله يوم أحد ، ثم شهيد أحد .

وكانت أختها الرابعة أم الفضل زوجة للعباس عم النبي . وكانت أختها الخامسة أسماء بنت عميس زوجة لجعفر بن أبي طالب ، ابن عم النبي ، وشهيد غزوة مؤتة . وقد تزوجها أبو بكر فيما بعد .

وكانت أختها السادسة لبابة الصغرى زوجة للوليد بن المغيرة الذي كان من أئمة الكفر ، والمحاربين للاسلام . وقد أنجبا خالد بن الوليد ، سيف الله المسلول الذي لم يهزم في معركة قط سواء في جاهليته ، أو بعد اسلامه ، وكان بطل الفتوحات الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين .

ثم كانت أختها السابعة عصماء زوجة لأبي بن خلف ، واحدا من
أئمة الكفر الذين آذوا النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ، واستمر يحاربه
حتى قتل في أعقاب أحد .

ولقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة ، أرملة عبد الله
ابن عبد الأسد صاحب الهجرتين ، وقد شهد بدرًا وأحدا وكان ابن برة
عمة النبي صلى الله عليه وسلم .

كذلك تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، ابنة
أميمة عمة النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان أبو لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم قد زوج ابنه عتبة من
رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، كما أن أخاه عتيبة تزوج أختها
أم كلثوم . فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى
الاسلام ، حاربه عمه أبو لهب حربا شرسة دفاعا عن أصنامهم ودين
آبائهم ، وأمر ابنه بمفارقة ابنتي النبي صلى الله عليه وسلم .

فتزوج عثمان رقية بمكة ، وهاجرت معه إلى الحبشة ، ثم عادا
حيث توفيت في شهر رمضان ، على رأس تسعة عشر شهرا من
الهجرة .

بعد ذلك تزوج عثمان أختها أم كلثوم ، ودخل بها في جمادى
الآخرة من السنة الثالثة من الهجرة ، وعاشت معه إلى أن توفيت في
شعبان من السنة التاسعة من الهجرة .

وتزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب . . .
وهكذا نجد أن الصلات الزوجية والعائلية بين النبي صلى الله
عليه وسلم وكل من أصحابه وأعدائه ، كانت تمثل شبكة كبيرة متداخلة ،
ذات أثر خطير في النضال من أجل الدعوة إلى الاسلام .

* * *

خصوصية التشريع

ان خصوصية التشريع مبدأ مقرر في التشريعات الدينية ، كما تؤكد الدراسة المقارنة لهذه التشريعات • وما يعيننا في هذا المقام هو اعطاء بعض الأمثلة التي تؤكد هذا المبدأ •

● من شريعة موسى :

« قال الرب لموسى : كلم الكهنة بنى هارون وقل لهم :

١ - لا يتنجس أحد منكم لميت في قومه ، الا لأقربائه الأقرب اليه : أمه وأبيه وابنته وأخته • وأخته العذراء القريبة اليه التي لم تصر لرجل ، لأجلها يتنجس • كزوج لا يتنجس بأهله لتدنيسه ••

٢ - امرأة زانية ، أو مدفنة لا يأخذوا ، ولا يأخذوا امرأة مطلقة من زوجها ، لأته مقدس لاله ••

٣ - واذا تدنست ابنة كاهن بالزنا فقد دست أباه •
بالنار تحرق •

٤ - والكاهن الأعظم بين اخوته ، الذي صب على رأسه دهن المسحة •• لا يأتي الى نفس ميتة ولا يتنجس لأبيه أو امه ••

٥ - هذا يأخذ عذراء ، أما الأرملة والمطلقة والمدنسة والزانية ، فمن هؤلاء لا يأخذ ، بل يتخذ عذراء من قومه امرأة - سفر اللاويين ٢١ : ١ - ١٥ » •

تقرر شريعة موسى أن « من مس ميتة انسان ما يكون نجسا سبعة أيام •• كل من مس ميتة انسان قد مات ، ولم يتطهر ، ينجس مسكن الرب • فتقطع تلك النفس من اسرائيل ••

هذه هي الشريعة • اذا مات انسان في خيمة ، فكل من دخل الخيمة وكل من كان في الخيمة يكون نجسا سبعة ايام •

وكل اناة مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فانه نجس (!)

وكل من مس على وجه الصحراء قتيلا بالسيف ، أو ميتا ، أو عظم
انسان ، أو قبرا يكون نجسا سبعة أيام - سفر العدد ١٩ : ١١ - ١٦ «
فشريعة موسى صارمة في أشياء كثيرة ، ومنها اعتبار من مس
انسانا ميتا يكون نجسا ، عليه التطهير والا فعقوبته الموت قتلا .

فمن الفقرات السابقة نجد أنه :

إذا مس الاسرائيلي العادي - من غير الكهنة - ميتا ، فانه يتطهر
ولا شيء عليه بعد ذلك . أما الكاهن فغير مسموح له بمس الميت الا
لأقربائه الأقرب (الفقرة رقم ١) .

وأما الكاهن الأعظم - أو رئيس الكهنة - فمحرم عليه مس ميت
ولو كان أباه أو أمه (الفقرة رقم ٤) .

وإذا كانت الفقرة رقم (٢) لم تورد الأرملة من بين أصناف النساء
اللاتى يحرم على الكاهن الزواج بهن ، ومن ثم فيسمح له أن يتزوج
الأرملة ، فان الفقرة رقم (٤) قد حرمت على الكاهن الأعظم أن يفعل
ذلك ، وقصرت زواجه على العذراء فقط .

كذلك تجعل شريعة موسى القتل عقوبة للزنا (سفر اللاويين -
الاصحاح ٢٠) ، وتشتد العقوبة لتصير احراقا بالنار : « اذا اتخذ
رجل امرأة وأمها ، فذلك رذيلة . بالنار يحرقونه واياهما ، لكى لا يكون
رذيلة بينكم - سفر اللاويين ٢٠ : ١٤ » .

أما في حالة زنا ابنة الكاهن فعقوبتها مشددة ، وهى الاحراق
بالنار ، وليس القتل (الفقرة رقم ٣) .

مما سبق يتبين أنه رغم أن القضية أو الجريمة واحدة ، الا أن
التشريع أو العقوبة تختلف بالنسبة للأفراد المتميزين .

● في المسيحية :

منذ بدأ المسيح دعوته في بني اسرائيل وهو حريص على تأكيد التزامه بناموس موسى وتعاليم النبيين من بعده . فلقد أعلن ذلك في مستهلها ، في موعظة الجبل (متى ٥ : ١٧ - ١٩) ، كما ألزم تابعيه والمؤمنين به في آخر لقاء جماهيري له ، بتنفيذ كل ما يقوله الكتبة والفريسيون باعتبارهم القائمين على أمر شريعة موسى (متى ٢٣ : ١ - ٣) .

وبعد سنوات من رحيل المسيح ، ظهر بولس اليهودي فجأة بين التلاميذ . ولما جاء الى اورشليم « حاول أن يلتصق بالتلاميذ . وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ . فأخذه برنابا وأحضره الى الرسل - أعمال الرسل ٩ : ٢٦ - ٢٧ » .

ثم استطاع أن يجعل نفسه رسول المسيحية الأكبر . ومشرعها ، فأفتى بأرائه الشخصية في الكثير من القضايا التي لا تزال تثير جدلا حتى الآن . وقد اعترف بذلك صراحة في رسائله ، كما اعترف بأنه يظن ان عنده روح الله - فقال :

« أما الباكون فاقول لهم انا ، لا الرب : ان كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترضى أن تسكن معه فلا يتركها . . .
أما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن ، ولكني أعطى رأيا -
(١) كورنثوس ٧ : ١٢ ، ٢٥ » .

« لست أقول هذا على سبيل الأمر بل باجتهاد آخرين . . .
أعطي رأيا في هذا ايضا ، لأن هذا ينفعكم - (٢) كورنثوس ٨ : ٨ ، ١٠ » .
« وأظن اني انا ايضا عندي روح الله - (١) كورنثوس ٧ : ٤ » .

ثم كان من تشريع بولس أن أحل لنفسه كل الأشياء ، فقال :
« كل الأشياء تحل لي ، لكن ليس كل الأشياء توافق .
كل الأشياء تحل لي ، لكن لا يتسلط على شيء . . .

كل الأشياء تحل لى ، لكن ليس كل الأشياء توافق •

كل الأشياء تحل لى ، ولكن ليس كل الأشياء تبنى - (١)

كورنثوس ٦ : ١٢ ، ١٠ ، ٢٣ » • •

ان شريعة موسى ، بل وكل الشرائع ، تعلم متبعتها أن هناك : حلالا
وحراما ، وهناك طاهرا ونجسا ، وعلى كل مؤمن بها أن يعرف هذا
وذاك : « للتمييز بين المقدس والمحلل ، وبين النجس والطاهر • ولتعليم
بنى اسرائيل جميع الفرائض التي كلمهم الرب بها ، بيد موسى - سفر
اللاويين ١٠ : ١٠ - ١١ » •

ولقد كان من نتاج قول بولس في تحليل كل الأشياء له ، أن
اندفع أهل كورنثوس في طريق الزنا الفاحش وارتكاب الموبقات • وفي
هذا يقول المفسرون ، على استحياء ، تعليقا على تشريع بولس في
تحليل كل شيء له : « ربما كان هذا القول من أقوال بولس اخذه
بعض اهل قورنثس فتوسعوا في تفسيره ، حتى وصلوا الى حد
الاباحية » (١) •

على أن ما يعنينا الآن ، هو تأكيد مبدأ خصوصية التشريع في
المسيحية • فلقد أحل بولس كل الأشياء لنفسه ، وان بقى بعضها
محراما على غيره •

* *

● في الاسلام :

١ - حذر الله نبيه من الركون الى فتنة الكفار ، فقد يعرضون
عليه عروضاً فيها مكر ومداهنة ، كاقتراح حل وسنط - بزعمهم -
بين الشرك والتوحيد ، وأشباه ذلك من أحاييل الشيطان التي لا تنتهى •
فقد « اعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة
الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، والوليد بن المغيرة ،

(١) العهد الجديد - منشورات دار المشرق - بيروت .

وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل السهمي ، وكانوا ذوى أسنان في قومهم ، فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت في الأمر . فان كان الذى تعبد خيرا مما نعبد ، كنا قد أخذنا بحظنا منه . وان كان ما نعبد خيرا مما تعبد ، كنت قد أخذت بحظك منه . فأنزل الله تعالى فيهم :

﴿ قل يا ايها الكافرون . لا اعبد ما تعبدون . ولا انتم عابدون ما اعبد . ولا انا عابد ما عبدتم . ولا انتم عابدون ما اعبد . لكم دينكم ولى دين ﴾ (سورة الكافرون) (١) .

ولقد عرف الله نبيه حقيقة أمرهم ، فقال : ﴿ فلا تطع المكذبين . ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ (القلم : ٨ - ٩) .
وكان أمر الله اليه صريحا أن يبلغ الرسالة ويجابه المشركين دون تردد ، فقال سبحانه :

﴿ يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ (المائدة : ٦٧) .

﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ (الحجر : ٩٤) .
فاذا فتن المشركون الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، كان عذابه مضاعفا :

﴿ اذن لأذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ (الاسراء : ٧٥) .

الحق أن هذه الآيات لجديرة بالتدبر من جانب المكذبين ، فوجودها في القرآن بهذه الصيغة ، آية حق وصدق : القرآن حق ، والرسول صلى الله عليه وسلم صادق .
ان الفتنة والاختبار قاعدة عامة يتعرض لها كل الناس ، وعلى

(١) تهذيب سيرة ابن هشام - ص ٧٨

رأسهم الأنبياء : يفتنون في أنفسهم ويفتنون في عالمهم المحيط بهم من كل جانب .

وها هو المسيح قد تعرض للفتنة من الشيطان ، لكنه استعصم بما حفظه من التوراة ، وبما علمه الله ، فمرت التجربة بسلام .

« اصعد يسوع الى البرية ليجرب من ابليس . فبعد ما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة ، جاع أخيرا . فتقدم اليه المجرب وقال له : ان كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا . فأجاب وقال : مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله .

(وهذا المكتوب جاء في سفر التثنية ٨ : ٣) .

ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل ، وقال له : ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل . لأنه مكتوب انه يوصى ملائكته بك ، فعلى أيديهم يحملونك لكي تصدم بحجر رجلك .

قال له يسوع : مكتوب ايضا ، لا تجرب الرب الهك .

(والمكتوب الذي أشار اليه ابليس جاء في المزمور ٩١ : ١١ - ١٢ أما المكتوب الذي أشار اليه المسيح فقد جاء في سفر التثنية ٦ : ١٦) .

ثم أخذه أيضا ابليس الى جبل عال جدا ، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها . وقال له : أعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لي .

حينئذ قال له يسوع : اذهب يا شيطان . لأنه مكتوب : للرب الهك تسجد ، وإياه وحده تعبد .

(وهذا المكتوب جاء في سفر التثنية ٦ : ١٣ ، ١٠ : ٢٠ - سفر

يشوع ٢٤ : ١٤ - وسفر صموئيل الأول ٧ : ٣) .

« ثم تركه ابليس - انجيل متى ٤ : ١ - ١١ » .

« ولما أكمل إبليس كل تجربة ، فارقه الى حين - انجيل

لوقا ٤ : ١٣ » •

٢ - أنذر الله زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بمضاعفة العذاب عقابا لما قد يقع منهن من خطايا كبرى وفواحش ، فهن لسن مثل باقى النساء من هذا الجانب • انهن زوجات نبي يأتيه وحى الله وصاحب رسالة كبرى للناس أجمعين ، فليعرفن موقعهن جيدا ، وليترفعن عن كل صغار يتدنى اليه غيرهن من النساء ، فقال سبحانه : ﴿ يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها

العذاب ضعفين ، وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ (الأحزاب : ٣٠) •

واقضى عدل الله ورحمته أن يكون ثوابهن مضاعفا حين يستقمن على أمر الله وشرعه ، فقال سبحانه :

﴿ ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين

واعتدنا لها رزقا كريما ﴾ (الأحزاب : ٣١) •

٣ - حرم الله على نبيه التزوج بغير من كن معه ، وقد توقف صلى الله عليه وسلم عن أخذ زوجات أخريات منذ نزول هذا الأمر الالهى حتى نهاية حياته ، ولمدة أكثر من ثلاث سنوات ، فقال سبحانه :

﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج ولو

اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك ، وكان الله على كل شيء رقيبا ﴾ (الأحزاب : ٥٢)

٤ - نزلت بعد ذلك آية تحديد الزوجات بما لا يتعدى أربعا ، مع تفضيل الاكتفاء بزوجة واحدة مخافة عدم العدل بينهن :

﴿ وان خفتن الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء

مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتن الا تعولوا فواحدة او ما ملكت ايماكنم ،

ذلك ادنى الا تعولوا ﴾ (النساء : ٣) •

« وقد كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع نسوة ،
فعرض عليهن المفارقة مع المتاع لمعاشهن ، فلم تقبل أيتهن أن تدع المفخرة
أن تكون أم المؤمنين ، فأبقاهن كلهن برخصة من الله جباله فكاحه بشرط
ألا يطاء إلا الأربيع منهم ، فقبلن الشرط »^(١) وقد كان ذلك اكراما
لهن ، قرت به أعينهن ، وذلك استقامة مع قول الله سبحانه الى نبيه :
﴿ ترجى من تشاء منهم وتوى اليك من تشاء ، ومن ابتغيت
ممن عزلت فلا جناح عليك ، ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين
بما آتيتهن كلهن ، والله يعلم ما فى قلوبكم ، وكان الله عليهما حلِيمًا ،
(الأحزاب : ٥١)

ويقول القرطبي فى تفسير هذه الآية : « كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد هم بطلاق بعض نساءه ، فقلن له : اقسام لنا
ما شئت . فكان ممن آوى عائشة ، وحفصة ، وام سلمة ، وزينب ،
فكان قسمتهن من نفسه وماله سواء بينهن . وكان ممن أرجى :
سودة ، وجويرية ، وأم حبيبة ، وميمونة ، وصفية » .

هذا - ولما كانت شريعة موسى تحرم على الكاهن - كما
رأينا - أن يأخذ « زانية أو مدنسة » . ولما كان داود نبيا حل
عليه « روح الرب » منذ مسحه صموئيل ، وكان يقول فى وحيه :
« روح الرب تكلم بى ، وكلمته على لسانى » ، فهو اذن أكبر من
كاهن ، بل انه الذى يعين الكاهن الأكبر أو يعفيه ، ومن ثم تفرض عليه
شريعة موسى ألا يأخذ « زانية أو مدنسة » . ولما كان ابنه أبشالوم
قد زنى بسرارى آييه العشر اللاتى أبقاهن أبوه لحفظ البيت ابان
ثورة ابنه ضده ، فقد وجب على داود أن يفارقهن فوراً ويقطع
صلته بهن ، وفقا لشريعة موسى .

لكن ما فعله داود هو أن أبقاهن فى بيته « وكان يعولهن ولكن

(١) سيرة ابن هشام ص ٢٤٩ (تعليق المحقق محمد حميد الله) .

لم يدخل اليهن « ، وذلك اكراما لهن حتى لا يتعرضن لمهانات أخرى ،
أو يقعن تحت رجل آخر بعد أن كن تحت داود مسيح الرب •

✱

ان خصوصية التشريع - اذن - تفتح بصيرة الناس لتفهم ما كان
من أمر النبي صلى الله عليه وسلم ونسائه ، فتسمو بتفكيرهم بعيدا
عن التدنى وسوء الظن ، وتتقدم بذلك من عقاب الهى دونه عقاب
مريم وهارون حين عابا على موسى تعدد زوجاته . باتخاذها امرأة كوشية •

وبمقتضى خصوصية التشريع ، أبقى النبي صلى الله عليه وسلم
نساءه فى بيته دون تسريح ، اكراما لهن ، وقد رفعت أقدارهن بعد
أن صرن « أمهات المؤمنين » ، ومن ثم حرم الله الزواج بهن من بعده ،
فقال سبحانه : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجه أمهاتهم ،
وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين
إلا ان تفعلوا الى أولياتكم معروفا ، كان ذلك فى الكتاب مسطورا ﴾
(الأحزاب : ٦)

﴿ وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من

بعده أبدا ، ان ذلكم كان عند الله عظيما ﴾ (الأحزاب : ٥٣) •

وبمقتضى خصوصية التشريع ، فرض على النبي صلى الله عليه
وسلم قيام الليل الا قليلا ، وذلك منذ أوائل نزول الوحي بالقرآن ،
وقبل أن تفرض الصلاة على أمته ، فكان أمر الله اليه : ﴿ يا ايها المزمّل •
قم الليل الا قليلا • نصفه أو انقص منه قليلا • أو زد عليه ورتل القرآن
ترتيلا • انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ﴾ (المزمّل : ١ - ٥) .

وكذلك فرض على النبي صلى الله عليه وسلم التهجّد بالليل ،

فيقوم للصلاة بعد نوم : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا ﴾ (الاسراء : ٧٩) •

وذكر ابن كثير فى معنى قوله تعالى : ﴿ نافلة لك ﴾ :

« أنك مخصوص بوجوب ذلك وحدك ، فجعلوا قيام الليل واجبا في حقه
دون الأمة » •

وبمقتضى خصوصية التشريع ، كان النبي صلى الله عليه وسلم
يصوم صوم الوصال ، أى يصل يوما آخر أو أكثر دون أن
يفطر ، لكنه نهى المسلمين عن ذلك • يقول ابن كثير في تفسير قوله
تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط
الأسود من الفجر ، ثم اتموا الصيام الى الليل ﴾ (البقرة : ١٨٧) :
« عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تواصلوا •
قالوا : يا رسول الله ، انك تواصل • قال : « فانى لست مثلكم ، انى
أبيت يطعمنى ربي ويسقيني » •

وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : نهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الوصال رحمة لهم ، فقالوا : انك تواصل • قال : « انى لست
كهيتكم ، انى يطعمنى ربي ويسقيني » •

فقد ثبت النهى عنه من غير وجه ، وثبت انه من خصائص النبي
صلى الله عليه وسلم » •

وبمقتضى خصوصية التشريع ، أن النبي صلى الله عليه وسلم
لا يورث ، وذلك خلافا لما عليه حال بقية المسلمين الذين حدد الله
لكل منهم نصيبا مفروضا • فقد قال أبو بكر : « سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : انا لا نورث ، ما تركناه صدقة » •

وعن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقسم
ورثتى ديناراً ولا درهما • ما تركت بعد نفقة نسائي ومثونة عاملى
فانه صدقة (١) •



(١) نهاية الارب ص ٣٩٦

مما سبق يتبين أن ابقاء النبي صلى الله عليه وسلم على زوجاته دون مفارقة لمن زدن عن أربع ، انما يتفق وخصوصية التشريع ، ويقدم أفضل موازنة بين تشريع القصر على أربع نساء آواهن اليه هن : عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب بنت جحش ، وبين الابقاء على الأخريات بمقتضى خصوصية التشريع المعمول بها في الشرائع السابقة ، والتي يلاحظ أنها جاءت في الاسلام لتلقى على النبي صلى الله عليه وسلم اعباء واجهادات شتى ، فكانت بحساب الدنيويات مغرما ، لا مغنما ، وكانت مشقات ومسئوليات .

* *

● هؤلاء الراؤون ...

لقد رأينا أن تعدد زوجات محمد صلى الله عليه وسلم ليس بدعا في سلوك الأنبياء ورجال الوحي الالهى . ولم تكن واحدة منهن دافع نزوة طارئة ، أو شهوة جامحة كتلك التى أصابت داود حين رأى بشبع عارية وهى تستحم ، ففقد السيطرة على نفسه تماما (كما ورد في كتابهم المقدس) . ولقد كانت عنده الفرصة كاملة أن يضبط نفسه خلال الفترة الزمنية التى استغرقتها عملية ارسال رجاله لاحضارها اليه ، بعد أن تنتهى من غسلها ، وترتدى ملابسها ، وتهبط من سطح منزلها ... الخ . ان أقل من تلك الفترة كاف لاعادة التوازن النفسى الى رجال أقل من داود كثيرا في مقام القرية من الله ، رجال يقول فيهم القرآن الكريم : ﴿ اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ﴾ (الأعراف : ٢٠١)

ولقد أجمعت الروايات المتناقضة التى تحدثت عن قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش ، على أنه أصر على أن يبقىها زيد فى عصمته ولا يطلقها . فماذا يريد الخائضون فى هذا الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعل أكثر من هذا ! ولكن ما الحيلة فى القلوب المريضة ! انها قلوب ليس لها من شفاء الا يوم الحسرة ...

ان تاريخ الأنبياء حافل بتلك المواقف وأشباهاها . فمن قبل كان يحيى معتزلا الناس ، عازفا عن الدنيا ، شديدا على نفسه ، فلم يعجب ذلك بنى اسرائيل . ولما كان المسيح يخالط الناس ويتناول من صنوف الطعام والشراب ما يشبع شهواته ، فلم يعجب ذلك بنى اسرائيل أيضا . فقد قال لتلاميذه « شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم . . ثم تناول كأسا (من الخمر) وشكر وقال خذوا هذه واقتسموها بينكم - لوقا ٢٢ : ١٤ - ١٦ » ، وفي هذا يقول الانجيل على لسان المسيح : « جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب ، فيقولون به شيطان . جاء ابن الانسان (المسيح) يأكل ويشرب ، فيقولون هو ذا انسان أكول وشرب خمر - متى ١١ : ١٨ - ١٩ » .

ويقول جون فنتون في تعليقه على هذه الفقرة : « لقد دعا كل من يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) والمسيح الى التوبة ، لكن اليهود لم يستجيبوا لهما ، فاليهود يشبهون أولادا سيئ المزاج مثيرين للخصام ، لا يعجبهم شيء . لقد عاش يوحنا بينهم ناسكا متقشفا فقالوا به شيطان ، ولما لم يكن المسيح متقشفا فقد قالوا انه ماجن ملحد » (١) .



وكما أنه : لا حياة في العلم ، حيث يتعلم الدارسون تكوين الأعضاء الجنسية وتشريحها ووظائفها ، كذلك : لا حياة في الدين ، حيث توجد تعاليم وآداب : يجب على المؤمن اتباعها حين يمارس الجنس ممارسة شرعية ، فتتحقق بذلك الاستفادة الكاملة من حكمة خلق « الزوجين : الذكر والأنثى » ، ويرتقى الانسان بغيريته هذه حين يمارسها تحت ضوابط وقيم ، فلا يفعل خلال لحظاتها عن أداء ما عليه من واجبات . لا حرج - اذن - أن نذكر تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الجانب الخطير من حياة البشر ، والذي تكون ثمرته

J. Fenton : Saint Matthew, p. 180.

(١)

مولد انسان ... الانسان أعظم اختراع ، الذي كرمه الله بالخلافة ،
وسخر له كل ما في الكون ، اذ يقول الحق في قرآنه : ﴿ وسخر لكم
ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ، ان في ذلك لآيات لقوم
يتفكرون ﴾ (الجاثية : ١٣) •

يقول أبو حامد الغزالي فيما استخلصه من تعاليم النبي صلى الله
عليه وسلم في آداب الجماع : « يستحب أن يبدأ باسم الله تعالى ،
ويقرأ ما قل هو الله أحد - أولا ، ويكبر (يقول : الله أكبر) ويهلل
(يقول : لا اله الا الله) ، ويقول : بسم الله العلي العظيم ، اللهم اجعلها
ذرية طيبة ان كنت قدرت أن تخرج ذلك من صلبى ••

واذا قربت من الانزال ، فقل في نفسك ولا تحرك شفقتك : الحمد
لله ﴿ الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ، وكان ربك قديرا ﴾
(الفرقان : ٥٤)

وليغظ نفسه وأهله بثوب • كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يغطي رأسه ويغض صوته •• وفي الخبر (حديث ابن ماجه) : (اذا
جامع أحدكم أهله ، فلا يتجردان تجرد العيرين) أى الجمارين • ثم
اذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضى هى أيضا نهمتها •• ثم
العود عنها ايداء لها •• فانها ربما تستحي «(١) •

والعدل بين النساء واجب مفروض ، فقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « من كان له امرأتان فمال الى احدهما دون الأخرى ،
جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل »(٢) •



ان الغذاء ضرورة للابقاء على حياة الانسان ، لكن ممارسة
الجنس ضرورة للابقاء على نوع الانسان واستمرار بقائه على وجه

(١) احياء علوم الدين - الجزء الرابع ص ٧٣٣

(٢) المرجع السابق ص ٧٣٠

الأرض • ومن هنا كانت ممارسة الجنس وفق شريعة الله - بالزواج -
بناء حياة ، وضرورة جسد ، وسكن نفس ، ومن ثم كانت نعمة تفضل
الله بها على عباده ، فأعطى كل زوج وزوجه المقابل • فحين استسلم داود
لشهوته أمام تلك المرأة العارية وزنى بها ثم تأمر على زوجها فقتله
بمكيدة في الحرب (حسب رواية كتابهم المقدس) جاءه التبكيت من النبي ناثان
يذكره بما أعطاه الله من أنعم ، فيقول له « هكذا قال الرب له
اسرائيل : أنا مسحك ملكا على اسرائيل (نعمة أولى) ••• وأنقذتك
من يد شاول (نعمة ثانية) ••• وأعطيتك بيت سيدك (نعمة ثالثة) •••
ونساء سيدك في حضنك (نعمة رابعة) •••

لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه ، قد قتلت أوريا
الحثي بالسيف ، وأخذت امرأته لك امرأة ••• - صموئيل
الثاني ١٢ : ٧ - ٩ » •

ان ممارسة الجنس شرعا - بالزواج أو التسرى - هي بمقتضى
نصوص الكتاب المقدس نعمة تستوجب شكر الله • فما بال أقوام من
المنافقين ، همزة لزة ، جعلوا من تعدد نساء محمد صلى الله عليه وسلم
أحاديثهم الصاخبة ، ومزاميرهم البالية ، ينعمون بها صباح مساء ،
عبر القرون ! آن لهم أن يرجعوا الى الكتاب يقرأون فيه تبكيت المسيح
لهم ولأمثالهم :

« لا تدينوا لكي لا تدانوا • لأنكم بالدينونة التي بها تدينون ،
تدانون • وبالكيل الذي به تكيلون ، يكال لكم •

ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك ، وأما الخشبة التي في
عينك فلا تفتن لها • أم كيف تقول لأخيك : دعني أخرج القذى من
عينك ، وها الخشبة في عينك •

يا مرأى ! أخرج أولا الخشبة من عينك - متى ٧ : ١ - ٥ » •

الباب الثاني

تعدد الزوجات

- تعدد الزوجات في اليهودية
- تعدد الزوجات في المسيحية
- حقيقة المقال
- الواقع بين النظرية والتطبيق
- تعدد الزوجات في الاسلام

تعدد الزوجات فى اليهودية

ان تعدد الزوجات جائز شرعا فى اليهودية ، ولهم يرد فى أسفار العهد القديم تحديد لعدد النساء اللاتى يسمح بالجمع بينهن • فهذه الأسفار تذكر تعدد الزوجات كأمر مفروغ منه ، لكنها تنظم الأمور التى تترتب عليه : « اذا كان لرجل امرأتان : احدهما محبوبة والأخرى مكروهة ، فولدتا له بنين ، المحبوبة والمكروهة • فان كان الابن البكر للمكروهة ، فيوم يقسم لبيه ما كان له ، لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرا على ابن المكروهة البكر • بل يعرف ابن المكروهة بكرا ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده ، لأنه هو أول قدرته ، له حق البكورية - تثنية ٢١ : ١٥ - ١٧ » •

ولقد عدد الأنبياء زوجاتهم قبل التوراة ، كما فعل ابراهيم ويعقوب • كما عدد الأنبياء بعد التوراة ، كما فعل موسى وجدهون وداود وسليمان ، وقد بينا ذلك سلفا بتفصيل ، وكما فعل غيرهم ، مثل ألقانة أبو صموئيل النبي ، الذى كان « له امرأتان : اسم الواحدة حنة (أم صموئيل) ، واسم الأخرى فننة - صموئيل الأول ١ : ٢ » •

وبمقتضى تعدد الزوجات نما الشعب الاسرائيلى وتكاثر ، ولقد عرفنا فيما سبق بعضا من أخبار قضاة الذين أقامهم الله لقيادته بعد يشوع وقبل تأسيس المملكة • فقد كان لجدعون ٧٠ ولدا ، ولابسان ٣٠ ابنا و ٣٠ ابنة ، ولعبدون ٤٠ ابنا و ٣٠ حفيدا « يركبون على سبعين جحشا - قضاة ١٢ : ١٤ » •

وكذلك يائير الجلعادى الذى « قضى لاسرائيل اثنتين وعشرين سنة • وكان له ثلاثون ولدا يركبون على ثلاثين جحشا - قضاة ١٠ : ٣ - ٤ » •

ان الكتاب المقدس يبدأ فى صفحاته الأولى بالحديث عن خلق

العالم ، ثم خلق الانسان الأول آدم وزوجه ، ثم يحدد للبشر مهمتهم في الحياة بتحقيق واجبين :

- الأول : التناسل بكثرة لملاء الأرض
- الثاني : التسلط على الأرض وما فيها

وفي هذا يقول : « خلق الله الانسان .. ذكرا وأنثى خلقهم • وباركهم الله وقال لهم : اثمروا ، واكثروا ، واملاوا الأرض ، واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض - تكوين ١ : ٢٧ - ٢٨ » •

ومن هذا المنطلق ، وعملا على تكاثر الشعب الاسرائيلي صاغ علماء بنى اسرائيل هذه المهمة في قوانين ملزمة ، مثلما جاء في كتاب :
الاحكام العبرية (١) •

يقول الكتاب السابع - في النكاح - المادة ٣٩٣ :

« النكاح بنية التناسل ودوام حفظ النوع الانساني فرض على كل يهودى • ومن تأخر عن أداء هذا الفرض وعاش عزبا بدون زواج كان سببا في غضب الله على بنى اسرائيل » •

*

ان التناسل لا يتم الا بالزواج ، وليس بالخصى واعتزال النساء .
كذلك التكاثر لا يتم الا بالحض على الزواج وإباحة تعدد الزوجات •

والتناسل والتكاثر كانا منذ البدء مشيئة الله وأمره للناس جميعا •

* * *

(١) تأليف المسيودى بغلى من علماء اللغات القديمة - نقله الى العربية محمد حافظ صبرى ، وقد علق عليه وجعل عنوانه : المقابلات والمناظرات .

تعدد الزوجات فى المسيحية

أعلن المسيح فى مستهل دعوته الاطار العام لتعاليمه ، فقال مخاطبا الجموع التى تبعته ووقفت تستمع اليه من بنى اسرائيل :

« لا تظنوا انى جئت لانتقض الناموس او الانبياء . ما جئت لانتقض بل لاكمل . فانى الحق اقول لكم : الى ان تزول السماء والارض ، لا يزول حرف واحد او نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل .

فمن نقض احدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا ، يدعى اصغر فى ملكوت السموات . واما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات - متى ٥ : ١٧ - ١٩ » .

وفى نهاية دعوته ، دعا المسيح تابعيه وكل بنى اسرائيل ان يتمسكوا بكل ما يامرهم به الحفظ على شريعة موسى من كتبة وفريسين . وفى هذا يقول الانجيل :

« حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم ان تحفظوه فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب اعمالهم لا تعملوا ، لانهم يقولون ولا يفعلون - متى ٢٣ : ١ - ٣ » .

وبين بداية دعوة المسيح ونهايتها ، نجد فى كل حين مرتبعا تماما بناموس موسى ، حريصا عليه ، داعيا الى الاستمسك به ، بدءا من الوصايا حتى أدق تفاصيل الشريعة اليهودية .

لقد تقدم اليه واحد قائلا : « ايها المعلم الصالح ، أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية ؟

فقال له : لماذا تدعونى صالحا ، ليس أحد صالحا الا واحد ، وهو الله .

ولكن ان أردت أن تدخل الحياة ، فاحفظ الوصايا •

قال له : أية الوصايا ؟

فقال يسوع : لا تقتل • لا تزن • لا تسرق • لا تشهد بالزور •
أكرم أباك وأمك ، وأحب قريبك كنفسك - متى ١٩ : ١٦ - ١٩ « •
وحين شفا أبرصا قال له : « اذهب أر نفسك للكاهن ، وقدم
عن تطهيرك ما أمر به موسى شهادة لهم - مرقس ١ : ٤٤ » •
« وقال له واحد من الجمع : يا معلم ، قل لأخى أن يقاسمى
الميراث •

فقال له : يا انسان ، من أقامنى عليكما قاضيا أو مقسما ! -

لوقا ١٢ : ١٣ - ١٤ « •

من هذا - وغيره - يتبين أن المسيح لم يأت بشريعة جديدة ،
وانما جاء ليحافظ على شريعة موسى وتعاليم النبيين من بعده ، ويدعو
بنى اسرائيل الى السمو الأخلاقي والتخفيف من الماديات • فاذا كانت
شريعة موسى تسمح بالقصاص ، وهذا حق وعادل ، فالأفضل منه
ولا شك العفو والتسامح ••• وهكذا •

*

لكننا نجد في الأناجيل تشريعات تنسب للمسيح ، تناقض
تشريعات موسى وتهدمها من أساسها •

ان ناموس موسى يسمح بالطلاق ، ويجعله حقا مقصورا على
الزوج ، دون الزوجة • وفي هذا يقول :

« اذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فان لم تجد نعمة في عينيه
لأنه وجد فيها عيب شيء ، وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها
وأطلقها من بيته ، ومتى خرجت من بيته وصارت لرجل آخر •

فان أبغضها الرجل الأخير ، وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها

واطلقها من بينته أو اذا مات الرجل الأخير الذى اتخذها له زوجة ،
لا يقدر زوجها الأول الذى طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة -
ثنية ٢٤ : ١ - ٤ « •

فهذا انجيل مرقس ينسب للمسيح تعليما يقول فيه للفريسيين الذين
حاولوا استدراجه والايقاع به :

« من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزنى عليها • وان طلقت امرأة
زوجها وتزوجت بأخر تزنى - ١٠ : ١١ - ١٢ « •

ولقد ورد هذا القول فى انجيل متى بصيغة مغايرة مع التكرار فى
موضعين مختلفين : الأول ، فى موعظة الجبل ، فى ٥ : ٣١ - ٣٢ ،
والثانى فى موضع الاستدراج من الفريسيين ، فى ١٩ : ٩

فهنا نجد الطلاق مسموحا به فى حالة واحدة ، هى حالة ارتكاب
الزوجة - وليس الزوج - جريمة الزنا ، فقال فى الاصحاح رقم ٥ :
« ان من طلق امرأته الا لعلة الزنا - يجعلها تزنى • ومن يتزوج مطلقة
فانى يزنى » •

ثم جاء هذا القول بصيغة مغايرة فى الاصحاح رقم ١٩ ،
حيث سكت عن أن طلاق الرجل امرأته ، الا لعلة الزنا ، يجعلها تزنى ،
واستبدل ذلك بالحديث عن الزوج الذى يطلق امرأته ويتزوج بأخرى ،
فقال :

« ان من طلق امرأته الا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى • والذى
يتزوج بمطلقة يزنى » •

وقد اتفق لوقا (١٦ : ١٨) مع مرقس ومتى فى أشياء ، وخالفهما
فى أشياء ... فهو قد اتفق مع مرقس فى أن : « كل من يطلق امرأته
ويتزوج بأخرى يزنى » •

واتفق مع متى فى أن « كل من يتزوج بمطلقة من رجل يزنى » ،
خلافًا لمرقس الذى لم يذكر شيئا من هذا •

واتفق مع مرقس ، وخالفنا كلاهما متى في أنهما لم يجعلوا حالة
الزوجة الزانية استثناء يعطى لزوجها الحق في الطلاق ، فلقد أبطأ
الطلاق تماما •



لقد اختلفت الأنجيل معا ، وأكثر من هذا ذلك الخلاف الحادث
بين التراجم القديمة والتراجم الحديثة في اللغات المختلفة •
ان الدراسة التفصيلية لهذا الموضوع تتطلب عمل جداول ،
توضع فيها مختلف النصوص الواردة في أنجيل مرقس ومتى ولوقا ،
في صورها المختلفة ، وفي تراجمها القديمة والحديثة ، ثم تقارن معا ،
أخذين في الاعتبار أقوال علماء المسيحية فيها ، وأن التراجم الحديثة
جاءت لتصحيح التراجم القديمة ، وترتقى بقراءتها الى النص الأضلى
المفقود الذى يحاول العلماء دائما بدراساتهم الوصول اليه •

وحتى نجيب القراء كثيرا من التفاصيل التى قد يرى البعض أنها
لا تعنيه كثيرا ، لذا نكتفى بإعطاء ملخص لأحاديث الطلاق التى وردت في
الأنجيل ، والعلاقة غير المباشرة لهذا الطلاق بموضوعنا الرئيسى وهو :
تعدد الزوجات في المسيحية ، على أساس مقارنة النصوص في ثلاث
تراجم مختلفة للأنجيل صدرت في اللغة الواحدة ، ثم مقارنتها معا
في ثلاث لغات هى : العربية ، والانجليزية ، والفرنسية •

• من انجيل مرقس :

ونبدأ الآن بقول مرقس : « تقدم الفريسيون وسألوه : هل يحل
للرجل أن يطلق امرأته ؟ ليجربوه • فأجاب وقال لهم : بماذا أوصاكم
موسى ؟ فقالوا : موسى أذن أن يكتب كتاب طلاق ، فتطلق • فأجاب يسوع
وقال لهم : من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية • ولكن
من بدء الخليقة ذكرا وأنثى خلقهما الله • من أجل هذا يترك الرجل
أباه وأمه ويلتصق بامرأته • ويكون الاثنان جسدا واحدا • اذ ليسا
بعد اثنين بل جسد واحد • فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان •

ثم في البيت سأله تلاميذه أيضا عن ذلك . فقال لهم :
من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها . وان طلقت امرأة زوجها
وتزوجت بأخر تزني - مرقس ١٠ : ٢ - ١٢ » .

يقول دنيس نينهام في تفسيره لانجيل مرقس : « ان الفهم الكامل
لهذه الفقرة يقتضى موازنتها مع خلفية عادات الزواج اليهودي أيام
المسيح . فحسب هذه العادات نجد :

(أ) كان الزنا يعنى دائما اتصالا جنسيا بين امرأة متزوجة
ورجل آخر خلاف زوجها . فالمرأة تزني على زوجها ، لكن الرجل
لا يزني على زوجته ، انما هو يزني فقط على رجل آخر متزوج . . .

(ب) حسب الشريعة اليهودية ، فان المرأة لا تستطيع تطليق زوجها .
أما القانون الروماني فانه يختلف عن ذلك ، كما رأينا (حيث يسمح
للزوجة بتطليق زوجها) .

وعلى كل حال ، فهناك قراءة أخرى مشهود بصحتها تماما ، قال
بموجبها يسوع : (ان تركت امرأة زوجها وتزوجت بأخر ،
فقد زنت) . . .

وقد رأى ييركت في هذا اشارة (من يسوع) الى هيروديا (التي
ذكرها مرقس في ٦ : ١٧ وما بعدها) ، والتي كانت قد تركت زوجها
لكي تعيش مع اثتياس (أخيه) « (١) » .



● من انجيل متى :

أما متى ، فانه يقول في موعظة الجبل ، على لسان المسيح ،
حسب ترجمة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (بروتستانت) :
« قيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق . وأما أنا فأقول لكم :

D. Nineham : Saint Mark, p . 266.

(١)

ان من طلق امراته ، الا لعة الزنا ، يجعلها تزنى . ومن يتزوج مطلقة
فانه يزنى - ٥ : ٣١ - ٣٢ » .

ويقول متى ، حسب ترجمة منشورات دار المشرق (كاثوليك) :

« .. أما أنا فأقول لكم : من طلق امرأته الا في حالة الفحشاء ،
عرضها للزنا . ومن تزوج مطلقة ، فقد زنى » .

ويتفق هذا مع ترجمة لوى سيجو الفرنسية ، أما الترجمة
الفرنسية المسكونية فانها تقول : « .. يدفعها للزنا » بدلا من
« عرضها للزنا » .

ويقول جون فنتون في تفسيره لانجيل متى : « لم يذكر استثناء
لهذا الأمر في مرقس ١٠ : ١١ ، أو في لوقا ١٦ : ١٨ ، والما في متى
فقط (هنا ، وفي ١٩ : ٩) سمح بالاستثناء في حالة الفحشاء . وليس
من الواضح ما اذا كانت الفحشاء تعنى زنا قبل الزواج (واكتشف فيما
بعد) أو زنا بعد الزواج (وهذا أكثر احتمالا) .

وبالنسبة لعبارة الاستثناء التي أوردها متى ، فنلاحظ ما جاء
في ١٦ : ١٩ ، ١٨ : ١٨ (كل ما تربطونه في الأرض يكون مربوطا في
السماء ، وكل ما تحلونه في الأرض يكون محلولا في السماء) ، عن
سلطة الربط والحل المعطاة للرسول ، أي سلطة تكييف القوانين وعمل
الاستثناءات . ويبدو أن السماح بالطلاق في حالات معينة ، يعتبر مثالا
على استخدام الكنيسة الأولى لتلك السلطة . ولنلاحظ ما جاء في
الرسالة الأولى لأهل كورنثوس ٧ : ١٢ وما بعدها ، حيث يعطى بولس
آراءه في مسائل الزواج ، كما أنه يفرق بصراحة ووضوح بين رأيه
وبين أمر الرب (فهو يقول : وأما الباقون ، فأقول لهم ، انا لا الرب ،
ان كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترضى أن تسكن معه فلا
يتركها .. وأما العذارى ، فليس عندي أمر من الرب فيهن ،
ولكنني اعطى رأيا) .

على أن التمييز في فقرات متى هذه (٥ : ٣٢ ، ١٩ : ٩) بين الأمر
الأصلي للرب ، وبين تشريع الكنيسة ، قد غلفه الغموض «(١)» .



كذلك ، يقول متى في مباحكة الفريسيين حول موضوع الطلاق :
« وجاء اليه الفريسيون ليخبروه قائلين له : هل يحل للرجل أن
يطلق امرأته لكل سبب ؟

فأجاب وقال لهم : أما قرأتم أن الذي خلق من البدء ، خلقهما ذكرا
وأثى . وقال : من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ،
ويكون الاثنان جسدا واحدا . اذا ليسا بعد اثنين بل جسدا
واحد . فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان .

قالوا له : فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق ، فتطلق .
قال لهم : ان موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا
فهذه العبارة قد حذفت من التراجم

واقول لكم : ان مطلق امرأته الا بسبب الزنا وتزوج باخرى ،
يزنى . والذي يتزوج بمطلقة يزنى .

قال له تلاميذه : ان كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق
أن يتزوج .

فقال لهم : ليس الجميع يقبلون هذا الكلام ، بل الذين أعطى
لهم . لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم . ويوجد
خصيان خصاهم الناس . ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت
السموات .

من استطاع ان يقبل فليقبل - متى ١٩ : ٣ - ١٢ » .

J. Fenton : Saint Matthew, p. 90 .

(١)

أما بقية التراجم الأخرى ، فانها تسقط تعليم المسيح الذي يقول :
« والذي يتزوج بمطلقة يزنى » . فهذه العبارة قد حذفت من التراجم
العربية الحديثة مثل : ترجمة منشورات دار المشرق ، وترجمة منشورات
المطبعة الكاثوليكية ببيروت - وحذفت من التراجم الفرنسية^(١) :
لوى سيجو ، والمسكونية ، وأورشليم . كذلك حذفت تلك العبارة من
التراجم الانجليزية الحديثة^(٢) مثل : القياسية المراجعة ، والعهد الجديد
الأصلى ، وانجليزية اليوم .

يقول جون فنتون في تعليقه على هذه الفقرة (١٩ : ٣ - ١٢)
من انجيل متى :

((لقد اعاد متى ترتيب الأحداث المذكورة في مرقس ١٠ : ٢
وما بعدها . ففي مرقس ، نجد أن يسوع قد سأل الفريسيين عما
أمر به موسى ، فأجابوه ، وعندئذ قال يسوع : ان ذلك أمر به بسبب
قساوة قلوبهم ، ولم يكن كذلك منذ البدء .

لكن متى يعيد ترتيب هذا بحيث ترد الاشارة الى ما في سفر
التكوين (يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته . . .) قبل الاشارة
الى ما في سفر التثنية (عن السماح بالطلاق) ، وبذلك فان يسوع
لا يسأل الفريسيين عما أمر به موسى (خلافا لما ذكره مرقس) .
كما أن متى اضاف : (لكل سبب) و (الا بسبب الزنا) ،
كما حذف ما ذكره مرقس من أن الأقوال الأخيرة (ليسوع عن منع
الطلاق) قد قيلت بصفة شخصية للتلاميذ (في البيت) ،
كما أنه حذف القول الذي توقع امكانية قيام المرأة بتطليق زوجها .

LA BIBLE tr. Louis Segond; TRADUCTION (١)
OECUMENIQUE de LA BIBLE; LA BIBLE de JERUSALEM
REVISED STANDARD VERSION; THE (٢)
ORIGINAL NEW TESTAMENT; TODAY'S ENGLISH VERSION.

وبالنسبة للاستثناء الذى ذكره متى هنا : (الا بسبب الزنا)
وذكره فى ٥ : ٣٢ ، فان هذا الاستثناء لا يوجد فى أى موضع آخر فى
اسفار العهد الجديد .

ان معظم المفسرين متفقون على أن هذه الكلمات لم ينطق بها يسوع ،
لكنها اضيفت فيما بعد بواسطة الكنيسة التى لها السلطة فى اصدار
القوانين (١) .

هذا ، ومن الملاحظ أنه بعد أن قال المسيح : « ان من طلق امرأته
الا بسبب الزنا (أو الفحشاء) وتزوج بأخرى يزنى . والذى يتزوج
بأخرى يزنى » قال له تلاميذه : « ان كان هكذا أمر الرجل مع المرأة ،
فلا يوافق أن يتزوج » ، آنذاك « أدرك التلاميذ - حسب حاشية
ترجمة منشورات المطبعة الكاثوليكية - أن يسوع ألقى الطلاق
الغاء تاما » .

كما يلاحظ أيضا ، أن المسيح عقب على تعليق تلاميذه الذى
يستصعبون فيه تعليم المسيح حول الطلاق والزواج ، فكان رده :
« ليس الجميع يقبلون هذا الكلام » .

ثم بعد أن ذكر أمر الخصيان - وما يعنيه من حى على قتل الرغبة
الجنسية ليس بالصبر والمقاومة فقط ، وانما باتلاف أعضاء الجهاز
التناسلى وتعطيلها - فقد أردف قائلا: « من استطاع أن يقبل فليقبل » .
ليس الأمر - اذن - على صورة الزام ، ولكنه مجرد استحسان
ينفذ حسب الطاقة والاستطاعة . ان هذا ما ينطق به الانجيل ...

*

● من انجيل لوقا :

« كان الفريسيون أيضا يسمعون هذا كله وهم محبوبون للمال
فاستهزأوا به . فقال لهم : أقم الذين تبررون أنفسكم قدام الناس ...

(١) المرجع السابق ص ٣١١

زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس .
كل من يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزني . وكل من يتزوج بمطلقة من
رجل يزني - ١٦ : ١٤ - ١٨ » .

يقول جورج كيرد في تفسيره لانجيل لوقا : « ان الكلمة التي
ترجمت (نقطة) تعني حقيقة خطأ دقيقا أو ذيلا زخرفيا في أعلى حرف
الكتاب أو أدناه . وحين يقال انه لا يمكن الغاء الذيل الزخرفي لحروف
الناموس ، فان هذا يعني أن كل الناموس ، كلمة كلمة ، وحرفا حرفا ،
بكل دقائقه وزخارفه العبرية ، تبقى سارية المفعول الى الأبد . ان هذا
يمكن أن يقوله أي حبر ، لكننا نستطيع تصويره على شفطي يسوع ،
وخاصة في ضوء الواقع ، اذ أن العبارة التالية لهذا القول تتضمن
تغيرا في ناموس موسى خاصا بالطلاق . ان ما ذكره مرقس
في ١٠ : ١ - ١٢ ، يساعدنا على ادراك أن يسوع لم يكن يتشرع ، لكنه
كان يشير الى المعايير الأخلاقية العليا التي تصبح في مقدور أولئك
الذين يعيشون بنعمة الملكوت وقدرته .

لقد قال يسوع ان موسى سمح بالطلاق بسبب قساوة قلوبكم :
فحيثما تكون قساوة القلب تنحل الزيجات ، ويجب أن يحمى الطلاق
المجتمع من شر أكبر . . ولكن ، هناك فقط في الملكوت ، حيث يوجد
الشفاء من قساوة القلب ، يصبح المثل الأعلى قابلا للتطبيق » (١) .

* *

حقيقة المقال

ماذا قال المسيح - بالضبط - في موضوع الزواج والطلاق ؟
ان هذا سؤال يتعلق بموضوع أكبر وهو : ماذا قال المسيح -
بالضبط - في تعاليمه ومواعظه ؟

لقد اختلفت الأقوال التي تنسب للمسيح في الموضوع الواحد ،
واختلفت الروايات التي تتحدث عن المسيح في الحادث الواحد . وبين
الحين والحين تظهر تراجم حديثة تعيب ما يعترى التراجم القديمة من
قصور وما تمتلئ به من أخطاء . فالمشكلة الرئيسية المستعصية التي
تواجه العلماء هي : مشكلة النص ، وهم يطاولون جاهدين الوصول
الى « النص الأصلي » بدراسات مضمّنية ، وأساليب مختلفة . ولما
كان قد سبق معالجة مشكلة النص في دراسة سابقة^(١) ، فيكتفى الآن
بمسه مساهمات خفيفة قبل محاولة الاجابة على السؤال الذي
طرحناه أعلاه .



يقول المدخل الى العهد الجديد - نقلا عن الترجمة الفرنسية
المسكونية - في موضوع نص العهد الجديد :

« ان نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة بيد
نساخ صلاحهم للعمل متفاوت ، وما من واحد منهم معصوم
من مختلف الأخطاء التي تحول دون أن تتصف أية نسخة كانت ، مهما
بذل فيها من الجهد ، بالموافقة التامة للمثال الذي أخذت عنه .

يضاف الى ذلك أن بعض النساخ حاولوا أحيانا ، عن حسن نية ،

(١) راجع كتاب المؤلف : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس .

أن يصوبوا ما جاء في مثالهم ، وبدا لهم أنه يحتوى أخطاء واضحة ، أو قلة دقة في التعبير اللاهوتي . وهكذا أدخلوا الى النص قراءات جديدة تكاد أن تكون كلها خطأ .

ومن الواضح أن ما أدخله النساخ من التبديل على مر القرون ، تراكم بعضه على بعضه الآخر ، فكان النص الذى وصل آخر الأمر الى عهد الطباعة مثقلا بمختلف ألوان التبديل ، ظهرت في عدد كبير من القراءات .

كان الآباء ، لسوء طالعنا (نحن المسيحيين !) ، يستشهدون به في أغلب الأحيان عن ظهر قلبهم ، ومن غير أن يراعوا الدقة مراعاة كبيرة ، فلا يمكننا ، والحالة هذه ، الوثوق التام في ما ينقلون إلينا .

المثال الأعلى الذى يهدف اليه علم نقد النصوص ، هو أن يمحص هذه الوثائق المختلفة ، لكى يقيم نصا يكون أقرب ما يكون من الأصل الأول . ولا يرجى في حال من الأحوال الوصول الى الأصل نفسه . .

هدف أصحاب النقد الباطنى أن يوضحوا بجلاء نوع التدخل الذى قام به الناسخ ، والأسباب التى دعت الى ذلك التدخل ، فيسهل بعد ذلك الارتقاء الى الروايات القديمة التى تفرعت منها سائر الروايات المحرفة .

وبوسعنا اليوم أن نعد نص العهد الجديد نصا مثبتا اثباتا حسنا ، وما من داع الى إعادة النظر فيه الا اذا عثر على وثائق جديدة » (١) !



يأتى بعد ذلك عاملان رئيسيان ، تبيين الأناجيل بوضوح ، أن لهما أعظم الأثر في ما نسب للمسيح من مواعظ وتعاليم ، وهما : دائرة

(١) العهد الجديد - منشورات دار المشرق - الطبعة العاشرة .

التبشير بالانجيل ، وتوقع نهاية العالم سريعا • وفيما يلي نبذة عن كل منهما •

● دائرة التبشير بالانجيل :

١ - قبل أن تحمل مريم العذراء بابنها المسيح ، كانت بشارة الملاك اليها تبين أن رسالة المسيح تختص بالشعب الاسرائيلي فقط ، اذ قال لها :

« ستجبلين وتلدن ابنا •• يعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه • ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ، ولا يكون ملكه نهاية - لوقا ١ : ٣١ - ٣٣ » ومن المعلوم أن المسيح لم يملك على بيت اسرائيل يوماً واحداً ، لأن مملكته لا تعنى سوى رسالته وسلطانه الروحي • فقد قال بوضوح : « مملكتى ليست من هذا العالم - يوحنا ١٨ : ٣٦ » •

« وأما يسوع ، فاذا علم أنهم مزعمون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا ، انصرف ايضا الى الجبل وحده - يوحنا ٦ : ١٥ » •

٢ - ولقد حدد المسيح لنفسه وتلاميذه ، مجال عمله ودائرة التبشير التي ينبغى التجول فيها ، فبين بكل وضوح أن رسالته تختص بالشعب الاسرائيلي فقط ، فقال قوله الشهيرة : « لم ارسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة - متى ١٥ : ٢٤ » •

وكان ذلك هو أمره المؤكد الى تلاميذه : « هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : الى طريق أمم لا تمضوا ، والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحري الى خراف بيت اسرائيل الضالة - متى ١٠ : ٥ - ٦ » ومن الملاحظ أن المسيح قد أخرج السامريين من دائرة عمله ، رغم أنهم يؤمنون بموسى والتوراة ، كما سبق أن أخرج الأميين الذين لا يؤمنون بموسى والتوراة •

٣ - واذا ما انقضت هذه الحياة ، ثم جاء يوم القيامة ، فإن دينونة المسيح وتلاميذه تنحصر في أسباط اسرائيل الاثني عشر • فلقد

سأله بطرس : « ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك ، فماذا يكون لنا ؟ فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم أنكم أتمم الذين تبعتموني في التجديد ، متى جلس ابن الانسان على كرسي مجده ، تجلسون انتم أيضا على اثني عشر كرسيًا تدينون أسباط اسرائيل الاثني عشر - متى ١٩ : ٢٧ - ٢٨ » ورغم هذا الوضوح في تحديد دائرة التبشير المسيحي الحقيقي ، فاننا نجد انجيل مرقس ينسب للمسيح قوله لتلاميذه ، كتعليم أخير : « اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليفة كلها - مرقس ١٦ : ١٥ » ونسب اليه مثل ذلك في خاتمة انجيل متى (٢٨ : ١٩) ، وكذلك انجيل لوقا (٢٤ : ٤٧) .

ان حقيقة هذه الأقوال التي تتحدث عن تبشير العالم بالانجيل تتضح حين نعلم الآتي :

ان خاتمة انجيل مرقس التي تتكلم عن ظهور المسيح - الأعداد من ٩ الى ٢٠ ، والتي تشتمل على العدد ١٥ الذي يتكلم عن تبشير العالم بالانجيل - ليست من عمل مرقس كاتب ذلك الانجيل ، ولكنها إضافات أدخلت اليه حوالي عام ١٨٠ م ، أي بعد أن سطر مرقس انجيله بنحو ١٢٠ عاما .

يقول نينهام في تفسيره لانجيل مرقس : « انه على الرغم من أن هذه الأعداد (٩ - ٢٠) تظهر في أغلب النسخ الموجودة لدينا من انجيل مرقس (مثل نسخة الملك جيمس وغيرها) الا أن الترجمة القياسية المراجعة مصيبة تماما في اعتبارها غير شرعية ، منزلة اياها من النص الى الهامش . . ان هذه الفقرة لا يمكن تحديد تاريخها بالضبط ، ويمكن القول بأنها أصبحت تقبل كجزء من انجيل مرقس حوالي عام ١٨٠ م » (١) .

وبالنسبة لما جاء في خاتمة انجيل متى (٢٨ : ١٩) من حديث عن التبشير بالانجيل بين جميع الأمم ، فان العلماء يشكون فيها لأسباب

(١) D. Nineham : Saint Mark . pp. 449 - 450,

يذكر منها ادولف هرنك : « لم يرد الا في الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ، ما يتكلم عن المسيح وهو يلتقى مواعظ ويعطى تعليمات بعد أن أقيم من الأموات ، وأن بولس لا يعلم شيئا عن هذا .

وأن صيغة التثليث هذه (التي تقول : عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس - وهي الشطر الثاني من العدد ١٩) غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها نفوذ في عصر الرسل ، وهو الشيء الذي كانت تبقى جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصيا « (١) .

وبالنسبة لما جاء في خاتمة انجيل لوقا عن تبشير جميع الأمم ، فإن القارئ يستطيع الحكم على مصداقية الفقرة التي تشتمل على ذلك بمجرد قراءتها ، فهي تسبب للمسيح قوله : « كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث . وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدئا من اورشليم - ٢٤ : ٤٦ - ٤٧ » .

ومن المعلوم - حسب روايات الأناجيل الثلاثة متى ومرقس ولوقا ، أن المصلوب علق على الصليب يوم الجمعة ، ووجدت المقبرة خالية فجر الأحد . وبالحساب البسيط يتبين أنه لم يدفن « في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال » ، حسب النبوءة التي أوردتها متى في ١٢ : ٤٠ ، وإنما كانت مدة الدفن - حسب قول الأناجيل : يوم واحد ، وليلتان ، على أحسن الفروض . وبذلك تكون مصداقية الحديث عن تبشير جميع الأمم بالانجيل ، مساوية تماما لمصداقية الحديث عن القيامة في اليوم الثالث ، وهو شيء لا يتفق وأبسط الحسابات .

بهذا يتبين من دراسة الأناجيل ان رسالة المسيح خاصة

(« بخراف بيت اسرائيل الضالة ») ولا غير .

*

A. Harnack : HISTORY OF DOGMA , Vol. I, p. 79 (١)

وحيثما تتبع النشاط التبشيري لتلاميذ المسيح ، بعد رفعه ،
نجدّه منحصرًا في اليهود ، ان هذا ما ينطق به سفر أعمال الرسل
قبل دخول بولس مجتمع التلاميذ . ومن أمثلة ذلك :

« أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذي حصل بسبب
استفانوس ، فاجتازوا الى فينيقية وقبرس وأنطاكية ، وهم لا يكلمون
أحدًا بالكلمة الا اليهود فقط - أعمال الرسل ١١ : ١٩ » .

« فهذان (برنابا وبولس) سافرا في البحر الى قبرس . ولما
صارا في سلاميس ناديا بكلمة الله في مجامع اليهود - أعمال
الرسل ١٣ : ٤ - ٥ » .

« أتيا (بولس وسيلا) الى تسالونيكي حيث كان مجمع اليهود ،
فدخل بولس اليهم حسب عادته ، وكان يحاجهم ثلاث سبوت من الكتب -
أعمال الرسل ١٧ : ١٠ - ١٢ » .

ولما يئس بولس من التبشير بين اليهود خراف بيت
اسرائيل الضالة - فقد فضل أن ينتقل للتبشير بين الأمم الأخرى ،
بدافع من نفسه . فقد كان « يشهد لليهود بالمسيح يسوع ، واذا كانوا
يقاومون ويجدفون ، نفض ثيابه وقال لهم : دمكم على رؤوسكم .
أنا بريء . من الآن اذهب الى الأمم - أعمال الرسل ١٨ : ٥ - ٦ » .
وبهذا يتبين أيضا أن تلاميذ المسيح مارسوا التبشير بين اليهود
فقط ، حتى جاء بولس الذي خرج بالمسيحية الى العالم ، مخالفا قول
المسيح : « ما جئت الا لخراف بيت اسرائيل الضالة » .

ويترتب على ما سبق ان تعاليم المسيح ومواعظه ، وحتى تشريعاته -
ان صح هذا التعبير - لا بد ان توجه الى الاسرائيليين ، ووفق
مفاهيم اسرائيلية ، ولا علاقة لها بالرومان ، حكام فلسطين آنذاك ،
أو القانون الروماني .



● توقع نهاية العالم سريعا :

لقد اعتقد المسيحيون الأوائل أن نهاية العالم وشيكة الحدوث ، وأن كثيرا من الذين عاصروا المسيح سوف يشهدون تلك النهاية المفزعة ، حيث « تظلم الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السماء تتزعزع . وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ، ويبصرون ابن الانسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير . فيرسل ملائكته يبوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات الى أقصائها - متى ٢٤ : ٢٩ - ٣١ » .

لقد كان لهذه الأفكار أثرها الخطير فيما خلفه المسيحيون الأوائل من كتابات . وفي هذه تقول دائرة المعارف البريطانية :

« ان امتداد الكنيسة المسيحية في أوروبا خلال القرن الأول ، يبدو في نظرنا كأنه بداية عهد جديد في التاريخ . لكن هذه الحركة كان ينظر اليها من زاوية أخرى بالنسبة للذين شاركوا في امتدادها (من المسيحيين الأوائل) ، فقد كانت في نظرهم نهاية بدلا من أن تكون بداية . لقد اعتقدوا أن نهاية الزمان قد غشيتهم ، وان اكتمالها وشيك وسوف لا يتأخر كثيرا .

ان مؤلفات عصر الرسل والحواريين التي كتب أغلبها تحت تأثير هذا الاعتقاد ، لم يقصد مؤلفوها أن تكون مرجعا دائما لكنيسة تبقى عبر العصور لتكافح على وجه الأرض . لقد كتبت هذه المؤلفات تباعا لتوافق احتياجات الجيل الذي توقع أن يعيش نهاية التاريخ ، وبداية افتتاح رسمي للملكوت الله » (١) .

ويقول جون فنتون في تفسيره لانبجيل متى : « لقد اعتقد متى أن العالم المعاصر (للمسيح) ، والذي يمتلىء بالخطيئة والمرض والموت ،

ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA , 1960, Vol. 2, (1)

p. 514.

سوف يأتي الى نهايته سريعا • وأن يسوع سوف يأتي بمجد ، وأن كل انسان سيكون اما من المباركين أو من الملعونين (٢٥ : ٣١) •

ولقد اعتقد متى أن هذا سوف يحدث سريعا قبل أن يكون رسل المسيح قد أكملوا التبشير في كل مدن اسرائيل (١٠ : ٢٣) ، وقبل أن يكون بعض معاصري يسوع قد ماتوا (١٦ : ٢٨) ، وقبل أن يفنى ذلك الجيل الذي عاصر المسيح (٢٤ : ٣٤) •

ومن الواضح ان هذا كله لم يحدث كما توقعه متى •

ورغم أن انجيل متى هو أحد كتب العهد الجديد الذي ذكر بوضوح حدوث النهاية السريعة للعالم ، فاتنا في الواقع نجد أن أغلب كتاب العهد الجديد قد عبروا عن هذه العقيدة •

وفي اعتقاد كثير من العلماء ، أن يسوع نفسه كان يتطلع الى عودته سريعا الى الأرض بعد وفاته ، في مجد وبهاء (١) •

ولقد كان لفكرة نهاية العالم سريعا والمجيء الثاني للمسيح ، أثرها في كتابات المسيحيين الأوائل ، فبرزت الدعوة الى التسامح المثالي ، والبعد عن متطلبات الحياة ، والدعوة الى ابطال الزواج وتكريس الرهبنة •

ويتفق العلماء على « أن العهد الجديد يعتبر مجموعة من الكتب سطرها أشخاص ، ولو أنهم اختلفوا كثيرا في أشياء أخرى ، فقد اتفقوا في أنهم يعيشون في عالم يتجه سريعا الى نهايته •

فهو عالم قد ينبج فيه الرجال والنساء أطفالا ، لكن احدا منهم لم يتطلع الى جيل تال •

ان السبب الرئيسي في انعدام التفكير في الغد ، هو أن ذلك الغد

(١) J. Fenton : Suint Matthew, pp. 21 - 22.

سوف لا يأتي • وبناء عليه كان الحزب على عدم الزواج ، واهمال تربية
الأولاد ، وفقدان روح الجماعة ، وعدم الاهتمام بأمور الدنيا •
ان كل هذا واضح في العهد الجديد •

ومع الاعتراف الكامل بحقيقة ان يسوع وتلاميذه كانوا يتوقعون
النهاية الوشيكة للعالم ، فان الدراسة المتأنيبة للمعتقدات اليهودية التي
شاعت في الفترة من عهد المكابيين (١٦٨ ق م) حتى مطلع القرن الأول
الميلادي ، تبين ان هذه الفكرة لم تكن خرافة تختص بالمسيحيين وحدهم ،
لكنه التوقع العام للشعب اليهودي (وهو كما سطر لوقا :
ان ملكوت الله عتيد ان يظهر في الحال - ١٦ : ١١) •

ان هذا الاعتقاد قد دفعهم للحرب مع روما عام ٦٦ م ، وهي الحرب
التي انتهت باقراض ولاية اليهودية وتدمير اورشليم عام ٧٠ م « (١) •

لقد سيطرت هذه الخرافة على تفكير معاصري القرن الأول
الميلادي ، حتى ان بولس - الذي سطر وحده أكثر من ربع صفحات
العهد الجديد - كان يتوقع ان يبقى حيا الى ان يعود المسيح ،
فيلاقيه مع الآخرين في الهواء ! ، فهو يقول : « انا نقول لكم هذا بكلمة
الرب : اننا نحن الأحياء الباقين الى مجيء الرب ، لا نسبق الراقدين •
لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكته وبوق الله ،
سوف ينزل من السماء ، والأموات في المسيح سيقومون أولا •
ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم في السحب ، لملاقاة الرب
في الهواء - (١) تسالونيكي ٤ : ١٥ - ١٧ » •

وكان ذلك معتقد يوحنا الذي سطر رسائله بعد بولس ، وقال فيها :
« ايها الأولاد : هي الساعة الأخيرة - (١) يوحنا ٢ : ١٨ » •

لقد كانت رسائل بولس هي أقدم كتابات مسيحية ، وبالتالي فانها

(١) دائرة المعارف البريطانية - ج ٢ ص ٥٢٣

أثرت في الأناجيل والكتب المسيحية الأخرى ، سواء تلك التي قبلتها الكنيسة فيما بعد باعتبارها قانونية ملزمة للمسيحيين ، أو تلك التي بقيت خارج القانون . ولقد كانت فكرة نهاية العالم سريعا والمجيء الثاني للمسيح ، من المعتقدات التي سيطرت على بولس تماما ، وتحت تأثيرها كتب تعاليمه وآراءه في الزواج والبتولية وغير ذلك .

يقول رولاند بينتون في كتابه الجنس والحب والزواج : « لقد كان بولس أول من أشار باعاقبة الزواج . وكان السبب في ذلك . حسب رايه ، هو توقع عودة الرب سريعا عندما يتوقف الزواج . وقد اتخذ وجهة نظر محافظة ، تحت هذه الظروف ، فيما يتعلق بكافة العلاقات الاجتماعية (١) كورثوس ٧ : حسن للرجل أن لا يمس امرأة . ولكن بسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحدة رجلها . الوقت منذ الآن مقصر ، لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم نساء . . . والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه . لأن هيئة هذا العالم تزول) . فكل وضع اجتماعي جسدي ، بالنسبة له ، سيان ، ويبقى كما هو حتى تأتي النهاية الوشيكة . لينق ، اذن ، كل على حاله ، سواء أكان : عبدا أو حرا ، متزوجا أو غير متزوج . . . على أن بولس سمح بالزيجات للمرة الثانية ، على أنها تنازل فقط (المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيا . ولكن ان مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج . بمن تريد في الرب فقط . ولكنها أكثر غبطة ان لبثت هكذا بحسب رأيي . وأظن اني انا ايضا عند روح الله - (١) كورثوس ٧ : ٣٩ - ٤٠) .

أما سفر الرؤيا فقد ذهب أبعد من هذا ، وأوحى بفكرة غير مسيحية من أساسها . فهناك ترنيمة تمدح ١٤٤٠٠٠ من الرجال الذين لم تنجسهم النساء ، هم جماعة مختارة يتبعون الحمل حيثما يذهب (هؤلاء هم الذين لم يتنجسوا مع النساء لانهم اطهار - رؤيا ١٤ : ٤) .

وفي العهد الجديد ، نجد أن المرأة خاضعة للرجل ، لأنها خلقت بعده (١) (كورنثوس ١١ : ٨ - ٩) ، أو لأنها كانت مسئولة عن سقوطه (٠٠٠ آدم لم يفو ، لكن المرأة أغويت ، فحصلت في التعدي ٠٠٠) (١) تيموثاوس ٢ : ١٥ - ١٨) ولقد كانت زينة النساء موضع ذم (لا تكن زينتكم الخارجية من ضفر الشعر والتطلى بالذهب ولبس الثياب ، بل زينة الروح ٠٠٠ (١) بطرس ٣ : ٣) .

أما حض بولس على عدم اقامة زيجات جديدة بسبب المجيء الوشيك للرب ، فقد فقد صلته بذلك المجيء ، حيث ان الرب لم يجرى ، وبدىء بعد ذلك في ارجاء الموعد المتوقع لذلك المجيء بالتدريج . وما دام الأمر كذلك ، فقد تم استبعاد فكرة عدم تشجيع الزواج التي قامت على أساس أن الوقت مقصر « (١) » .

* * *

والآن ، وعلى ضوء ما قدمناه من وجود المشكلة الخاصة بنصوص العهد الجديد ، وأن تعاليم المسيح لم تصدر الا بمفاهيم اسرائيلية ولا علاقة لها بالقانون الروماني ، وأن مؤلفي أسفار العهد الجديد وقعوا تحت تأثير عقيدة تزعم انتهاء العالم سريعا مع عودة المسيح ثانية ، وهي عقيدة اعتبرتها دائرة المعارف البريطانية خرافة بعد أن كذبها الواقع ، فانا نعود الآن لمحاولة الاجابة على السؤال الذي تصدر هذا الفصل ، وهو : ماذا قال المسيح - بالضبط - في موضوع الزواج والطلاق ؟

نبدأ معالجة هذا الموضوع بمراجعة التراجم الحديثة وما أدخلته من تعديلات على التراجم القديمة ، فنلاحظ الآتي :

١ - تم اسقاط الشطر الثاني من متى ١٩ : ٥ ، الذي يقول :

(١) . (١) Ro'and Bainton : Sex, Love and Marriage, pp. 24 — 27 .

« والذي يتزوج بمطلقة يزني » ، وبذلك يسقط هذا القول أيضا من متى ٥ : ٣٢ ، ومن لوقا ١٦ : ١٨

٢ - انفرد مرقس بقوله في ١٠ : ١٢ « ان طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني » . وهذا القول لا مكان له في بيئة اسرائيلية كالتى عاش فيها المسيح وتلاميذه ، حيث يسود الناموس والمفاهيم الاسرائيلية التى تربى الشعب اليهودى عليها عقائديا واجتماعيا ، وتقوم أساسا على أن الطلاق حق من حقوق الزوج ، وليس من حقوق الزوجة ، وأن تعدد الزوجات مشروع ، يمارسه الرجال وفق شريعة موسى .

والصحيح في قول مرقس هذا ، هو تلك القراءة التى شهد بصحتها العلماء ، وتقول : « ان تركت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني (أو : فقد زنت) » .

وهذا حق واضح ، وموقف اتخذته المسيح تعصيذا ليوحنا المعمدان الذى ندد بهروب هيروديا من زوجها ، وذهابها للعيش مع هيرودس أخى زوجها . فقد تزامن نشاط يوحنا والمسيح فترة من الوقت ، قبل أن يلقى يوحنا فى السجن :

« بعد هذا جاء يسوع وتلاميذه الى أرض اليهودية ومكث معهم هناك ، وكان يعمد . وكان يوحنا أيضا يعمد فى عين نون بقرب ساليم ، لأنه كان هناك مياه كثيرة ، وكانوا يأتون ويعتمدون . لأنه لم يكن يوحنا قد ألقى فى السجن - يوحنا ٣ : ٢٢ - ٢٤ » .

٣ - تعدل الشطر الأول من قول متى فى ٥ : ٣١ ، والذي نسبه للمسيح فى موعظة الجبل ، ليكون حسب التراجم الحديثة : « من طلق امرأته ، الا فى حالة الفحشاء ، عرضها (أو : يدفعها) للزنا » . وهذا واضح أيضا اذ أن المطلقة غير مرغوب فى زواجها ، حسب التقاليد الاسرائيلية ، لدرجة أن شريعة موسى تضعها جنبا الى جنب مع المدنسة والزانية اللاتى يحظر على الكاهن أن يتزوج منهن (لاوين ٢١ : ٧) .

ولهذا فان المطلقة قد تبقى بلا زواج ، فتعرض بذلك للسقوط.
في الزنا .

وعندما يتعرض الانسان لشيء ما ، فليس بالضرورة أن يحدث له ذلك الشيء ، فهو قد يحدث أو لا يحدث . ان هذا مشهود في حياة الناس اليومية .

وبالنسبة للاستثناء الذي ذكره متى بقوله : « الا في حالة الفحشاء (أو : الزنا) » فقد شك فيه العلماء باعتباره ليس من أقوال المسيح ، ولكنه اضافة من عمل آباء الكنيسة فيما بعد . هؤلاء الآباء الذين أخذوا سلطة التحريم والتحليل باسم المسيح ، بينما يشهد التاريخ على ما كان عليه حالهم خلال المجامع التي عقدوها عبر القرون ، والتي غالبا ما تذكر في المناظرات الدينية بين مختلف الفرقاء . فقد حدث في الحوار الذي جرى في مدينة ليزج بألمانيا عام ١٥١٩ بين مارتن لوثر والدكتور آد حول سلطة البابا . فقد « حاول أن يستخدم أقوال الآباء في اقناع لوثر ، وشدد آك على أن الذي لا يعترف بسلطان بابا روما ، لا يعتبر عضوا في كنيسة يسوع المسيح . وعندما سأله لوثر : ماذا تقول - اذن - في الذين قدموا حياتهم وعاشوا الايمان المسيحي بكل تقوى وقداسة ؟ . . . واستطرد أيضا يقول : ما رأيك في موقف بولس الذي وبخ بطرس علانية ؟ هل كان بطرس معصوما من الخطأ ؟

وواصل دفاعه بالقول : وما رأيك في المجامع ، فقد حكم الواحد على الآخر وحرمه ، فمن هو الحارم الحقيقي ، ومن هو المحروم الحقيقي ؟ (١)

وللعلماء الحق في شكهم في ذلك الاستثناء الذي وضعه متى لسبب

(١) مارتن لوثر - الدكتور القس حنا جرجس ص ٩٢

بسيط ، وهو أن المرأة المتزوجة التي تزني ، عقوبتها القتل حسب
ناموس موسى : « اذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة زوجة بعيل ،
يقتل الاثنان ، الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة . فتنزع الشر من
اسرائيل - تثنية ٢٢ : ٢٢ » فلا مكان هنا للحديث عن الطلاق ، حيث
كان الاسرائيليون أيام المسيح واعين لذلك ، كما تؤكد رواية المرأة
الزانية التي ذكرها يوحنا (في ٨ : ٣ - ١١) ، اذ جاء بها الكتبة
والفريسيون الى المسيح ليقيم عليها الحد .

٤ - ما ذكره متى في موعظة الجبل ، سواء في صيغتها القديمة ،
أو صيغتها المعدلة التي تقول : « من طلق امرأته ، الا في حالة الفحشاء ،
عرضها (أو : يدفعها) للزنا - ٥ : ٣١ » ، لا علاقة لها من قريب
أو بعيد بتعدد الزوجات . فكل ما يدعو اليه هذا التعليم - حتى
لو أضفنا اليه العبارة التالية له ، والتي تقول : من تزوج مطلقة فقد
زنى - هو الحض على عدم الطلاق والتنديد به ، اذ يمكن الزواج بغير
المطلقة والبعد بذلك عن مخالفة هذا التعليم .

٥ - ما ذكره مرقس في ١٠ : ١١ من أن : « من طلق امرأته وتزوج
غيرها زنى عليها » يعتبر نصا مقيدا يربط الزواج اللاحق بطلاق
سابق ، ومن هنا فانه ينهى عن ذلك .

ولا يعتبر هذا نهيا عن تعدد الزوجات ، لأن هذا الذي طلق
الزوجة الأولى ، وتزوج غيرها ، الزوجة الثانية ، لا يزال يعيش مع زوجة
واحدة ، فهو لم يعدد زوجاته . فمثله كمثل من ماتت زوجته ، فتزوج
غيرها . وهذا يؤكد بوضوح أن هدف هذا التعليم - ان صح قوله
بهذه الصيغة - هو التنديد بالطلاق .

وماذا يحدث لو تزوج رجل بامرأتين ، أو أكثر ، في وقت واحد ،
ولأول مرة في حياته ، دون أن يمارس طلاقا سابقا ؟

لا يوجد نص واحد صريح يمنع مثل هذا .

بل انا لنجد في الأمثال التي ضربها المسيح - من واقع الحياة -

وأصدر أحكامه فيها صراحة أو ضمنا ، ما يؤيد عدم تعريفه بتعدد الزوجات ، وذلك في مثل العذارى :

« يشبه ملكوت السموات عشر عذارى أخذن مصاييجهن وخرجن للقاء العريس • وكان خمس منهن حكيماً وخمس جاهلات • أما الجاهلات فأخذن مصاييجهن ولم يأخذن معهن زيتا • وأما الحكيمات فأخذن زيتا في أنبيتهن مع مصاييجهن • وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن ونمن • ففي نصف الليل صار صراخ : هو ذا العريس مقبل فاخرجن للقاءه • فقامت جميع أولئك العذارى وأصلحن مصاييجهن • فقالت الجاهلات للحكيماً : أعطينا من زيتك فان مصاييحن تنطفئ • فأجابت الحكيمات قائلات : لعله لا يكفي لنا ولكن ، بل اذهبن الى الباعة وابتعن لكن •

وفيما هن ذاهبات لبيتعن جاء العريس والمستعدات دخلن معه الى

العرس واغلق الباب •

أخيرا جاءت العذارى أيضا قائلات : يا سيد افتح لنا • فأجاب وقال : الحق أقول لكن : انى ما أعرفكن • فاسهروا اذن لأنكن لا تعرفن اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الانسان - متى ٢٥ : ١ - ١٣ » •

فهذا المثل يقر بتعدد الزوجات الذى سمح به ناموس موسى ، ومارسه الآباء والأنبياء ، ومارسه الشعب الاسرائيلى ، كما مارس الطلاق أيام المسيح ، لكنه يندد فقط بتقاعس العذارى الجاهلات وعدم استعدادهن ليوم الزفاف •

وقبل هذا المثل مباشرة ، ضرب المسيح مثلا آخر هو مثل الوكيل الأمين ، حيث يقول : « من هو العبد الأمين الحكيم الذى أقامه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام فى حينه • طوبى لذلك العبد الذى اذا جاء سيده يجده يفعل هكذا • الحق أقول لكم : انه يقيمه على جميع أمواله •

ولكن ان قال ذلك العبد الرديء في قلبه : سيدى يبطىء قدومه •
فيتندىء يضرب العبيد رفقاهه ويأكل ويشرب مع السكرى • يأتى سيد
ذلك العبد فى يوم لا ينتظره وفى ساعة لا يعرفها ، فيقطعه ويجعل نصيبه
مع المرائين • هناك يكون البكاء وصرير الأسنان - متى ٢٤ : ٤٥ - ٥١ •
فالعلاقات بين السيد وعبيده فى هذا المثل مشروعة ومعروفة ،
ولكن سلوك السيد مع عبيده يتحدد وفق سلوكهم • وهنا حدث
المديح لذلك العبد النشط المطيع ، كما حدث التثديد بذلك العبد
الرديء •

كذلك فان العلاقات بين العريس وعرائسه العشر مشروعة
ومعروفة ، ولكن سلوك العريس مع عذاراه يتحدد وفق سلوكهن • وهنا
حدث المديح للعذارى المستعدات ، كما حدث التثديد بالعذارى
العافلات • وكان هذا المثل اقرا بتعدد الزوجات .

٦ - حين أعطى المسيح تعاليمه التى ذكرتها الأناجيل عن الطلاق
والزواج ، كان هناك فى الشعب الاسرائيلى رجال للواحد منهم
زوجات عديدات •

فما الحكم بالنسبة لهذا الوضع ، اذا كان الواحد منهم لم يطلق
ايا من نسائه ، ولم يصف اليهن زوجة جديدة ؟

الذى لا شك فيه ، أن مثل هذا الوضع العادى لا يخضع
لأى نص من جميع النصوص التى أوردها متى ومرقس ولوقا ، وتحت
أى صيغة من الصيغ ، سواء أكانت حسب التراجم القديمة أو الحديثة •
ومن ثم يبقى كل رجل منهم على حاله ، يعيش فى مشروعية مع زوجاته
وسراريه العديدات •

ان هذا يؤكد ، مرة اخرى ، مشروعية تعدد الزوجات •

٧ - لقد رأينا سلفا أن ناموس موسى حدد أنواع النساء اللاتى
يمكن للكهنة الزواج منهن • فقد « قال الرب لموسى : كلم الكهنة

بنى هرون وقل لهم •• امرأة زانية ، أو مدنسة لا يأخذوا ،
ولا يأخذوا امرأة مطلقة من زوجها - لاويين ٢١ : ١٧ ، ١٨ •

وهذا يعنى بداهة أن الكاهن يستطيع الزواج بامرأة من النوعين
الآتين : عذراء ، أو أرملة •

أما بالنسبة للكاهن الأعظم ، فليس أمامه الا نوع واحد فقط ،
« فهذا يأخذ امرأة عذراء - لاويين ٢١ : ١٣ » •

ومعنى ذلك بداهة : أنه يحرم على الكاهن الأعظم الزواج من بقية
أنواع النساء وهن : الأرملة ، والمطلقة ، والمدنسة ، والزانية • وهذا
ما قرره النص فى لاويين ٢١ : ١٤

قياسا على ذلك نقرأ تعاليم بولس فيما يتعلق بزواج الأساقفة
والشماسية • فهو يقول : « يجب أن يكون الأسقف بلا لوم
بعل امرأة واحدة ، صاحيا ، عاقلا ، محتشما •• غير مدمن خمر ••

ليكن الشمامسة كل بعل امرأة واحدة (١) - (١) تيموثاوس
٣ : ٢ ، ١٢ » •

ان هذه الصيغة ، تعنى بداهة ، ان الاقتصار على امرأة واحدة
انها هو متعلق بطبقة الأكليروس • أما الآخرون وبقية الشعب ، فلا
يخضعون لنظام الزوجة الواحدة ، وبالتالي فان لهم نظاما آخر يسمح
بتعدد النساء ، سواء كن زوجات أو سرارى •

٨ - حين تكلم متى عن محاكمة الفريسيين مع المسيح حول

— « the husband of one wife » (R. S . Y .) (١)

— « remain married to one wife (The Original
New Testament)

— « moris d'une seule femme » (T. O. B.)

— « maris d'une seule femme » (La Bible de Jerusa em)

موضوع الطلاق ، وقوله لهم : « من طلق امرأته الا لفاحشة (أو : لعلة الزنا) وتزوج غيرها فقد زنى - ١٩ : ٩ » ، استصعب التلاميذ هذا الأمر : فقال لهم : « ليس الجميع يقبلون هذا الكلام » .

وبعد أن ذكر أمر الحضيان ، قال « من استطاع أن يقبل فليقبل » .

فاذا كان هذا تشريعا أو تعليما قصده المسيح ، هل يتركه على هذه الصورة التي تعترف بتفاوت استطاعة الناس قبوله ، أم يضعه في صورة ملزمة ؟!

ان ما عقب به المسيح قائلا : « من استطاع أن يقبل فليقبل » يعنى بداهة ترك التقيد بتعاليمه تلك حسب استطاعه الناس . فتعاليمه هذه المتعلقة بالطلاق والزواج ، استحسنان وليست الزاما .

٩ - يذكر مرقس أنه في مباحكة الفريسيين مع المسيح حول موضوع الطلاق ، أنه استشهد في رده عليهم بما جاء في سفر التكوين ٢ : ٢٤ عن خلق الانسان ذكرا وأثى منذ البدء ، فقال : « من بدء الخليقة ذكرا وأثى خلقهما الله . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته . ويكون الاثنان جسدا واحدا . اذن ليسا بعد اثنين ، بل جسد واحد . فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان - ١٠ : ٦ - ٩ » .

وهنا تجدر الاشارة الى الآتى :

(١) تعدلت في التراجم العربية الحديثة للكاثوليك - الصادرة عن 'دار المشرق - : عبارة : « ويلتصق بامرأته » ، لتكون : ويلزم امرأته » .

(٢) لم يستخدم كاتب انجيل مرقس الاصلى هذه العبارة : « ويلتصق بامرأته » أو « ويلزم امرأته » التي جاءت في ١٠ : ٧ ، ولكنها أضيفت فيما بعد . ولذلك حذفها التراجم الحديثة - مثل ترجمة

منشورات المطبعة الكاثوليكية - فأصبحت تقرأ هكذا : « لذلك يترك الرجل أباه وأمه » ، فقط .

واهمية ذلك هو بيان ما تتعرض له النصوص من حذف ، أو اضافة ، او كليهما ، عبر التاريخ .

(٣) تعنى كلمة « جسد واحد » ، كما يقول جون فنتون ، أن الزوج والزوجة « صارت علاقتهما محكمة على نحو ما يكون بين أعضاء الأسرة الواحدة ، أو كالعلاقة بين أوصال الجسم الواحد »^(١) ، كالذراعين والرجلين وما شابه ذلك .

فهما انسانان ، لكل شخصيته المستقلة ، ونفسه وما جبلت عليه ، ولكن العلاقة الزوجية ربطتهما كأعضاء في الجسد الواحد . ولقد طور يوحنا هذا الفكر حتى انه قال : « ليكون الجميع واحدا ب ١٧ : ٢١ » ولقد جرى القول أحيانا بأن فكرة الجسد الواحد هذه توحى بأن يكون للرجل امرأة واحدة ، وهذا ينفيه ما قاله يوحنا عندما جعل الجميع واحدا ، وكان يعنى بذلك تلاميذ المسيح والمؤمنين به .

وينفيه كذلك ما اصطلح الناس على فهمه عبر العصور ، وفي مختلف الثقافات ، من التعبير بالوحدة عن جمع من الناس ، أيا كان عددهم ، عندما يربطهم فكر واحد ، أو يعبرون عن مشاعر واحدة . يقول دنيس نينهام : « ان هناك ما يدعو الى التفكير في أن ما جاء في سفر التكوين ١ : ٢٧ (ذكرا وأثى خلقهم) كان يجرى الاستشهاد به لتدعيم نظام الزوجة الواحدة ، ضد نظام تعدد الزوجات ، لكن يبدو ان يسوع استخرج منه معنى جديدا ، فرأى انه يمنع الطلاق .

J. Fenton : Saint Matthew , p. 309.

(١)

لقد كان برهانه الجدلي ، بلا شك ، يقوم على أنه اذا كان الزواج يجعل الرجل وزوجته جسدا واحدا ، فان هذا يعني بوضوح ، خلق علاقة بينهما تكون في واقعيتها وعدم تفككها مثل رابطة الدم التي تربط الرجل بأقاربه . (انظر ما جاء في سفر التكوين ٢٩ : ١٤) .^(١) .

وهذا الذي أشير اليه يذكر قول لابان الى ابن أخته يعقوب :
« انما أنت عظمى ولحمى » .

(٤) من الواضح أن استخدام المسيح لما ورد في سفر التكوين من أن الزوجين صاروا جسدا واحدا ، انما كان تدعيما للحض على منع الطلاق ، بدليل أنه عقب على ذلك بقوله : « فالذي جمعه الله ، لا يفرقه انسان » .

ان الحديث عن الرجل والمرأة كجسد واحد ، ليس اذن حديثا عن نظام الزوجة الواحدة ، ولكنه حديث عن استمرارية العلاقة بينهما ، ومن ثم فهو حديث يتعلق بالطلاق ، وليس بتعدد الزوجات .
١٠ - لقد جاء المسيح معلما وواعظا ورحمة من الله ، فاذا كان في تعاليمه الأساسية تحريما للطلاق وتعدد الزوجات ، هل كان يفعل هذا الجانب الخطير في حياة الناس من ذكره أو الاشارة اليه في انجيل يوحنا؟! .

لقد خلا هذا الانجيل تماما من كل ما يتعلق بهذا الموضوع .

١١ - أجمع علماء المسيحية على أن ما يتسبب للمسيح من منع الطلاق يعتبر تقضا صريحا وواضحا للناموس ، وذلك خلافا لما سبق أن أعلنه في مثل قوله : « ما جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . . . » أو قوله : « زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس » .

D. Nineham : Saint Mark, p. 265.

(١)

وفي هذا تقول الترجمة الفرنسية المسكونية في تعليقها على ما جاء في لوقا ١٦ : ١٨ : « ان هذا التحريم للطلاق التقليدي يعتبر واحدا من أكثر تعاليم المسيح نقضا صريحا لناموس موسى » .

✱

● الخلاصة :

بعد هذا الذي رأيناه ، وما حدث لنصوص الطلاق والزواج المذكورة في الأناجيل بتراجمها المختلفة ، نجد أنه لا يمكن التأكد من حقيقة مقال المسيح في موضوع الطلاق والزواج .

هل قال المسيح ، مثلا :

« من طلق امرأته ، الا لعله الزنا (أو : الابن حالة الفحشاء) :

– جعلها زانية (الكتاب المقدس للكاتوليك) ، أو

– عرضها للزنا (المطبعة الكاثوليكية) ، أو

– يدفعها للزنا (الفرنسية المسكونية) .

ان الفرق بين هذه الصيغ الثلاث واضح وكبير .

نحن – انن – أمام احتمالات ...

لكن هناك قاعدة فقهية عامة ، تعارف عليها الناس في مختلف

العصور والبيئات ، قاعدة تقول :

ان ما تسرب اليه الاحتمال ، سقط به الاستدلال .

لقد عرفنا ما قالته الكنيسة في العهد الجديد وأسفاره :

« ما من داع لاعادة النظر فيه الا اذا عثر على وثائق جديدة » .

فهذه النصوص التي بين أيدينا ، نصوص احتمالية ومؤقتة ،

معرضة للتغيير والتبديل على ضوء ما يستجد من بحوث ودراسات .

ولقد سبق أن دخل التصحيح والتعديل على فقرات تتعلق

بموضوع أخطر بكثير من موضوع الطلاق والزواج ، ألا وهو موضوع

العقيدة • فلقد أسقطت التراجم الحديثة تلك الفقرة التي وجدت في الرسالة الأولى ليوحنا ، وجعلت الثلاثة واحدا ، اذ كانت تقول :

« (٦) والروح هو الذي يشهد لأن الروح هو الحق •

(٧) فان الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة : الآب ، والكلمة ،

والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد - ٥ : ٦ - ٧ » •

لقد اختفت فقرة التثليث هذه (العدد ٧) من التراجم الحديثة ، واختفى بذلك النص الوحيد في أسفار العهد الجديد الذي قال : « وهؤلاء الثلاثة هم واحد » ، فكان بذلك البرهان الوحيد لعقيدة التثليث طوال القرون الماضية •

وقياسا على ذلك ، فمن المتوقع أن تتعرض نصوص الطلاق والزواج التي أوردتها الأناجيل لتعديلات تجعلها تستقر على صيغ أكثر اتفقا وأكثر تحديدا ووضوحا •

والى أن يحدث ذلك ، والعلم عند الله ، فلنا أن نقرر أصولا ومفاهيم عامة ، تستقى من المحتوى الكلى لأسفار الكتاب المقدس ، نجعلها فيما يلي :

(١) ان المسيح الذي ألزم نفسه بالحفاظ على ناموس موسى ، لا يمكن أن ينقض ذلك الناموس بتحريم الطلاق وتعدد الزوجات •
(٢) وأنه اذا كان مسيح الأناجيل قد اعتقد أن نهاية العالم وشيكة ، وأنها سوف تحدث مصحوبة بعودته الى الأرض خلال الجيل الذي عاصره واستمع الى مواعظه ، أو خلال القرن الأول الميلادى على أكثر تقدير ، فانه :

- قد يحض الناس على نبذ الطلاق ، فلا داعى لفسخ وحدة أسرية طالما كانت نهاية الحياة وشيكة • فهو لا يحرم الطلاق ، حفاظا على شريعة موسى ، لكنه يكره الناس فيه •

— كذلك فانه قد يحض الناس على عدم الاكثار من الزواج ،
وقد يجيبهم في البتولية ، طالما كان الوقت مقصرا ، والعالم في
ساعته الأخيرة • لكنه لا يحرم الزواج ولا تعدد الزوجات ، حفاظا على
شريعة موسى •

ان مراجعة ما تذكره الاصحاحات الأولى من الكتاب المقدس
عن قصة الخلق وتاريخ الانسانية والأحداث الهامة ، تبين حسبما تذكره
دائرة المعارف البريطانية ، الآتى :

«تقدر النسخة العبرية للفترة من بدء الخلق حتى الطوفان
١٦٥٦ عاما ، بينما يبلغ تقديرها في النسخة السامرية ١٣٠٧ عاما ، وفي
النسخة الاغريقية ٢٢٦٢ عاما •

كذلك تقدر النسخة العبرية للفترة من الطوفان حتى دعوة ابراهيم
٣٦٥ عاما ، بينما هي في النسخة السامرية ١٠١٥ عاما ، وفي النسخة
الاغريقية ١١٤٥ عاما •

ان هذه الأرقام ترجع الى أصول بابلية ، ولكنها عديمة القيمة
التاريخية • وحتى لو أخذنا بوجهة النظر التي تقدر عام ١٤٩١ ق م •
تاريخا لخروج الاسرائيليين من مصر — رغم أنه تاريخ مبكر أكثر من
المحتمل — فان تاريخ بدء الخليقة يرجع الى عام ٤١٥٧ ق م حسب
النسخة العبرية (والى عام ٥٣٢٨ ق م • حسب النسخة الاغريقية) «(١) •

واذا أخذنا التقدير المرتفع لتاريخ بدء الخليقة ليكون عام
٥٣٢٨ ق م ، حسب روايات النسخة الاغريقية ، فان هذا يعنى أنه ،
ونحن الآن في عام ١٩٨٩ م ، قد انقضى نحو ثلث عمر البشرية ولم
يعد المسيح الى الأرض وفق نبوءاته التي حددها بجيل ، لا تتعدى
مدته نحو ٤٠ عاما • .

(١) دائرة المعارف البريطانية — الجزء الثالث ص ٥١٠

لقد أثبت الواقع - والواقع دائما خير برهان - أن الموقف يحتاج الى مراجعة شاملة للنصوص ، واعادة النظر فيما استسلم له الناس من تقاليد متوارثة ، ارتقوا بها الى مستوى الشريعة المقدسة .
لقد فرض الكتاب المقدس الأخذ بحقيقة الواقع ، واعتباره معيارا صحيحا للحكم على صدق النبوات ، فقال :

« ان قلت في قلبك ، كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب .
فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب ، بل بطفيان تكلم به النبي ، فلا تخف منه -
تثنية ١٨ : ٢١ - ٢٢ » .

* * *

الواقع بين النظرية والتطبيق

ما أسهل بناء القصور في الهواء ...

فاذا ما استيقظ الوعي وواجه الواقع ، أدرك الحقيقة ، وأن الأمر لم يكن سوى أضغاث أحلام ...

هكذا الحال في شتى مجالات الحياة ، ومن ضمنها مجال التشريع وسن القوانين التي تنظم حياة الناس .

فبعض التشريعات تصدر وكأنها تختص بمخلوقات غير بني آدم ، وما جبلوا عليه من ضعف فطري ، وما أودع فيهم - وفق حكمة الخالق جل وعلا - من غرائز لا يستطيعون تجاهلها ، فتفشل مثل تلك التشريعات عند التطبيق ، وتدفع الناس الى التمرد عليها وانكارها عمليا .

وهناك تشريعات أخرى تراعى مختلف العوامل المؤثرة في سلوك البشر ، وتوازن بين ما جبل عليه الناس ، وما هو مستهدف من الارتقاء بهم فكرا وسلوكا ، فتتجح عند التطبيق ، وتحقق الأهداف المرجوة منها .

ويزداد الأمر خطورة عندما تكون التشريعات دينية : ففي الحالة الأولى ، يكون ثمن التمرد عليها باهظا ، اذ تكون العقوبة شديدة في الآخرة . وأما في الحالة الثانية ، فانها تضمن بتوازنها ، الخير للناس في الدنيا والآخرة .

ونريد الآن أن ننظر في بعض التشريعات والتعاليم المسيحية على ضوء الواقع ، لنرى مقدار الموازنة بين النظرية والتطبيق .

* *

أولا - تحريم الطلاق وتعدد الزوجات في المسيحية

لا يحتاج الأمر في موضوع الطلاق الى كثير بيان . فالأمر واضح تماما ، حيث تمرد الغرب المسيحي على ذلك التشريع الديني الذي حرم الطلاق ، واستبدله بتشريع مدني أباح له الطلاق .

• الطلاق في فرنسا :

« كان الطلاق في فرنسا محرما في عصر الاقطاع ، وفي القانون القديم حتى اعلان الثورة (عام ١٧٨٩) . وجل ما كان يمكن التماسه هو طلب الفرقة (الهجر) اذا تعذر اتفاق الزوجين ومعاشرتهما . . . الا أن مفهوم الطلاق قد تغير تماما بعد ثورة عام ١٧٨٩ وأجيز الطلاق بقانون ٢٠ أيلول (سبتمبر) سنة ١٧٩٢ ، وقد جاء في الأسباب الموجبة لهذا القانون : ان الرغبة في الطلاق تنبعث عن الحرية الشخصية ، وان ارتباط الزوجين مع عدم انحلال رابطة الزوجية معناه فقدان الحرية . . . فالطلاق يمكن حصوله في هذا القانون ، تارة بمعرفة القضاء لأسباب مختلفة (الزنا ، سوء المعاملة ، العقوبة ، الجنون ، الغياب الطويل) ، واخرى برضا الزوجين المتبادل بتقديم تصريح لموظف الأحوال الشخصية باعلان الطلاق ، أو عند عدم اتفاق الزوجين بسبب مفايرة الطباع والأخلاق .

وقد ألغى هذا القانون الفرقة (الهجر) لأنه اعتبره تدييرا ناقصا

لا يوجد ما يرر بقاءه .

وبقى الحال على هذا المنوال الى عام ١٨٠٤ الذي وضع فيه القانون المدني الفرنسي ، فقبل فكرة الطلاق ولكنه قيده بالمواد ٢٢٩ وما بعدها . وأصبح الطلاق لا يمكن ايقاعه الا عن طريق القضاء ، ولأسباب معينة واقعة تحت الحصر وهي : الزنا ، صدور العقوبة ، سوء المعاملة ، الاهانة الجسيمة . واعيد الفراق الجسدي ليتيح للأشخاص المتدينين طلبه بدلا من انحلال الزواج كليا .

وفي عام ١٨١٤ ، بعد عودة الملكية الى فرنسا ، ورد في دستور هذا العام أن مذهب الدولة هو الكاثوليكي ، فحرم قانون سنة ١٨١٦ الطلاق وأبجاز الفراق مراعيًا مبادئ الكنيسة . وبقي الأمر كذلك حتى عام ١٨٨٤ ، حيث بدت نزعة شعبية في اجازة الطلاق ، فجاء قانون ٢٧ تموز (يوليو) سنة ١٨٨٤ الذي أكمل بقانون ١٨٨٦ فأعاد الطلاق لفرنسا . وهذا القانونان اللذان عدلا المواد ٢٢٩ وما يليها من القانون الفرنسي لا تزال أحكامهما مرعية الى اليوم مع ملاحظة التعديل الذي حصل في ١٢ نيسان (ابريل) سنة ١٩٤٥ الذي ساوى بين الزوجين في طلب الطلاق .

فأسباب الطلاق اليوم بالقانون الفرنسي محصورة بما يلي :

- ١ - زنا احد الزوجين على الاطلاق .
 - ٢ - الحكم على احدهما بعقوبة شائنة .
 - ٣ - سوء معاملة احد الزوجين للآخر او تعذيبه او اهانتته
- اهانة جسيمة اذا كان من شأنها الاخلال بالواجبات الزوجية وصيرورة البقاء في الحياة الزوجية صعبا « (١) .

*

● الطلاق في سويسرا :

« يستطيع كل من الزوجين في سويسرا أن يطلب الطلاق في حالة الزنا . . ولأحد الزوجين طلب الطلاق اذا وقع عليه اعتداء من الآخر ، او تعذيب ، او اهانة جسيمة .

ويجوز طلب الطلاق :

- ١ - اذا حكم على احد الزوجين بعقوبة شائنة ، أو سلك سلوكا مخلا بالشرف من شأنه جعل الحياة الزوجية غير ممكنة بالنسبة لطالب الطلاق .

- ٢ - في حالة هجر الزوج زوجته عن نية سيئة مدة سنتين ، وفي حالة عدم تقديم مسكن شرعي لها بلا سبب مشروع .

(١) الطلاق في الاسلام : مولانا محمد علي ص ١٩ - ٢١

٣ - اذا اصاب أحدهما مرض عقلي جعل الحياة الزوجية متعذرة على شرط استمرار المرض مدة ثلاثة أعوام مع ثبوت تعذر شفائه طبيًا» (١) .

*

● الطلاق في ألمانيا :

« أجاز القانون الألماني الطلاق لأسباب معينة :

١ - الحكم على احد الزوجين بالزنا ، ولا يقع الطلاق اذا رضئ أحد الفريقين بالزنا .

٢ - اعتناء احد الزوجين على حياة الآخر .

٣ - هجر احد الزوجين الآخر عن سوء قصد ، ويتحقق سوء القصد :

(أ) اذا حكم على الزوج بالمسكن الشرعي ، ولم ينفذ هذا الحكم مدة سنة كاملة رغم رضوخ الزوجة له .
(ب) اذا هجر الزوج زوجته عاما كاملا ولم يعاشرها .
(ج) اذا أخل أحد الزوجين بالواجبات الزوجية أو سلك سلوكا شائنا بحيث تتعذر الحياة المشتركة .

ويعتبر استعمال العنف نحو أحد الزوجين اخلايا بالواجبات الزوجية .

٤ - اصابة احد الزوجين بمرض عقلي واستمرار هذا المرض مدة ثلاثة أعوام ، ووصول المرض لدرجة جعلت الرابطة المعنوية بين الزوجين معدومة مع فقد كل أمل في الشفاء» (٢) .

*

(١) المرجع السابق ص ٢١ - ٢٢
(٢) المرجع السابق ص ٢٢ - ٢٣

● الطلاق في إنجلترا :

« بعد صدور هذا القانون (عام ١٨٥٧) يمكن تلخيص أسباب الطلاق في إنجلترا بالرجوع اليه والى اجتهاد المحاكم كما يلي :

١ - زنا الزوجة : يجوز للزوج أن يستحصل على حكم بالطلاق إذا ارتكبت زوجته فعل الزنا أثناء الزوجية .

٢ - حق الزوجة بالطلاق : يحق للزوجة أن تطلب حل عقدة الزواج إذا ثبت للمحكمة أن زوجها ارتكب أثناء قيام الزوجية :

(أ) فعل الزنا مع أحد محارمه .

(ب) زواجه بأخرى .

(ج) اغتصابه الاناث .

(د) ارتكابه اللواط .

(هـ) اقدمه على فعل الزنا جبرا ، وبدونه يجوز طلب الهجر .

(و) ارتكابه الزنا مع الهجر بلا سبب مشروع مدة سنتين فأكثر .

(ز) تمنعه عن تنفيذ حكم القاضى بالمعاشرة الزوجية .

(ح) اقدمه على الزنا بعد الحكم بوجوب العودة الى المعاشرة

الزوجية .

(ط) اساءته معاملة زوجته واستحصال الزوجة على حكم بالهجر

بسبب ذلك ، واقدام الزوج على الخيانة الزوجية من جديد « (١) » .

*

من الواضح - اذن - أن السماح بالطلاق في حالة واحدة ، هي الزنا ، حسبما قرره انجيل متى وحده دون سائر الأناجيل التي حرمته ، قد أوقع المسيحيين في عنت شديد ، وساقهم سوقا الى الخروج عليه ، ودعاهم الى اصدار تشريعات أخرى تعالج مختلف

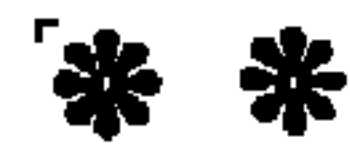
(١) المرجع السابق ص ٢٣ - ٢٤

الحالات التي تجعل استمرار الحياة الزوجية فرضا مستحيلا ، ومن ثم تسمح بالطلاق في تلك الحالات المختلفة ، ولا تقصره على حالة الزنا •

لقد صار الطلاق شرعة فرضتها ظروف الحياة على المجتمعات المسيحية ، يعمل بموجبها عند الاقتضاء ، تماما مثل فريضة حلف اليمين • فالعالم المسيحي يمارس الحلف على الانجيل كل يوم : بدءا من رؤساء الدول ، وأصحاب المناصب الكبرى ، حتى جميع الشهود في المحاكم ••• الخ • ان هذا اجراء ارتضاه البشر جميعا كاحدى الوسائل الممكنة لتحقيق الاستيثاق ، وتذكير الضمير الانساني بمسئوليته •

المسيحي يحلف بالانجيل الذي يقول على لسان المسيح :
« سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تحنث ، بل أوف للرب أقسامك •
واما انا فاقول لكم : لا تحلفوا البتة - متى ٥ : ٣٣ - ٣٤ » •
أى تناقض أوجع من هذا ••

يحلف المسيحي ، كل يوم ، بالانجيل الذي يقول له : لا تحلف •••
ان هذا وحده يكفي للحكم على مدى ملاءمة بعض ما جاء في الانجيل من تعاليم ، خاصة بتنظيم حياة البشر على هذه الأرض •••



وأما تقييد الزواج ومنع تعدد الزوجات ، فقد حدث التمرد خلسة في القرون الماضية ، واجتاح مختلف الطبقات حتى وصل في القرون الوسطى الى أعلى الرؤوس في طبقة الكهنوت •

● اعترافات :

يقول الدكتور لويس عوض في كتابه : ثورة الفكر « كانت الفضايح في روما ، مركز البابوية ، تزكم الأنوف • الأصل في العقيدة الكاثوليكية أن رجال الدين لا يتزوجون ، وأن الرهبان ومنهم الكرادلة والبابوات ، يندرون لله ثلاثة نذور يوم يدخلون باب الدير : نذر العفة ، ونذر الفقر ، ونذر الطاعة • وها نحن نرى البابا اسكندر السادس

(١٤٣١ - ١٥٠٣) جهارا نهارا ، له ثلاثة اولاد غير شرعيين هم : سيزار
بورجيا درق أوربينو (١٤٧٥ - ١٥٠٧) ، ولوكريس بورجيا
(١٤٨٠ - ١٥١٩) ، ودون كانديا .

وها نحن نرى البابوات يبيعون صكوك الغفران ، وها نحن نرى
البابوات يهربون مخالفهم بقرارات الحرمان ، وها نحن نرى رجال
الدين من رأس الكنيسة الى أصغر كاهن يكتزون المال ويقتنون
الضياع .

لقد ساءت سمعة الكنيسة في عصر سافونا رولا (١٤٥٢ - ١٤٩٨)

حتى غدا الناس يتندرون بقولهم عن قسيس : ان سمعته الطيبة تتنافى
مع اتسابه للكنيسة . وكان اسم رجال الدين مرادفا للطفيلية
والكسل ، وكانت العامة تقلد أصوات أجراس الأديرة قائلة : داندو ا
داندو ا ، أى : هات ا هات ا-٠٠٠

وكانت خلافة البابا اينوتشنتو الثامن (الذى اعتلى الكرسي
البابوى من ١٤٨٤ الى ١٤٩٢) فاقعة الفساد ، كولاية خلفه زير النساء
البابا اسكندر السادس . فقد اشتهر اينوتشنتو الثامن
بأنه كان رجل المحسوية وخراب الذمة ، كما أنه كان أول بابا يعترف
علنا بأبنائه غير الشرعيين ، وكان دأبه توسيع أملاك أسرته .

وقد جرت كل هذه الرذائل مجرى التقاليد في البلاط البابوى ،
حتى ان تغير أسماء البابوات لم يعد يعنى شيئا ، فكلهم سواسية في
شهوة السلطان والتمك والاقبال على الملذات (١) .

* *

ويعطى رولاند بينتون لمحة سريعة عما وصل اليه الحال ، وما اقترح

(١) ثورة الفكر : الدكتور لويس عوض ص ١٣٣ - ١٣٤ ،

لعلاجه من مسكنات ، فيقول : « يمكن للمرء أن يدرك الى أى حد كان لوثر يرفع من شأن الزواج ويجعله فوق العزوبة التي وصمها بأنها تهرب من المسؤولية الاجتماعية . ولقد كان دفاعه عن الزواج في مستهل هجومه على تبطل رجال الاكليروس والرهبان شديداً . وكان السبب في ذلك أن الممارسات التي قاومها كانت فظيعة . فلقد كانت ممارسة رجال الاكليروس للتسرى مشاهدة في كل مكان ، باعتباره شرعا مقبولا ، كما كان يتغاضى عن الشذوذ الجنسي ، دون أدنى مبالاة .

لقد اجتاحت هذه الرذيلة الكنيسة في القرون الوسطى . .

وفي صراع لوثر ضد هذا الفساد ، فانه أكد على سماح بولس بالزواج كعلاج فقد كان يقول ان نبضة الجنس قوية لدرجة انه لا يقدر على العفة الا القليل . قد يتجافى بعض الناس عن الشهوة الجنسية ، أما أن يكونوا أعضاء فان هذا يتطلب التحرر من تسلط الجنس ، ولا يقدر على ذلك الا الذين منحوا القوة . من أجل ذلك ، قد يكون الرجل المتزوج اكثر عفة من الراهب ، كما أن فرض العصمة على الذين لم يمنحوا نعمة العفة ، انما هو بمثابة الحكم عليهم بجهنم ، أو بتذوق عذاب المطهر . فلا يحق للبابا بعد اليوم أن يمنع ذكرا وأثى من التزاوج الا اذا كان يحق له منع الطعام والشراب . بل ان الزواج بامراتين قد يسمح به أيضا ، كعلاج لاقتراف الاثم ، اى كبديل عن الاتصال الجنسي غير المشروع» (1) .

* *

رأينا ما أدت اليه تشريعات كبت الجنس وتجاهله ، وكيف أسفر الواقع عن تمرد قوى على تلك التشريعات ، بل وممارسة الشذوذ الجنسي بين طبقة الكهنوت ، الذين يفترض فيهم أن يكونوا مثالا يحتذى . وفي مواجهة للواقع ، بدأ التفكير جديا في الدعوة الى الزواج

(1) R. Bainton : Sex , Love and Marriage, pp. 83 - 85

بدلاً من تلك الدعاوى البالية التي كانت تنفر منه ، بل وأكثر من ذلك
رؤى في إباحة زواج الرجل بمرأتين حلاً مشروعاً ، كعلاج لمنع السفوط
في الزنا • ويعنى هذا بدهاة الاعتراف بنظام تعدد الزوجات كصمام
أمان ، يستخدم عند اللزوم للحفاظ على بنية المجتمع سليمة ومتماسكة ،
فتكون العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة في النور ، تحت السمع
والبصر ، بدلاً من تلك العلاقات السرية الآثمة التي تختلط فيها
الأنساب ، وتضيع بسببها الحقوق والكرامات •



● دعوات للإصلاح :

حين نلقى نظرة على أنماط التفكير الإصلاحى لعلاج المشاكل التي
تعانى منها المجتمعات المسيحية بسبب تحريم الطلاق وتعدد الزوجات ،
نجدها تشير جميعاً ، بطريق مباشر أو غير مباشر ، الى أن الحل يكمن
نظام تعدد الزوجات • ونكتفى هنا بعرض مثالين من هذا التفكير •



**المثال الأول - السماح للرجل بتعدد النساء ، تكون الأولى هي
الزوجة والأخريات سرارى :**

منذ نحو مائة عام ، كتب عالم اللغات القديمة
دى بجلي في كتابه : الأحكام العبرية ، دراسة مقارنة عن تشريعات
الزواج والطلاق في اليهودية والمسيحية والاسلام ، وما عليه الحال
من أعراف وتقاليد تحكم هذه الأمور في بعض شعوب الأرض
وقبائلها •

وقد تحدث عن نظام الزوجة الواحدة ، وشريعة تعدد الزوجات ،
وقارن بينهما مستخدماً تعبير البلاد المتمدنة ، ويقصد به البلاد التي
يسكنها العنصر الأوربي فقط ، كما استخدم تعبير : البلاد غير المتمدنة ،
ليعى بقية بلاد العالم ! وكان مما كتبه : « أما في البلاد المتمدنة ،
المحرم فيها تعدد الزوجات ، فإن الأسباب الداعية الى تعدد
الزوجات موجودة ولكن طرق الحصول على قضاء الشهوة عند

الضرورة الداعية اليها ، تختلف عن طرق البلاد غير المتمدنة
في الاسم والصفة . فيتخذ بعض الرجال الأخدان سرا وعلانية اذ يقضون
شهوتهم مع المومسات والعاهرات . وهما طريقتان مفضلتان عن
تعدد الزوجات عند الناس (!) ، الا أن فيهما الضرر على النساء
والأولاد ، فلا يستحسنان من هذه الوجهة .

ان تعدد الزوجات مباح في أغلب بلاد المعمورة ما عدا أوروبا ،
ولكن لا تظن أن تحريمه في أوروبا قديم جدا ، فقد كان مباحا حتى عهد
النصرانية . وأعظم دليل عليه ، زواج الملك شارلمان بأكثر من
واحدة . وما كان يفعله القسس مدة انتشار تعدد الزوجات في أوروبا ،
انهم كانوا يأمرؤن الناس المتزوجين بأكثر من واحدة ، أن يختاروا لهم
من بينهن واحدة يطلق عليها اسم زوجة ، وعلى غيرها اسم خدن .

ونحن وان كنا نسلم بأن أحسن زواج يشرع هو الزواج بامرأة
واحدة ، وأن أحسن نظام عائلي لا يتأتى الا اذا اقتصر الزوج
على زوجة واحدة ، ولكننا لا نرى في تعدد الزوجات ما رآه فيه غيرنا
من الفظاعة والمغايرة للطبيعة ، وما يصفه بعض بسطاء العقول ، بل نحن
على خلافهم نجد فيه كثيرا من الفوائد الحسية والمعنوية ، ونراه أقرب
الى الطبيعة البشرية خصوصا طبيعة الرجال . .

وأقل ما في تعدد الزوجات من الفوائد الحسية تحسين النسل .
وأما كون النسل يتحسن بهذه الوساطة فظاهر مشاهد في الحيوانات
جميعا ، لأن الناس يختارون القوى من الذكور للتلقيح ، ولا يختارون
الضعيف ردىء البذرة .

وان أحسن شكل لإباحة تعدد الزوجات هو قصر الزوجية على
امراة واحدة تكون الزوجة الحقيقية للرجل ، مع إباحة اتخاذ الأخدان

والسرارى ، فبذلك تجتمع مزايا التزوج بامرأة واحدة ، ومزايا تعدد الزوجات .

لقد قلنا ان أحسن شكل ، وأكمل نظام للزواج هو اقتصار الرجل على نكاح امرأة واحدة ، الا أن الجارى فى العالم يخالف هذه السنة الشريفة ، فلا تجد بلدا يخلو من زيجات مغايرة لأحكام هذا الزواج حتى المحرم فيها تعدد الزوجات تحريما قطعيا (مثل المجتمعات المسيحية) ، وذلك لأسباب جمة تضطر الرجل أو المرأة الى مخالفة شرع الزواج وحدوده ، منها : ميل الذكر بفطرته الى تعدد الزوجات ، ومنها : موانع بدنية تطرأ على المرأة فتحرم الرجل من الاجتماع بها وتمنعه عنها مددا بعضها قصيرة ، وبعضها طويلة كالحيض والنفاس واشتغالها بالرضاع . ومنها : غياب الرجال فى الخدمة العسكرية واضطرارهم الى ترك نساءهم أثناءها لصعوبة الجمع بين معيشة الزوجية والخدمة العسكرية . . . كل هذه الأسباب كانت تبيجتها اختلال سنة الزواج الصحيح الكامل ، وتنوع صور اجتماع الرجل بالمرأة . . .

ان الاقتصار على زوجة واحدة لم يأت بالغرض المقصود منه حيث لم يمح أنواع الزيجات الأخرى . وغاية ما فى الأمر ان الناس ينظرون الى تلك الأنواع بعين غير العين التى ينظرون بها الى الزواج ، وأن النساء المتخذات للاستفراش بهذه الأنواع صرن مغبونات بشريعة النكاح ، لأن مضار التسرى واتخاذ الخدن والاستفراش غير المشروع عائدة عليهن وحدهن ، كما أن عقاب الزنا والسفاح لا يصيب فى الغالب غير النساء . . .

ولقد نسخ هذا التسرى الرومانى بحكم النصرانية ، ولكن الأوربيين لا يزالون يتخذون الأخدان ولم يتبعوا شرعهم الدينى فى تحريم تعدد الزوجات . . . ولا يعاقبون على التسرى واتخاذ الأخدان ، ويفضون الطرف عنه ولو انه غير جائز شرعا «(١)» .



(١) المقابلات والمناظرات ص ٣٣٨ - ٣٥١

المثال الثاني - اعادة النظر في موقف المسيحية من تعدد الزوجات :

ألقى هوارد روت محاضرة في كلية اللاهوت بكامبردج ، عام ١٩٦٢ ، كان موضوعها : مشاكل الجنس الأخلاقية وكان مما جاء فيها : « يجادل الناس في مسائل الجنس على المكشوف ، ويقترّبون منها بوجهات نظر متضاربة • ونجد في الأمور الجنسية أن التأصيل الأخلاقي الجامد هو عدو للفهم الأخلاقي • انها حقيقة محزنة وغير قابلة للانكار ، ان الكنيسة غالبا ما فشلت في ادراك ذلك ، وقد خدعت بصيرتها الأخلاقية بغية التمتع باحترام مظهرى • وحيانا ما كانت تعالج المشاكل الجنسية كما لو كان جسمها يتم بالقواعد المكتوبة •

ان هذه عبارات جافة وصریحة ، ولن نربح سوى القليل اذا فكرنا بعمق في الأسباب التي أوصلتنا الى حالتنا الحاضرة ، على الرغم من أن فهم تلك الأسباب قد يعمق بصيرتنا بحق ••

لقد استمسكت المسيحية منذ نشأتها الأولى ، بأن التحقيق المثالي لمطالب طبيعتنا الجنسية ، يكمن في نظام الزواج بامرأة واحدة • وكثيرا ما افترض أن المبدأ الرئيسى في المسيحية ، هو بكل بساطة ، جعل كل ممارسة جنسية خارج الزواج بامرأة واحدة تعتبر خطأ ، وكل ممارسة جنسية في نطاق ذلك الزواج تعتبر صحيحة • ان الأمور لا تسير هكذا ••

فعندما نتحدث عن مثالية الزواج بامرأة واحدة ، ونوحى بأن ذلك هو الوضع الذى يتم فيه اشباع مطالب طبيعتنا الجنسية بطريقة كاملة وصحيحة ، فاننا نكون فقط قد بدأنا وصف مشاكل الجنس الأخلاقية ••

وهناك اعتبار آخر ، يجب أن يؤخذ في الحسبان على الرغم من أننا نستطيع الاقتراب منه فقط بالتأمل الحذر • ان الانسان في العالم الذى نعرفه ، حيث البلاد المسيحية بخلفيتها الاغريقية واليهودية ،

لا يستطيع تجاهل مثالية الزواج بامرأة واحدة . . لكنى لا أرى سببا يدعو المسيحيين ، او غيرهم ، الى التطرف في التأكيد على أن هذا النظام المثالي هو نوع من المطلق الأبدى ، مثل طبيعة الله ، ونجد ، في واقع الامر ، شواهد في العهد الجديد تحذرنا من هذا الافتراض .

لقد جاء أعداء المسيح ليخبروه حول هذا الموضوع ، فقال لهم : في الملكوت لا يزوجون ولا يتزوجون . انى لا أدعى فهم ما يتضمنه هذا القول ، لكنه يوحى ، على الأقل ، بأن الزواج قد شرع للبشر (في هذه الدنيا) وفقا لاحتياجاتهم وقدراتهم ، في أزمنة وأماكن معينة . وقد قال المسيح أيضا ، في موضع آخر ، ان شريعة موسى فيما يتعلق بالطلاق قد أعطيت لهم بسبب قساوة قلوب الرجال . وهنا أرجو ألا يساء فهمى عندما أقول ، بوجه خاص ، ان مثالية الزواج قد أعطيت لنا بسبب قساوة قلوبنا ، أى بسبب حاجتنا الى النظام والتوجيه اللذان يوفرهما لنا . وبصرف النظر عن كلمات المسيح هذه ، نجد أن القديس بولس اعتبر الزواج ، لأسباب مختلفة ، خيرا لا شك فيه ، اذ : الزوج أصلح من التحرق . أما اعتباره البتولة أفضل من الزواج فهذا واضح لا جدال فيه .

ان هذين الايحاءين اللذين نجدهما في العهد الجديد كافيان لجعلنا نتانى قبل ان نعلن ان الزواج بامرأة واحدة هو المثالى الوحيد الممكن ، وفيه الحل لمشاكل الجنس الأخلاقية .

لقد كان هناك كثير من البحوث المخلصة ، في السنوات الأخيرة ، عن المطالب الاجتماعية التى يجب أن تفرضها الديانة المسيحية ، مثلا ، على مجتمع يمارس تعدد الزوجات . هل هو مستحيل على رجل متعدد الزوجات أن يصير مسيحيا ؟ وهل الدين المسيحى يستلزم أن يطلق الرجال زوجاتهم المعولات ، ومن ثم يحكمون عليهن عمليا بالفقر والعوز ؟ وهل نظام تعدد الزوجات ، يعتبر في كل الأحوال ، استخداما سيئا للجنس ؟

ليس من السهل الاجابة على هذه الأسئلة ، الا ان الحاحها علينا
واهميتها الواقعية ، تجعل انه من الأمور الجوهرية بالنسبة لنا أن نبقي
مفتوحى الفكر ، وأن نتذكر أن الزواج ، مثل السبت ، قد جعل للانسان ،
ولم يجعل الانسان للسبت(١) .

ومن ناحية أخرى ، نجد أنه من الأهمية بمكان أن نلاحظ
التغيرات التي حدثت فى الجماعة الدينية العظيمة ، حيث تعدد الزوجات
أمر عادى : أقصد بذلك الاسلام .

أعتقد انه من الحق أن نقول ان ممارسة الزواج بامرأة واحدة
أخذ فى الازدياد ، وأن بعض المفكرين المسلمين يشجعون على ذلك
بالاشارة الى ما جاء فى تعاليم محمد فبينما يسمح القرآن بتعدد
الزوجات ، مثلما يفعل العهد القديم ، فان النبي قال ان على الرجل
الآن يتزوج بأكثر ممن يستطيع أن يسوى بينهم فى المعاملة والاعزاز .
وبما أن القليل من الرجال هم الذين يستطيعون معاملة أكثر من زوجة
واحدة بنفس مشاعر الحب ، فقد كان النبي فى الحقيقة ، لا يشجع
على تعدد الزوجات . ان هذا هو السبيل الذى تحركت فيه البصيرة
الأخلاقية لأحد الأديان من جيل لآخر .

ان كل شيء فى ميراثنا الثقافى ، والذى تتحمل المسيحية مسئوليته
الى حد بعيد ، يجعل من الصعب علينا أن نكون موضوعيين وصادقين فى

(١) عاب اليهود على المسيح فعل تلاميذه حين لم يحفظوا الراحة
يوم السبت ، اذ « ابتدا تلاميذه يقطفون السنابل وهم سائرون . فقال
له الفريسيون : انظر ، لماذا يفعلون فى السبت ما لا يحل ؟ فقال لهم :
أما قرأتم قط ما فعله داود حين احتاج وجاع هو والذين معه ، كيف
دخل بيت الله . . وأكل خبز التقدمة الذى لا يحل اكله الا للكهننة ،
واعطى الذين كانوا معه أيضا : ثم قال لهم : السبت انما جعل لأجل
الانسان ، لا الانسان لأجل السبت - مرقس ٢ : ٢٣ - ٢٧ » .

مناقشتنا لهذه المشاكل . فالمسيحيون غالبا ما يتسرعون في الاعتقاد بان أى اقتراب من الجنس يشكك في التعاليم المسيحية التقليدية ، لا بد وان يكون خاطئا ، ومن ثم فلا حاجة للبحث فيه بمثل تلك العناية والاهتمام اللتان تحظى بهما على الفور مسائل جدلية ، مثلا ، تتعلق بالعتيدة»(1) .



أما بعد ...

لقد كانت تلك صيحة ضاع صداها سريعا في أعقاب صوت ذلك الانفجار الرهيب الذى عرف في الغرب ، آنذاك ، باسم الثورة الجنسية .



H. Root : GOD , SEX & WAR, pp. 33 - 55.

(1)

ثانياً - التعاليم الأخلاقية في الأناجيل

في دراسة مقارنة عن هذا الموضوع الذي يعتبر ثاني الموضوعات أهمية بعد العقيدة في أي دين من الأديان ، يقول : ج . ويلز (١) - بجامعة لندن - في كتابه : « يسوع المسيحيين الأوائل » ، ما تقتبس بعضاً منه ، واضعين إياه بين علامات الاقتباس .

« لقد جرى التوكيد أحياناً على أنه مهما كان ضعف الدليل على معجزات يسوع ، فإنه يقف شامخاً باعتباره معلماً أخلاقياً ملهماً ، ونابعاً في مجال السلوك الأخلاقي ، مما يؤكد كونه شخصية تاريخية . وفي واقع الأمر ، ان جميع التعاليم الأخلاقية المقبولة في الأناجيل يمكن اكتشافها فيما سجله الكتبة الوثنيون السالفون ، كما سلم بذلك الأسقف ثرول وول (٢) . ويقتبس فارير (٣) تعليم عدم الأنانية من سنيكا ، والحب الأخوي لكل الجنس البشري من كل من سنيكا وشيشرون والمحبة من هذين الاثنين وغيرهما ، والعفو ، والتسامح والرفق من كتاب وثنين كثيرين .

وما كان يعتبره المصري القديم واجباً عليه تجاه جاره ، فجدده في قائمة من الأمور المرعية تعرف باسم : (الاعتراف السلبي) وقد اقتبسه بدج من بردية من القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

ويعتقد أن تلك القائمة كانت ترتلها كل نفس رحلت إلى العالم الآخر ، عند محاسبتها « ومن أمثلة ما تحويه تلك القائمة :

« ١ - لم ارتكب اثماً ٤ - لم أسرق .

(١) G. Wells : The Jesus of The Early Christians, (١)

PP. 55 - 72.

Trirlwall, Bishop C. (historian of Greece) : (٢)

Letters, literary and theological, London, 1881 - PP. 37 - 38.

Farrer, J. A. : Paganism and Christian'y, (٣)

London, 1891, Chapter IX.

- ٥ - لم أقتل رجلا أو امرأة •
 - ٦ - لم أخسر المكيال •
 - ٧ - لم أمكر بأحد •••
 - ١١ - لم أتفوه بكلام رديء •••
 - ١٤ - لم يشتعل قلبي غيظا •••
 - ١٩ - لم أغتب أى انسان ••
 - ٢١ - لم أرتكب زنا أو لواط •
 - ٢٢ - لم أدنس نفسى •
 - ٢٣ - لم أضطجع مع زوجة انسان •
 - ٢٤ - لم أجعل أى انسان فى خوف •••
 - ٢٦ - لم أجعل نفسى أصم عند سماع كلمات الحق والعدل •
 - ٢٧ - لم أجعل أى شخص آخر ييكى •
 - ٢٨ - لم أتفوه بسباب أو تجديف (ضد المقدسات) •••
 - ٣٥ - لم ألوث الماء الجارى •
 - ٣٦ - لم أكن متفاخرا فى كلامى •••
 - ٣٨ - لم أتصرف بفطرسه •
 - ٣٩ - لم أعرف المحاباة •
 - ٤٠ - لم أزد فى ثروتى الا بالوسائل المشروعة ••• «
- هذا - ويستطرد ويلز قائلا :

((يعزو المفسرون المسيحيون الى يسوع تعاليم أخلاقية غير موجودة فى الأناجيل وعندما نقرأ الأناجيل بقصد اكتشاف معيار الصلاح الذى يدافعون عنه ، نجدتها تحتوى على تعاليم أخلاقية أقل عموما مما هو مفترض)) •

*

● من انجيل مرقس :

((فى واقع الأمر ، لا نجد شيئا فى انجيل مرقس ، انه يسجل معجزة تلو الأخرى ليقنعنا أن يسوع كان هو المسيا ، لكنه غير مهتم

بما كان يعظ به • وهو يكرر التلميح الى تعاليم (الانجيل) و (يسوع)
دون أن يخبرنا بمكوفاتها (١ : ١٥ ، ٢١ ، ٣٩ ، ٣ : ١٤) • الخ •

ويخلو هذا الانجيل من موعظة الجبل • كما أن التعاليم التي في
الاصحاح الرابع ليست أخلاقية ، لكنها تتكون من أمثال ملكوت الله •
وتأتي أول اشارة عن تعليم أخلاقي في الاصحاح السابع حيث يدين
يسوع : (الفسق والسرقة والقتل والزنا والطمع والخبث والمكر
والعهر والعين الشريرة والتجديف والكبر والجهل) •

وقد دعا في الاصحاح الثامن الى انكار النفس ، كما ينصحننا في
الاصحاح التاسع بقطع أيدينا وأرجلنا وقلع أعيننا اذا كانت هذه
الأعضاء ستعثرنا ، لأنه خير (أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون
لك عينان وتطرح في جهنم النار) وفي الاصحاح التالي (العاشر) يحرم
يسوع الطلاق ، ويعيد اختصار الوصايا المعتادة : (لا تقتل ،
لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تسلب ، أكرم أباك وأمك) •
ويقتبس الاصحاح الثاني عشر وصايا العهد القديم : (تحب الرب
الهك ••• تحب قريبك كنفسك) • ويضيف يسوع الى هذه من عنده
(ما جاء في الاصحاح العاشر) : (اذهب بع كل ما لك وأعط الفقراء
فيكون لك كنز في السماء) •

● من انجيل لوقا :

« سجل لوقا أحاديث أكثر (يسوع) ، ولكن يصعب في الغالب
اكتشاف أى مبدأ أخلاقي فيها • فمثلا يبدأ يسوع - في الاصحاح
السادس - موعظة الجبل بتطويب المساكين والجوع والباكين
والمكروهين ، ثم هو يلعن الأغنياء والشباعى والضاحكين وأصحاب
الشهرة • ولا يدرك أى مبدأ أخلاقي حتى العدد ٢٧ : (أحبوا
أعداءكم •• لا تدينوا) •

وهو يستمر في التشديد على التبادلية (المعاملة بالمثل) والرحمة وأخيرا فانه يمدح الايمان (٧ : ٥٠) ، ويشهد على انكار النفس ، بل انه يحض تلاميذه على الاستشهاد (٩ : ٢٣ - ٢٤) .

كما يخبرهم بأن (الأصغر فيكم جميعا هو يكون عظيما) (٩ : ٤٨) وعندما يقولون انهم وجدوا انسانا يخرج الشياطين باسمه ومنعوه لأنه (ليس يتبع معنا) ، يأمرهم يسوع ألا يمنعوه (لأن من ليس علينا فهو معنا) وبالنسبة ، فان هذا نقيض لما في انجيل متى ١٢ : ٣٠ حيث يعطى يسوع تعليما مخالفا : (من ليس معي فهو علي ، ومن لا يجمع معي فهو يفرق) .

بعد ذلك يبدأ رحلته الى اورشليم . ويستقبل بجفاء في قرية للسامريين ويسأله تلميذاه الساخطان (يعقوب ويوحنا) : (أتريد أن تقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم ؟ - لكن يسوع - التفت ونهرهما) .

وحسب (الترجمة المعتمدة) (الملك جيمس) نجده قد أردف قائلا : (لأن ابن الانسان لم يأت ليهلك انفس الناس ، بل ليخلص) . ونظرا لأن هذه الكلمات غير موجودة في المخطوطات الأربع الأقدم ، فقد شطبتها (الترجمة المراجعة) .

ان هذا يبين لنا الطريقة التي كانت توضع بها مختلف أساليب التعبير على لسان يسوع ليتفوه بها خلال تاريخ انشاء الوثائق (المسيحية) .

● من انجيل متى :

« اذا صرفنا النظر عن التناقضات ، واتفقنا ببساطة تلك التعاليم ذات الصبغة الأخلاقية الواضحة ، فاننا نستطيع تصنيفها كالأتي :

من الاصحاح الخامس :

- ١ - كن وديعا ومتواضعا •
- ٢ - كن رحيفا •
- ٣ - كن تقييا •
- ٤ - أطلع الشريعة اليهودية •
- ٥ - تجنب الغضب •
- ٦ - كن غافرا ومسترضيا •
- ٧ - تجنب التفكير في الزنا •
- ٨ - لا تطلق زوجتك الا لعله الزنا •
- ٩ - لا تحلف •
- ١٠ - لا تقاوم الشر •
- ١١ - كن محسنا •
- ١٢ - أحب عدوك •

ومن الاصحاح السادس :

- ١٣ - لا تكن متفاخرا في عمل الخير •

ومن الاصحاح السابع :

- ١٤ - لا تدين •
- ١٥ - لا تعط القدس للكلاب •
- ١٦ - افعل بالآخرين ما تريد أن يفعلوه بك •
- ١٧ - لا تقل كلاما تافها •

ومن الاصحاح التاسع عشر :

- ١٨ - كن مستعدا لترك كل شيء وكل شخص من أجل يسوع •

*

وفي استعراض لهذا القانون الأخلاقي ، يقول ويلز :

« ان رقم ٩ يبدو أنه يريد أن يقول : (قل الصدق دائما) ••
وإذا أغفلنا مؤقتا أرقام ٤ ، ٨ ، ١٥ ، ١٨ فإتينا نستطيع استخلاص مبادئ
يسوع الأخلاقية في التشديد على : التواضع ، والرحمة ، والنقاء ،
وتجنب الغضب ، والمغفرة ، والصدق ، وعدم مقاومة الشر ، والاحسان

والتبادلية (المعاملة بالمثل) • ان التركيز هنا على الوداعة ، وهى
الفضيلة الملحوظة بين الشعوب الفهورة فى الامبراطورية الرومانية -
الذين جاء منهم المسيحيون الأوائل - حيث كان ضغط الفقر هائلا لدرجة
ان الحياة لم تكف تستحق العيش)) •

*

● من انجيل يوحنا :

((يوجد اختلاف صارخ بين تعاليم الأناجيل المتشابهة (متى
ومرقس ولوقا) وتلك التى فى انجيل يوحنا • فالأولى تهتم أساسا بكيفية
دخول ملكوت الله ، أما فى يوحنا فان الموضوع الرئيسى هو
يسوع نفسه ، شخصه ومجده • فقد أخبرنا مثلا أنه : (قبل أن
يكون ابراهيم أنا كائن) ، (أنا هو القيامة والحياة) •

ففى هذا الانجيل يعطى يسوع ما أسماء شهيدل تكرارا مستمرا
لقضايا غيبية تتعلق بشخصه ، ولا توجد به أمثال على الاطلاق ، وقد
جاء ذكر ملكوت السموات مرتين •

لقد اعتقد شهيدل - وقد لقيت وجهة نظرة قبولا واسعا - أن
الخلافاً بين التعبيرات الصوفية فى الانجيل الرابع وبين الخطب والأحاديث
فى الأناجيل المتشابهة عظيمة لدرجة أنها لا يمكن أن تكون قد صدرت
عن شخص واحد)) •

**

● كيف راعى المسيح قانونه الأخلاقى :

ويقول ويلز : ((ان ما يصدنا هو أن الأناجيل تظهر لنا يسوع نفسه
غير قادر على تنفيذ أغلب تلك القواعد الأخلاقية الثمانية عشر ••

ان سلوكه ازاء القاعدتين { ، ه يصيبنا بصدمة كبيرة •
اذا كان تجنب الغضب ضروريا جدا ، فلماذا ((نظر حوله اليهم بغضب -

مرقس ٣ : ٥ « ؟ ! وبالنسبة لرقم ١ ، فالبرغم من أنه يقول في فقرة واحدة انه وديع ومتواضع الفؤاد ، فانه يصرح في الاصحاح التالي مباشرة بأنه « أعظم من سليمان - متى ١١ : ٢٩ ، ١٢ : ٤٢ » •

وهو يخبر تلاميذه أن يذهبوا الى مدن اسرائيل ليعلنوا أن ملكوت السموات وشيك ، وأن أى مدينة لا تؤمن بهم ، فحسب قوله ، سيكون عقابها مرعبا يوم الدينونة ، وسيكون حظها أشد سوءا من تلك المدن سيئة السمعة (متى ١٠ : ٥ - ١٥) ان عدم الايمان بدعاواه النبوية صار جريمة لا تغتفر • وكذلك نجد في مرقس ١٦ : ١٦ أن يسوع الذى أقيم من الأموات يعلن أن كل من اعتمد وقبل تعاليمه يخلص ، بينما (من لم يؤمن يدين) • ان مثل هذه المواقف يصعب وصفها بالتسامح •

• كذلك ، نجد أن يسوع ، بينما هو يحرم الذم من ناحية (من قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم - متى ٥ : ٢٢) اذا به ينغمس فيه من ناحية أخرى (أيها الجهال والعميان - متى ٢٣ : ١٧) ، (يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك - لوقا ١٢ : ٢٠) •

ان كل انسان يعلم أنه علمنا أن نجب جيراننا ، بل وحتى أعداءنا (رقم ١٢) ، ومع ذلك فانه يحقر الكتبة والفريسيين ، داعيا اياهم : مرثيين وحيات وأفاعى (متى ٢٣ : ٢٩ ، ٣٣) •

وبجانب اخفاق يسوع في الحفاظ على المعيار الأخلاقى فانه لا يؤيد دائما أى معيار متسق •

فبالرغم من أن علينا أن نجب أعداءنا ، فقد أخبر التلاميذ : (ان أخطأ اليك أخوك •• ولم يسمع لك •• فليكن عندك كالوثنى والعشار - متى ١٨ : ١٧) • فمن الواضح أن هناك صنفين لا يجب ان (هما : الوثنيون والعشارون) ••

وان نعيم يسوع فيما يختص بمن يكون له الخلاص ،
للينة بالتناقضات . ففي متى ١١ : ٢٨ يصور لنا كمن يقول للشعب
(تعالوا الى يا جميع المتعينين .. وأنا أريحكم) .

ولكن في مرقس ٤ : ١٢ يقول الله يتعمد أن يكون غامضا للشعب
لكي لا يفهموه ، وبالتالي لا تكون لهم فرصة للتوبة والخلاص . فهو
يقول لتلاميذه : (قد أعطى لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله . وأما الذين
هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شيء . لكي يبصروا مبصرين
ولا ينظروا ، ويسمعوا سامعين ولا يفهموا ، لتلا يرجعوا فتغفر لهم
خطاياهم) .

ماذا نقول في الله يتعمد أن يكون غامضا لكي لا يخلص أولئك
الذين يسمعه؟! ..

كذلك يوجد عدد من الفقرات التي تعد بالخلاص ليس لقلّة
مختارة من أفراد الطائفة الجديدة لكن أيضا لأولئك الذين يقيمون
الشريعة اليهودية . ويتوافق مع هذا ما يعلن أحيانا من أن الناموس
يعتبر مطلقا وخالدا . وهكذا نجد يسوع يقول في لوقا ١٦ : ١٦ - ١٧
ان : (زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة
من الناموس) ..

ويقول يسوع في متى ٥ : ٧ : (لا تظنوا أنني جئت لأقضى
الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأقضى بل لأكمل . فاني الحق أقول لكم
الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة
من الناموس حتى يكون الكل) .

ان تعبير (الناموس والأنبياء) يدل على المكون الديني الكلي
للعهد القديم ، لأن (الناموس) كان الاسم اليهودي الشائع للأسفاره
الخمسة الأولى ، و (الأنبياء) تعنى الأسفار من يشوع الى الملوك
الثاني ، ومن أشعيا الى ملاخي .

وهكذا ، فان يسوع يقول ان أقل الوصايا أهمية ، وأصغر حرف
من الناموس متماثلان في كونهما خالدين ..

ولكن يسوع ، بعد هذا التسليم الجلى بسطان الناموس ، فانه يقدم
على ادخال تغييرات كبيرة عليه .

ان ناموس موسى يسمح بالطلاق ، لكن يسوع يحرمه الا لعدة الزنا .
ويسمح الناموس بالحلف لكنه يحرمه ..

ان واحدة من أكثر التناقضات حدة في الوثائق (المسيحية) هو
ما نجده بين الفقرات التي تدخر الخلاص لليهود ، وتلك التي تستبعدهم
منه لصالح السامريين والأمميين .

ف نجد متى ، في بضع فقرات ، يتبنى وجهة نظر ضد اليهود ، فهو
يقول مثلاً في ٨ : ١٠ - ١٢ ان كثيرين ، وليس اليهود ، سيكون لهم
الخلاص ، وان ملكوت الله سينزع منهم ويعطى لأمة أخرى (٢١ : ٤٣) ..

وفي واقع الأمر ، فان متى يجعل يسوع يتبنى عادة وجهة نظر
تقتصر على الانحياز لليهود . فهو يبرر رفضه أول مرة شفاء ابنة المرأة
الكنعانية - كما في ١٥ : ٢٤ - بقوله : (لم أرسل الا الى خراف
بيت اسرائيل الضالة) . وعندما يرسل تلاميذه الاثني عشر لتحذير
الشعب من أن ملكوت السموات قريب فانه يعطيهم تعليمات بالألا يبلغوا
بشارتهم الى الأمميين أو السامريين ، ولكن فقط لليهود (١٠ : ٥) .

ان هذه التعليمات المنحازة لليهود قد حذفها كل من مرقس
ولوقا . وبينما يتعهد متى بأن يكون لليهود فرصة أخرى للتوبة ،
وأما السامريين فلا ، فان لوقا يجعل يسوع يقول مثل السامري
الطيب ، حيث يوضع السامريون في أفضل صورة ، واليهود في أدنى
صورة . ان هذا المثل قد ضرب من أجل غرض واضح وهو بيان :

(من هو قريبي) ، ومن ثم نعلم من المقصود عندما نؤمر بمحبة جارنا كمحبتنا لأنفسنا (١٠ : ٢٧ - ٢٩) .

اذا كانت الوصية المعادية للسامريين هي ما تفوه به يسوع ، فان المثال المدافع عن السامريين ليس من قوله . واذا كان أحد هذه الأقوال قد وضع زيفا على لسان يسوع ، فعندئذ قد تأكد بوضوح كيف يمكن أن يحدث أى شيء بمنتهى السهولة » .

* *

ونضيف الآن الى التعاليم الأخلاقية التي نسبها كتبة الأناجيل الى المسيح ، ثم أظروه للناس وقد تحلل منها لصعوبتها ، ما هو شائع بين الناس مثل قوله : « من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا - متى ٥ : ٣٩ » .

ففى رواية يوحنا عن استجواب ذلك الذى قبضوا عليه أمام رئيس الكهنة يقول : « سأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه أجابه يسوع : أنا كلمت العالم علانية . أنا علمت كل حين فى الجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما . وفى الخفاء لم أتكلم بشيء . لماذا تسألنى أنا ؟ اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم . هو ذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا .

ولما قال هذا لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفا قائلا : أهكذا تجاوب رئيس الكهنة ؟!

اجابه يسوع : ان كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردى وان

حسنا فلماذا تضربنى ؟! - يوحنا ١٨ : ١٩ - ٢٣ » .

لقد احتج يسوع الأناجيل على ضربه على خده ، ولم يدر الخد الآخر لتلقى مزيد من اللطمات .

وهكذا تتهاوى القصور الأخلاقية التي بنيت فى الهواء . فالدعوة الى

محبة الأعداء قد نقضها موقفه من الكتبة والفريسيين ، بل ومن العشارين
والوثنيين .

وتقبل المزيد من اللطامات قد انهار أمام لكمة واحدة . وهكذا فعل
كتبة الأناجيل بالسيح وتعاليمه الشيء الكثير . .

● تعاليم المسيح الأخلاقية وتعاليم السابقين :

يقول ويلز : « ان التعاليم الأخلاقية للمسيح التي ذكرها متى في
موعظة الجبل (٥ : ١) قد جعلها لوقا مختصرة في موعظة سهيل
(٦ : ١٧) . وهما وان كانت تعبيراتهما تتماثل أحيانا فانها تختلف في
أحيان أخرى .

فحسب رواية لوقا ، يقول المسيح : (طوباكم أيها المساكين . .
طوباكم أيها الجياع الآن - ٦ : ٢٠ - ٢١) بينما يقول المسيح في
رواية متى : (طوبى للمساكين بالروح . . طوبى للجياع والعطاش
الى البر - ٥ : ٣ - ٦) .

كذلك يقول لوقا : « ويل لكم أيها الأغنياء ، لأنكم قد نلتهم
عزاءكم - ٥ : ٢٤ » وهذه غير موجودة في رواية متى .

وعلى كل حال فان كل فقرات هذه التعاليم قد وجدت لها نظائر
في الآداب اليهودية ، المتقدمة والمتأخرة ومستقلة تماما عن أى تقاليد
مسيحية (انظر التماثلات التي استخرجها روبرتسون) (١) ،
وان الكتابات التي تنتظم مثل هذه الحكم الأخلاقية لأغراض الوعظ
والتعليم ، كانت موجودة في الطائفة اليهودية قبل نشأة المسيحية

J. Robertson : Christianity and Mythology, (١)
pp. 404 ff.

مباشرة • ويمكن تبيان هاتين النقطتين من : (كتاب أسرار اخنوخ) ••
وهو كتاب غير مسيحي ، وأقدم من أى انجيل من الأناجيل ••
ان بعض فقراته متماثلة بشكل مدهش لأجزاء من موعظة الجبل ،
فهنالك مثلاً : طوبى لمن يقيم السلام) (كتاب أخنوخ ٥٢ : ٢ ،
انجيل متى ٥ : ٩) •

وكذلك : « سوف لا أحلف •• لا بالسما ولا بالأرض ولا بأى
مخلوق آخر مما صنعه الله •• اذا لم يكن فى الناس صدق ، دعهم يحلفون
بكلمة : نعم ، نعم او لا ، لا » (أخنوخ ٤٩ : ١ ، متى ٥ : ٣٤ - ٣٧) •
ونجد فى الاصحاح الثانى والأربعين (من كتاب أخنوخ)
التطويبات الآتية التى تشبه ما فى الانجيل من حيث أن عددها تسعة ،
وأن أغلبها توليفة من المزامير والأنبياء وآداب يهودية أخرى :
طوبى لمن يخشى اسم الرب ، ويخدم دائماً أمام وجهه ويقدم عطاياه
بخوف وباستمرار فى حياته ، ويعيش كل حياته باراً ثم يموت •

طوبى لمن يحكم بالعدل ، لا من أجل مكافأة بل من أجل البر ، غير
منتظر أى شىء فى المقابل ••
طوبى لمن فيه الصدق ••
طوبى لمن تسرى المحبة على شفتيه ، ويمتلئ قلبه بالشفقة •

ان كل هذه الأدلة تبين أن الأسلوب الوعظى لموعظة الجبل لم
يكن فقط مما قبل المسيحية ، بل ان نظم الحكم الأخلاقية معا ،
والمنتخبة من التقاليد اليهودية السابقة ، لم يكن مجهولاً بأية حال من
الأحوال عند بداية العصر المسيحي « (١) » •

* * *

G . Wells. The Jesus of The Early Christians, (١)
pp. 69 - 71.

تعدد الزوجات في الاسلام

عُرف تعدد الزوجات قبل الاسلام ، سواء في البيئة العربية أو في غيرها من البيئات والمجتمعات •

وعرف في الديانات السابقة ، فقد عرف في شريعة موسى ، ومارسه الآباء والأنبياء السابقون •

وعرف في صدر المسيحية ، ثم مورس عمليا ، سرا أو جهرا عبر القرون ، فكان لبعض المسيحيين أكثر من امرأة ، تحت أى مسمى من المسميات • ولقد كان العرب قبل الاسلام يمارسون التعدد دون رابط أو تنظيم ، فلما جاء الاسلام حده ، بما لا يتعدى أربع زوجات ، مع ضرورة مراعاة العدل • وفي هذا يقول القرآن العظيم في مطلع سورة النساء ، التي استفتحت بطلب التقوى ، ثم تذكير الناس جميعا باخوتهم في الانسانية ، بحكم أنهم جاءوا في هذه الحياة نتيجة التزاوج بين الرجل الأول آدم ، والمرأة الأولى ، التي خلقت منه : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا •

وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تاكلوا أموالهم الى أموالكم ، انه كان حوبا كبيرا •

وان خفتهم ألا تفسنطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتهم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى الا تعولوا ﴿ (النساء : ١ - ٣) •

فعلى المسلم الذي تزوج بواحدة ، ثم أراد أن يعدد بالزواج من ثانية ، مثلا ، أن يقف أمام آيات الله هذه ، ثم يراجع ضميره أمام هذا

السؤال : هل هو مزعم أن يعدل بينهما جهد طاقته ؟ فان وثق في نفسه ،
أقدم على الزواج ، وان خشي عدم العدل ، فكلام الله مبين :
﴿ فان خفتن ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ﴾ . اي ،
كما قال ابن كثير : « ان خفتن من تعداد النساء أن لا تعدلوا بينهن —
كما قال تعالى : ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ﴾
— فمن خاف من ذلك ، فليقتصر على واحدة ، أو على الجوارى
السرائى » .

ولقد بين القرآن في الآية رقم ١٢٩ من نفس السورة ، استحالة
العدل المطلق بين النساء ، فقال : ﴿ ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء
ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وان تصلحوا
وتتقوا فان الله بآن عفورا رحيمًا ﴾ .

ان القاضى في كل زمان ومكان ، يفترض فيه أن يتوخى العدل ،
ورغم ما يبذله الواحد منهم ، مخلصا في سبيل ذلك ، فقد يجانبه العدل .
والعالم كله يعترف بهذا الواقع ، بدليل أنه يجعل المحاكم درجات
أو مراحل ، حيث تقوم المرحلة الثانية ، في أغلب الأحيان ، بتصحيح
أحكام المرحلة الأولى ، وهكذا .

والأمر في العلاقات الزوجية صعب ، ذلك أن الزوج يستطيع العدل
بين زوجاته في أمور المعيشة ، لكن شيئا واحدا لا يملكه ، أو بتعبير
أدق ، لا يملك استمراريته ، ألا وهو الميل القلبي . من هنا استحالة
العدل ، وصرف النظر عن تحقيق نسبة ١٠٠٪ ، ويكتفى بما دون ذلك ،
بشرط ألا يتردى الى الحضيض ، وذلك بأن يميل عن واحدة منهن كل
الميل ، فينحاز الى الأخرى كل الانحياز .

وفي هذا ذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ فلا تميلوا
كل الميل ﴾ : أى فاذا ملتم الى واحدة منهن ، فلا تبالغوا فى الميل
بالكلية ، ﴿ فتذروها كالمعلقة ﴾ أى فتبقى هذه الأخرى معلقة . لا ذات
زوج ، ولا مطلقة .

ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا استفتحت سورة النساء بأمر
الناس بتقوى الله ، والتحذير من ظلم النساء ، ومراعاة العدل ، فجاء
فيها هذا القول الكريم :

﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيباً ﴾ . .
﴿ فان خفتن ألا تعدلوا فواحدة ﴾ . .

﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل
الميل فتدروها كالعقبة ، وان تصلحوا وتتنقوا فان الله كان عفورا رحيماً ﴾ .



هذا ، وبعد أن نزلت آيات قصر الزوجات على أربع فأقل ، قام
المسلمون الذين عددوا زوجاتهم بتسريح من زدن عن أربع . فهذا غيلان
ابن سلمة الثقفي كان قد أسلم وتحتة عشر نسوة ، فقال النبي ﷺ
« اختر منهن أربعاً » ونفس الشيء حدث مع عميرة الأسدي ، فقد
قال : أسلمت وعندى ثمان نسوة ، فذكرت للنبي ﷺ ، فقال :
« اختر منهن أربعاً » .



بعد ذلك ، وبمراجعة واقع البشرية وتجاربها الأسرية ، يتبين لنا
أن تعدد الزوجات حسبما جاء في الاسلام ، انما هو رحمة من الله ،
تؤخذ بحقها ، وخاصة عندما يتعرض الناس ، أمما وأفرادا ، لحالات
لا تستقيم فيها حياتهم الا بهذه الرخصة .

فعلى مستوى الأمم والجماعات : لا يوجد أدنى ضمان بجعل عدد
النساء مساويا لعدد الرجال ، بحيث يكون لكل أثنى ذكر يتزوجها .
فإناس جميعا . لا يملكون من هذا الأمر شيئا ، إذ أن الأمر كله لله :

﴿ لله ملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء

انا ان يهب لمن يشاء الذكور . او يزوجهم ذكرا نانا وانا ، ويجعل من يشاء عقيما ، انه عليم قدير ﴿ الشورى : ٤٩ - ٥٠ ﴾ .

واذا حدث تساوي في فترة ما بين عدد كل من الذكور والاناث ، فلا يوجد أدنى ضمان لاستمرارية ذلك التساوي المؤقت ، بفعل عوامل كثيرة منها : الموت الطبيعي ، والأوبئة والكوارث المختلفة ، ثم هناك الحروب التي درجت عليها البشرية منذ نشأتها ، وكان أكثر ضحاياها حتى عصرنا الحاضر ، من الرجال دون النساء .

ولقد تنبأ أشعيا بما سيكون عليه الحال في المستقبل حين تحصد الحرب الرجال ، وتترك الأيتام والأرامل من النساء بلا عائل . فيكون الحل الوحيد الذي يرتضيه عن طيب خاطر ، هو تعدد الزوجات ، ولو بواقع سبع نساء لكل رجل . وفي هذا يقول :

« رجالك يسقطون بالسيف ، وأبطالك في الحرب . فتشن وتفتح أبوابها وهي فارغة تجلس على الأرض .

فتمسك سبع نساء برجل واحد في ذلك اليوم ، قائلات : ناكل خبزنا ونلبس ثيابنا . ليدع فقط اسمك علينا . انزع عارنا - أشعيا ٣ : ٢٥ - ٢٦ ، ٤ : ١ » .

وإذا تحقق ذلك التوازن الافتراضي لفترة ما ، فلا يوجد أدنى ضمان لامكانية تزواج أي ذكر بأي أنثى ، أو العكس . فهناك عشرات العوامل النفسية والمادية التي تتحكم في إقامة علاقة أسرية بين الزوجين : الذكر والأنثى . . .

وأما على مستوى الأفراد : فلا يوجد أدنى ضمان بعدم حدوث عقم ، أو مرض طويل أو مستعصي الشفاء ، أو غير ذلك مما يعوق تحقيق مطالب الانسان المرجوة من الزواج .

من أجل ذلك ، وغيره كثير ، رحم الله البشر ، فسمح لهم بالطلاق ،

وان اعتبره عملاً بغيضاً • فقد قال رسول الله : ما أجل الله شيئاً أبغض
إليه من الطلاق» (١) •

ان هناك حالات صارخة ، لا علاقة لها بزنا الزوجة ، تتطلب وفق
أبسط معايير الانتائية والرحمة وما يقال صباح مساء عن المحبة ، أن
يحدث الطلاق • ويعالج برتراند رسل مثل هذه الحالات فيقول :
« لقد كانت تعاليم الكنيسة ، وما زالت الى الآن ، أن العزوبة أفضل ،
أما أولئك الذين يجدون ذلك مستحيلاً فيسمح لهم بالزواج ، فلقد
قال القديس بولس : التزوج أصلح من التحرق • ولقد فعلت الكنيسة
ما في استطاعتها لضمان أن الشكل الوحيد للعلاقة الجنسية التي
سُمحت بها تتضمن قدراً قليلاً من المتعة وجزءاً كبيراً من الألم ، وذلك
بجعل الزواج رباطاً غير قابل للحل • • لنأخذ ، على سبيل المثال ،
مسألة الوقاية من مرض الزهري ، اذ المعروف أنه باتخاذ الاحتياطات
مقبها ، فان خطر العدوى بهذا المرض تتضاءل شدته • ومع هذا ،
فان المسيحيين يعارضون نشر معرفة هذه الحقيقة ، حيث انهم يعتقدون
أنه من الخير معاقبة الخاطئين • فهم يعتقدون بأن في ذلك كل الخير ،
لدرجة أنهم راعبون في أن يمتد العقاب الى زوجات الخاطئين وأطفالهم •
ويوجد الآن في عالمنا المعاصر آلاف مؤلفة من الأطفال الذين يعانون من
الزهري منذ ولادتهم ، والذين كان في الامكان ألا يولدوا ، لولا رغبة
المسيحيين في أن يروا الخاطئين يعاقبون • انى لا أستطيع أن أفهم كيف
يمكن لتعاليم تؤدي الى هذه القسوة الشيطانية ، أن تعتبر ذات تأثير
طيب على الأخلاقيات» (٢) •

ومن أجل استمرارية الحياة ، سمح لهم بتعدد الزوجات وفق
ضوابط مادية وأخلاقية •

(١) رواه أبو داود •

(٢) Bertdand Russll : Way I am not a Christian, pp. 20-21. (٢)

أما إذا أساء المسلمون استخدام هاتين الرخصتين ، فالذنب
عليهم ، والعيب فيهم ، ومثلهم حينئذ ، كمثـل مريض وصف له الطبيب
دواء يتعاطاه بقدر ، فأسرف فيه ، فهلك . فـتلك سنن الأشياء التي
أكدتها خبرات الحياة .

﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾
(فاطر : ٤٣)



الباب الثالث

مكانة المرأة

- مكانة المرأة في اليهودية .
- مكانة المرأة في المسيحية .
- المرأة في مسيحية المسيح .
- المرأة في مسيحية بولس .
- المرأة في ظل الكنيسة .
- مكانة المرأة في الاسلام .

مكانة المرأة فى اليهودية

● المرأة هى المسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى :

تقول قصة الخلق فى الكتاب المقدس : «أخذ الرب الاله آدم ووضع
فى جنة عدن ليعملها ويحفظها • وأوصى الرب الاله آدم قائلاً : من جميع
شجر الجنة تأكل أكلا • وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها •
لأنك يوم تأكل منها موتا تموت •
وقال الرب الاله : ليس جيداً أن يكون آدم وحده • فأصنع له
معيماً نظيره ••

أوقع الرب الاله سبباً على آدم فنام • فأخذ واحداً من أضلعه
وملاً مكانها لحماً • وبنى الرب الاله الضلع التى أخذها من آدم امرأة
واحضرها الى آدم •

فقال آدم : هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى •
هذه تدعى امرأة لأنها من امرء أخذت •• وكان كلاهما عريانين آدم
وامراته وهما لا يخجلان •
وكانت الحية أحيلاً جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الاله •
فقلت للمرأة : أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة؟! •

فقلت المرأة للحية : من ثمر الجنة تأكل • وأما ثمر الشجرة التى
فى وسط الجنة فقال الله : لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا •
فقلت الحية للمرأة لن تموتا • بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه ،
تفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر ••

فأخذت من ثمرها وأكلت ، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل •
فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان ••
وسمعا صوت الاله ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار •
فاختبأ آدم وامراته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة • فنادى

الرب الاله آدم وقال له : أين أنت ؟ • فقال : سمعت صوتك في الجنة
فخشيت لأني عريان فاختبأت • فقال : من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت
من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها ؟

فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت •
فقال الرب الاله للمرأة : ما هذا الذي فعلت !؟

فقلت المرأة : الحية غرتني فأكلت •

فقال الرب الاله للحية : لأنك فعلت هذا ، ملعونة أنت من
جميع البهائم... على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك ••
وقال للمرأة : تكثيرا أكثر اتعاب جلك • بالوجع تلدين اولادا •
والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك •

وقال لآدم : لأنك سمعت لقول امراتك •• ملعونة الأرض بسببك •
بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك •• بعرق وجهك تأكل خبزا حتى
تعود الى الأرض التي أخذت منها • لأنك تراب والى تراب تعود ••

وقال الرب الاله : هو ذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا
الخير والشر • والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل
ويحيا الى الأبد • فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التي
أخذ منها • تكوين ٢ : ١٥ - ٢٥ ، ٣ : ١ - ٢٤ » •

ان قصة الخلق ، على هذه الصورة ، تشير كثيرا من التساؤلات •••
ونورد هنا بعض الأقوال التي جاءت تعليقا على قصة خلق السموات
والأرض والانسان في أسفار الشريعة الخمسة تقلا عن الترجمة
الفرنسية المسكونية • فالعلماء يعتقدون أن تأليف هذا السفر استغرق
عدة أجيال ، وأن مؤلفيه قد اقتبسوا من روايات وتقاليد كثيرة كانت
متداولة في منطقة الشرق الأدنى القديم • فهم يقولون في المدخل الى سفر
التكوين : « لا بد من التذكر بأن سفر التكوين لم يؤلف دفعة واحدة ،
بل جاء نتيجة عمل أدبي استمر عدة أجيال ••

لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس ، وهم يروون بداية العالم والبشرية ، أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم ، ولا سيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية . فالاكتشافات الأثرية منذ نحو قرن تدل على وجود كثير من الأمور المشتركة بين الصفحات الأولى من سفر التكوين وبين بعض النصوص العنائية والحكمية الخاصة بسومر وبابل وطيبة وآوغاريت . . . لكن علم الآثار يدل أيضا على أن المؤلفين الذين أعادوا النظر في الفصول الأولى من سفر التكوين وأضافوا عليها اللامسات الأخيرة لم يكونوا مجرد مقلدين عميان ، بل أحسنوا إعادة معالجة المصادر المتوفرة بين أيديهم . . .

بديهي أن المقارنة بين نص الكتاب المقدس والروايات المتعلقة ببداية العالم أو بأبطال العصور القديمة لا تخلو من الفائدة في نظر قارئ الكتاب المقدس . فهناك كثير من الشواهد عن الماضي الأدبي في الشرق الأدنى القديم ، نذكر منها الرواية البابلية عن خلق العالم عن يد الإله مزدوك ومغامرات جلجامش البطل . . .

وضعت روايات الآباء في زمن يبعد كثيرا عن الأحداث العائدة إليها . . .



ثم يقول العلماء تعليقا على بعض فقرات خلق آدم وحواء وطردهما من الجنة :

— يبدو أن مصدر رواية خلق المرأة (٢ : ١٨ - ٢٤) هو تقليد مستقل . فكلمة انسان في الآية ١٦ تدل على الرجل والمرأة ، كما هو الحال في ٣ : ٢٤ ، ٣ : ١ - ٣ الذي يتبع ٢ : ١٧ يقتضى أن تكون الوصية (بعدم الأكل من الشجرة) قد فرضت على الرجل والمرأة . . .

– يقع الحكم على المذنبين الأولين (آدم وحواء) في نشاطاتهما الأساسية ..

– فالمرأة لا تكون شريكة الرجل ، ولا تساويه (٢ : ١٨ – ٢٤) ،

بل تسمى فتنة الرجل ، وهو يستعبد لها لتلد له الأولاد ..

– تصدر شجرة الحياة عن تقليد مواز لتقليد شجرة المعرفة (بالخير والشر) .

– الانسان قابل للموت بطبيعته (راجع الآية ١٩ : بعرق وجهك

تأكل خبزا حتى تعود الى الأرض التي أخذت منها . لأنك تراب والى تراب تعود) لكنه يطمح الى الخلود الذي سيحصل عليه في آخر الأمر .



من الواضح الآن ، أن ما ذكره علماء الكتاب المقدس خاصة بسفر التكوين وما جاء فيه من روايات خلق السموات والأرض والانسان وخطيئته الأولى ، قد وضع مصداقية هذه الروايات موضع تساؤل . وليس هذا هو بيت القصيد ، إذ أن هناك كثيرا من الروايات الأخرى لها نفس القدر من المصداقية ، لكن خطورة ما جاء في رواية الخطيئة الأولى وطرده الانسان بسببها من الجنة ، أنه استمر حتى اليوم يلهب الفكر الاسرائيلي لمدة تزيد عن اثنين وثلاثين قرنا ، ثم الفكر المسيحي لمدة تقرب من عشرين قرنا ، بمفاهيم عن المرأة ، تبين الآن أن مصداقيتها موضع تساؤل .

فالمرأة ، وفق ما سبق بيانه ، هي المسئولة عن الخطيئة الأولى وما ترتب عليها من شقاء للبشرية . فالمرأة شيطان الرجل ...

ولهذا جاء عقابها مضاعفا : فمتاعب حملها كثيرة ، وولادتها بالوجع ...

وهنا يلح سؤال : ان اناث الحيوانات تحمل وتلد بمتاعب ووجاع كثيرة ، فهل يحدث لها ذلك بسبب خطيئة ارتكبتها جداتها في الأزل؟! ...

ان عقاب المرأة لم يقتصر على آلام الحمل والولادة ، ولا على

متاعب الحياة الأخرى التى تشترك فيها مع الرجل ، بل تعداه الى تسلط الرجل عليها ، فهو سيدها ، وفق نص الكتاب المقدس ، وهى « لا تكون شريكة الرجل ، ولا تساويه ، بل تيسى فتنة الرجل ، وهو يستعبدها لتلد له الأولاد » ، وفق نص علماء الكتاب المقدس .



● زوجة العبد وأولادها ملك لسيده :

« اذا اشتريت عبدا عبرانيا ، فست سنين يخدم وفى السابعة يخرج حرا مجتانا . . ان أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين أو بنات ، فالمرأة وأولادها يكونون لسيده ، وهو يخرج وحده .

ولكن ان قال العبد : أحب سيدي وامراتي وأولادى ، لا أخرج حرا ، يقدمه سيده الى الله . . ويثقب سيده أذنه بالثقب ، فيخدمه الى الأبد . . خروج ٢١ : ٢ - ٦ » .



● المرأة تباع وتشتري :

« اذا باع رجل ابنته أمة ، لا تخرج كما يخرج العبيد - خروج ٢١ : ٧ » .

« قال بوعز للشيوخ ولجميع الشعب : أتم شهود اليوم قد اشتريت كل ما لأليمالك . . . وكذا راعوث الموابية ، امرأة محلون قد اشتريتها لى امرأة - راعوث ٤ : ٩ - ١٠ » .
وراعوث هذه جدة داود .



● نجاسة ولادة الأنثى ضعف نجاسة ولادة الذكر :

اذا حبلت امرأة وولدت ذكرا ، تكون نجاسة سبعة أيام . . ثم

تقيم ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطهيرها .

وان ولدت انثى ، تكون نجسة أسبوعين . . ثم تقيم ستة وستين يوما
في دم تطهيرها - لاويين ١٢ : ١ - ٥ « .



● الميراث للذكور فقط :

« اذا كان لرجل امرأتان : احدهما محبوبة والأخرى مكروهة ،
فولدتا له بنين ، المحبوبة والمكروهة . فان كان الابن البكر للمكروهة ،
فيوم يقسم لينييه ما كان له ، لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرا على
ابن المكروهة البكر . بل يعرف ابن المكروهة بكرا ليعطيه نصيب اثنين
من كل ما يوجد عنده لأنه هو أول قدرته ، له حق البكورية -
تثنية ٢١ : ١٥ - ١٧ « .

● ولا ترث الاناث الا عند فقد الذكور :

«تقدمت بنات صلفحاد ووقفن أمام موسى قائلات : أبونا
مات في البرية . . ولم يكن له بنون . لماذا يحذف اسم أيينا من بين
عشيرته لأنه ليس له ابن؟! أعطنا ملكا بين اخوة أيينا . فقدم موسى
دعواهن أمام الرب .

فكلم الرب موسى قائلا : بحق تكلمت بنات صلفحاد ، فتعطين
ملك نصيب بين اخوة أيهن ، وتنقل نصيب أيهن اليهن .

وتكلم بنى اسرائيل قائلا : أيما رجل مات وليس له ابن ، تنقلون
ملكه الى ابنته . وان لم يكن له ابنة ، تعطون ملكه لاخته . وان لم
يكن له اخته ، تعطون ملكه لاخته أبيه . وان لم يكن لأبيه اخته ،
تعطوا ملكه لنسيبه الأقرب اليه من عشيرته فيرثه .

فصارت لبنى اسرائيل فريضة قضاء ، كما أمر الرب موسى -
عدد ٢٧ : ١ - ١١ « وهكذا يتحول الميراث الى الذكور فقط ، اذا لم
يوجد للميت ابنة ترثه .



● عقوبات خاصة بالنساء فقط :

قطع اليد : « اذا تخاصم رجلان بعضهما بعضا ، رجل وأخوه ، وتقدمت امرأة أحدهما لكي تخلص رجلها من يد ضاربه ومدت يدها وأمسكت بعورته ، فاقطع يدها ولا تتسقق عينك - تثنيسة ٢٥ : ١١ - ١٢ » .

الاحراق بالنار : « اذا تدنست ابنة كاهن بالزنا ، فقد دنست أباه . بالنار تحرق - لاويين ٢١ : ٩ » .

**

ومن هذا المنطلق الفكري الخاص بمسئولية المرأة عن الخطيئة الأولى ، وجلبها المتاعب للجنس البشري ، وضرورة تسلط الرجل عليها « واستعبادها لتلد له الأولاد » ، فقد ترجم هذا الفكر الى قوانين تحكم أحوال الأسرة ، مثلما جاء في كتاب : الأحكام العبرية ، ونذكر منها :

● في ائزواج والطلاق والانفاق :

المادة ٤٠٢ : « ما أسعد من رزقه الله ذكورا ، وما أسوا حظ من لم يرزق بغير الاناث . نعم ، لا ينكر لزوم الاناث للتناسل ، الا أن الذرية كالتجارة سواء بسواء . فالجلد والعطر كلاهما لازم للناس الا أن النفس تميل الى رائحة العطر الزكية وتكره رائحة الجلد الخبيثة . فهل يقاس الجلد بالعطر ؟ »

المادة ٤٠٧ : « اذا لم تدخل الزوجة على زوجها بمال على ذمة الزوجية ، فلا يكلف الزوج بأن ينفق عليها في غير الحاجيات اللازمة التي لا بد منها . أما اذا دخلت عليه بمال ، فيجب عليه التوسع في النفقة بقدر حاله » .

المادة ٤١٣ : « سلطة الزوج على الزوجة في أمر التريفة

وتعليم أمور الدين والدنيا مطلقاً لا حدود لها ، فعليه أن يستعملها في محلها مع الحكمة والاعتدال » .

— المادة ٤١٤ : « متى خرجت الزوجة من بيت أهلها ودخلت بيت زوجها ، صار له عليها حق الطاعة التامة والامتثال الكلى في جميع ما يأمرها به . فعليها ألا تخالفه في شيء مما يطلبه منها ، بل تمتثل له كما تمتثل الجارية لسيدها » .

— المادة ٤١٨ : « مهما بلغت ثروة الزوجة ومهما كان مقدار المال الذي دخلت به للاعانة على حوائج الزوجية ، فانه يجب عليها القيام بالأعمال اللازمة لبيتها صغيرة كانت الأعمال أو كبيرة ، لأن البطالة تؤدي الى فساد الأخلاق . وليس لها مفارقة زوجها لأى سبب كان حتى لو أصيب بعجز أو صار مقعداً ، واحتاج للسؤال لأجل النفقة عليها » .

— المادة ٤١٩ : « جميع مال الزوجة ملك لزوجها ، وليس لها سوى ما فرض لها من المهر في عقد الزواج تطالب به بعد موته ، أو عند الطلاق اذا وقعت الفرقة . فكل ما دخلت به من المال على ذمة الزوجية ، وكل ما تلتقطه ، وكل ما تكسبه من سعى وعمل ، وكل ما يهدى اليها في عرسها ، ملك لزوجها يتصرف فيه كيف شاء ، بدون معارض ولا منازع » .

— المادة ٤٢٦ : « اذا ماتت الزوجة ولم تعقب ذرية من الأولاد ، فزوجها وارثها الشرعى » .

— المادة ٤٢٨ : « الأسباب التي يحل معها الطلاق ، ثلاثة : الزنا ، والعقم ، وعيوب الخلقة وعيوب الخلق » .

— المادة ٤٢٩ : « يحل للرجل أن يطلق زوجته اذا اشيع عنها الزنا ولو لم يثبت عليها الزنا فعلاً . كما يحل له طلاقها اذا اتضح له بعد الزواج أنها كانت سيئة السلوك » .

– المادة ٤٣٠ : « يجب على من لم يرزق من زوجته بذرية بعد
معاشرتها عشر سنوات ، أن يفارقها ويتزوج غيرها » .

– المادة ٤٣٣ : « ليس للمرأة أن تطلب الطلاق مهما كانت
عيوب زوجها حتى ولو ثبت عليه الزنا » .

– المادة ٤٣٤ : « متى نوى الزوج الطلاق حرمت عليه معاشرته
زوجته . فبمجرد عزمه على مفارقتها وجب عليه الاسراع الى طلاقها » .



● في الميراث :

– المادة ٣١٣ : « اذا لم يكن للميت ولد ذكر فميراثه لابن اخيه ،
وان لم يكن له ابن ابن فالميراث للبنت . وان لم يكن له بنت فالميراث
لأولاد البنت ، واذا لم يكن له حفدة فأولاد أولادهم الذكور .
واذا لم يكن له أولاد حفدة من الذكور فالميراث لبنات الحفدة » .

– المادة ٣١٥ : « اذا لم يعقب الميت ذرية ولا نسلا من ذكر
أو أنثى ، أولادا أو حفدة ، أو من نسلهم ذكورا أو اناثا ، فميراثه
لأصوله . وأحق الأصول بميراث الميت ابوه وله كل التركة ، واذا لم
يكن له أب ، فجداه ثم أصوله من أيه » .



أما بعد ...

ان نصوص « الكتاب » و « الأحكام » تنطق بحقيقة مكانة المرأة
في اليهودية ، ولا حاجة بنا الى تعليق ...



مكانة المرأة في المسيحية

● تمهيد :

يقول مايكل هارت في كتابه : المائة : أعظم الناس أثرا في التاريخ ، عند الكلام عن المسيح : أن « المسيحية لم يؤسسها شخص واحد ، وإنما أقامها اثنان : المسيح والقديس بولس . ولذلك يجب أن يتقاسم شرف انشائها هذان الرجلان .

فالمسيح قد أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية ، وكذلك نظرتها الروحية وكل ما يتعلق بالسلوك الانساني . أما مبادئ اللاهوت فهي من صنع القديس بولس . فالمسيح هو صاحب الرسالة الروحية ، ولكن القديس بولس أضاف إليها عبادة المسيح . كما أن القديس بولس هو الذي ألقى جانبا كبيرا من العهد الجديد ، وكان البشر الأول للمسيحية في القرن الأول للميلاد .

ولهذه الأسباب ، فإن عددا من الباحثين يرون أن مؤسس هذه الديانة المسيحية هو القديس بولس وليس السيد المسيح .

وليس من المنطق في شيء أن يكون السيد المسيح نفسه مسئولا عن الذي أضافته الكنيسة أو رجالها إلى الديانة المسيحية . فكثير مما أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه .

وإذا كانت العلوم تطورت في العالم الغربي المسيحي ، فليس من المنطق أن يقال ان المسيحية هي المسئولة عن نهضة العلوم في العشرين قرنا الماضية . فلم نجد في شروح رجال الدين المسيحي من يقول ان المسيحية تدعو إلى التأمل في الكون أو الدعوة إلى التفكير العلمي . ومن المؤكد أن تحول الامبراطورية الرومانية إلى المسيحية ، قد صاحبه

في نفس الوقت انحطاط رهيب المستوى للتكنولوجيا والاهتمام بالعلم .. ولم يكن ليسوع أى دور سياسى فى حياته ، ولا كان للمسيحية أثر سياسى .. والحقيقة أن (مبادئه) لم تلق رواجاً واسعاً بين الناس ، ولا حتى هى مقبولة عند الناس .. فأكثر المسيحيين يرون أن الدعوة لأن : نجب أعداءنا ، اسراف فى المثالية لا يمكن تطبيقه الا فى عالم خيالى . ونحن عادة لا نطبق هذا المبدأ ، ولا نتوقع من الآخرين أن يفعلوا ذلك ، ولا حتى ننصح أطفالنا أن يمشوا على هداية ، وكذلك معظم تعاليم السيد المسيح ظلت محيرة » .

ويقول مايكل هارت عن بولس : ان « القديس بولس لم يتزوج ، بل لم يقرب امرأة » . وكان له رأى فى المرأة والجنس والزواج ، وهذا الرأى قد ترك أثراً عميقاً فى الفكر الأوروبى . يقول فى رسالته الأولى الى أهل كورنثوس : أقول لغير المتزوجين وللأرامل : انه خير لهم أن يبقوا مثلى ..

ويقول فى رسالته الى تيموثاوس : ان على المرأة أن تتعلم فى سكون وخضوع ، ولا تسمح لها بأن تتسلط على الرجل . فأدم قد خلقه الله قبل حواء .

والقديس بولس انما يردد أفكاراً شائعة فى زمانه . ولكن السيد المسيح لم يكن يبشر بشيء من هذا الذى قاله بولس الرسول ..

وبولس الرسول هذا هو المسئول الأول عن تحويل الديانة المسيحية من مجرد طائفة يهودية الى ديانة كبرى . وهو المسئول الأول عن تأليه المسيح . بل ان بعض فلاسفة المسيحية يرون انه هو الذى أقام المسيحية ، وليس المسيح » .



بين مسيحية بولس ومسيحية المسيح

لقد كان ما قدمناه عرضا اجماليا ، فحواه أن هناك مسيحتان مختلفتان هما : مسيحية المسيح ، ومسيحية بولس . فلننظر الآن في محتوى كل منهما فيما يتعلق بعدد محدود من المعتقدات الأساسية التي كان لها أعمق الأثر في السلوك المسيحي عبر القرون ، وخاصة فيما يتعلق بالمرأة .

١ - الخطيئة الأصلية :

اعتقد بولس أن حواء هي التي أخطأت أولا ، ثم أغوت آدم فانقاد وراءها وأخطأ ثانيا (١) تيموثاوس ٢ : ١٢ - ١٤) ، وبناء على هذه الفرضية وضع بولس نظريته في الخطيئة الأصلية ، أو ما يقال له خطيئة آدم المتوارثة . فهو يقول : « بانسان واحد دخلت الخطيئة الى العالم وبالخطية الموت . وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس ، اذ اخطأ الجميع - رومية ٥ : ١٢ » .

وفي هذا يقول وليم باركلي : « لقد كان كل الناس ، حسب تفكير بولس ، متورطين في خطيئة آدم . فهذا هو لب الاصحاح الخامس من رسالته الى أهل رومية . ان هذا القول بالنسبة لنا يعتبر جدلا غريبا ، لكنه يتفق مع تفكير اليهودي الذي كان يعتقد تماما بفكرة التضامن » (١) .

ويقول تشارلز دود : كيف جاءت الخطيئة الى الطبيعة البشرية هذا سؤال لا يعطى عنه بولس اجابة كافية .

(١) . W . Barclay : The Mind of St. Paul, p. 138 .

فهو تارة يرجع ذلك الى خطيئة تاريخية ارتكبتها جد الانسانية في غابر الزمان •• لكننا نجد بولس في بعض الفقرات ، يقترح مصادر أخرى لخطيئة البشر • فقد كانت خلفية عالمه المعاصر تعتقد بوجود حكام العالم ، من الأرواح الجوهرية (القوى الخفية) التي لها بعض العلاقات الخاصة بالعالم المادى ••

وإذا كان القول بتناقل البشر خطيئة آدم يمثل تعليماً يهودياً ، فإن القول بنظرية الأرواح الجوهرية يأتي بالأحرى من الأفكار الاغريقية • ولو أن أياً منها لا يقنعنا بشيء « (١) » •

ويمضى بولس الى أبعد من ذلك ، إذ يجعل الخطيئة سبباً للموت الطبيعى • يقول باركلي : « لقد رأى بولس أن الخطية لم تحدث موتاً روحياً وأخلاقياً فحسب ، بل أحدثت كذلك الموت الجسدى • لقد جاء الموت الى العالم مع مجيء الخطية (اجتاز الموت الى جميع الناس - رومية ٥ : ١٢) ، وأن الخطية قادت الى الموت (ملكت الخطية في الموت - ٥ : ٢١) ، وأن أجرة الخطية هي الموت - ٦ : ٢٣) • أى أنه عن طريق الخطية وبسببها ، دخل الموت الى العالم • فالخطية تهدم الحياة الروحية والأخلاقية والجسدية « (٢) » •



ان قول بولس بأن الخطيئة قادت الى الموت الجسدى ، ينقضه تماماً الآتى :

١ - تقول قصة الخلق الأول ، ان الجنة التي وضع فيها آدم ، كان بها شجرتان هما : شجرة الحياة ، وشجرة معرفة الخير والشر : « وغرس الرب الاله جنة عدن شرقاً • ووضع هناك آدم الذى جبله • وأنبت الرب الاله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل •

C. Dodd : The Meaning of Paul for Today, (١)

pp. 62 - 63.

W. Barclay : The Mind of St. Paul, p. 142. (٢)

وشجرة الحياة في وسط الجنة ، وشجرة معرفة الخير والشر -
تكوين ٢ : ٨ - ٩ »

• وكان أمر الله الى آدم : « من جميع شجر الجنة تأكل أكلا .
واما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها » .
وبعد أن عصى آدم وزوجه وأكلا من شجرة معرفة الخير والشر ،
« قال الرب الاله : هوذا الانسان قد صار كواحد منا ، عارفاً للخير
والشر .

والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ايضاً ويأكل ويحيا
الى الأبد . فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ
منها - تكوين ٣ : ٢٢ » .

ان هذا النص واضح في أن الانسان الأول ، رغم ارتكابه الخطيئة
الأولى ، قد كان من الممكن أن يحيا الى الأبد ، أي لا يذوق الموت
أبداً ، وذلك بأن يأكل من شجرة الحياة . ولما كان الرب قد أخضعه
أصلاً لسلطان الموت ، مثلما أخضع الكائنات الحية الأخرى التي
خلقت قبله لسلطان الموت - من نبات وحيوان وطيور ، في البر والبحر
والجو ، فقد طرده من الجنة حتى لا يأكل من شجرة الحياة ويحيا الى
الأبد . فلا علاقة ، اذن ، بين الخطيئة والموت الجسدي أو الموت
الطبيعي .

٢ - تقول كتب الشريعة الخمسة في بيان معنى قول الرب :
والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ايضاً ويأكل ويحيا الى
الأبد « ان : « الانسان قابل للموت بطبيعته (راجع الآية ١٩) » .

والآية المشار اليها هي التي تقول : « بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى
تعود الى الأرض التي أخذت منها . لأنك تراب والى تراب تعود » .
فالموت الطبيعي قضاء على الانسان ، سواء أخطأ أو لم يخطئ .
ذلك هو الناموس العام ، واذا كانت هناك حالات خاصة ، فانها

لا تعتبر مقياسا يحكم كل الناس ، فخبرات الحياة تقطع بوجود مثل
هذه الحالات في شتى المجالات •

فالكتاب المقدس يتحدث عن أبرار من ذرية آدم وحواء ولدوا
قبل المسيح بألاف السنين ورضى الله عنهم وتقلهم الى الأبدية دون أن
يذوقوا الموت :

« سار أخنوخ (ادريس) مع الله ، ولم يوجد لأن الله أخذه -
تكوين ٥ : ٢٤ » •

وتحدث عنه كاتب الرسالة الى العبرانيين ، فقال :

« بالايمان نقل اخنوخ لكي لا يرى الموت ، ولم يوجد لأن الله

نقله ، اذ قبل نقله شهد له بأنه قد ارضى الله - عبرانيين ١١ : ٥ » •

٣ - يقول الكتاب المقدس ان هناك من خلق الله من خطأ ، لكن

الله لم يقض عليه بالموت ، لأن طبيعته ألا يموت ، انما عذبه الى الأبد •

وهؤلاء الذين أخطأوا ، أسماهم الكتاب المقدس ، ملائكة ، وقال فيهم

بطرس : « الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا ، بل في سلاسل الظلام

طرحهم في جهنم ، وسلمهم محروسين للقضاء - (٢) بطرس ٢ : ٤ » •

وقال فيهم يهوذا ، أخو المسيح الذي ذكره متى في ١٣ : ٥٥ ، ان

« الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم ، بل تركوا مسكنهم ، حفظهم الى

دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام - يهوذا : ٦ » •

فهؤلاء رغم أنهم أخطأوا ، الا أنهم لم يموتوا موقا يناسب طبيعتهم

غير المادية ، مثل تحلل طاقتهم وفنائها ، لأنهم ملائكة ، يقول في مثلهم

الانجيل : « لا يستطيعون ان يموتوا أيضا ، لأنهم مثل الملائكة -

لوقا ٢٠ : ٣٦ » •

وجدير بالذكر أن خطيئة هؤلاء الملائكة ، الذين دعاهم الكتاب

المقدس أبناء الله ، كانت - كما تقول حاشية العهد الجديد للكاثوليك -

أنهم : « استسلموا للفجور (سفر التكوين ٦ : ١ - ٢) » •

وهذه الفقرة ، هي التي تتحدث عن غواية النساء الجميلات (بنات

الناس (الأبناء الله (الملائكة) ، وتولد عن ذلك الزنا جيل من الجبابرة ،
فهي تقول : « وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم
بنات ، ان أبناء الله رأوا بنات الناس انهن حسنات . فاتخذوا لأنفسهم
نساء من كل ما اختاروا . . بعد ذلك أيضا اذ دخل بنو الله على بنات
الناس وولدن لهم أولادا . هؤلاء هم الجبابرة » .

وتقول كتب الشريعة الخمسة تعليقا على هذه الفقرة ، ان
(اليهودية اللاحقة ، وجميع المؤلفين المسيحيين الأولين تقريبا ، رأوا في
(بنو الله) - أبناء الله - هؤلاء ملائكة مذنبين) .

فما سبق ، وغيره كثير ، يتبين أنه لا صحة على الاطلاق للقول
بأن الخطيئة قادت الى الموت الجسدى .

✱

لقد جاءت هذه التعاليم في مسيحية بولس ، اما مسيحية المسيح ،
فقد خلت من كل حديث عن خطيئة آدم الأولى وتعدي حواء ، والزعم
بأنها خطيئة متوارثة علقت بالذرية دونما فكاك .

لقد تكلم المسيح في موعظة الجبل ، وفي غيرها ، عن : الذنوب ،
والمذنبين ، وغفران الزلات (متى ٦ : ١٢ - ١٥) .

وحدد المسيح الخطايا والنجاسات التي تلوث الانسان بأنها :
(أفكار شريرة ، قتل ، زنا ، فسق ، سرقة ، شهادة زور ، تجديف . هذه
هي التي تنجس الانسان - متى ١٥ : ١٩ - ٢٠ » .

ومن الناس ، في كل زمان ومكان ، وفي أيام المسيح ، من اشتهر
بارتكاب هذه الخطايا ، ومن ثم عرفوا بالخطاة أو المذنبين . ولقد عاب
الفريسيون على المسيح مخالطته أولئك الخطاة ، فقالوا لتلاميذه :
(لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة !؟

فلما سمع يسوع قال لهم : لا يحتاج الأصحاء الى طبيب ، بل
المرضى .. لأننى لىم آت لأدعو أبرارا ، بل خطاة الى التوبة -
متى ٩ : ١١ - ١٣ » .

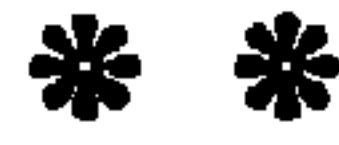
لقد كان هؤلاء الخطاة جزءا من بنى آدم ، درجوا على ارتكاب
المحرمات المعروفة لدى البشر ، وكان الأبرار . جزءا آخر من بنى آدم
حفظوا أنفسهم من تلك الخطايا ، فنجوا . ولا علاقة لهؤلاء وهؤلاء
بخطية آدم ، اذ لو كانت متوارثة حقا ، حسب نظرية بولس ، لكان
الجميع خطاة في نظر المسيح . وهذا ما لا يستطيع أى مكابر ان
يزعمه .

هذا ، وتقول الراهبة كارن ارمسترونج : « من الواضح أن معتقد
الخطية الأصلية شىء جوهرى فى المسيحية حسبما تفهما الآن ، ومع
ذلك فانه لم يظهر فى شكله النهائى قبل القرن الرابع . ان المسيح لم
يتكلم ابدا فى الأناجيل ، ولو مرة واحدة ، عن خطية آدم ، أو عن تأثيرات
الخطية الأصلية فى كل واحد منا . ولعله قد يروعه هذا المعتقد ، حسبما
تعلمناه . لقد كان المسيح ، بالطبع ، يهوديا ، ورغم أن سفر التكوين
كتاب يهودى ، فلا يوجد مثل هذا المعتقد - معتقد الخطية الأصلية -
فى اليهودية . انه اختراع مسيحي بكل معنى الكلمة ..

ان الخطية فى اليهودية شىء مختلف عنها فى المسيحية ، فهى فى
اليهودية ليست تدميرا كليا . فبالرغم من أن الله يعاقب اليهود ، فى
العهد القديم ، عندما يخطئون ، فانه سوف يعفو عنهم دائما . فلا يوجد
على الاطلاق أى فكرة تقول بأن كل الناس يرثون خطية متأصلة فى
طبيعتهم ، تحكم عليهم بالخلود أبدا فى عذاب جهنم الا اذا أرسل الله
مخلصا لهم . فمن المؤكد أنه فى أيام المسيح ، كان بعض اليهود ينتظرون
مسيا ، لكن لم يوجد أى يهودى ينتظر المسيا (الذى يرفع خطايا
العالم) .

لهذا ، فان معتقد الخطيئة الأصلية ، انما هو من اختراع المسيحية ،
ولقد كان له أعمق الأثر في الفكر الغربي . فهو يعلمنا أن طبيعتنا شر
وميتوس منها ، وقد جعل الدين ، بالنسبة لكثير من الناس ، عملا لا أمل فيه:
فهو معركة الشعور بالاثم مع نفس تظهر أنها ترفض الخلاص ، ورعب
من جهنم ، وأخيرا - فانه بسبب الطريقة التي صنع بها هذا المعتقد -
فهو خوف من الجنس وكراهية للنساء .

لقد كان القديس بولس هو الذي ورثنا معتقد الخطيئة الأصلية
في المسيحية «(1)» .



٢ - الالتزام بالناموس :

أكد المسيح على ضرورة الالتزام بالناموس في كل حين ، كما رأينا
سلفا ، في مثل قوله : « زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط
نقطة واحدة من الناموس - لوقا ١٦ : ١٧ »

ولما كان الناموس يقول : « اذكر يوم السبت لتقدسسه . ستة
أيام تعمل وتصنع جميع عملك . وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب
الهك . لا تصنع عملا ما - خروج ٢٠ : ٨ - ١٠ » .

فقد حرص المسيح على احترام هذه الوصية حتى نهاية العالم ومجيء
يوم الدينونة ، فقال : « صلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء
ولا في سبت - متى ٢٤ : ٢٠ » .

لم يعرف المسيح ، اذن ، يوم الأحد ، لكنه عرف يوم السبت
ودعا الى تقديسه . . .

K . Armstrong : THE GOSPEL ACCORDING (1)
TO WOMAN, pp. 26 - 29.

أما بولس فقد أبطل الناموس ، وهاجمه بعنف • فكانت تعاليمه
نقيضا لتعاليم المسيح • فهو يقول :

« قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس ، سقطتم
من النعمة - غلاطية ٥ : ٤ » •

« نعلم ان الانسان لا يتبرر بالناموس ، بل بايمان يسوع المسيح ••
لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما - غلاطية ٢ : ١٦ » •

« جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة ••

« قد كان الناموس مؤدبنا الى المسيح لكي تبرر بالايمان • ولكن
بعد ما جاء الايمان لسنا بعد تحت مؤدب غلاطية ٣ : ١٠ - ٢٥ » •



٣ - كيفية الخلاص :

تقول مسيحية بولس ان مصالحة الانسان مع الله اقتضت قتل
المسيح على الصليب : « ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه -
رومية ٥ : ١٠ » •

« اني لم أعزم أن أعرف شيئًا بينكم الا يسوع المسيح
واياه مصلوبا - (١) كورنثوس ٢ : ٢ » •

واتهى المطاف ببولس أن جعل المسيح لعنة ا

« المسيح افتدانا من لعنة الناموس ، اذ صار لعنة لأجلنا •
لأنه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة - غلاطية ٣ : ١٣ » •

لكن مسيحية المسيح ترفض الذبيحة البولسية ، وتؤكد أن الله
يريد الرحمة ، لا الذبيحة ، ولو كانت ذبيحة حيوان من عجول
وتيوس ، فمال هؤلاء القوم يريدونها ذبيحة انسان كان يرفض أن
يسوت ١٩

لقد قال المسيح لأولئك المتحجرين من الفريسيين ، أصحاب
الطقوس والذبائح : « اذهبوا وتعلموا ما هو : انى أريد رحمة لا ذبيحة -
متى ٩ : ١٣ » •

وقال ثانية : « لو علمتم ما هو : انى أريد رحمة لا ذبيحة -
متى ١٢ : ٧ » •

وهذا الذى قاله المسيح ، هو ما تعلمه من أسفار العهد القديم ،
اذ تقول : « بذبيحة وتقدمة لم تسر • • محرقة وذبيحة خطية لم تطلب
مزمور ٤٠ : ٦ » •

« نجنى من الدماء يا الله • • لأنك لا تسر بذبيحة ، والا فكنت
أقدمها • بمحرقة لا ترضى • ذبائح الله هى روح منكسرة - مزمور
٥١ : ١٤ - ١٧ » •

« ذبيحة الأشرار مكرهة الرب ، وصلاة المستقيمين مرضاته -
أمثال ١٥ : ٨ » •

ان الأنجيل تشهد على أن فكرة قتل المسيح - التى روج لها
بولس - كانت غريبة تماما على تفكير المسيح ، فقد استنكرها تماما
وفزع منها حين أحس بالخطر يتهده • وتعرض بعضا من هذه
المشاهد :

فى جدال حاد بين المسيح واليهود ، قال لهم : « لماذا تطالبون ان
تقتلوني • • وأنا انسان قد حدثكم بالحق الذى سمعته من الله • هذا لم
يعمله ابراهيم - يوحنا ٧ : ١٩ ، ٨٤ : ٤٠ » •

وفى نهاية الفترة التى سبقت عملية القبض على ذلك الذى صلبوه ،
قال المسيح فى صلواته لله : « وهذه هى الحياة الأبدية : أن يعرفوك
أنت الاله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته • • العمل
الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته - يوحنا ١٧ : ٣ - ٤ » •

لقد اكتملت رسالة المسيح تماما قبل حادث الصلب ، فمن ذا الذى
يفتى بما يخالف شهادة المسيح ؟!

وينطق كل مشهد من مشاهد المعاناة فى الحديقة ، أن المسيح

كان يرفض فكرة قتله رفضا تاما . فلقد أصابته حالة من الفزع والانهايار كلما تصور أن تلك ستكون نهايته :

((ابتدا يدهش ويكتئب . فقال لهم : نفسى حزينة جدا حتى الموت وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة ان أمكن . وقال يا أبا الآب : كل شىء مستطاع لك . فأجز عنى هذه الكأس وصلى ثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه

وظهر له ملاك من السماء يقويه . واذ كان فى جهاد ، كان يصلى بأشد لياجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض - مرقس ١٤ : ٣٣ - ٣٦ ، لوقا ٢٢ : ٤٣ - ٤٤ » .

وأخيرا ، فان ذلك الذى قبضوا عليه وصلبوه ، كان يرجوهم ، حتى آخر لحظة ، أن يطلقوه ولا يقتلوه :

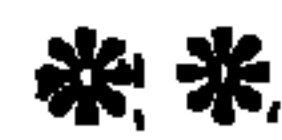
((اجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه الى مجمعهم قائلين : ان كنت أنت المسيح فقل لنا . فقال لهم : ان قلت لكم لا تصدقون . وان سألت لا تجيبوننى ولا تطلقوننى - لوقا ٢٢ : ٦٦ - ٦٨ » .

من ذا الذى يجرؤ - اذن - على القول بأن المسيح جاء ليبدل نفسه طواعية ، فداء لخطايا البشر !؟



نحن الآن أمام مسيحتين : مسيحية المسيح التى تستقى أساسا من الأناجيل ، ومسيحية بولس التى سطرها فى رسائله ، ولا عجب فى ذلك . فتلك حقيقة مرة يعترف بها علماء المسيحية حين يقولون : « ان العهد الجديد كتاب غير متجانس ، ذلك أنه شتات مجمع . فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله الى آخره ، لكنه فى الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة » (١) .

فعلينا الآن أن ننظر مكانة المرأة فى كل من هاتين المسيحتين .



المرأة فى مسيحية المسيح

● مواقف المسيح مع المرأة :

كان المسيح رحيما بالمرضى ، فشفى بأمر الله كثيرا من الأمراض والعاهات ، يستوى فى ذلك الرجال والنساء . فشفى من النساء حماة بطرس (متى ٨ : ١٤ - ١٥) ، « وامرأة نازفة دم منذ اثنتى عشرة سنة . قالت فى نفسها : ان مسست ثوبه فقط شفيت . فالتفت يسوع وأبصرها فقال : تقى يا ابنة . ايمانك قد شفاك . فشفيت المرأة من تلك الساعة - متى ٩ : ٢٠ - ٢٢ » .

« وكان يسير فى مدينة وقرية يكرز ويشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر وبعض النساء كن قد شفين من ارواح شريرة وأمراض . مريم المجدلية التى خرج منها سبعة شياطين . ويونا امرأة خوزى وكيل هيرودس . وسوسة وأخر كثيرات ، كن يخدمنه من أموالهن - لوقا ٧ : ١ - ٣ » .

وكما شفى النساء ، فقد شفى الرجال : « وفيما هو خارج من أريحا مع تلاميذه . . كان بارتيمائوس الأعمى . . جالسا على الطريق . . فلما سمع أنه يسوع الناصرى ، ابتدأ يصرخ ويقول : يا يسوع ابن داود ارحمنى . . »

فقال يسوع : اذهب . ايمانك قد شفاك . فللوقت أبصر وتبع يسوع فى الطريق - مرقس ١٠ : ٤٦ - ٥٢ » . « وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى ويعلم فى مجامعها ويكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب . ولما رأى الجموع تحزن عليهم ، اذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها - متى ٩ : ٣٦ - ٣٩ » .

وفى كل هذا ، وغيره من الآيات التى صنعها المسيح ، كان يعلمهم أنه شخصيا ليس له فضل فى ذلك ، انما الفضل كله لله . فكثيرا ما قال لهم « أنا لا أقدر أن افعل من نفسى شيئا - يوحنا ٥ : ٣٠ » .

وكان ذلك هو ما علم به بطرس ، رئيس التلاميذ ، فقال على الملأ :
« أيها الرجال الاسرائيليون ، اسمعوا هذه الأقوال : يسوع الناصري
رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات ، صنعها الله بيده
في وسطكم كما أتم أيضا تعلمون - أعمال الرسل ٢ : ٢٢ » •

*

وإذا كان المفترض أن يحب المسيح أصدقاءه وأعداءه على السواء ،
وفق تعاليمه التي قال فيها : « أحبوا أعداءكم » ، فقد كان هناك بعضا
من تابعيه ، ممن ميزه الانجيل بحب خاص ، يستوى في ذلك الرجال
والنساء • فقد « كان يسوع يحب موثا وأختها (مريم) ولعازر -
يوحنا ١١ : ٥ » •

وفي العشاء الأخير ، « كان متكئا في حضن يسوع واحد من
تلاميذه ، كان يسوع يحبه يوحنا ١٣ : ٢٣ » •

*

على أن هناك موقفين للمسيح مع النساء لهما طابع شاذ

١ - مع المرأة الكنعانية :

« خرج يسوع من هناك وانصرف الى نواحي صور وصيدا •
وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم ، صرخت اليه قائلة : ارحمني
يا سيد يا بن داود • ابنتي مجنونة •

فلم يجيبها بكلمة •

فتقدم تلاميذه وطلبوا اليه قائلين : اصرفها لأنها تصيح وراءنا •
فاجاب وقال : لم ارسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة •
فاتت وسجدت له قائلة : يا سيد ، اعنى !

فاجاب وقال : ليس حسنا ان يؤخذ خبز البنين وي طرح للكلاب •

فقلت : نعم ، يا سيد • والكلاب أيضا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها •

حينئذ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة ، عظيم إيمانك •
ليكن لك كما تريد • فشفيت ابنتها من تلك الساعة -
متى ١٥ : ٢١ - ٢٨ » •

من الواضح أن المسيح لم يكن يريد الاستجابة لتلك المرأة البائسة الملهوفة ، والتي كانت تكتوى بنيران الحسرة والألم على فلذة كبدها المجنونة ، إذ أنه « لم يجيبها بكلمة » •

ولما أزعجت التلاميذ بصراخها ، طلبوا منه أن يصرفها ، فعلمهم أنه لا شأن له بغير بني إسرائيل ، فهو لم يرسل إلا إليهم ، ورحمته قاصرة عليهم •

ولما كانت المرأة مطحونة تحت ضغط الحاجة الملحة ، فقد كانت مستعدة أن تفعل أى شئ بحكم غريزة الأمومة ، فأذلت نفسها حتى النهاية ، حيث « سجدت له » تستصرخه العون !

لكن رد المسيح فاجأها ، إذ جعلها من زمرة الكلاب • ومن ثم كل من ليس إسرائيلى ، فهو من الكلاب •••

فأراقت المسكينة آخر نقطة من ماء الكرامة الانسانية ، وأقرت بأنها من الكلاب المحتاجة لفتات مائدة أسيادها !

وهنا ، وهنا فقط ، استجاب لها المسيح ، فشفيت الابنة بقوة إيمان الأم !

*

٢ - مع أمه :

« كان عرس في قانا الجليل ، وكانت أم يسوع هناك • ودعى أيضا يسوع وتلاميذه الى العرس • ولما فرغت الخمر ، قالت أم يسوع له : ليس لهم خمر •

فقال لها يسوع : ما لى ولك يا امرأة ! - يوحنا ٢ : ١ - ٤ «

ان كل اسرائيلى يعلم الوصية التى تتصدر الوصايا العشر التى
تلقاها موسى ، والتى تقول : « أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على
الأرض - خروج ٢٠ : ١٢ » •

وفى صراعه مع الكتبة والفريسيين حول اختراعهم لتقاليد أبطلوا
بها وصايا الله ، طمعا فى كسب مادية رخيص ، قال لهم : « لماذا
تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم؟! فان الله أوصى قائلا : أكرم أباك
وامك • ومن يشتم أبا أو أما فليمت موتا ! وأما أقم فتقولون : من
قال لأبيه أو أمه قريان هو الذى تنتفع به منى • فلا يكرم أباه أو أمه •
فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم • يا مراؤون ، حسنا تنبأ
عنكم النبي أشعيا قائلا : باطلا يعبدونى وهم يعلمون تعاليم هى وصايا
الناس - متى ١٥ : ٣ - ٩ « •

هل يعقل ، بعد كل هذا ، أن يكون هذا هو موقف المسيح من أمه؟!

✱

كذلك ، « فيما هو يكلم الجموع ، اذا أمه واخوته قد وقفوا
خارجا طالبين أن يكلموه • فقال له واحد : هوذا أمك واخوتك واقفون
خارجا طالبين أن يكلموك •

فاجاب وقال للقائل له : من هى امى ، ومن هم اخوتى؟!

ثم مد يده نحو تلاميذه وقال : ها امى واخوتى - متى
١٢ : ٤٦ - ٤٩ « وأما حسب رواية لوقا ، فانه « اجاب وقال لهم : امى
واخوتى هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها - ٨ : ٢١ » •
ومرة أخرى ، نبرىء المسيح عن مثل هذه المواقف ...

✱ ✱

● تعاليم المسيح حول المرأة :

جاءت أغلب هذه التعاليم فيما ذكره متى في موعظة الجبل ، اذ يقول على لسان المسيح : قد سمعتم أنه قيل للقديس : لا تزن • وأما أنا فأقول لكم : ان كل من ينظر الى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه فان كانت عينك اليمنى تعثر ، فاقلعها وألقها عنك • لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ، ولا يلقى جسدك كله في جهنم ••

وقيل : من طلق امرأته فليعطاها كتاب طلاق • وأما أنا فأقول لكم : ان من طلق امرأته الا لعل الزنا يجعلها تزنى • ومن تزوج مطلقة فانه يزنى - متى ٥ : ٢٧ - ٣٢ « •

لقد أثبت الواقع استحالة الاستغناء عن الطلاق ، بدليل أن الدول المسيحية سنت قوانين تبيح الطلاق ، فهل من مصلحة المرأة المطلقة ألا تتزوج مطلقا ؟!

هذا ، ولما كانت المرأة تعنى ، بالدرجة الأولى ، تكوين الأسرة ، ومن ثم بناء المجتمع الانساني ، كان من اللازم اعطاء لمحة عن الأسرة في المسيحية •



● تعاليم المسيح والأسرة :

يقول ويلز (١) : « على الرغم من المؤلف لدى علماء الأخلاق اليوم من أن تعاليمه (المسيح) قد عززت الحياة السعيدة للأسرة ، فانه يصعب التوفيق بين وجهة النظر هذه والنصوص التي تشجع الناس على تحطيم أسرهم لأسباب دينية : (ان كان أحد يأتي الى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته وأخواته حتى نفسه أيضا ، فلا يقدر أن يكون لي تلميذا - لوقا ١٤ : ٢٦) •

(١) G We ls, The Jesus of The Early Christians. p; 57

ويصدمننا بنفس القدر انتقاص الانجيل من شأن الحياة الزوجية :
(قال له تلاميذه : ان كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن
يتزوج • فقال لهم : ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم •
لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ويوجد خصيان
خصاهم الناس • ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت
السموات • ومن استطاع أن يقبل فليقبل - متى ١٩ : ١٠ - ١٢) « •

المرأة في مسيحية بولس

● مواقف بولس مع المرأة :

كان يوصي النساء اللاتي خدمته ، ويدعو الجميع ، رجالا ونساء ، أن يسلموا بعضهم على بعض بقبلات مقدسة . فقد كانت تلك خواتيم رسائله : « أوصي اليكم بأختنا فيبي التي هي خادمة الكنيسة التي في كنخريا كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين وتقدموا لها في أي شيء احتاجته منكم . لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولى انا ايضا . . سلموا على مريم التي تعبت لأجلنا كثيرا

سلموا على تريفينا وتريفوسا التابعتين في الرب .

سلموا على برسيس المحبوبة التي تعبت كثيرا في الرب . .

سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة - رومية ١٦ : ١-١٦ «

« سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة - (١) كورنثوس

١٦ : ٢٠ ، (٢) كورنثوس ١٣ : ١٢ »



تعاليم بولس حول المرأة

● المرأة مسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى :

اعتنق بولس فكرة مسئولية المرأة عن الخطيئة البشرية الأولى ، فهي التي أغويت ، وليس آدم ، وهي التي تعدت حد الله فوقعت في الخطيئة وصارت معتدية . فهو يقول : « لست آذن للمرأة ان تعلم ، ولا تتسلط على الرجل ، بل تكون في سكوت .

لأن آدم جبل أولا ، ثم حواء . و آدم لم يفو ، لكن المرأة اغويت

فحصلت في التعدي - (١) تيموثاوس ٢ : ١٢ - ١٤ »

● المرأة دون الرجل :

« أريد أن تعلموا أني : رأس كل رجل هو المسيح •

• واما رأس المرأة فهو الرجل •

•• ورأس المسيح هو الله ••

كل امرأة تصلى أو تتبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها لأنها
والمحلوقه شيء واحد بعينه • اذ المرأة ان كانت لا تغطى فليقص شعرها •

الرجل ليس من المرأة ، بل المرأة من الرجل ••

الرجل لم يخلق من أجل المرأة ، بل المرأة من أجل الرجل -

(١) كورنثوس ١١ : ٣ - ٩ •

« لتصمت نساؤكم في الكنائس ، لانه ليس مازونا لهن ان يتكلمن

بل يخضعن ، كما يقول الناموس أيضا •

ولكن ان كن يردن ان يتعلمن شيئا ، فليسالن رجالهن في البيت ،

لانه قبيح بالنساء ان تتكلم في كنيسة - (١) كورنثوس ١٤ : ٣٤-٣٥» •

« ايها النساء : اخضعن لرجالكن ، كما للرب • لان الرجل هو

رأس المرأة ، كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة ••

كما تخضع الكنيسة للمسيح ، كذلك النساء لرجالهن في كل شيء -

أفسس ٥ : ٢٣ - ٢٤ •



● تعاليم بولس والأسرة :

دعا بولس الجميع - رجالا ونساء ، الى عدم الزواج ، ولا يلجأ

اليه الا عند الخوف من الوقوع في الزنا ، فقال :

« حسن للرجل ان لا يمس امرأة • ولكن لسبب الزنا ليكن

لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحدة رجلها ••

أريد ان يكون جميع الناس كما أنا (بلا زواج) ..
أقول لغير المتزوجين وللأرامل انه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا .
ولكن ان لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا . لأن التزوج أصلح من
التحرق

أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة ..
المتزوج فيهم في ما للعالم كى يرضى امرأته - (١) كورنثوس
٧ : ١ - ٣٣ » .

ان تعاليم كهذه لكفيلة بهدم نظام الأسرة في العالم كله وتتيجته
الحتمية هي خراب العالم ...

انها تعاليم تخالف وصية الله الذى خلق الانسان ليعمر الكون ولذلك
أمره أمرا بالزواج والتكاثر . لقد كانت هذه تعاليم الله منذ بدأ تكوين
اول أسرة على وجه الأرض : « خلق الله الانسان على صورته ..
ذكرا وانثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم :

اثمروا ، واكثروا ، واملأوا الأرض - تكوين ١ : ٢٧ - ٢٨ » .
وبعد الطوفان كان أمر الله لنوح وبنيه بالزواج والتكاثر : « بارك
الله نوحا وبنيه وقال لهم :

اثمروا ، واكثروا ، واملأوا الأرض - تكوين ٩ : ١ » .
هذا - ولقد أوصى الناموس وأسفار الأنبياء باكرام الأرملة ،
وجعلوها صنوا لليتيم الذى فقد أباه ، فقالوا :
« لا تسترهن ثوب الأرملة .. اذا حصلت حصيدك فى حقلك
ونسيت حزمه فى الحقل فلا ترجع لتأخذها . للغريب واليتيم والأرملة ،
تكون ، لكى يباركك الرب الهك فى كل عمل يديك .

اذا خببت زيتونك فلا تراجع الأغصان وراءك . للغريب واليتيم
والأرملة يكون .

إذا قطعت كرمك فلا تعلله وراءك • للغريب واليتيم والأرملة
يكون •• أنا أوصيك أن تعمل هذا الأمر - تثنية ٢٤ : ١٧ - ٢٢ « •
« أبو اليتامى ، وقاضى الأرمال ، الله - مزمور ٦٨ : ٥ » •
« تعلموا فعل الخير •• اقصوا لليتيم ، حاموا عن الأرملة -
أشعيا ١ : ١٧ » •

ان ذلك كله معروف ، وصنيع ممتاز تعارفت عليه الشعوب ، سواء
أوتيت كتابا من السماء ، أم عاشت على الفطرة • لكن بولس يفرق بين
الأرملة العجوز التى تعدت الستين عاما والأرملة الشابة التى قد تتزوج
ثانية ، على الرغم من أن مطالب الحياة لهذه الأخيرة أكثر من مطالب
الأرملة العجوز • فهو يقول :

« لا تكتب امرأة فى سجل الأرمال ، الا التى بلغت ستين سنة ،
ولم تتزوج غير مرة واحدة •• أما الأرمال الشابات فلا تقبلهن ، فانهن
إذا أغناهن الترف عن المسيح ، رغبن فى الزواج ، واستوجبن القضاء ،
لأنهن نقضن عهدهن الأول - (١) تيموثاوس ٥ : ٩ - ١٢ » •
وتقول ترجمة العهد الجديد للكاثوليك ، تعليقا على رأيه فى
الأرمال الشابات :

« دعا بولس الأرمال فى (١) كورنثوس ٧ : ٨ - ٤٠ ، الى الامتناع
عن الزواج ، ولكن الخبرة علمته بأنه الأفضل للأرمال الشابات
أن يتزوجن » •

وهكذا سارت الأمور فى التحليل والتحرير عبر القرون •••
ان تحرير ما أحله الله ، والتضييق على الناس ، قد أدى الى الاندفاع
فى طريق الهلاك والتردى فى الخبائث •

ولنقرأ اعترافات بولس نفسه ، فهى غنية عن كل تعليق :

« لست أعمل ما أريده ، بل ما ابغضه فاياه أعمل .. انى اعلم ان ليس ساكن فى ، اى فى جسدى ، شىء صالح .. لأنى لست أعمل الصالح الذى أريده ، بل الشر الذى لست اريده فاياه أعمل .. »

لكنى أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسببى الى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى . ويحيى أنا الانسان الشقى ! من ينقذنى من جسد هذا الموت؟! رومية ٧ : ١٥ - ٢٤ » •

« أبناء المعصية الذين نحن أيضا جميعا تصرفنا بينهم فى شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار ، وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضا - أفسس ٢ : ١ - ٢ » •

* *

المرأة في ظل الكنيسة

لم تقتصر سلطة التشريع في المسيحية على المسيح ، فقد امتدت الى بولس ، ثم الى آباء الكنيسة . فهناك ما ذكره متى عن التفويض الذي أعطاه المسيح لبطرس قائلاً : « أعطيك مفاتيح ملكوت السموات . فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات . وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات - ١٦ : ١٩ » .

ثم امتد هذا التفويض الى التلاميذ ، كما ذكر متى في قول المسيح : « الحق أقول لكم : كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء ، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء - ١٨ : ١٨ » .

وبعد رحيل المسيح وقيام التلاميذ ومن دخل في زميرتهم بدعوة غير اليهود الى الايمان به ، تمسك اليهود الذين آمنوا به بضرورة ختان أولئك المؤمنين الجدد ، وذلك انطلاقاً مما جاء في الناموس الذي هو أساس الايمان للجميع ، وأسبوة بما حدث للمسيح طفلاً عندما ختنته أمه في اليوم الثامن لميلاده حسب شريعة موسى (لوقا ٢ : ٢١) . فالختان عهد الله الأبدي لابراهيم ولنسله من بعده . فقد « قال الله لابراهيم : وأما أنت فتحفظ عهدي . أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم . هذا هو عهدي الذي تحفظونه : يختن منكم كل ذكر ، فتختنون في لحم غرلتكم . فيكون علامة عهد بيني وبينكم . . في لحمكم عهداً ابدياً » أما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها . انه قد نكث عهدي - تكوين ١٧ : ٩ - ١٤ » .

وبهذا قرر الكتاب المقدس أن الختان معيار أساسي للتمييز بين أبناء ابراهيم في العقيدة ، أهل الختان ، وبين غيرهم من الذين فكشوا عهد الله ، أهل الغرلة .

لقد أحدثت مشكلة الختان التي أثارها اليهود المؤمنون في أنطاكية بلبلة بين المسيحيين الأوائل ، فرؤى ضرورة الرجوع الى الرسل والمشايخ في اورشليم وعقد بذلك أول مجمع مسيحي عام ٥٠ ميلادية انتهى فيه آباء الكنيسة الى نسخ الختان . فأرسلوا وفدا الى أنطاكية يقول : « قد رأى الروح القدس ، ونحن ، أن لا نضع عليكم ثقلا أكثر من غير هذه الأشياء الواجبة . أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام ومن الدم والمخنوق والزنا ، التي ان حفظتم أنفسكم منها فنعمنا تفعلون - أعمال الرسل ١٥ : ٢٨ - ٢٩ » .

فالعبرة التي تقول : « قد رأى الروح القدس ، ونحن » تين بوضوح أن هناك ما يراه الروح القدس ، وهناك ما يراه آباء الكنيسة ، وقد اتفق الرأيان - هذه المرة - على نسخ الختان .

أما الخلاف بين الروح القدس وآباء الكنيسة فيسجله تاريخ الجامع المسيحية التي عقدت عبر القرون ، وادعى كل فريق أن الروح القدس كان معه ، ثم لعن الفريق الآخر وطرده من رحمة الله . وكافت هذه الحقيقة هي ما استشهد به مارتن لوثر في حوارهِ في مدينة ليزج ، بألمانيا ، عام ١٥١٩ ، حيث قال لخصمه ، رجل البابا : « ما رأيك في موقف بولس الذي وبخ بطرس علانية ؟ هل كان بطرس معصوما من الخطأ ؟ » .

وما رأيك في الجامع : فقد حكم الواحد على الآخر وحرمه ، فمن هو الحارم الحقيقي ، ومن هو المحروم الحقيقي (١)؟! *

آباء الكنيسة ، اذن ، هم الذين شكلوا المسيحية عبر القرون ، وبموجب ما تمتعوا به من نفوذ وسيطرة على المسيحيين ، افرادا وشعبا ، كانت سلوكيات الأغلبية الساحقة من اولئك التابعين .

* *

(١) مارتن لوثر - ص ٩٢

دراسة تاريخية

لكي نستبين حقيقة وضع المرأة في ظل الكنيسة ، يكفينا أن نعرض بعضا مما جاء في كتاب : إنجيل المرأة (٢) ، الذي يعتبر دراسة وثائقية مدعمة بالأسانيد والشواهد والنصوص عن هذا الموضوع الحيوى والخطير ، قامت بها كارن ارمسترونج التي اقتضت في سلك الرهينة عدة سنوات ، ثم التحقت بالدراسات العليا بجامعة أوكسفورد .



● لماذا سمى الكتاب « إنجيل المرأة » :

تطالعنا الصفحة الأولى من هذا الكتاب ، والتي تحمل عنوانه الرئيسى ، بعنوان آخر فرعى يعبر عن مكنون الكتاب بقوله : **ابتداء المسيحية لحرب الجنس في الغرب .**

بعد ذلك تخبرنا الكاتبة ، في مقدمة الكتاب عن سبب تسميته هكذا ، فتقول : « لقد أسميت هذا الكتاب (إنجيل المرأة) ، لأنه يحكى قصة الحياة التي عاشتها النساء من خلال انجيل يسوع المسيح . ان كلمة (انجيل) تعنى ، طبعا ، أخبارا سارة ، ولكن على الرغم من أن المسيحية في فجر تاريخها قد قدمت للمرأة رسالة ايجابية ، الا أنه يجب القول أنه منذ القرن الثانى ، لم تكن المسيحية أخبارا سارة للنساء على الإطلاق . فلقد كانت مدمرة لهن الى أقصى حد ، على الرغم من وجود عناصر في أنماط التفكير والمشاعر المسيحية التي كان يمكن استخدامها بأفضل مما كان » (٢) .



K. Armstrong : THE GOSPEL ACCORDING (1)
TO WOMAN.

(٢) المرجع السابق - المقدمة . وأرجو التنبيه الى أن النص المقتبس من هذا الكتاب سوف ينتهى بذكر رقم صفحته مباشرة ، دون الحاجة الى استخدام الهامش مرة أخرى .

● الجنس هو المشكلة :

لقد كان هذا هو عنوان الفصل الأول الذي استفتحت به كارن ارمسترونج كتابها ، قائلة فيه :

« لقد كان الجنس هو مشكلة النساء الرئيسية في العالم العربي .. ففى ثقافتنا ، والحق يقال ، نجد أن الشعور بالاثم من الجنس ، والكبت الجنسي ، قد وضعنا النساء في موضع لا يطاق . لقد نظرت جميع الثقافات الى النساء على أنهن مخلوقات أدنى منزلة : فهن من ممتلكات الرجال ، وليست لهن حقوق استقلالية ، واعتبرن أضعف من الرجال ذهنيا وروحيا .. الا أنه في الغرب ، كانت لدى النساء مشكلة صعبة جعلت الظلم المعتاد شاقا بصورة استثنائية .

انها مشكلة لا يشاركن فيها ، على سبيل المثال ، النساء اليهوديات او المسلمات . فالعالم المسيحي في أوروبا وأمريكا تخللته كراهية الجنس والخوف منه ، ونظرا لأن الرجال قد لقنوا اعتبار الجنس سرا ، فانهم خافوا من النساء وكرهوهن ، هؤلاء اللاتي أوقعن بهن في تلك الأمور الجنسية الخطرة . لقد شكلت المسيحية المجتمع العربي ، وكانت هي الوحيدة بين الديانات الكبرى التي كرهت الجنس وخافت منه . وبناء على ذلك كانت الكراهية للنساء في الغرب فقط ، باعتبارهن مخلوقات جنسية ، بدلا من مجرد السيادة عليهن لأنهن مملوكات أدنى ..

ان القرآن يعلم المسلم ، أنه قبل مباشرة الجنس ، فعليه أن يشكر الله من أجل هذه النعمة الكبيرة . وهو يسمح للرجال بأن يكون للواحد منهم حتى أربع زوجات ، لكن عليه أن يحترم كل امرأة ويدلها . ولقد كان (ما علمه) محمد واضحا في أنه اذا عجز الرجل عن العدل بين النساء جنسيا وعاطفيا ، فيجب عليه الاكتفاء بزوجة واحدة . ومن المؤكد أن محمدا لم يعتقد أن النساء كن مشيرات للاشمئزاز جنسيا . فعندما

كانت تنزل بزوجته دورتها الشهرية ، كان يتكئ في حجرها ، ويأخذ
حصيرة صلاته من يدها ، قائلاً : ان طمئتك ليس في يدك ، وكان يشرب
من نفس الكوب ، قائلاً : ان طمئتك ليس في شفطيك ...

وفي حقيفة الأمر ، نجد ان النساء في فجر الاسلام
كن يتمتعن بقدر كبير من الحرية .. ولقد مارس الاسلام نظام
الحريم بعد اتصاله بالمسيحية البيزنطية التي كانت تعامل نساءها
بهذا النظام .. على أنه بمجرد ذكر الاسلام ، يتبادر الى الذهن ذلك
العرف البدائي الخاص بختان البنات^(١) . ومع ذلك ، فيجب ألا نكون
شديدي التعصب في بريطانيا حول هذا الموضوع ، لأن الأطباء
البريطانيين مارسوا هذا العمل في القرن التاسع عشر على الفتيات لمنع
الاستمتاع الجنسي الزائد .. ولقد كان التبرير لهذه العملية في انجلترا
هو تلك الاسطورة التي سادت المجتمع الفكتوري وكانت تقول ان
الجنس شر . أما الاسلام فانه لا يقر هذا الدافع « (ص ١ ، ٢) »



● جذور المشكلة الجنسية :

« منذ القرن الثاني فصاعدا ، انتشرت هرطقات في المسيحية
تقول ان الجنس والجسد شر ، وباستمرارية تكرار ذلك فان الناس
الذين اعتبروا أنفسهم مسيحين في كلا العالمين الكاثوليكي ثم
البروتستانتى ، قد شجبوا العلاقات الجنسية وحظروها . ولقد كان
اشمئزاز المسيحية من الجنس عميق الجذور ، واسع الانتشار ،
لدرجة أن الهرطقات كانت تحاول دائما ايجاد حلول أفضل للمشكلة
الجنسية من تلك التي تقدمها المسيحية التقليدية . وكانت الكاثارية

(١) الختان في الاسلام سنه وليس فرضا . وبالنسبة لختان البنات
فهناك تعاليم النبي التي تقضى بالتخفيف وعدم الجور في هذه العملية .

احدى هذه الهرطقات التي أثبتت أنها من القوة بحيث لم تجد معها أساليب المقاومة الهادئة ، إذ أنها انتشرت بسرعة في جنوب فرنسا ، مما اضطر الكنيسة آخر الأمر الى شن حرب صليبية ضدها ، وقتل أتباعها بالسيف . ولقد كانت الأثرائية ، التي ظهرت في القرن الثاني ، هي أول الهرطقات المسيحية ضد الجنس . وقد أتت عددا من الكتب مثل : أعمال توما ، وأعمال بولس وكان كلاهما يعلم أن الجنس مخز ومحط ، وأن البتولية فقط هي التي تدخلنا ملكوت السموات .

وفي واقع الأمر ، نجد أن تاريخ الغرب البروتستانتى ، قد تميز بتلك التناوبات المتطرفة الخطرة ، ما بين فجور جنسى وكبت جنسى . وأن تلك التناوبات كانت تتطابق دائما مع هبوط الحمية الجنسية وصعودها . انها ظاهرة يختص بها الغرب وحده ، والتي استطاع مؤرخو الجنس أن يعزوها الى المسيحية . فلقد خلقت المسيحية مناخا يستحيل فيه اعتبار الجنس مجرد نشاط . ان عليك كمسيحي اما أن تحبه بعنف أو تكرهه بعنف ، فهو اما نشاط انساني مترع بالخطية وشهوة جنسية مدمرة ، واما أنه ممارسة جنسية يجب أن توضع فيها المتعة الجنسية في مرتبة تالية لانجاب الذرية . ان حظر منع الحمل الذى لا تزال تدافع عنه الكنيسة الكاثوليكية ، انما ينبع من ذلك الرعب من المتعة الجنسية ، والتي ترجع فكرته في قدمها الى أوغسطين .

لقد قادت هذه الفكرة الكاثوليك ، في بعض الأحيان ، الى تطرف يدعو الى السخرية ، مثلما حدث لمفتى القرن السابع عشر الكبير سواريز ، حين ذهب يتأمل بطريقة ملتوية حالة (افتراضية) لرجل وقع في ورطة ، اذ بينما كان يمارس الجنس مع مومس ، فاذا به فجأة يداهمه الندم على فعلته هذه : فهل ينسحب من العملية الجنسية قبل اتمامها ، أم انه يستمر فيها !؟

انه اذا انسحب ، فمن المحتمل ان يصير ملتبًا بارتكاب
خطيئة اكبر من مجرد ارتكاب الزنا ، الا وهى منع الحمل « !
(ص ٤٢ - ٤٦) •

* *

فكر آباء الكنيسة وتعاليمهم فى الجنس والمرأة والزواج

● الجسد شر :

كان القديس امبروز ، أسقف ميلانو فى القرن الرابع ، يعظ فى
أمر الروح كتنقيض للجسد الذى هو شر • « ولقد كانت تلك الفكرة
مصدر الهام لتلميذه الكبير ، القديس اوغسطين ، الذى أصبح فيما بعد
أسقفًا لمدينة هبو فى شمال افريقيا ، وربما كان أكثر اللاهوتيين تأثيرًا فى
التاريخ المسيحى برمته بعد القديس بولس • فلقد كتب امبروز يقول :
(فكر فى الروح بعد أن تكون قد تحررت من الجسد ، ونبذت الانعاس
فى الشهوات ومتع اللذات الجسدية ، وتخلصت من اهتمامها بهذه
الحياة الدنيوية) •

فبالنسبة لأمبروز كان الجسد مجرد خرقة بالية ملطخة بالأقذار ،
تطرح جانبًا عندما يتحد الانسان بالله الروحانى بالكلية • لقد كان
اوغسطين يردد هذه الفكرة باستمرار ، فكم صلى قائلًا : (آه ! خذ
منى هذا الجسد ، وعندئذ أبارك الرب) !

وفى سير حياة كل القديسين المسيحيين الكبار ، نجد مثل هذا
الارتياب فى الجسد • لقد اعتاد فرانسيس الأسيزى أن ينادى جسده
قائلًا : (أخى الحمار) ! ، كما لو كان الجسد مجرد بهيمة غبية
شهوانية ، تستخدم لحمل الأثقال وكثيرًا ما كان القديسيون يتعهدون
أجسادهم باعتداء يومى من أجل إمامتها بالتعذيب الذاتى بطرق تقشعر
من هولها الأبدان « (ص ٢١) •

* *

● والجنس شر :

« في القرن الثالث عشر الميلادي ، قال الفيلسوف اللاهوتي القديس توما الاكويني : الذي ساد الفكر الكاثوليكي حتى عهد قريب ، أن الجنس كان دائما شر . . وعلى أى حال ، فان هذا الموقف السلبي لم يكن محصورا في الكاثوليك ، فلقد كان لوثر وكالفين متأثرين الى أقصى حد بأراء أوغسطين ، وحاملا مواقفه السلبية تجاه الجنس والزواج الى قلب حركة الاصلاح الديني مباشرة . لقد كره لوثر الجنس بشكل خاص ، على الرغم من أنه قد تزوج ومحا التولية في حركته المسيحية . لقد كان يرى أن كل ما يستطيع الزواج عمله هو أن يقدم علاجا متواضعا لشهوة الانسان التي لا يمكن السيطرة عليها . فكم صرخ قائلا : (كم هو شيء مرعب وأحمق تلك الخطيئة ! ان الشهوة هي الشيء الوحيد الذي لا يمكن شفاؤه بأى دواء ، ولو كان حتى بالزواج الذي رسم لنا خصيصا من أجل هذه النقيصة التي تكمن في طبيعتنا » (ص ٢٥) .



« انه لمن سوء الحظ أن أغلب آباء الكنيسة الغربيين ذوى التأثير القوي ، كانوا مصابين بالعصاب ، ورجالا عاطفين بدرجة كبيرة . لقد كان ترتليان وجيروم وأوغسطين ، جميعهم من الذين تحولوا الى المسيحية خلال نوع عنيف ومتفجر من المعاناة والتجارب الدينية . فهم أناس سماهم وليام جيمس ، في مؤلفه : تنوع التجارب الدينية ، بأنهم (ولدوا مرتين) . فهم (أنفس مريضة) لأن تحولهم كان مسبوقا ، في أحوال كثيرة ، بصراع رهيب مع أنفسهم ، واطلالة عابسة على الحياة . أما النفس التي ولدت (مرة واحدة) فهي خلافا لذلك ، لم تتحول الى المسيحية خلال تجربة صدمية ، لكنها كانت تقترب من الدين بطريقة تخلو من الاضطراب ، وتتقدم في حياتها الدينية بهدوء ومنطقية ، دون حاجة الى اللجوء الى تجارب سيكولوجية دخيلة .

ويلاحظ ن . وليامز ، في كتابه : فكرة السقوط والخطيئة الأصلية ، أن هؤلاء الناس الذين (ولدوا مرتين) كانوا يميلون لتبني عقائد لاهوتية حرفية متزمتة ، تماما مثل ما فعل آباء الكنيسة الغربيين العاطفين . ان هؤلاء الناس كانوا عاجزين عن الوصول الى اتفاق سلمى مع حياتهم الجنسية قبل تحولهم ، كما رأينا في حالة القديس جيروم . لقد أدرك أوغسطين^(١) تحوله الى المسيحية في لغة صراع جنسى ، فكان يصلى قبل تحوله قائلا : (يارب ! امنحني العفة . لكن ليس بعد) ! ، فاهما ، بقدر ما كان يؤرقه ، أن المسيحية تعنى البتولية . فهو يرى تحوله بالكلية ، كقرار اتخذه ضد الجنس (الذى انغمس فيه سلفا) ففي لحظة التحول ، كان مقتنعا بأن المسيح قد خلصه تماما من شهوته الجنسية وحياته الأسرية .

(١) يقول الخورى يوحنا الحلو في مقدمة ترجمته العربية لكتاب «اعترافات القديس أوغسطينوس» : « ولد أوغسطينوس في تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ٣٥٤ من أب وثنى وأم مسيحية ، وكان له زملاء في الدراسة « جروه وراءهم في طريق الشر والفساد في سن مبكرة ، ولم يخالفهم رأيا ، وأبى أن يتخلف عنهم في مداعبة الاثم والارتداء في أحضانه . وعجز والداه عن تأمين سفره الى قرطاجا لمتابعة دروسه ، فانفتح أمامه باب اللهو واسعا ، ولها بأقدس المحرمات ، وتعرف الى امرأة ساكنها واستولدها طفلا سماه أديودات . . وطلب أوغسطينوس الحقيقة في شهوات الجسد ، فأخفق ، بيد أنه لم يكفر بها ولا انقطع عنها . . واستهواه المانيون فمال الى خزعبلاتهم . . ثم انتقل الى روما ومنها الى ميلانو سنة ٣٨٤ . . وعلمت والدته بسفره فلحقت به واخذت تلح عليه ليقطع علاقته الأيمة بتلك التى ولدت له ابن الزنا المعروف . ولم يخيب أوغسطينوس هذه المرة رجاءها ، وأبعد أم ولده عنه الى افريقيا ، مستبقيا لديه ابنه أديودات . بيد أن هجر تلك المسكينة على هذا النحو لم يكن مشرفا له ولأمه ، إذ كان من الأفضل أن يتزوجها بموجب الشرع ، بيد أنهما ارتضيا ذلك الحل مسايرة لتقاليد المجتمع الرومانى البالية . ولدى قدومه الى ميلانو تعرف أوغسطينوس الى امبروسىوس أسقف المدينة واستمع الى مواعظة ، فأعجبه بلاغتها . . واقتنع بضرورة العماد ثم ما لبث أن عدل عنه حتى نهاية السنة الدراسية . . ثم أعاد النظر في حياته كلها واعتمد فكان اهتداؤه الى الكثرة حدثا صاعقا في ميلانو » . وقد مات سنة ٤٣٠

لقد كان آباء الكنيسة الغربيين ، الذين كانوا الأكثر تأثيرا بسبب ألمعيتهم الذهنية وشخصيتهم القوية ، كانوا جميعا من النمط الدينى الذى نزع بهم الى النظريات اللاهوتية المتزمتة التى تعادى الجنس . لم تأت تسميتهم آباء من فراغ ، فمنهم تولدت المسيحية الغربية . لقد أصابتهم بعق عدوى جو التقشف والزهد الذى شاع فى العصور القديمة المتأخرة ، وكانت أمزجتهم العاطفية بجانب سوء فهمهم لنقاط دقيقة معينة فى الكلمات الاغريقية التى جاءت فى رسائل القديس بولس (مثل كلمة ساركس : الجسد) ، يعنى كل هذا أنه لم يكن بمقدورهم تزويد الكنيسة الجديدة بالمبادئ الجنسية السليمة .

لقد كان اللاهوتيون الاغريق ، من أصحاب الولادة (مرة واحدة) مثل سيريل السكندري ، يكشفون عن تفسيرات أبعد كثيرا عن اثاره الرعب من معتقد الخطيئة الأصلية ، وكانوا أقل كثيرا فى معاداتهم للجنس . فبالنسبة لآباء الكنيسة الغربيين مثل أوغسطين ، أصبح الجنس والخطيئة متداخلين معا بطريقة لا انفصام لها ، وذلك لأسباب شخصية تتعلق بالزمان والمكان ، دون أن يكون لها أى مسوغ أو برهان من العهد الجديد . ولقد كان أوغسطين هو الذى صاغ معتقد الخطيئة الأصلية فى صورته النهائية ، وكانت نظريات أوغسطين اللاهوتية هى التى سادت الكنيسة خلال العصور المظلمة حتى حل محله الفيلسوف اللاهوتى توما الاكوينى « (ص ٣٠) » .



« لقد سلم أوغسطين الى الغرب تراث الخوف من الخطيئة ، كقوة لا يمكن السيطرة عليها . فهناك فى لب كل تشكيل للعقيدة ، توجد المرأة حواء ، سبب كل هذه التعاسة ، وكل هذا الثقل من الذنب والشر ، وكل هذا الانعماس البشرى فى الخطيئة . لقد ارتبطت الخطيئة والجنس والمرأة معا فى ثلوث غير مقدس . فبالنسبة لذكر متبتل مثل

أوغسطين ، لا يمكن فصل هذه العناصر الثلاثة • وفي الغرب ، بقيت المرأة هي حواء الى الأبد ، هي اغراء الرجل الى قدره المشنوم • بل ان انجاب الأولاد الذي تعتبره ثقافات أخرى فخر المرأة الرئيسي وينبوع القدرات التي تمتلكها ، نجده في المسيحية قد غلفه الشر باعتبارها الوسيلة التي تنتقل بها الخطيئة » (ص ٣٢ - ٣٣) •

*

ويقول القديس جيروم : « اذا امتنعنا عن الاتصال الجنسي ، فانا نكرم زوجاتنا ، أما اذا لم نمتنع : حسنا ! فما هو تقيض التكريم ! سوى الالهانة » ! (ص ٤٣) •

*

« ان المسيحية قد خلقت أتعس جو جنسى في أوروبا وأمريكا بدرجة قد تصيب بالدهشة كلا من يسوع والقديس بولس • ومن الواضح كيف كان لهذا تأثيره على النساء • فبالنسبة لأوغسطين الذي كان يناضل من أجل البتولية ، كانت النساء تعنى مجرد اغراء يريد أن يوقعه في شرك ، بعيدا عن الأمان والامانة المقدسة لشهوته الجنسية • أما كون العصاب الجنسي للمسيحية قد أثر بعمق في وضع النساء ، فهذا ما يرى بوضوح من حقيقة أن النساء اللاتي التحقن بالجماعات الهرطيقية المعادية للجنس ، وصرن بتولات ، قد تمتعن بمكانة واحترام كان من المستحيل أن يحظين بهما في ظل المسيحية التقليدية » (ص ٥١) •

*

« لقد كانت المسيحية مشغولة طيلة مئات السنين بجعل النساء ينجلن من أمورهن الجنسية ، ولقد عرفت النساء جيدا ، كما قال أوغسطين ولوثر قبل عدة قرون ، أن تشريع الزواج كان مجرد دواء ضعيف المفعول لمعالجة شرور الجنس » (ص ٧٧) •

* *

● والمرأة اقدار :

« لقد كان ينظر الى جسد المرأة باشمئزاز على نحو خاص ، كما

كان مصدر ارباك لآباء الكنيسة ان يسوع ولد من امرأة .

فكم ضغطوا بشدة ، في موعظة تلو موعظة وفي رسالة تلو رسالة ، على أن مريم بقيت عذراء ، ليس فقط قبل ميلاد المسيح بل وبعده أيضا ..

لقد كتب أودو الكلني ، في القرن الثاني عشر : « ان معانقة امرأة

تعنى معانقة كيس من الزبالة » .

لقد كانت الأحشاء الخفية للمرأة ، والتي تتسم بالقذارة ، مع رحمها الذي لا يشبع ، موضع استقذار وفحش بشكل خاص . وكان الآباء راغبين في التأكيد على أن يسوع لم يكن له الا أقل القليل من الاتصال بذلك الجسد البغيض » (ص ٢٣) .

*

« ولقد كتب أسقف فرنسي ، عاش في القرن الثاني عشر ، ان كل

النساء ، بلا استثناء ، مومسات ، وهن مثل حواء سبب كل الشرور في العالم ..

وقال الراهب البنديكتي برنار دي موريكس ، دون موارد ، في

اشعاره : انه لا توجد اية امرأة طيبة على وجه الأرض .

وقال الراهب الانجليزي (اسكندر نكهام) ، انه نظرا لأن المرأة

لا تشبع جنسيا ، فانها غالبا ما تصطاد بأسا حقيرا لينام معها في فراشها ليشبع نهمها اذا كان زوجها غير موجود في لحظة شبقها . ونتيجة لذلك ، كان على الأزواج أن يربوا أطفالا ليسوا من أصلابهم .

لقد ترسخت أسطورة عدم اشباع النساء جنسيا لدرجة أن روبرت

بيرتون أشار اليها في عام ١٦٢١ باعتبارها شكوى عالمية .

لقد انطبع في وعى أوروبا الغربي ما أثاره جيروم وترتليان وأوغسطين
وأتباعهم من كره للنساء وإيقاع الرعب منهن في النفوس « (ص ٧٠) •



● اغتيال شخصية المرأة :

لقد حرص آباء الكنيسة على التوكيد على أن المرأة مصدر الخطيئة
والشر في هذا العالم ، ومن ثم يجب قهرها الى أقصى حد واستهلاكها
تفسيا تحت وطأة الشعور بالخزي والعار من طبيعتها وكيانها البشري •
ولقد اغتتموا كل فرصة تتعلق بالمرأة لبث روح الاحباط فيها ،
ولو كانت تتعلق بزى ترتديه •

فقد كتب ترتليان ، في القرن الثالث ، رسالة تعالج زى المرأة ،
صدرها الى : « أفضل المحبوبات أخواته في الايمان ، ثم ما لبث أن
انزلق فيها من المحبة والاحترام الى هجوم مذهل ، اذ يقول :

(اذا وجد ايمان على الأرض عظيم مثل ما تتوقع أن نعم به في
السماء ، فما كان لأى واحدة منكن ، أفضل أخواتى المحبوبات ،
اللاتى منذ أن عرفت الواحدة منكن الرب ، وعلمت حقيقة منزلتها ، أن
تشتهى زيا كثير البهجة ، ولا أقول زيا ملفتا للنظر •

لقد كان حريا بها أن تخرج في زى حقير ، وتسير مثل حواء ، ترثى
لحالها ، نادمة على ما كان ، حتى يكون زيتها الذى يتسم بالحزن ، مكفرا
عما ورثته من حواء : العار ، واقصد بذلك الخطيئة الاولى ، نم الخزي
من الهلاك الأبدى للانسانية • (فلقد قال الرب للمرأة) : كثيرا أكثر
أتعاب جملك • بالوجع تلدين أولادا • والى رجلك يكون اشتياقك ،
وهو يسود عليك (تكوين ٣ : ٦) •

الستن تعلمن أن كل واحدة منكن هى حواء !؟

ان قضاء الله على جنسك بالعقوبة موجود في هذا العصر ، وبالتالي
فان الشعور بالاثم يجب أن يكون موجودا أيضا •

أتن المدخل الذي يلججه الشيطان : فأتن باكورة من ذاق الشجرة
المحرمة ، وأتن أول من تمرد على القانون الالهي ، وأتن تلك المرأة
التي أقنعتة (بالأكل من الشجرة) ، اذ لم يكن لدى الشيطان القدر
الكافي من الجسارة لكي يهاجم (آدم) •

لقد دمرتن بمثل هذه السهولة ، الرجل ، صورة الله •

وبسبب استحقاقك للعقوبة — التي هي الموت — كان على ابن الله
أن يموت أيضا) •

ان هذا بالضبط هو نفس التعقيد من الأفكار ، معبرا عنها بألفاظ
أقل وضوحا ، مثلما نجده في رسالة بولس الأولى الى تيموثاوس ،
والتي تتحدث عن مظهر النساء ، وحواء ، والولادة •

وبالنظر لأول وهلة ، يبدو عجيبا أن هذا الهجوم الضخم — الذي
يعتبر كل امرأة مسئولة مسئولية كاملة عن تدمير الرجل ، وعن صلب
المسيح — يبدأ وينتهي بخصوص شيء من الواضح أنه غير مهم الى
هذا الحد ، ألا وهو ملابس النساء •

ان ما يلهب هجوم ترتليان القاسي هو مجرد خوف غير منطقي
ألبتة ، فبالمضى قدما في رسالته نجد أنها تنصب كلها على الجنس «
(ص ٥٤ — ٥٥) •



وبالنسبة لجيروم ، نجد « أن ما يفعله هو الافراط في النظرة
الجنسية للمرأة بسبب كبتة الجنسي • فهو محبط بعنف ، لدرجة أنه
يخبر النساء أنهن لا يشبعن جنسيا • لقد نسي هنا (في رسالته) أنه
يكتب الى فتاة صغيرة طيبة (تخدم في الكنيسة) ، وقد طلبت منه

النصيحة (عن الحياة المسيحية) ، فحشها أن تقفل على نفسها بعيدا عن العالم ، اذ بمجرد أن تسير هنا وهناك ، فلسوف تلهبها شهوة الرجال •
لقد استغرق في الخيال الجامح لدرجة أنه قارنها في نهاية رسالته
بامرأة مومس ، تماما كما بدأ ترغليان رسالته مخاطبا قارئاتها (أفضل
محبوباتي) ومنهيا بأن كل واحدة منهن حواء •

المرأة ، اذن ، هي الد أعداء الرجل ، فهي المومس التي
تفوى الرجل الى هلاكه الأبدى ، لأنها حواء صاحبة الفواية ابدا •
وكما أن الخطيئة الأصلية ترتبط بالجنس ، فهكذا المرأة تماما ، هي حواء
لأنها مثيرة جنسيا « (ص ٦٠) •

* *

● ونساء الأنبياء أيضا !

« بين الحين والحين نرى عداوة للقوى الجنسية للنساء وخوفا
منها • ان أوغسطين يرى الخطر أيضا في النساء الفضليات اللاتي ذكرهن
العهد القديم • وأحيانا يصل الى استنتاجات تثير السخرية • ففي
محاولاته التوفيق بين الحياة الجنسية للآباء ، نجده يقدم لنا ابراهيم
واسحق بأن الواحد منهما كان يعاشر زوجته جنسيا ، بغية أداء الواجب
واستجابة لأمر الله بتأسيس السلالة المختارة ، لكن ذلك كان مصحوبا
بنفور شديد • لقد كانا يفضلان الامساك عن ممارسة الجنس •

ان ابراهيم ، الذي يبدو (من قراءة سفر التكوين) أنه كان يتمتع
بقوة جنسية هائلة ، لا بد وأن يقرأ كل هذا وهو منذهل تماما • •
ويستمر أوغسطين في استنتاجاته قائلا : ان اسحق كان أكثر حظا •
فالكتاب المقدس يذكر أنه مارس الجنس مرة واحدة^(١) ، وكان سعيد

(١) يقول سفر التكوين : « كان اسحق ابن أربعين سنة لما اتخذ
لنفسه زوجة ، رفقة بنت بتوئيل الأرامية .. وصلى اسحق الى الرب

الحظ تماما اذ أنجب توأمين ، هما عيسو ويعقوب ، فلم يكن بحاجة
لأن يمارسه مرة ثانية .

وعندما جاء الحديث عن يعقوب ، الذي كان له اثنا عشر ابنا ،
وجد أوغسطين نفسه في ورطة . فهو يقرر أن يعقوب كان يسره كثيرا أن
يسير على نهج اسحق ، فيمارس الجنس مرة واحدة في حياته . لكن
زوجتيه ليثة وراحيل استمرت في مضايقته بسبب شهوتهما العارمة
ونهمهما الجنسي^(١) ، مما اضطر هذا الأب المقدس الى التخلي عن مثله
العليا ، مع أن ليثة وراحيل كاتتا من النساء الطيبات . فبالنسبة لأوغسطين،
كما كان الحال بالنسبة لسابقه مثل جيروم ، كل النساء ، مهما كن
فاضلات ، فجميعهن أعداء الرجال . ولقد كتب الى صديق له قائلا :
(ما الفرق؟! فمهما كانت : زوجا او اما ، فهي لا تزال حواء المغرية الى
الحد الذي يجعلنا نحترس من كل امرأة) !

فلا يوجد مكان لهذا العدو في عالم الذكور ، وفي حقيقة الأمر

لأجل إمراته ، لأنها كانت عاقرا ، فاستجاب له الرب فحبلت رفقة . . فلما
كملت أيامها لتلد اذا في بطنها توأمين - ٢٥ : ٢٠ - ٢٤ « .
ان قول الكتاب المقدس أن رفقة كانت عاقرا ، يعنى أن اسحق جامعها
كثيرا دون أن يحدث حمل ، ومن هنا قيل انها كانت عاقرا . فالقول بأنه
جامعها مرة واحدة ، هو مخالفة لما في الكتاب المقدس ، واجتراء على الحق
يدعو الى السخرية حقا .

(١) يقول سفر التكوين : « مضى رأوبين في أيام حصاد الحنطة فوجد
لفاحا (نباتا مخدرا) في الحقل وجاء به الى ليثة أمه . فقالت راحيل لليثة
(اختها) : اعطينى من لفاح ابنك . فقالت لها : اقليل انك اخذت رجلى ،
فتأخذين لفاح ابني أيضا . فقالت راحيل : اذن يضطجع معك الليلة
عوضا عن لفاح ابنك . فلما أتى يعقوب من الحقل في المساء ، خرجت ليثة
للاقائه ، وقالت : الى تجيء لاني استأجرتك بلفاح ابني . فاضجع معها
تلك الليلة - ٣٠ : ١٤ - ١٦ « ومن العجيب في الأمر أن يذكر أوغسطين
من نساء يعقوب : ليثة وراحيل ، ويترك زلفة وبلهة ، ومن هؤلاء النسوة
الأربع جاء بنو اسرائيل .

لا يوجد مكان للمرأة على الاطلاق في خطة الله (لخلص العالم) «
(ص ٦١) •

•

• ثم كان التساؤل : لماذا خلق الله النساء !؟

« ان أوغسطين تبدو عليه الحيرة عندما يتساءل عما اذا كان هناك سبب ، على الاطلاق ، من أجله خلق الله النساء • فليس في امكان المرأة أن تكون صديقا ورفيقا معيننا للرجل ، ومع ذلك : (اذا كان ما احتاجه آدم هو العشرة الطيبة ، فلقد كان من الأفضل كثيرا ان يتم تدبير ذلك برجلين يعيشان معا كصديقين ، بدلا من رجل وامرأة) •

لقد كانت العلة الوحيدة (حسب رأيه) التي من أجلها خلق (الله) النساء هو انجاب الأولاد • ولقد كان لوثر يشارك في هذا الرأي ، فالوظيفة الوحيدة التي رآها للمرأة هي أن تجب أولادا بقدر الامكان حتى يهتدى الكثير الى الانجيل • فلم يهتم لوثر بتأثير كثرة الولادة على النساء ، اذ كتب يقول : (اذا تعبت النساء ، او حتى ماتت ، فكل ذلك لا يهم • دعهن يمتن في عملية الولادة ، فلقد خلقن من اجل ذلك) « !
(ص ٦١ - ٦٢) •

•

• ثم كان تساؤل أحق : هل المرأة انسان !؟

« لقد شاركت البروتستانتية تماما في كره النساء الذي ورثه الآباء الى الكنيسة الكاثوليكية • فعندما ناقش اللوثريون في وتبرج مسألة ما اذا كانت النساء حقيقة من بنى الانسان ، لم يكونوا يناقشون شيئا جديدا • فلقد كان اللاهوتيون متحيرين دائما حول مكانة النساء في خطة الله (لخلص البشر) •

ولقد كان توما الأكويني متحيرا تماما ، مثله مثلما كان أوغسطين

من قبل ، فيما اذا كان هناك داع ، على الاطلاق ، أن يخلقها (الله) ،
كما قرر أن طبيعة المرأة هي النزوة والهوى ، فكتب يقول :

(فيما يختص بطبيعة الفرد ، فان المرأة مخلوق معيب وجدير
بالازدراء ، ذلك أن القوة الفعالة في منى الذكر تنزع الى انتاج مماثلة كاملة
في الجنس الذكري ، بينما تتولد المرأة عن عيب تلك القوة الفعالة ،
او حدوث توعك جسدى ، او حتى نتيجة لؤثر خارجي) •

ان القول بأن طبيعة الفرد في النساء معيبة ، انما هي فكرة التقطها
من آراء أرسطو في علم الأحياء • فالذكر هو النموذج او المعيار ، وكل
امراة انما هي رجل معيب « (ص ٦٢) •



« نحن معشر النساء لا نزال تحذر الواحدة منا الأخرى ، ومن
المؤكد أن هذا يشكل واحدة من أتعس ما ورثناه من ماضيها المسيحي •
ولا يدهشنا ، على أى حال ، أن بعض النساء لا يزال يتشكك في
البعض الآخر ، لأن ثقافتنا قد علمتنا أشياء كثيرة فزعرة فيما يتعلق
بجنسنا •

ففي مجمع ماسون ، في القرن السادس ، كان على الأساقفة ان
يصوتوا على مسألة : ما اذا كان للنساء ارواح ام لا؟! ولقد فاز اقتراح
الموافقة بأغلبية صوت واحد •

واذا كانت هذه هي خلفية الكراهية للنساء ، فمن الذى يستطيع
أن يوبخنا ، معشر النساء ، بسبب كراهية بعضنا البعض « (ص ٦٤) •



● تأثير عبادة مريم على النساء :

في عصر الحروب الصليبية ، « وفي هذا العالم الدينى العدواني الذى
اقتصر فقط على الذكور ، جاءت عبادة مريم العذراء • فلقد أقيمت

الكاتدرائيات ، في كل أنحاء أوروبا ، تكريما لها ، وحلت محل القديس ميخائيل كبثورة للعبادة والأساطير بين عامة الناس . ان مريم تقف في صف الفقراء والمنبوذين ، فهي تستطيع أن تدخل أناسا ، ممن سبق أن عينهم الله لجهنم ، الى ملكوت السموات . .

ومن المؤكد حقيقة ، على أى حال ، أنه لا الحب (المسيحى) النبيل ، ولا عبادة العذراء ، كان لهما أى أثر فى الوضع الفعلى للنساء داخل المجتمع . ومن المؤكد أن أيا منهما لم يوقف الدعاية الرسمية بكراهية النساء التى استمرت تطلقها الكنيسة . ان القديس برنارد الذى فعل كل ما استطاع لنشر عبادة العذراء فى الكنيسة ، كانت عداوته للنساء مريرة . فعندما جاءت أخته لزيارته فى الدير الذى يقيم فيه ، فانه استشاط غضبا . لأنها كانت ترتدى لباسا جديدا . فقد كانت ، كما قال ، مومس قنرة ، وكتلة من الروث .

ان العبادة الجديدة (لمريم) لم تجد نفعا فى تهذيب أفكاره عن أجساد النساء ، فقد بقيت تماما كما هى فى تقاليد ترتليان « (ص ٧٤) .

* *

● هل الزواج عقوبة للنساء !؟

« انه لوثر الذى يجعل النساء منبوذات قسرا فى وحشة ، ومنفيات من عالم الرجال (فى زواج مسيحي) فبالنسبة للوثر ، وبعيدا عن تكريم النساء بالحض على الزواج كشيء اجبارى ، فانه يرى فى الزواج عقابا للمرأة . لقد كتب يقول :

(ان هذا العقاب ينبع ايضا من الخطيئة الاصلية ، وتحمله المرأة مكرهة تماما كما تتحمل تلك الآلام والمتاعب التى وضعت على جسدها . ان السلطة تبقى فى يد الرجل ، وتجب المرأة على طاعته حسب وصية الله . فالرجل هو الذى يحكم البيت والدولة ، ويشن الحرب ، ويدافع عن

ممتلكاته ، ويفلح الأرض ، ويبني ، ويزرع .. الخ . أما المرأة ، فعلى العكس من ذلك ، فهي مثل مسمار دق في حائط . هي تجلس في المنزل .. يجب أن تبقى المرأة في المنزل ، وترعى الحاجات المنزلية ، مثل انسان حرم القدرة على ادارة تلك الشئون التي تختص بالدولة .. بهذه الطريقة تعاقب حواء) .

لم يتغير شيء ! قد يكون لوثر تصارع عقائديا مع روما ، ولكننا رأينا ، من وقت لآخر ، كيف أن الكراهية المسيحية للمرأة لم تتأثر باختلاف الفكرى العقائدى . فلا تزال المرأة هي حواء ..

ان الصورة غير العادية للمرأة ، كمسمار يدق في حائط ، تكشف عن حقيقة مكانتها : فهي بائسة لا عون لها ، تساق ، ويدق على راسها .. لا يسعى وراءها من أجل اقامة مودة زوجية فيها دفء وراحة عائلية ، فلا توجد أى حرارة متبادلة .. ولهذا خلا بدء تاريخ الزواج المسيحى من المحبة ، والمساواة ، وعيش الرجال والنساء معا في وئام « (ص ٢٧٤ - ٢٧٥)

* *

● خلاص المرأة المسيحية يجعلها رجلا !

« على الرغم من أن الكنيسة في الغرب قد لا تسمح لعذاراها بالقيام بأعمال الرجال ، فقد كان اللاهوتيون واضحين في أن العذراء البتول قد أصبحت رجلا شرفيا . لقد كتب جيروم يقول :

(بما أن المرأة خلقت للولادة والأطفال ، فهي مختلفة عن الرجل كما يختلف الجسد عن الروح . ولكن عندما ترغب المرأة في خدمة المسيح أكثر من العالم ، فعندئذ سوف تكف عن ان تكون امرأة ، وستسمى رجلا) (تعليق جيروم على رسالة بولس الى أهل أفسس) .

من المثير أن يقارن جيروم النساء بالجسد ، فلقد رأينا كيف اعتبر

جسده عدوا له ، يجب أن يعاني الجوع ويموت بوحشية ، حتى يمكن للروح أن تتحرر ••

وإذا استطاعت المرأة أن تحرر نفسها من أمورها الجنسية ، فقد أصبحت مخلوقا روحانيا ومذكرا • ان امبروز واضح تماما في انه لكي تحصل المرأة على الخلاص بالنجاة من الخطيئة ، فيجب عليها ان تصبح ذكرا لقد كتب يقول :

(تلك التي لا تؤمن انما هي امرأة ، ويجب أن تصنف باسم جنسها (الأثوى) ، بينما تلك التي تؤمن انما تتقدم نحو الرجولة الكاملة • وأنداك تتخلي عن اسم جنسها (الأثوى) ، وغوايات الشباب ، وثرثرة العجائز) •

فالنسبة لأمبروز ، يعنى خلاص المرأة أن تطرح عنها أنوثتها ، وتصير انسانا كاملا بالغنا سن الرشد ، أى تصير ذكرا » (ص ١٢٩) •



نتائج هذا الفكر المسيحي الكنسى

● تعاليم كنسية بتقييد ممارسة الجنس بين الزوجين !

« بينما كانت المسيحية تنتشر ، انتشر معها ببطء أيضا كراهيتها للجنس والنساء • لقد كان الوعاظ جميعا ، بالطبع ، من الرجال ، وكانوا أيضا اما بتولا ، أو أجبروا رغما عنهم على البتولية ، وبذلك كانت نظرتهم للجنس معقدة • ولم تكن الرسالة الجنسية التي مست الناس العاديين (غير الأكليروس) أكثر كآبة وسلبية ، مما كان في توجيهات الاعتراف التي حاولت الكنيسة من خلالها أن تسيطر على الحياة الجنسية للناس ، حتى أولئك المتزوجين •

وهكذا نجد أن المكفرات (وهى : ارشادات لرجال الدين حول الحكم فى مختلف خطايا المؤمنين) تبين أنه فى مطلع القرون الوسطى ،

كانت الكنيسة تحاول فرض امتناع كلى على ممارسة الجنس بين الزوجين .
فلقد حظرت ممارسة الجنس أثناء : حمل المرأة ، والرضاعة . . كذلك
حظرت ممارسة الجنس أثناء : الصوم الكبير ، وأيام الآحاد الأربعة السابقة
للميلاد ، وأيام الآحاد والأربعاء والجمع ، وقبل تناول العشاء الرباني . .
ولقد كانت تعاليم المكفرات مهتمة بعدد مرات ارتكاب خطيئة العادة
السرية ، وخاصة بين رجال الدين .

ان هذا يبين أن الناس كانوا يحاولون مراعاة هذه القواعد .
وانهم اجبروا بذلك على ممارسة العادة السرية ، نظرا لحظر أى متنفس
جنسى آخر . .

كذلك كانت هناك مخاطر جسمانية أخرى ، فقد كان سوء
التغذية والوجبات غير المناسبة ، شائعا في أوروبا لفترات طويلة . ومن
المعلوم جيدا أن هذا يقلل الشهوة الجنسية . كما أن الوجبة غير
الصحية تعنى أن كثيرا من الناس كانوا يعانون من أمراض جلدية مروعة
تشوه المنظر . ولقد عانت النساء كثيرا من الآلام المهبلية وآلام المبايض
التي جعلت الجماع عملية مؤلمة ، بل ومستحيلة ، كما كانت الأمراض
التناسلية شائعة اضافة الى ذلك ، كانت رائحة النساء والرجال منتنة .
وحتى مع التسليم بأننا نتكلم عن مجتمع لا يهتم بالاستحمام ، كما فعل
الآن ، فقد اشتهرت النساء الانجليزيات ، بين الأجنبيات ، برائحتهن
المنتنة على وجه الخصوص . وكانت المداعبة قبل العملية الجنسية غير
معروفة ، وخاصة بين القرويين ، في إنجلترا وفرنسا . وكان هناك أيضا
الخطر الدائم من الحمل ، في عصر كان مولد الطفل محفوقا بمخاطر
للمرأة ، وكثيرا ما انتهى بموت الطفل .

وهكذا كان انفجار الدعاية ضد الجنس ، والتي أشعلتها الكنيسة ،
كأنها ضربت على وتر حساس عند كثير من الناس ، فأروا أن الجنس
ليس شيئا يحقق مطالب الحياة الزوجية أو يعززها « (ص ٣٥ - ٣٦) .



● فيجور قسيس !

« منذ القرن الثاني عشر ، انتقلت الى جنوب أوروبا عدوى هرطقة الكاثارية ، التي كانت تعتقد أن الشر مطلق كما أن الخير مطلق ، وأن المادة شر وفساد ، وكذلك أدين الجسد والجنس والزواج كأشياء مادية مملوءة بالخطيئة . وقد اعتقد الكاثاريون أنه اذا لم يقدر الانسان أن يكون واحدا من البتولين ، وهم الطبقة العليا ، فمن الأفضل أن يكون غير مقصور على امرأة واحدة بدلا من أن يتزوج ، لأن الزواج أضفى مباركة شرعية على شيء تأصل فيه الشر .

ولقد حدث في قرية موتايو الفرنسية ، التي انتقلت اليها بشدة عدوى الكاثارية ، أن تزوجت امرأة تدعى فابريس في عائلة متهرطقة . ونظرا لأنها لم تعتق فكر أولئك الهرطقة ، فقد طردت خارج منزل زوجها ، حيث عاشت في بؤس مقيم ، وكانت تكسب معيشتها من العمل في إحدى الحدائق .

وعندما بلغت ابنتها جازيدا واحدا وعشرين سنة ، استدعيت أمام محكمة التفتيش ، ليس فقط من أجل الشك في اتمائها الى تلك الهرطقة ، بل أيضا لأنها كانت عشيقة قسيس الأيرشية بيير كليرج ، الذي كان كاثاريا . ولقد حفظت لها شهادة جازيدا ، التي جاء فيها :

(منذ سبع سنوات أو نحو ذلك ، جاء بيير كليرج الى بيت أمي التي كانت خارج البيت تعمل في الحصاد في فصل الصيف . وقد حرصني على ممارسة الجنس معي فقبلت . كنت لا أزال عذراء ، عمري أربعة عشر عاما ، على ما أظن ، أو خمسة عشر عاما ، فأخذني الى مخزن الحبوب حيث يحفظ التبن .

بعد ذلك كرر معاشرتي جنسيا حتى يناير التالي ، وكان ذلك أيضا في بيت أمي . ولقد علمت أمي بذلك ، لكنها تسامحت ، وكان أكثر ذلك يحدث في النهار .

وفي يناير ، زوجنى القسيس الى زوجى الراحل بيير ليزير . واستمر بعد ذلك يعاشرنى جنسيا طيلة السنوات الأربع التى عاشها زوجى . لقد علم زوجى بذلك ، لكنه لم يبد أى معارضة . فعندما سألتنى عن ممارستى الجنس مع القسيس ، أخبرته بالحقيقة ، فطلب منى أن أحرص على ألا يكون ذلك مع أى رجل آخر خلاف القسيس . على أتنى وبيير (القسيس) لم نمارس الجنس أبدا أثناء تواجد زوجى بالبيت ، فلم يكن يحدث ذلك الا فى غيابه خارج البيت .

انى لم أكن أعلم أن (القسيس) بيير كليرج كان ابن عم لأمى فابريس . . . ولو علمت ذلك ، ما تركته يمارس الجنس معى . ولأنى وإياه كنا نستمتع بذلك ، فلم أكن أعتقد أتنى كنت أرتكب الخطيئة معه ! (ص ٣٨ - ٣٩) .



● اضطهاد المرأة دفعها الى الشك فى المسيحية :

كانت كريستين دى بيزان كاتبة عاشت فى القرن الخامس عشر ، وقد جمعت بين الثراء والثقافة العالية . ولقد أتعتها حال بنى يجنسها من النساء فتبنت قضيتهن ، كما جاء فى مؤلفها : كتاب مدينة السيدات . « فهى تخبرنا أنه فى كل قراءاتها الواسعة ، لم تجد شيئا سوى كراهية النساء . ان كل السلطات (تنتهى الى قرار واحد هو : أن سلوك النساء يجنح الى الرذيلة ويمتلئ بالمعائب) . وعندما راجعت كريستين حياتها الخاصة بكل دقة ، وحياة صديقاتها من النساء ، فانها لم تجد تبريرا لذلك القرار . . . وتولد عندها ، اثر ذلك ، مشكلة كره الذات . . .

لقد كانت آراء أكويناس وأوغسطين وكثير غيرهم سببا فى اقتناع كريستين بأنها كانت شيئا بغيضا ومخلوقا غير طبيعى . وكانت تتساءل بحرارة : هل خلق الله مثل هذا الخلق المرعب ، ومثل هذا الشيء الأثيم

الذى تمثلت فيه المرأة ؟

لقد اوصلها ذلك ، حسبما تتذكر ، الى الكفران بصلاح الله !
فقد استحال عليها الاعتقاد في أن الله الطيب الصالح قد صنع مخلوقا
مثل المرأة .. وعلى الرغم من ادراكها الشخصى لبراءة النساء ، فقد
أصبحت مقتنعة بشدة أن النساء لا بد أن تكون شرا ، حسبما أخبرها
بذلك مجتمعها وثقافتها ، فكتبت تقول :

(يا الهى ! كيف يحدث هذا ؟! لأنه ما لم أضل شاردة من ايمانى ،
فيجب ألا أشك أبدا في أن حكمتك اللانهائية وصلاحك الكامل المطلق ،
لم يخلق أبدا أى شىء لم يكن خيرا ..

ومع ذلك ، أنظر الى هذه الاتهامات التى حكم بها على النساء
وتقررت وفرغ منها ضدهم . انى لا أعلم كيف أفهم هذا التناقض !
فاذا كان الأمر كذلك ، أيها الرب الاله العادل ، انه في الحقيقه
يسود الجنس الأثوى مقت شديد . — بلأنك نفسك تقول ان شهادة
شاهدين أو ثلاثة يضى عليها التصديق — فلماذا لا أشك في أن هذا
هو الحقيقة ؟

واحسرتاه ، يا الهى ! لماذا لم تجعلنى اولد في هذه الدنيا رجلا ،
لتكون كل نزعاتى مكرسة لخدمتك على نحو أفضل ، وحتى لا أضل
في أى شىء ، وأكون كاملة مثل الرجل ، كما يقولون) !
(ص ٨٣ - ٨٤)

● منابع مروعة للنساء :

دأب الفكر الكنسى المسيحى الغربى ، عبر قرون عديدة ، على
اثارة جو متأجج بكراهية المرأة والخوف منها ، استمد جذوره الأولى
ما تحكيه الصفحات الأولى من الكتاب المقدس عن الخطيئة الأولى
التي تضع مسؤوليتها في عنق حواء ، وتحملها بالتالى مسؤولية كل المتاعب
والآلام التى يعانيتها الجنس البشرى على هذه الأرض . ثم جاءت فكرة
الخطيئة المتوارثة التى غرسها بولس في المسيحية على غير أساس ، كما

بيننا سلفا وتمهدا آباء الكنيسة حتى كان أوغسطين الذي صاغ معتقد الخطيئة الأصلية في صورته النهائية .

لقد كان هذا المعتقد - كما بينا سلفا أيضا - اختراعا من صنع المسيحية . ان خبرات الحياة تؤكد لنا كل يوم حقيقة ما قاله المسيح في موعظة الجبل عن الذين يسيطرون على فكر الناس ومعتقداتهم طغيانا بغير علم ، فيجلبون لهم - ولتابعيهم - الشقاء في الدنيا والآخرة . فلقد قال فيهم المسيح قولة حق ومعيار صدق : « من ثمارهم تعرفونهم . هل يجنون من الشوك عنبيا او من الحسك تينا . هكذا كل شجرة جيدة تصنع اثمارا جيدة . واما الشجرة الرديئة فتصنع اثمارا ردية . لا تقدر شجرة جيدة ان تصنع اثمارا ردية ، ولا شجرة ردية ان تصنع اثمارا جيدة . كل شجرة لا تصنع ثمرها جيدا ، تقطع وتلقى في النار . فاذا ، من ثمارهم تعرفونهم - متى ٧ : ١٦ - ٢٠ » .

وما كان لكل هذه المعتقدات التي ربطت الخطيئة والجنس والمرأة معا وما ترتب عليها من عداوات بثتها الكنيسة الا ان تؤتى ثمارها المرة . وبلغت المرارة أقصى لسعاتها في القرنين السادس عشر والسابع عشر حين اتخذ الرعب من المرأة أبشع صورته المتوحشة في تلك المذابح الدموية التي تعرضت لها النساء في الغرب المسيحي .

*

تقول كارن ارمسترونج : « ان أعمال القمع في الحضارة الغربية لا ترى ظاهرة بوضوح الا في حالات الرعب الفجائي المتعاطف الذي يصاحب تلك الأعمال ، ويتفجر من وقت لآخر بعنف مذهل ثم يخمد فجأة ، تاركا كل شخص مرتبكا ومتعجرا من ذلك الجنون الوقتي الذي سيطر على المجتمع .»

ان جنون القمع هذا لا يوجه الى مجرمين حقيقيين في المجتمع أو ينزل بمن يناصرونه العداة حقا ، لكنه يصيب ضحايا يعملون كبش فداء لأمراض العصاب التي كتبتها المجتمع ، ولم يكن له من وسيلة للتعبير

عنها سوى هذا الأسلوب العنيف واللاعقلاني • وكثيرا ما نسمى هذه الأعمال الجنونية : «تعقب المتشيطنات وقمعهن»(١) بسبب الجنون الشهير الذي تفجر في أوروبا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، خاصا بتعقب نساء السحر الأسود والتنكيل بهن •• وعلاوة على ذلك ، فان تعقب المتشيطنات وقمعهن قد فعل ما هو أكثر من مجرد اعطاء اسم لظاهرة غريبة مزعجة وعجيبة •

فلقد دمرت تلك الحملات ، الى أبعد حد ، العلاقة بين الجنسين في مجتمعنا • لقد حشد تعقب المتشيطنات وقمعهن كل المخاوف الدفينة التي كانت تنمو تدريجيا في الغرب المسيحي • ففي نهاية القرن الخامس عشر ، كان واضحا تماما ان الكنيسة قد طبعت أوروبا برعب من الأمور الجنسية ، وكراهية للنساء ، تفجرت كلها في الحملات المتفرقة لتعقب المتشيطنات وقمعهن • لقد نما الذعر من ذلك أثناء القرن السادس عشر ، ووصل ذروته في نهاية ذلك القرن ، واستمر حتى عام ١٦٨٠ عندما بدأت تلك النقمة في

(١) تقول المعاجم ثنائية اللغة في ترجمة الكلمة الانجليزية (Witch) : انها : ساحر (ة) . عراف (ة) . بينما تقول المعاجم الانجليزية أحادية اللغة (أوكسفورد) ان هذه الكلمة تعنى : امرأة قيل انها تستخدم السحر وخاصة للأغراض الشريرة . أى انها امرأة تستخدم السحر الأسود . وهذا يبين أن الترجمة العربية الشائعة لتلك الكلمة الانجليزية ليست دقيقة ، فهي ذاتها تستخدم لترجمة كلمات انجليزية أخرى شبه مترادفة لها . والأفضل ان تكون ترجمة كلمة (Witch) هي : امرأة السحر-الأسود ، أو : امرأة متشيطنة .

كذلك تقول المعاجم ثنائية اللغة في ترجمة المصطلح الانجليزي : (Witch - hunt) ، انها : مطاردة الساحرات (وتعذيبهن) . بينما تقول المعاجم أحادية اللغة ان هذا المصطلح يعنى : شن حملة صارمة لفضح المنشقين على المجتمع ، بزعم حمايته والعمل لمصلحته . فالأفضل ان تكون ترجمة هذا المصطلح حسب ظروف استحداثه تاريخيا هي : تعقب المتشيطنات (أو : نساء السحر الأسود) وقمعهن . ثم تكون ترجمته منجازا هي : تعقب المنشقين وقمعهم .

التبدد . ولقد كان للعالم الجديد في أمريكا جنون تعقب المتشيطانات الخاص به ، كما حدث في « سالم » عام ١٦٢٩ ، مسترجعا عصاب أوروبا على الجانب الآخر من الأطلسي .

لقد كان تعقب المتشيطانات وقمعهن ظاهرة دينية دبرتها الكنيسة ، ودعمتها معتقدات الناس الأتقياء والخواف التي حلت بالنساء المتعقيات . .

لقد كان تعقب المتشيطانات وقمعهن تتاجا محضا للحمية المسيحية ، فقد كان ظاهرة غريبة خاصة . . ولقد عانت بعض أجزاء أوروبا من قسوته أكثر من أجزاء أخرى ، فكانت حملات القمع في أسبانيا وإيطاليا والبرتغال وهولندا محدودة ومتفرقة ، كما كانت ضئيلة في إنجلترا ، على الرغم من اعدام المئات من النساء لهوايتهن أعمال السحر والتنجيم ، وتلك ظاهرة مختلفة تماما عن ظاهرة تعقب المتشيطانات . أما في استكلندا وفرنسا والولايات الألمانية وسويسرا ، فقد كان جنون حملات القمع أسوأ ما يكون ، اذ يحدث أنه يتفجر بعنف في منطقة ما ، ثم يتوقف فجأة ليندلع في نفس المكان بعد سنوات .

وطوال حملات تعقب المتشيطانات وقمعهن ، كان يعتقد ان هناك

شيطانا يمارس الجنس مع هؤلاء النسوة ، وكانت تعرف تلك الروح الشريرة باسم : الحوضون . كما يعتقد أن تلك النساء المتشيطانات يمكنهن الطيران في الهواء ليلا لحضور الاحتفال بيوم لراحة الأسبوعى ، حيث يعبدن الشيطان ، وينغمسن في شعائر وحشية ، ويمارسن طقوسا جنسية عريضية . وكان يعتقد كذلك ، أن هؤلاء النساء يمتلكن قوى سحرية ، اذ كن في تحالف مع الشيطان من أجل تدمير الجنس البشرى ، كما كانت لهن القدرة على اثاره العواصف ، واتلاف المحاصيل ، واحداث العجز الجنسي للآخرين ، واصابتهم بالعقم والموت . لقد كان تعقب المتشيطانات بدعة مسيحية ، وكان ينظر اليها على أنها

واحدة من أخطر أنواع الهرطقات لأنها كانت تعطى للشيطان التكريم الذى كان يجب أن يعطى لله . ولهذا كان الواجب على كل المسيحيين الأتقياء تعقب هؤلاء النساء المتشيطنات اللاتي تعادين الله والمجتمع . فتلك مؤامرة يجب فضحها ، كما يجب اجبار هؤلاء المتشيطنات على الاعتراف بجرمهن ، والكشف عن أسماء زميلاتهن ورفقاء المؤامرة . فلهذا كان تبرير التعذيب ممكنا ، وقد مورس بوحشية ، حتى ان النساء اعترفن بأنهن متشيطنات حقا ، وقمن بوصف ممارستهن الجنس مع الشيطان ، وما كان يحدث فى حفل يوم الراحة الأسبوعى ، وذلك حسب التلقين الذى تضمنته أسئلة المحققين .

لم يكن فى الاعتقاد بوجود نساء متشيطنات أى فكر منطقي ، وقد ناقض كثيرا من المبادئ المسيحية بما فيها وصية المسيح بمحبة الأعداء . فما كان سوى اقتناعا عاطفيا ينبع من أعمال الكبت التى فرضتها المسيحية على أوروبا . فطول قرون عديدة ، كان ينظر الى الجنس على أنه شر ، وأن النساء أعداء الرجل ، أما الآن فقد أصبح الجنس شيطانيا ، وأصبحت النساء هن العدو الرئيسى للمجتمع .

لقد اعتقد كثير من الناس بشدة فى وجود هؤلاء النساء المتشيطنات، وأن الواجب يفرض عليهم قتل الآلاف منهن . ومن الصعب الآن معرفة عدد النساء اللاتي قتلن خلال الجنون الذى استمر مائتى عام ، وان كان بعض العلماء يؤكد انه قد مات فى موجات تعقب المتشيطنات بقدر ما مات فى جميع الحروب الأوروبية حتى عام ١٩١٤ ، فنادرا ما تركت اية امرأة على قيد الحياة فى بعض القرى السويسرية . فمن المحال ، اذن ، تقدير أعداد القتلى من هؤلاء النساء بدقة واقعية ، لكن يبدو أن الأعداد كانت كبيرة بدرجة مفرجة .

لقد كان معتقد شيطنة النساء ، اذن ، خيالا جامحا ضخما تراكم فى عقول المسيحيين الغربيين ، معبرا عن أعماق مخاوفهم ، كما كان مرضا عالميا نفخت فيه الحياة ديلانة المحبة . . . !

لقد تعلم المسيحيون أن النساء مخلوقات بغيضة ، وفاسقات جنسيا . ثم كانت المرأة المتشيطنة قمة ذلك الفسوق ، وكان الاعتقاد في ممارستها الجنس مع الشيطان حقيقة رهيبة مسلما بها . (ص ٨٨-٩١) .



● خرافة وثنية :

« ان الاعتقاد الوثني القديم بأعمال الشيطان هذه ، تسلم معموديته المسيحية في عام ١٤٨٤ عندما أصدر البابا انوسنت الثامن مرسوما بابويا مذهلا ، حيث يظهر منه أن قلعا جنسيا انتشر في ألمانيا بصورة وبائية . فقد صار الرجال عاجزين عن ممارسة الجنس ، كما عجزت زوجاتهم عن الحمل . وقد أرجع ذلك الى النساء المتشيطنات (اللاتي استسلمن للشيطان ليمارس الجنس معهن) ، واللاتي أثرن بقوة السحر في الجيران .

عندئذ كلف البابا اثنين من الآباء الدومينيكان هما : يعقوب شبرنجر ، وهينرش كريهر ، بتولى هذا الموضوع . وكانت نتيجة عملهما المشترك هو اصدار دليل عمل بعنوان : مطرقة المتشيطنات ، الذي كان كتيبا الغرض منه مساعدة المحققين في تحرى أعمال المتشيطنات . ولقد حظى هذا الكتيب بمصادقة متأنية من جامعة كولونيا عام ١٤٨٧ ، ثم أصبح المصدر الرئيسى لديوان التفتيش حيث تكررت منه تسعة عشر طبعة .

ويحاول شبرنجر في هذا الكتيب أن يبرهن على أن النساء قابلات لاغواء الشيطان أكثر من الرجال لأنهن أصلا مخلوقات فاسدات . ثم هو يطور نظرية اكويناس التي تقول بأن النساء أساسا هن مخلوقات بشرية مشوهة . لقد كتب شبرنجر يقول :

((يجب ملاحظة ان هناك عيبا في تكوين المرأة الاولى . . وحيث انها من خلال هذا العيب تكون حيوانا مشوها ، فانها دائما تخادع . . وهذا ما تبينه

دراسة اصل كلمة : « اثى » وتاريخها (في اللغات الأوربية) ، لأن كلمة (Femina) تتكون من شقين هما : (Fe - Minus) (فالكلمة تتضمن معنى النقص) ، نظرا لأنها ضعيفة أبدا لا تستطيع التمسك بالإيمان والمحافظة عليه .

— ص ٤٤] • فهذا شيء يختص بصميم طبيعتها « (مطرقة المتشيطنات كذلك كتب شبرنجر يقول : (ان كل اعمال شيطنة المرأة انما تنبع من تحرقها الشهوانى الذى لا يشبع • فهناك (حسب الكتاب المقدس) ثلاثة لا تشبع ، وأربعة لا تقول كفى : ذلك هو فم الرحم (سفر الأمثال : الاصحاح ٣٠) • وبناء على ذلك ، فان النساء مستعدات لمعاشرة أى شخص حتى ولو كان الشيطان) (مطرقة المتشيطنات — ص ٤ •

فكما أن الجنس قد نظر اليه دائما على أنه مرتبط بالخطيئة الى أبعد حد ، فقد صار الآن مرتبطا بقوة الشيطان •

ويستمر مطرقة المتشيطنات في لقاء مسئولية الشهوة الجنسية على النساء • ان شبرنجر يشكر الله بحرارة على أن الرجال متحررون من تلك الشهوة الجنسية الملعونة ! ، وهم بالتالى متحررون من أعمال الشيطنة (فحيث انه (الرب) كان راضيا أن يحمل به (في البطن) ويقاسى من أجلنا ، فقد أنعم على الرجال بهذا الامتياز) •

ان الانطباع المذهل من هذا القول ، هو ان الله لم يخلص النساء ، او لم يمت من أجلهن ، ولهذا اسلمهن الى الجنس ومن ثم الى الشيطان •

لقد كان هناك ميل دائم الى دفع النساء بعيدا عن خطة الله لخلاص العالم ، أما الآن فان النساء لم تكن فقط من الدخول في تلك الخطة ، بل انهن وضعن موضع العدو ، حيث تحالفن مع الشيطان ، عدو الله وعدو الانسان « (ص ٩٣ — ٩٥)



● مأساة جين هارفيير :

« هناك قصة محزنة بطلتها جين هارفيير ، التي عرضت قضيتها على برلمان باريس في عام ١٥٧٨ . . فعندما كانت طفلة ، أحرقت أمها كامرأة متشيطنة ، وباعتبارها ابنة لهذا النوع من النساء فقد تعرضت للجلد بأمر البرلمان . لكن البلية لم تنته بعد ، فان وصمة عار أمها جعلتها غريبة تماما عن المجتمع . ولما كانت جين قد أجبرت باستمرار على التحرك من مسكن الى آخر ، وعلى تغيير اسمها ، لكي تهرب من لعنة التشيطان ، فقد وجدت نفسها أنها أصبحت في آخر الأمر وحيدة تماما لدرجة أنها صارت تشعر بأنه لا يوجد من تتجه اليه سوى الشيطان . . لقد أصبحت جين مقتنعة أن أمها كرستها للشيطان . . واعترفت بأن شيطانها تعود أن يظهر لها على هيئة رجل طويل ، يرتدى ملابس سوداء ، متوشحا بسيف . . وأنه أصبح صديقها الوحيد ، وحببيها الذي كانت تمارس الجنس معه الى أن بلغت الخمسين عاما عندما اتهمها جيرانها بالتشيطان . .

فعلى الرغم من ان جين اعترفت بان الروح الشريرة كانت تجامعها ليلا ، فلم يكن هذا كافيا في نظر القضاة اذ لا بد ان تطبق عليها كافة سلسلة الاستجواب ، فعذبت الى ان اعترفت بانها كانت تطير في الهواء ، وتشترك في حفلات العريضة خلال يوم الراحة الاسبوعية ، وانها عبدت بعزبول (رئيس الشياطين الذي زعم اليهود أن المسيح كان لا يخرج الشياطين الا بمساعدته - متى ١٢ : ٢٤) .

ان صنوف العذاب التي صبت على هؤلاء النساء البائسات قبل موتهن المحتوم ، لتبين بوضوح حجم الكراهية للنساء ، والتي كانت السبب في نفث هذا الجنون . لقد كان ويير في رعب مما رآه في السجون ، وكان يلح على أن هؤلاء النساء المتهمات لم يكن هرطقات ، وانما هن نساء بائسات جاهلات مريضات « (ص ١١٤) .



خاتمة : وتعليق

ان هذا الموضوع لا يحتاج الى تعليق ...

على أن كارن ارمسترونج قد كفتنا مئونة التعليق ، فلقد كان لها ملاحظات وتعليقات نكتفى بذكر شيء منها تحت موضوعين فرعيين فيما يلي .



● المسيحية والمحبة :

تقول كارن ارمسترونج : « لقد كانت فكرة المحبة واحدة من أهم المثل العليا في المسيحية ، فقد قال يسوع ان العلامة المميزة للإتباعه تكون بقدر ما يحمله الواحد منهم من محبة للآخرين . ولقد مدح القديس بولس المحبة أكثر من كل مواهب الروح التي تثير العجب . فبدونها يكون الانسان طبلا أجوف ، أو نحاسا يطن ، أو صنجا يرن . ولقد ألح القديس يوحنا على أنه عندما يحب المسيحي جاره فانه آنذاك فقط يستطيع أن يحب الله بصدق . بل ان يسوع قال ان محبة الأصدقاء ليست كافية ، فيجب على المسيحي أن يحب أعداءه أيضا ، الا أن الحب ليس من المثل العليا التي تسهل ممارستها . على أنه يجب القول انه مهما كانت نظرياتها اللاهوتية الرسمية التي تختص بالمحبة ، فقد بقيت المسيحية واضحة في كونها أقل في جانب المحبة عما هي في جانب الكراهية .

نحن (في الغرب المسيحي) نسعد جدا بوصف الاسلام بالعنف ، لكننا نتناسى من أجل راحتنا ان تاريخنا المسيحي كان قصة معتمدة من الحروب الصليبية والاضطهادات . لقد اعتقد المسيحيون في أوروبا ، طيلة قرنين من الزمان ، أن واجبهم الديني يحتم عليهم ذبح المسلمين واليهود في الحروب الصليبية .

فلقد كان ينظر الى قتل أعداء المسيح والبلاد المسيحية ، كعمل مقدس يستحق المكافأة والتقدير ، وسيبلا يمارس من خلاله الرجل العادى (من غير رجال الدين) المحبة الكاملة لله ، تماما كتلك التى يمارسها الراهب فى الحياة الدينية .

ثم كان على المسيحيين ، فيما بعد ، أن يشنوا حروبا صليبية ضد المسيحيين الآخرين ، ليس فقط ابان محاكم التفتيش ، ولكن أيضا بعد الاصلاح الدينى ، حيث قام الكاثوليك والبروتستانت بقتل بعضهم البعض . وحتى عندما لم توجد قضايا اضطهاد فعلى ، فقد كانت المسيحية قاسية جدا ، لا تبالى بطريقة متوحشة ، وتستغل بأسلوب منافق جماعات كثيرة من الناس . ومن المؤكد أن النساء لم تكن الوحيدات اللاتى قاسين على أيدي المسيحية ، ولكنهن ، فى الحقيقة ، كن من أوائل الأعداء الذين ابتدعتهم . ان هذه الكراهية للنساء انما تتبع من عملية اسقاط نفسى للمخاوف والشعور بعدم الأمان الذى استقر فى عقول المسيحيين وقلوبهم . ولقد ابتدعت المسيحية ، خلال تاريخها الطويل ، صورا مماثلة أخرى لأعداء ، كانت تنمو فى الأذهان بعمليات اسقاط نفسى .

وهكذا ، بدءا من القرن التاسع ، صار المسلم عدوا للمسيحيين ، وكانت صورته عند المسيحيين فى أوروبا لا تمت الى الحقيقة على الإطلاق ، لكنها تظهر خليطا من الخوف والاعجاب اللذان شعر بهما المسيحيون نحو الاسلام ، الى جانب قلق دفين من اجل المسيحية ذاتها . وهكذا ايضا ، فى الوقت الذى اجتاحت فيه أوروبا الحروب العدوانية ، وكان يستفحل فيها تدريجيا مفهوم العنف المقدس الذى تفجر اخيرا فى الحروب الصليبية ، كان الاسلام يعرض بصورة خاطئة تماما على انه الدين العنيف ، غير المتسامح ، الذى ذبح اصحاب العقائد الأخرى . ومرة أخرى ، عندما حطمت أوروبا مخاوفها الجنسية ، كان ينظر الى المسلم ايضا ، وبصورة خاطئة تماما ، على انه انسان اباحى بفيض .

ان هذا لم يكن مجرد مسألة جهل بالحقائق ، فحتى عندما استطاع
الناس معرفة الحقائق عن الاسلام ، فانهم استمروا في ترديد الأحكام
المسبقة القديمة عنه ، والتي كانت احتياجا عاطفيا للغرب طيلة فرون .
ولقد عانى اليهود أيضا بنفس الطريقة منذ نهاية القرن الحادى
عشر . .

ان النساء لم تكن مجرد طبقة مثل العبيد أو الفقراء الذين لم يتم
المسيحيون بعمل أى شىء للتخفيف عنهم فحسب ، بل انهم فى الواقع
زادوا من معاناتهن . لقد كان يقال للفقراء على الدوام أن يتوافقوا مع
الكنيسة : فهذا لوثر يحرض الأمراء على قتل الفلاحين الثائرين ، ولكن
على الفلاحين أن يكونوا ثائرين ! ان الفلاح لم يكن شريرا لمجرد كونه
فلاحا ، مثلما كان اليهودى شريرا لكونه يهوديا ، ومثلما كانت المرأة
شريرة لأنها حواء . .

وكيفما كان الحال ، فان النساء لم تكن مجرد جماعة أساء
المسيحيون معاملتها ، بل كانت النساء من أول أعداء المسيحيين ، اذ
ارتبطن بالشيطان من أجل تدمير الرجال « (ص ٦٨ - ٦٩) .



● اثر الاسلام فى احترام الام والزوجة المسيحية :

« ان الكنيسة الكاثوليكية لم يكن لديها القدر الكافى من
الكفاءة لكى تفرض آراءها فى الجنس بنفس القوة التى مارستها
البروتستانتية . ولعل هذا هو السبب أنه فى البلاد الكاثوليكية ، مثل
ايطاليا ، يوجد تقدير أكبر للجنس ، ويوجد تقدير أكبر - من بعض
الأوجه - للنساء ، عما هو فى البلاد التى تعتبر تقليديا بروتستانتية . .
ان الام الايطالية ، التى لها عميق الاحترام والنفوذ فى اسرتها ، انما
تشبه فى ذلك النساء غير المسيحيات فى عالم البحر الأبيض المتوسط

مثل الامهات العربيات المسلمات ، اكثر الى حد كبير من شبهها لآخواتها
المسيحيات في انجلترا او ألمانيا ، حيث لا تتمتع تلك الامهات بنفس
المكانة . . وفي اسبانيا ، التي تآثرت بقوة بالاحتلال الاسلامى ، فقد تآثرت
بالمفاهيم الاسلامية الخاصة بالجنس والموقف من النساء . .

وعندما يعزل المسلم نساءه عن العالم ، فانما ذلك دليل على شدة
احترامه لهن بما يجعله يربا بهن عن مخالطة عالم الاسواق الخطر الدنيء .
وهناك شواهد على أن النساء الفرييات اللاتي استقر بهن المقام
في مملكة اورشليم ، ابان الحروب الصليبية في القرون الوسطى ، قد
اكتسبن احتراماً من المؤكد ان اخواتهن في اوروبا لم يتمتعن به في القرن
الثانى عشر الذى اشتهر بكراهية النساء ، وانهن قد اكتسبن هذا
الاحترام من اتصالهن بالاسلام . وقد بدأ الكثير من نساء الصليبيين
في ارتداء الحجاب ، بعد ان راين المكانة والاحترام اللذان يوفرها للنساء
المسلمات . .

وعندما حجز المسلمون نساءهم - حسب التقاليد - في نظام الحریم
داخل بيوتهم ، فذلك بسبب تقديرهم لهن ، واعتبارهن خاصتهم ، بينما
حجز المسيحيون نساءهم خارج حياتهم ، لأنهم كانوا يكرونهن ، فصارت
النساء منفيات الى عالم منعزل يتسم بالوحشة « (ص ٤٢ ، ٦٣) .

* *

أما بعد . . .

هذا قليل اقتبسناه من كثير مما جاء في الدراسة الحافلة التي قامت بها
كارن ارمسترونج ، فكانت تأريخاً وثائقياً للفكر المسيحى ، وتبياناً
لموسم الأوضاع المرأة في المسيحية عبر القرون ، ضمنها كتابها المتميز :
انجيل المرأة ، الذى جاء فى ٣١٠ صفحة ، واعتمد على ١١٨ مرجعاً .

ان كارن تملك امكانيات البحث والدراسة عن حقيقة أوضاع المرأة في اليهودية والمسيحية فقط وذلك بحكم نشأتها وبيئتها واتمائها الفكرى والعقائدى ، ولتوافر جميع المصادر والمراجع التى تحتاجها . أما كتابها عن الاسلام ، فهذا شئ فوق طاقتها نظرا لاعتبارات كثيرة من أهمها : ندرة المراجع الأمنية التى يعتمد عليها فى التزويد بالمعلومات الصحيحة ، بدلا من تلك الغلالات الحالكة التى دأب غلاة الاستعماريين وأغلب المستشرقين وأشياعهم على نسخها حول الاسلام وتبويه والمرأة المسلمة والحريم ...

وان كادت كارن أن تفلت أحيانا من شباك تلك الخيالات المريضة ، فتعترف بأفضلية بعض المفاهيم والممارسات الاسلامية ، فانها فى أشد الحاجة الى دراسة عن الاسلام تستقى بأمانة من مصادره الأصلية الصحيحة .



ليس هنا مجال الحديث عن المرأة فى الاسلام ، ولكن يكفى أن نورد حادثا واحدا وقع فى صدر الاسلام ، كان بطلاه : امرأة من عامة المسلمين ، وعمر بن الخطاب ، الخليفة الثانى ... وعمر هو من هو : الحاكم العادل ، والفقير الورع ، ومنظم الدولة الاسلامية الواسعة ومشيد أركانها ...

يقول ابن كثير : « ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله ﷺ ثم قال : أيها الناس ! ما اكثركم فى صداق النساء؟! وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه ، والصدقات فيما بينهم أربعمئة درهم ، فما دون ذلك؟! ولو كان الاكثر فى ذلك تقوى عند الله أو كرامة ، لم تسبقوهم اليها . فلأعرفن ما زاد رجل فى صداق امرأة على أربعمئة درهم .

ثم نزل . فاعترضته امرأة من قريش ، فقالت : يا أمير المؤمنين ! نهيت الناس أن يزيدوا فى مهر النساء على أربعمئة درهم ؟

قال : نعم • فقالت : أما سمعت ما أنزل الله في القرآن ؟
قال : وأى ذلك ؟

فقالت : أما سمعت الله يقول : ﴿ وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا
منه شيئاً ، أتأخذونه بهتانا وإثماً مبيناً ﴾ ؟! (النساء : ٢٠) •

قال : اللهم غفرا ! كل الناس أفقه من عمر •
ثم رجع ، فركب المنبر فقال : أيها الناس ! انى كنت فهيتكم أن
تزيدوا النساء فى صدقاتهن على أربعمئة درهم ، فمن شاء أن يعطى
من ماله ما أحب •

ان دلالات هذه القصة كثيرة ، وان الذين يهتمون بقضية النساء ،
لهم أكثر الناس استشهادا بها ، بحكم ما تبينه من مواقف ، وما تثبته
من أحكام •



لقد صنع الاسلام من المرأة المسلمة - ابنة حواء أيضا ، بل
وابنة الصحراء - انسانا كامل الأهلية : له حق الحياة والحرية
والتعبير والقبول والرفض والجدال ، حتى ولو كان مع رأس الدولة ،
جدالا قائما على العلم والمنطق ومغلقا بالتى هى أحسن • والخليفة العادل
نم يلبث أن ينصاع الى الحق الذى بينته له امرأة من عامة رعاياه ، فما
كان منه الا أن اعتلى منبر المسجد مرة أخرى ليعلن أمام الناس خطأ
رأيه الأول فى تحديد صداق النساء •

لقد كان هذا يحدث فى الوقت الذى « كتب فيه البابا
جريجورى الكبير خطابا الى أحد الأساقفة ، بدأه بقوله :

وصلنا تقرير لا نستطيع ذكره دون أن يحمر الوجه خجلا : انك
تشرح قواعد النحو والصرف لبعض الأصدقاء » •

وقد علق برتراند رسل على هذا الحادث ودلالاته الخطيرة بقوله :

« لقد اضطر الأسقف ، بحكم السلطة البابوية ، أن يكف عن القيام بهذا العمل الشرير ! ان اللسان اللاتيني لم يسترد الحياة الا في عصر النهضة » (١) .

*

ومهما يكن من شيء ، فان كارن ارمسترونج هي الأجدر بالكتابة عن أوضاع المرأة في المسيحية ، لاعتبارات منها :

... انها ابنة الكنيسة ...

... وانها ابنة الحضارة الغربية ...

فلطالما كان المسيح يقول في الانجيل : « اذهبوا وتعلموا ما هو . انى أريد رحمة لا ذبيحة - متى ٩ : ١٣ » وكان يردد بذلك ما قاله هوشع في أسفار العهد القديم (هوشع ٦ : ٦) . ولقد ذهبت كارن وتعلمت ، وتقتت في بطون الكتب ، وقامت بمسح شامل لوضع المرأة في المسيحية خلال تسعة عشر قرنا ، فجاء كتابها هذا قائما على النصوص والأسانيد ، ولم يأت عبثا أو خيالا جامحا كتلك المسخ الشيطانية التى تطلع علينا بين الحين والحين ، فتكتب فى أخطر الأمور ، مثل أمور الدين ، بأسلوب العبث والاسفاف الحقيق ...

فلبئس ما كتبت تلك الحثالة من الكتاب ... ولبئس ما قرأت لها

تلك القطعان من القراء ...

*

ان ما عرضته كارن أرمسترونج عن وضع المرأة فى ظل المسيحية فى الغرب ، يجعل الضمير الانسانى ينتفض صارخا :

« يا حسرة على العباد ! »

* *

B. Russel : Why I am not a Christian ? p. 19.

(١)

مكانة المرأة في الاسلام

● آدم هو المسئول عن الخطيئة البشرية الاولى :

رأينا كيف جعل الكتاب المقدس المرأة هي المسئولة عن الخطيئة البشرية الاولى ، فقد ألقى آدم اللوم عليها ، فقال لربه : « المرأة التي جعلتها معي ، هي أعطتني من الشجرة فأكلت » . واعترفت المرأة لربها أنها كانت البادئة بالمعصية بعد أن أغوتها الحية ، فقالت : « الحية غرتني فأكلت » .

وهكذا حملت اليهودية المرأة مسئولية هذه الخطيئة البشرية الاولى ، وعلى خطاها سار بولس ، فوضع المسئولية في رقبه المرأة ، ودافع عن الرجل الأول - آدم - واعتبره لم يتعد ، فقال : « آدم لم يغو ، لكن المرأة أغويت ، فحصلت في التبعدي » .

ولقد كان لهذه الأقاويل آثارها المدمرة على مكانة المرأة ومنزلتها في اليهودية والمسيحية . ولما كان بولس هو المسئول - كما رأينا - عن اختراع فكرة الخطيئة الأصلية المتوارثة في بني آدم ، فقد ذاقت المرأة في المسيحية - مسيحية بولس - الكثير والكثير عبر القرون .

وحين نأتى الى الاسلام نجده مخالفا تماما لما تقول به اليهودية والمسيحية من تحميل المرأة وزر الخطيئة الاولى وما ترتب عليها من شقاء . فالقرآن يحدد - بصريح العبارة - مسئولية آدم عن ذلك ، وان شاركته امرأته المعصية بالأكل من الشجرة المحرمة ، بعد أن استجاب آدم ثم امرأته لوسوسة الشيطان ، طمعا في الخلد وملك لا يبلى :

« ولقد عهدنا الى آدم من قبل ففسى ولم نجد له عزما . واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى . فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . ان لك الا تجوع

فيها ولا تعرى . وانك لا نظاماً فيها ولا تضحى . فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فاكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى ﴿ (طه : ١١٥ - ١٢١) ٠

لقد نسي آدم وعصى ، وتبعته امرأته فعصت معه ، ولهذا كان هو

المسئول الأول . . .



هذا ، ولقد جاءت قصة آدم وابليلس والعداوة بينهما في سبع سور من القرآن هي ، حسب ترتيب المصحف ، كالاتى : البقرة - الأعراف - الحجر - الاسراء - الكهف - طه - ص .

كما جاء ذكر الحديث عن معصية الأكل من الشجرة المحرمة في ثلاث سور هي : البقرة - الأعراف - طه .

وبتدبر ما جاء في القرآن العظيم ، وما جاء في الكتاب المقدس خاصا بآدم وزوجه وابليلس والمعصية البشرية الأولى ، نلاحظ الآتى :

١ - كان ابليس أول العصاة في هذه القضية ، فلم يطع أمر الله بالسجود لآدم ، فقد : ﴿ ابى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ (البقرة : ٣٤)

٢ - وكان ابليس ، وفق منطق الموعج ، يتصور نفسه أفضل من آدم بحكم مصدر تخليقه ، فهو قد جاء من نار ، أى من شىء ذى طبيعة باقية يعبر عنها - الآن - بالاهتزازة وطول الموجة ، وأما آدم فقد جاء من طين مر بمراحل منتنة ، أى من شىء ذى طبيعة مادية يعبر عنه بالأبعاد والأثقال وشغل حيز من الفراغ .

ومن هذا المنطلق الجهول ، قال : ﴿ انا خير منه خلقتنى من نار

وخلقتنه من طين ﴾ (الأعراف : ١٢) .

﴿ لم أكن لأسجد لبشر خلقت من صلصال من حمأ مسنون ﴾
(الحجر : ٣٣)

﴿ آسجد لمن خلقت طينا ﴾؟! (الاسراء : ٦١) •

ولقد حول العلم الحديث اليوم ، المادة الى طاقة ، ومن جزء ضئيل جدا من المادة تتحرر طاقة هائلة ، كما حدث على الأرض في القنابل الذرية والتفاعلات النووية ، وكما يحدث في الكون ، حيث تبقى الحياة على هذه الأرض - بأمر الله - وفق ما تستقبله من طاقات متنوعة من الشمس في صورة ضوء وحرارة واشعاعات أخرى •

٣ - كان ابليس هذا من الجن الذين خلقوا قبل آدم وذريته :

﴿ ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون • والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ (الحجر ٢٦ ، ٢٧) •

﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه ﴾ (الكهف : ٥٠) •

فهو من طبيعة نارية ، والنار تشاهد بألوان متدرجة الحرارة ، ففيها الأحمر والأزرق والأبيض •••

ولهذا قال المسيح : « رأيت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء - لوقا ١٠ : ١٨ » •

٤ - سمي القرآن هذا المخلوق الجنى - الذى كان أول العصاة في هذه القضية - باسمه ، وهو : ابليس ، كما جاء في السور السبع ، كآلاتى : البقرة : ٣٤ ، الأعراف : ١١ ، الحجر : ٣١ ، الاسراء : ٦١ ، الكهف : ٥٠ ، طه : ١١٦ ، ص : ٧٤

ولم ينعه بالشیطان ، إلا بعد عصيانه وطرده من رحمة الله ، كما جاء في : البقرة : ٣٦ ، الأعراف : ٢٠ ، الاسراء : ٦٤ ، طه : ١٢٠

فهو قد استشاط حقدا على آدم وتأججت نيرانه ، فكان بعض ما نفثه برهان عداوة أبدية بينه وبين آدم وذريته ، اذ قال لربه :

﴿ أرايتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا ﴾ (الاسراء : ٦٢) •

﴿ رب بما اغويتنى لأزینن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين • الا عبادك منهم المخلصين ﴾ (الحجر : ٣٩ ، ٤٠) •

لقد استشاط ، وشاط أو كاد ، فصار الشيطان •

هـ - استخدم القرآن الفعل : وسوس ، وهو فعل رباعى يدل على تكرار الحدث لتكرار المقطع • فكانت معصية آدم ، ومن ورائه امرأته ، بعد محاولات متكررة من الشيطان ، بدأها بآدم :

﴿ فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ (طه : ١٢٠) •

ولعله وسوس الى امرأة آدم على انفراد ، لكن المؤكد أنه فى احدى محاولاته المتكررة وسوس لهما معا ، واستطاع أن يخدعهما وهما بعد بريئين طاهرين ، حين أقسم لهما بالله على صدق دعواه ، ففسى آدم تعاليم ربه ، وأكل هو وزوجه من الشجرة المحرمة :

﴿ فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا الخالدين • وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين ﴾ (الأعراف : ٢٠ ، ٢١)

٦ - ومهما يكن من شىء ، فان الله برحمته الواسعة ، قبل توبة آدم وزوجه ، بعد أن اعترفا بالذنب ، وندما على المعصية ، وطلبوا الغفران :

﴿ قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين ﴾ (الأعراف : ٢٣) •

﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم ﴾
(البقرة : ٣٧)

وخلاصة القول في هذه الخطيئة البشرية الأولى ، ما قاله القرآن
في آيتين اثنتين فقط :

﴿ وعصى آدم ربه فغوى • ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾
(طه : ١٢١ ، ١٢٢)

ليس في الإسلام ، اذن ، قول بتوارث خطيئة لآدم يتناقلها الأحفاد
عن الأجداد ، فما جاءت مثل تلك المزاعم الا في مسيحية بولس ، والمسيح
منها براء •

ان المسئولية - في الاسلام - فردية ، وهو ما يتفق وعدل الله :
﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ (المدثر : ٣٨) •

﴿ الا تزر وازرة وزر اخرى • وان ليس للانسان الا ما سعى • وان
سعيه سوف يرى • ثم يجزاه الجزاء الاوفى • وان الى ربك المنتهى ﴾
(النجم : ٣٨ - ٤٢)

﴿ يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده
ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، ان وعد الله حق ، فلا تفرتم الحياة
الدنيا ولا يفرنكم بالله الفرور ﴾ (لقمان : ٣٣) •

٧ - وأخيرا ، وليس آخرا ، ما هي حقيقة المدو الأول لآدم : هل
هي الحية ، كما يقول الكتاب المقدس ، أم هو ابليس الشيطان ، كما
يقول القرآن العظيم ؟ للإجابة على هذا السؤال الهام ، نستعرض
ما بين أيدينا من نصوص ومعلومات ، ثم لننظر ماذا يكون المقال •
تصنف التراجم الحديثة - مثل الفرنسية المسكونية(١) - خلق

(١) كتب الشريعة الخمسة .

العالم حسب روايتين : الرواية الأولى ، وتنسب الى المصدر الكهنوتي ،
وقد جاءت في الاصحاح الأول من سفر التكوين ، ومطلع الاصحاح
الثاني منه (أى أنها تشتمل على ١ : ١ - ٣٢ ، ٢ : ١ - ٤) •

أما الرواية الثانية ، فتنسب الى المصدر اليهودي ، وقد اشتملت
على بقية الاصحاح الثاني ، ثم الاصحاح الثالث بالكامل (٢ : ٤ - ٢٥ ،
٣ : ١ - ٢٤) •

وقد جاء في هاتين الروايتين :

« عمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهايم كأجناسها وجميع
دبابات الأرض كأجناسها - ١ : ٢٥ » •

« هذه مبادئ السموات والأرض حين خلقت • يوم عمل الرب
الاله الأرض والسموات كل شجر البرية لم يكن بعد في الأرض وكل
عشب البرية لم ينبت بعد لأن الرب الاله لم يكن قد أمطر على
الأرض • وجبل الرب الاله آدم ترابا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة
حياة ، فصار آدم نفسا حية •
وغرس الرب الاله جنة في عدن شرقا ، ووضع هناك آدم
الذى جبله - ٢ : ٤ - ٨ » •

« وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب
الاله • فقالت للمرأة : أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟ فقالت
المرأة للحية : من ثمر شجر الجنة نأكل • وأما من ثمر الشجرة التى فى
وسط فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا •
فقالت الحية للمرأة : لن تموتا • بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه
تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر •
فأنت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل • فأخذت من ثمرها
وأكلت ، وأعطت رجلها أيضا معها فأكل - ٣ : ١ - ٦ » •

– وبالنسبة للعقوبة التي استحققتها الحية : « قال الرب الاله للحية : لأنك فعلت هذا ، ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية • على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك – ٣ : ١٤ » •

فمن كل ما سبق يتضح أن الحية التي أغرت حواء ودفعت بها وبزوجها آدم الى ارتكاب الخطيئة البشرية الأولى ، كانت هي الحية الزحافة المعروفة التي تدب على الأرض • هي حيوان وليست مخلوقا شيطانيا ذا طبيعة طاقية كالجان وغيره •

فماذا يقول المفسرون ازاء هذا المأزق ؟

تقول كتب الشريعة الخمسة : « تمثل الحية هنا كائنا يقاوم الله وبعادي الانسان ، وهو العدو والشيطان في نظر سفر الحكمة ثم في العهد الجديد والتقليد المسيحي » •

ان هذا تعسف واضح ، فعندما يقال ان الحية هي الشيطان ، فان هذا اجترار على الحق واستخفاف بالعقول ، أهون منه أن يقال : الماء تراب ، وذلك لأنهما ينتميان الى طبيعة مادية واحدة ، تتكون من تراكم الذرات والجزيئات •

ولمعرفة مصدر هذه المشكلة ، لتتذكر ما تقوله كتب الشريعة الخمسة عن مصادر سفر التكوين : « لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس ، وهم يروون بداية العالم والبشرية أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم ، ولا سيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية • فالاكتشافات الأثرية منذ نحو قرن تدل على وجود كثير من الأمور المشتركة بين الصفحات الأولى من سفر التكوين وبين بعض النصوص الغنائية والحكمية والليترجية الخاصة بسومر وبابل وطيبة وأوغاريت ، ولا عجب في ذلك » (ص ٦٦) •

وتقول الترجمة الفرنسية المسكونية تعليقا على العبارة التي تقول :
« وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية » ، ما يأتي :

« لقد كانت الحية تلعب دورا كبيرا في الشرق القديم ، مثل قوة
للاخصاب (في كنعان) ، وكقوة سياسية (في مصر) . وفي الملحمة
البابلية المشهورة للبطل جلجامش ، فانها تسترق منه نبات الخلود .
وبسبب دهائها في العواية ، فيحصل الرجل والمرأة على معرفة تكشف
لهما عن عورتيهما » .

وهكذا ، منذ البدء ، اختلطت الحقائق بالأساطير

لقد أعلن المسيح أن الذي بدأ القتال ضد البشرية منذ نشأتها
كان هو الشيطان ، فقال محاجا اليهود :

« أنتم من أب هو ابليس (١) وشهوات أيكم تريدون أن تعملوا .
ذاك كان قتالا للناس من البدء - يوحنا ٨ : ٤٤ » .

فذاك الذي كان قتالا للناس من البدء - حسب قول المسيح -
انما هو ابليس الذي صار يعرف - بعد تمرده وفسقه عن أمر الله
وعداوته الشديدة لآدم وأهله - باسم الشيطان . واذا كانت بعض
الحيات تهتز بسرعة كاهتزازة الجان ، ومثلها مثل عصا موسى التي
« رآها تهتز كأنها جان » (٢) واذا كان العرب قد دعوا بعض تلك الحيات
باسم الشيطان ، فلا يمكن مساواة الحقيقة بالمجاز ، واعتبار الحية ،
ذلك الحيوان الزاحف ، بأنها ابليس أو الشيطان ، ذلك المخلوق الجنى
النارى .

ان ريتشارد الصليبي - ملك انجلترا - الذي جاء في القرن الثانى

(١) المفروض أن يقال : « أنتم من أب هو الشيطان » ، وذلك مقارنا
بالتراجم الانجليزية التي تستخدم كلمة Devil (A. V. and R. S. V.)
والتراجم الفرنسية التي تستخدم كلمة : « Diable (T. O. B.) »
(٢) القصص : ٣١

عشر الميلادي ليسفك الدماء على أرض فلسطين ويقتل في يوم واحد ٢٧٠٠ أسيرا بالاضافة الى زوجاتهم وأطفالهم في مذبحه عكا الشهيرة^(١) في أغسطس سنة ١١٩١ ، كان انسانا يمشى على رجلين ، ولم يكن أسدا يمشى على أربع ، رغم شهرته الواسعة بأنه ريتشارد قلب الأسد ، بحيث لو طرح السؤال : من هو قلب الأسد ؟ لكانت الاجابة : ريتشارد ملك انجلترا ، فحين تتعلق الأمور بكلام الله ، لا بد من تحرى الحقيقة وتخليصها من الأباطيل والأوهام ، والفصل التام بين الحقيقة والمجاز .

والنتيجة التي لا مفر من التسليم بها هو أن قصة سقوط آدم وطرده وزوجه من الجنة ، في حاجة ماسة الى اعادة كتابة تستبعد منها الحية ، وتضع بدلها الشيطان ، وتجرى عليها ما تتطلبه من تعديلات . ولا أقول لكى تتفق في هذا مع القرآن ، فاني أعلم أن الأغلبية الساحقة من غير المسلمين تستكبر عن الحق وخاصة اذا جاء من عند غيرهم ، ولكن أقول : لكى تتفق مع قول المسيح .

وما هذا التعديل الذي لا مفر منه بأخطر من تعديلات أخرى أدخلت على نصوص الكتاب المقدس ، ويأتى في مقدمتها حذف فقرة التثليث من رسالة يوحنا الأولى (٥ : ٧) .

وأما الذين يستمعون الى الحق ، فأقول لهم ان هذا الوضع الذي نحن بصددده ، انما هو تفسير ملموس لقول الحق في القرآن العظيم ، مخاطبا نبيه :

﴿ وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا عليه ﴾ (المائدة : ٤٨) .

*

(١) S . Runciman : A History of Crusades, Vol . 3,p.53.

النساء شقائق الرجال

ليس هذا كلامي ...

انه حديث سيدنا رسول الله ﷺ وتعاليمه للناس ، وهو حديث رواه أبو داود ونصه : « انما النساء شقائق الرجال » .

وهو يكفى ، بالاضافة الى ما سبق بيانه من مسئولية آدم عن الخطيئة البشرية الأولى ، ليكون ملخصا لمكانة المرأة في الاسلام .
ولكن ، لتأخذ الدراسة مجراها ، وليستوثق الناس حقيقة الأمر بدراسة المزيد من التفاصيل .

لنبدأ ، اذن ، بحث القضية من مختلف جوانبها ، مبتدئين من الأصل والمنشأ ، ومتدرجين عبر مختلف مراحل حياة المرأة .

* *

● المرأة ام الخليفة :

يقول الامام الاكبر محمود شلتوت - شيخ الأزهر سابقا - في معرض حديثه عن المرأة في نظر الاسلام : « ان القرآن الكريم حينما تحدث عن الأصل الذى تفرع منه الانسان ، جعل المرأة شريكة فيه للرجل ، ومن مجموعهما تعددت القبائل والشعوب ، واتسبت الأفراد بالبنوة لكل من الرجل والمرأة ، وبذلك كان الرجا أبا ، وكانت المرأة أما . واعتبر القرآن الكريم ذلك نعمة على الانسان ، توجب عليه الشكر ، وتوجب عليه تقوى الله ومراقبته ، وتوجب عليه النظرة المستقيمة الى أخيه الانسان الذى يشاركه فى معنى الانسانية ، وفى نسبه الى أصله الذى تكونا منه .

ومعنى هذا أنه لا تفاضل بينهما من جانب الانسانية ، وأن التفاضل انما يكون بما يكتسبه الانسان من خلال التى ترقى

بالإنسانية الى المستوى الفاضل • ولعلنا نجد هذا في مثل قوله تعالى :

﴿ يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ (النساء : ١) •

وفي مثل قوله تعالى : ﴿ يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ﴾
(الحجرات : ١٣)

وقد كان من فروع الاشتراك في تلك العنصرية الانسانية ، أن
سمى الرجل والدا ، والمرأة والدة ، وجاءت التعاليم القرآنية بوضعها
معا موضع التكريم والاجلال • وما كانت الوصايا الكثيرة التي حثت
على الاحسان (بالوالدين) الا أثرا لهذا الأصل الذى قرره القرآن
في أصل الانسان وتكوينه :

﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ﴾
(النساء : ٣٦)

﴿ وفضى ربك الا نعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ﴾^(١) (الاسراء : ٢٣)



● اكرام الأم أضعاف اكرام الأب :

« والقرآن لا يقف في هذا المقام عند حد التسوية بين (الوالدين)
في واجب الاحسان والاجلال ، بل يخطو خطوة ثانية فيرشد الى
ما للوالدة من جهود مضية في تربية الأبناء ، ليس شيء منها للوالد ،
وترى ذلك في مثل قوله تعالى :

﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله
في عامين ﴾ (لقمان : ١٤) •

(١) الاسلام : عقيدة وشريعة - الامام الاكبر محمود شلتوت -

وفي قول الرسول - عليه السلام - جوابا عن سؤال رجل :
من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله ؟

قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال :
أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك « (١) » .

لقد أمر الإسلام بالاحسان الى الوالدين ، حتى لو كانا كافرين .
ويقتضى الاحسان اليهما دوام الصلة ، والخدمة والعطاء ، والكلمة
الطيبة ، والدعاء بالهداية لهما ان كانا ضالين ، وبالرحمة والمغفرة فيما
وراء ذلك . فالقرآن العظيم يقول :

﴿ وان جاهدك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ،
وصاحبهما في الدنيا معروفا ﴾ (لقمان : ١٥) .

ولقد اعتبر الإسلام السعى على الوالدين واکرامهما بمثابة الجهاد
في سبيل الله . فعن عبد الله بن عمر أن رجلا جاء الى النبي ﷺ
بسأله بجاهد . فقال له النبي : « احي والدك » قال : نعم . قال :
ففيهما جاهد » (رواه البخارى) .

ولقد كان للأُم النصيب الأوفى من التكریم والرعاية والاحسان .
ففي حديث جامع لسيدنا رسول الله قال فيه : « ان الله حرم عليكم :
عقوق الأمهات ، ومنع وهات ، وواد البنات . وكره لكم : قيل وقال ،
وكثرة السؤال ، واضاعة المال » (رواه البخارى) .

وعن أسماء ابنة أبى بكر قالت : قدمت على أمى وهى مشركة
فى عهد قريش ، اذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدتهم مع أيها ، فاستفتت
رسول الله ﷺ فقالت : « يا رسول الله ، ان أمى قدمت على وهى راعبة .
أفأصلها ؟ قال : نعم . صليها » (رواه البخارى) .

(١) المرجع السابق - ٢٢١

وكان من تعاليم النبي ﷺ أن : الجنة تحت اقدام الأمهات
 روى أن رجلا جاء الى النبي ﷺ فسأله : « هل لك من أم » ؟
 قال : نعم • فقال ﷺ : « فالزمها ، فان الجنة تحت رجلها » •
 على أن دراستنا المقارنة هذه ، تتطلب وقفات بين الحين
 والحين لبيان ما بين اليهودية والمسيحية والاسلام من اتفاق في أمور
 وخلاف في أمور أخرى • ووقفنا الآن للتذكير بتعاليم المسيح في
 الانجيل :
 « كان جموع كثيرة سائرين معه ، فالتفت وقال لهم :
 ان كان أحد يأتي الى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته
 وأخواته ، حتى نفسه أيضا ، فلا يقدر أن يكون لى تلميذا -
 لوقا ١٤ : ٢٥ - ٢٦ » ١



● الترحيب بالأنثى منذ ولادتها :

يرحب القرآن الكريم بالأنثى منذ مولدها ويعتبرها هبة من الله تماثل
 هبة الذكر تماما ، بل انه ليجعلها في الترتيب سابقة للذكر • فانجاب الاناث
 والذكور ، أو عدم الانجاب ، هي أمور بيد الله الخلاق العليم القدير •
 ﴿ لله ملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء اناثا
 ويهب لمن يشاء الذكور • أو يزوجهم ذكرا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما ،
 انه عليم قدير ﴾ (الشورى : ٤٩ ، ٥٠) •
 وكل هبة من الله ونعمة تتطلب الحمد والشكر • ولا يكون
 الشكر مجرد كلمات جوفاء تتردد ، بل انه يتمثل في الحفاظ عليها
 ورعايتها وتميئتها وحسن استخدامها • فالزوجات والأبناء والحفدة ،
 كلها من نعم الله التي تستوجب الشكر :
 ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين
 وحفدة ورزقكم من الطيبات ، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾
 (النحل : ٧٢)



ولقد سفه القرآن أعداء الأثني ، في كل زمان ومكان ، سواء
أكانوا من عرب الصحراء ، أو ممن سكنوا القصور وعاشوا في
السهول الخضراء . أولئك الذين ساءهم انجاب الاناث ، وبلغ السفه
أوجه حين كان الأب يئد ابنته ، فيدسها في التراب حية حتى تموت .
وفي هذا يقول :

﴿ واذا بشر احدكم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى
من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ،
الاساء ما يحكمون ﴾ (النحل : ٥٨ ، ٥٩) .

ثم يوم القيامة يخزيهم الله ويعاقبهم لقتل بناتهم الصغيرات دون
ذنب جنيته : ﴿ واذا الموعودة سئلت . باى ذنب قتلت ﴾
(التكوير ٨ ، ٩)

﴿ قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم
الله افتراء على الله ، قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾ (الأنعام : ١٤٠) .

* *

● حق الأثني في التربية والتعليم :

الاسلام دين العلم ، فكانت أول آية نزلت من كتاب الله :
« اقرأ » ، وسمى كتاب الله : « قرآنا » .

والاسلام دين الخلق العظيم ، به مدح الله نبيه فقال :
﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ (القلم : ٤) .

وقال أسامة بن شريك : قلنا : يا رسول الله . ما خير ما أعطى
الانسان ؟ فقال : « خلق حسن » (رواه ابن ماجه) .

وقال النبي ﷺ : « أثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن »
(رواه أبو داود والترمذى)

ومنذ بدأ رسول الله يدعو الناس الى الاسلام ، تضمنت دعوته
الحض على حسن التربية ، وطلب العلم ، للرجال والنساء على السواء ،

بل وللأماء والعبيد مع الحرائر والسادة سواء بسواء • واقترنت
دعوته هذه بالتطبيق العملي أسوة بكل تعاليمه ووصاياه •

لقد علم رسول الله الناس أن تربية البنات تربية حسنة ليس
لها من جزاء في الآخرة إلا الجنة ، والنجاة بذلك من النار •

فقد قالت عائشة رضي الله عنها : جاءتني امرأة معها ابنتان
تسألني ، فلم تجد عندي غير تمره واحدة فأعطيتهما ، فقسمتهما بين
ابنتيهما ، ثم قامت فخرجت • فدخل النبي ﷺ فحدثته ، فقال :
« من بلى من هذه البنات شيئاً ، فأحسن اليهن ، كن له ستراً من النار »
(رواه البخاري)

وعن أبي بردة عن النبي ﷺ قال : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين :
الرجل تكون له الأمة ، فيعلمها فيحسن تعليمها ، ويؤدبها فيحسن أدبها ،
ثم يعتقها ، فيتزوجها ، فله أجران ومؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمناً ،
ثم آمن بالنبي ﷺ فله أجران • والعبد الذي يؤدي حق الله وينصح لسيده
فله أجران » (رواه البخاري) •

وقال رسول الله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ••••• »
(أخرجه ابن ماجه)

وكافت النساء يحتشدن لسماع النبي ﷺ والصلاة الجامعة
معه ، من أجل التعلم •• ومن أجل التزامهم خصص النبي لهن باباً
يسمى حتى الآن ، في مسجد الرسول بالمدينة (باب النساء) •

ذكر البلاذري في فتوح البلدان نساء مسلمات تعلمن القراءة
والكتابة ، يبلغ عدد المعروف منهن نصف عدد المعروف من الرجال
الكتاب •

وروى أن الشفاء العدوية (من قبيلة بنى عدى رهط عمر بن الخطاب) طلب اليها النبي ﷺ أن تعلم زوجها - أم المؤمنين - حفصة بنت عمر بن الخطاب ، تحسين الخط وتزيين الكتابة . وكانت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر ، وأم المؤمنين أم سلمة ، رضى الله عنهما ، تقرأن ، وان لم تكتسبا مهارة الكتابة « (١) » .

*

● المرأة اهل للمسئولية الكاملة :

يقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « ان الاسلام يقرر أيضا في تربية الفطرة التي خلقت عليها المرأة ، وهي (الانسانية ذات العقل والادراك والفهم) أن المرأة ذات مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل : مسئولة عن نفسها ، وعن عبادتها ، وعن بيتها ، وعن جماعتها .

وهي لا تقل في مطلق المسئولية عن مسئولية اخيها الرجل . وأن منزلتها في المثوبة والعقوبة عند الله معقودة بما يكون منها من طاعة أو مخالفة . وطاعة الرجل لا تنفعها وهي طالحة منحرفة ، ومعصيته لا تضرها وهي سالحة مستقيمة .

﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون فيها ﴾ (النساء : ١٢٤) .

﴿ فاستجاب لهم ربهم أنى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض ﴾ (آل عمران : ١٩٥) .

وليقف المتأمل عند هذا التعبير الالهي : ﴿ بعضكم من بعض ﴾ ،

ليعرف كيف سما القرآن بالمرأة حتى جعلها بعضا من الرجل ، وكيف حد من طفيان الرجل فجعله بعضا من المرأة .

وليس في الامكان ما يؤدي به معنى المساواة أوضح من هذه

(١) المرأة في التصور الاسلامي : عبد المتعال الجبري - ص ٥٦

الكلمة التي تفيض بها طبيعة الرجل والمرأة ، والتي تتجلى في حياتهما المشتركة دون تفاضل أو سلطان : ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ (النساء : ٣٣)^(١) .

وليس أدل على مساواة المرأة في المسؤولية كالرجل سواء بسواء ، من أن للنساء حق البيعة كالرجال ، وهذا يعنى أهليتهن الكاملة للوفاء بمقتضيات العهود والمواثيق ، والتي تعتبر من أخطر الأمور في الاسلام .

﴿ يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبایعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنین ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبایعن واستغفر لهن الله ، ان الله غفور رحيم ﴾ . (المتحنة : ١٢) .



● المرأة انسان :

من عبقرية اللغة العربية ، التي نزل بها القرآن ، أن كلمة انسان تطلق على الذكر والأثني سواء بسواء . فلا يقال في العربية ، انسائة ، انما انسان فقط . ومثل ذلك كلمة زوج ، فالرجل زوج المرأة ، والمرأة زوج الرجل .

وتلك هي اللغة العالية التي جاء بها القرآن ، في مثل قوله :

﴿ وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة ﴾ (البقرة : ٣٥) .

﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجته ﴾
(الأنبياء : ٩٠)

وعلى هذا ، فان كل خطاب للانسان ، أو حديث عنه ، أو تكليف له في القرآن ، انما يعنى لزاما الذكر والأثني ، سواء بسواء .

(١) الاسلام : عقيدة وشريعة - ص ٢٢٣ ، ٢٢٤

ولنقرأ على ضوء هذا قول الحق : ﴿ الرحمن . علم القرآن .
خلق الانسان . علمه البيان ﴾ (الرحمن : ١ - ٤)
فالرجل والمرأة من خلق الله ، والبيان خاصية يتميز بها الانسان :
الذكر والاثني ، عن مخلوقات أخرى كثيرة .
﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا ﴾ (العنكبوت : ٨)

فالوصية للذكر والأثني .

﴿ وان ليس للانسان الا ما سعى . وان سفيه سوف يرى . ثم
يجزاه الجزاء الأوفى . وان الى ربك المنتهى ﴾ (النجم : ٣٩ - ٤٢)

فالحساب واقع على الذكر والأثني لا محالة .

﴿ وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا
يلقاه منشورا . اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾
(الاسراء : ١٣ ، ١٤)

فهذا واقع لا شك فيه ، يوم القيامة ، يتعرض له الذكر والاثني .
فالمرأة ، في كتاب الله ، انسان كامل الأهلية .

*

● مسئولية المرأة العامة :

« واذا كانت المرأة مسئولة مسئولية خاصة فيما يختص بعبادتها
ونفسها ، فهي في نظر الاسلام أيضا مسئولة مسئولية عامة فيما يختص
بالدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف ، والارشاد الى الفضائل ،
والتخدير من الرذائل .

وقد صرح القرآن بمسئوليتها في ذلك الجانب ، وقرن بينها وبين
اخيها الرجل في تلك المسئولية ، كما قرن بينها وبينه في مسئولية الانحراف

عن واجب الايمان والاخلاص لله وللمسلمين :

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، اولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم ﴾ (التوبة : ٧١) .

﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم ، نسوا الله فنسيهم ، ان المنافقين هم الفاسقون . وعد الله المنافقين والكفار نار جهنم خالدين فيها ، هي حسبهم ، ولعنهم الله ، ولهم عذاب مقيم ﴾ (التوبة : ٦٧٠ ، ٦٨٠) .

ان مسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هي أكبر مسئولية في نظر الاسلام ، وقد سوى الاسلام فيها بصريح هذه الآيات بين الرجل والمرأة .

واذن ، فليس من الاسلام أن تكف المرأة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اعتمادا على ظن او وهم أنه شأن خاص بالرجال دون النساء .

وليس من الاسلام أن تلقى المرأة جُزءاً من تلك المسئولية على الرجل وحده بحجة أنه أقدر منها عليه ، أو أنها ذات طابع لا يسمح لها أن تقوم بهذا الواجب . فللرجل دائرته ، وللمرأة دائرتها ، والحياة لا تستقيم الا بتكاتف النوعين فيما ينهض بأمتهما ، فإن تخاذلا أو تخاذل أحدهما ، انحرفت الحياة الجادة عن سبيلها المستقيم فليعلم ذلك نساؤنا ، وليفقهن حكم الله فيهن (١) .

* *

● حق المرأة في عقد الزواج :

لكي ندرك حقيقة عملية تحرير المرأة التي جاء بها الاسلام ،

(١) المرجع السابق - ص ٢٢٤ ، ٢٢٥

والحقوق التي اكتسبتها في حياة النبي ﷺ ، علينا أن نلم بشيء مما كان عليه الحال في الجاهلية ، ثم ما أدخله الإسلام من تشريعات .

يقول المستشار ابراهيم فوزي : « كان وضع المرأة الحقوقي في الجاهلية شبيها بوضع الرقيق ، فقد كانت محرومة من جميع الحقوق حتى من حق الحياة ، اذ كانت حياتها رهنا بمشيئة أبيها ، ان شاء منحها هذا الحق ، وان شاء وأدها وهي حية منذ ولادتها .

وكانت المرأة تبقى خاضعة للولاية مدى حياتها . فقبل زواجها تكون خاضعة لولاية أبيها أو لولاية من يليه من العصبات الذكور ، عندما يكون الأب متوفيا ، فاذا تزوجت انتقلت الى ولاية زوجها . وكان يحق لوليها أن يزوجه لمن يشاء ويقبض ثمنها وهو المهر ، فيتصرف به كما يشاء ويريد ، ان شاء أخذه كله ، وان شاء صرفه كله أو بعضه على تجهيزها .

وبالاستناد الى هذا الوضع . . فقد كان الزواج يشكل عقد معاوضة كعقد البيع ، المتعاقدان فيه هما الولي والزوج ، والمعقود عليه هو المرأة ، والبدل هو المهر الذي يدفعه الرجل الى الولي مقابل تملكها . وكان يجوز في الجاهلية المقايضة بين امرأتين ، تكون كل واحدة مهرا للثانية ، كأن يزوج رجل ابنته أو أخته الى رجل آخر ، على أن يزوجه هذا ابنته أو أخته ، وهو ما كانوا يسمونه بنكاح الشغار . .

في وسط تلك العادات والأعراف المتعلقة بعقد الزواج ، جاءت الشريعة الاسلامية فرفعت المرأة من منزلة الرقيق الذي يباع ويشترى ، الى منزلة الانسان الحر ، فمنعت زواجها بدون ارادتها ، وألغت من عقد الزواج كل الأوصاف التي تجعل منه عقد معاوضة . .

فقد اشترطت الشريعة موافقة المرأة على زواجها ، وبدون موافقتها يكون العقد باطلا ، وأصبحت المرأة طرفا في العقد بدلا من وليها .

روى البخارى عن امرأة (تدعى خنساء بنت خدام الأنصارية)
زوجها أبوها من رجل بدون رضاها ، فأتت رسول الله ﷺ
وشكت اليه أمرها ، فرد نكاحه .

وعن عبد الله بن عباس قال : جاءت فتاة بكر الى رسول الله
فشكت له أن أباه زوجها من رجل وهى كارهة له ، فخيرها
النبي ﷺ بين قبوله أو رفضه . (رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه) .

وعن بريدة قال : جاءت فتاة الى رسول الله ﷺ ،
فقلت : ان أبى زوجنى من ابن أخيه ليرفع بى خسيسته . فجعل النبي
الأمر اليها . فقالت : قد أجزت ما صنع أبى ، ولكنى أردت أن تعلم
النساء أن ليس للآباء من هذا الأمر شيء . (رواه النسائي والترمذى
وابن ماجه وأحمد) .

وعن السيدة عائشة ، عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تنكح
الأيام حتى تستأمر ، والبكر حتى تستأذن » فقالت عائشة :
يا رسول الله ، البكر تستحي . قال : « رضاها صمتها » . (رواه
البخارى) .

وفي حديث آخر أن النبي ﷺ قال : « ليس للثيب مع الولى
أمر » . (رواه النسائي وأبو داود) .



ولم تعتبر الشريعة الاسلامية المهر ثمنا للمرأة كما كان فى الجاهلية،
وانما اعتبرته هبة من الرجل أو هدية ، وسمته (صداقا)
كما نصت عليه الآية : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾
(النساء : ٤)

يقول الطبرى فى تفسير هذه الآية : كان الرجل فى الجاهلية
إذا زوج ابنته أخذ مهرها ، فنهاهم الله عن ذلك ، ونزلت الآية :
﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ .

وقد حرمت الشريعة الاسلامية فكاح الشغار الذي يقوم على
مقايضة امرأة بامرأة أخرى ، فقال النبي ﷺ : « لا شغار في
الاسلام » (رواه الستة) •

*

وكان الجاهليون يعتبرون المهر •• ثمن المرأة ، وكانوا يغالون فيه
فيعتبرونه علامة شرف •• فجاءت الشريعة الاسلامية (وخففت من
غلوائهم) ••

فقال النبي ﷺ لرجل لم يكن عنده شيء يدفعه مهرا لخطيبته :
« التمس ولو خاتما من حديد » • (رواه البخارى ومسلم) •

وفي حديث آخر أن النبي ﷺ ، قال لرجل لم يجد مهرا لخطيبته :
« ما معك من القرآن » ؟ قال : معى سورة كذا ، وكذا •••

قال : « أتقرؤهن عن ظهر قلب » ؟ ••• قال : نعم •
قال : « اذهب ، فقد زوجتكها بما معك من القرآن » • (رواه
البخارى ومسلم) •

وقد رويت أحاديث عديدة عن النبي ﷺ كان يحض فيها على
المهر اليسير ، فقال : « خير الصداق أيسره » (رواه أحمد) ••

لقد أطلقت (الشريعة الاسلامية) على المهر اسم : صداق أو
نحلة ؟ بمعنى الهبة أو الهدية ، لكى تزيل من الأذهان الاعتقاد بأنه
ثمن المرأة ، ولأن الهدية تعبير عن المودة والمحبة ، فقال النبي ﷺ :
« تهادوا تحابوا »^(١) (رواه البخارى) •

*

ويقول الامام الأكبر محمود شلتوت عن حق المرأة فى عقد زواجها :

(١) احكام الاسرة فى الجاهلية والاسلام : ابراهيم فوزى - ص

« ما دام القرآن هو المصدر الأول للتشريع الاسلامي ، فانا اذا رجعنا اليه وجدناه يضيف بصريح العبارة هذا التصرف أيضا الى المرأة نفسها .
ووجدناه في الوقت نفسه يحذر الرجال أن يمنعوا المرأة من هذا الحق :
﴿ فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ﴾
(البقرة : ٢٣٠)

﴿ واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن
ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ﴾ (البقرة : ٢٣٢) .
﴿ فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف ﴾
(البقرة : ٢٣٤)

وقد صحت الأحاديث الكثيرة في وجوب استئذان المرأة عند
زواجها ، وحتمت على الثيب أن تصرح بالاذن ، واكتفت من البكر
ترخيصا لها أن تجرى على عادتها في الحياء الذي يمنعها من التصريح ،
وأن يكون منها ما يدل على الرضا ، فالحق حقا ، والشان شأنها .

وقال ابن القيم في هذا المقام : (وهذا - يريد رضاها بالزواج
وعدم اجبارها - هو ما ندين الله به ولا نعتقد سواه ، وهو الموافق
لحكم رسول الله ، وأمره ونهيه ، وقواعد شريعته ، ومصالح
أمتة) . . . الى أن قال : (ان البكر البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف
أبوها في أقل شيء من ملكها الا برضاها ، ولا يجبرها على اخراج اليسير
منه الا باذنها . فكيف يجوز أن يخرج نفسها منها بغير رضاها !؟
ومعلوم أن اخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن
لا تختاره) .

هذا هو حق المرأة في العقود والتصرفات مدنية او شخصية ، كما
يدل عليه القرآن ، وكما يدل عليه سنة الرسول وقضاؤه ، وكما تقضى به
اصول الشريعة الاسلامية .

وكان من لوازم تحميل الاسلام المرأة مسئوليات الحياة ، عامة وخاصة ،
ان يفسح امامها مجال العلم ، ومجال العمل ، وقد تعلمت وعملت .
وعرفنا المرأة الأدبية والطبيبة والفقيرة والمتصوفة القاتنة ، وما اليهن
من كل ما عرف مثله عن أخيها الرجل .
وكان كل ذلك أثرا لانسانيتها المساوية لانسانية الرجل ، وقد ظهر
ذلك في كثير من نواحي التشريع الاسلامي (١) .

* *

المرأة زوجة

● الزواج سكيئة ومودة :

يقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « ان الانسان من جهة
أخرى ، مطبوع على حب البقاء ، واذا كان لا سبيل الى بقائه بذاته ،
وكان يؤمن بذلك من مشاهداته ، وصنيع الله في آبائه وأجداده وسائر
الأحياء ، فانه يرى أن سبيله الى البقاء انما هو النسل المعروف نسبه
اليه ، يراه امتدادا في بقائه ، واستمرارا لذكراه ، وخلودا لحياته .
واذا كان الانسان محتاجا في بقائه الى أبنائه وأحفاده ، وكان الزواج
وحده هو السبيل اليهم ، فهو في راحته القلبية ، وسكنه الى القلب الذي
يحنو عليه ويشاركه السراء والضراء ، اشد حاجة من حاجته الى هؤلاء
الأحفاد الذين لا ينعم بهم الا مع سكون القلب ، واطمئنان النفس ، وراحة
الضمير . والى ذلك يشير قوله تعالى :

﴿ ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها
وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾
(الروم : ٢١)

ولعل كل ذلك الذي تقرره في ثمرات الزواج من جانب
البقاء والمودة ، هو قررة العين التي أطلق الله لسان المقرين بدعائهم

(١) الاسلام : عقيدة وشريعة - ص ٢٣٢ - ٢٣٤

اياها بها : ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين ﴾
(الفرقان : ٧٤)



● الزواج ميثاق غليظ :

وقد نظر القرآن الكريم الى ما للزواج من هذه المكانة السامية في حياة الفرد والأسرة والأمة ، فنوه بشأته ، ورفع عن أن يكون عقدا تتم التزاماته بالايجاب والقبول وشهادة الشهود ، فجعله (ميثاقا) تتحمل الضمائر التي تعرف معنى الميثاق مسئوليته ، وتكافح جهودها في سبيل المحافظة عليه ، والوفاء به مما قد يعترضه من شدائد وصعوبات . ثم لا يكتفى بجعله (ميثاقا) كيفما يكون ، تعتريه الرقة وخفة الميزان ، فيتعرض للنقض كلما أراد عايب أو مأفون ، بل جعله (ميثاقا غليظا) وعهدا قويا يتعذر حله ، فيربط القلوب ، ويحفظ المصالح ، ويندمج به كل من الطرفين في صاحبه ، فيتحد شعورهما وتلتقى رغباتهما . . . واقرا في ذلك قوله تعالى :

﴿ وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتن احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، اتأخذونه بهتانا واثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا ﴾ .
(النساء : ٢٠ ، ٢١)

ثم تدبر في ذلك ما يوحى اليه قوله تعالى ، في شأن العلاقة الزوجية:
﴿ هن لباس لكم وانتم لباس لهن ﴾ (البقرة : ١٨٧) .

تدبر ايحاء ذلك لتعلم أن العلاقة الزوجية أسمى في معنى الترابط والاندماج من علاقات الصداقة والأبوة والبنوة ، وأنها ليست كما يظن من لا يفهمون حقيقتها ولا يعرفون وضعها في الحياة ، عقدا كسائر العقود ثمراتها في الاتنفاع والملك والتسخير . وأعتقد أن الذين يضعون العلاقة الزوجية هذا الوضع ، هم قوم لم يشرق على قلوبهم النور النوضاء

المنبعث من قوله تعالى : ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ .
(البقرة : ٢٢٨)

وإذا كان المتبع لكلمة (ميثاق) ومواضعها التي وردت فيها (في القرآن) ، لا يكاد يجدها تأخذ مكائنها في التعبير القرآني الا حيث يأمر الله بعبادته وتوحيده ، والأخذ بشرائعه وأحكامه ، فانه يستطيع - وقد جاءت في شأن الزواج - أن يدرك عن طريق قريب ، المكاة السامية التي وضع الله الزواج فيها ، وجعله في التعبير عنه صنوا للإيمان بالله وشرائعه وأحكامه .

هذه مكاة الزواج في سنن الجماعة البشرية ، وفي حكم الله وكتابه ، ومنها يعلم مقدار جرم المعرضين عن الزواج في حق أنفسهم وحق أمتهم وانسانيتهم ، وجرم هؤلاء الآخريين الذين يتخذونه ملهاة بها يعبثون ، أو عقد بيع أو شراء به يسخرون ويستعبدون (١) .



ان المرأة سكن للرجل ، يجد فيها راحته ورضاء نفسه . . .
والرجل سكن للمرأة ، تأمين في كنفه ، وتسعد بجواره . . .
وبين الزوجين تكون علاقات نفسية وجسدية ذات طابع خاص ، لا مثيل لها في سائر العلاقات الأخرى . ومن ثم لا مجال هنا للحديث عن سيادة أو تسلط أو امتلاك . . .

فهنالك علاقة عقلية يحكمها العدل :

﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ (البقرة : ٢٢٨) .
﴿ فلا تميلوا كل الميل فتندها كالعلة ﴾ (النساء : ١٢٩) .

وهناك علاقة عاطفية تفيض مودة ورحمة :

﴿ وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ (الروم : ٢١) .

انها ، اذن - علاقات متبادلة ومتوازنة . . .

(١) المرجع السابق - ص ١٤٢ - ١٤٨

ومع ذلك ، فقد عاد القرآن ليؤكد ضرورة مراعاة المرأة ومعاشرتها بالمعروف . فاذا كان الزواج قد جاء نتيجة حب ، أو جاء الحب بعد الزواج ، فان خبرات الحياة تؤكد أن عوامل الزمن وتقلبات الأحوال ، لا بد فاعلة فعلها فيما بين الزوجين من علاقات ، قد يصل بها الى حد الكراهية .

وهنا يحض القرآن الرجل على التمسك بزوجه الى أقصى حد ، ويفريه بالصبر على ما طرأ على شعوره نحوها من بغض وكراهية ، فلعلها مع ذلك تكون خيرا له من كثيرات غيرها :

﴿ وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ (النساء : ١٩) .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : « طيبوا أقوالكم لهن ، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم ، كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله كما قال تعالى : ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ . (البقرة : ٢٢٨) . وقال رسول الله ﷺ : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي » .

وكان من أخلاقه ﷺ ، أنه جميل العشرة ، دائم البشر ، يداعب أهله ، ويلطف بهم ويوسع نفقته ، ويضاحك نساءه حتى انه كان يسابق عائشة أم المؤمنين ، رضى الله عنها . . قالت : سابقني رسول الله ﷺ فسبقته ، وذلك قبل أن أحمل اللحم . ثم سابقته بعد ما حملت اللحم ، فسبقني ، فقال : « هذه بتلك » .



● ادارة البيت المسلم :

ولقد بينت تعاليم الرسول كثيرا مما يتعلق بادارة البيت المسلم ، سواء بصورة عامة ، أو دخولا في تفاصيل .
فالمرأة هي راعية البيت ، كما أن الحاكم هو راع للمحكومين .

فقد قال عبد الله بن عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته :
الامام راع ومسئول عن رعيته ،
والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ،
والمرأة راعية في بيت زوجها ، ومسئولة عن رعيتها ،
والخادم راع في مال سيده ، ومسئول عن رعيته ،
وكلكم راع ومسئول عن رعيته » (رواه البخارى) •

وإذا جئنا الى موضوع الاتفاق ، وما قد يقال أحيانا عن امسك بعض
الرجال أيديهم مقابل اسراف بعض الزوجات ، نجد حديثا عن عائشة
قالت : قال رسول الله ﷺ : « اذا أنفقت المرأة من طعام بيتها ،
غير مفسدة ، كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أجره بما كسب ،
وللخازن مثل ذلك ، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا » (رواه البخارى) •

ولقد قالت هند أم معاوية لرسول الله ﷺ : ان أبا سفيان
رجل شحيح ، فهل على جناح أن آخذ من ماله سرا ؟
قال : « خذى أنت وبنوك ما يكفيك بالمعروف » (رواه البخارى) •

يقول المستشار ابراهيم فوزى : « لم يرد نص في الشريعة يلزم المرأة
بالانفاق على نفسها من مالها ، ان كان لها مال ، او يلزمها بالانفاق على
زوجها واولادها ، ان كان الزوج معسرا أو عاجزا عن العمل وكانت هي
موسرة •

وقد أخذ رجال الفقه الاسلامى بالنصوص التى تلزم الرجل بالانفاق
على زوجته ، دون تمييز بين المرأة الميسورة والمرأة التى لا مال لها ،
ودون النظر الى حالة الزوج عسرا أو يسرا ، وأعطوها حق الاقتراق عنه
اذا قصر بالانفاق عليها مهما كان معسرا » (١) •

(١) احكام الأسرة فى الجاهلية والاسلام : ص ١١٠ - ١١١

ويقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « ذلكم الحق الذي منحه
الشريعة الاسلامية للمرأة من نحو (أربعة عشر قرنا) فلم تبح للرجل أن
يأكل من مالها - فضلا عن تملكه والتصرف فيه - الا اذا كان عن
طيب نفس منها : ﴿فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾ (١)
(النساء : ٤)

هذا - ولقد حدث أن جاء رجل « الى عمر رضي الله عنه ، يشكو
خلق زوجته ، فوقف على بابها ينتظر خروجه ، فسمع امرأة عمر تستطيل
عليه بلسانها وتخاصمه ، وعمر ساكت لا يرد عليها •

فانصرف الرجل راجعا ، وقال : ان كان هذا حال عمر مع شدة
وصلابته وهو أمير المؤمنين ، فكيف حالي ؟!

وخرج عمر ، فرآه موليا عن بابها ، فناداه وقال : ما حاجتك
أيها الرجل ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، جئت أشكو اليك سوء خلق امرأتي
واستطالتها علي ، فسمعت زوجتك كذلك ، فرجعت وقلت : اذا كان هذا
حال أمير المؤمنين مع زوجته ، فكيف حالي ؟!

فقال عمر : يا أخي ، انى احتملتها لحقوق لها علي : انها لطباخة
لطعامي • خبازه لخبزي • غسالة لثيابي • مرضعة لولدي - وليس ذلك
كله بواجب عليها - ويسكن قلبي بها عن الحرام • فانا احتملها لذلك •

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، وكذلك زوجتي •
قال عمر : فاحتملها يا أخي ، فانما هي مدة يسيرة •
وفي الصحيحين ، قال عليه الصلاة والسلام : « لا يفرك المؤمن
مؤمنة • ان كره منها خلقا ، رضى منها آخر » (١) •

*

ويقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « قد تكلم الفقهاء كثيرا في حق الرجل على المرأة ، وحق المرأة على الرجل • والحق الذي تهدي اليه الفطرة في شأن الزوجين : هو ما قضى به النبي ﷺ بين علي ، وابنته فاطمة : قضى على ابنته بخدمة البيت ورعايته ، وعلى زوجها بما كان خارجا عن البيت من عمل •

فعلينا تدير المنزل ورعاية الأطفال ، وعلى الرجل السعى والكسب • •

وفي القاعدة التي قرر القرآن بها المماثلة بين الزوجين في الحقوق والواجبات ، قرر على الرجل مسئولية الهيمنة والقوامة ، وجعله المكلف يحق للمرأة فيما يصل بها الى الخير ويدفع عنها الشر ، فقال : ﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾ (البقرة : ٢٢٨) • وهذه الدرجة ليست درجة السلطان ولا درجة القهر ، وانما هي درجة الرياسة البيتية الناشئة عن عهد الزوجية وضرورة الاجتماع ، هي درجة القوامة التي كلفها الرجل ، وهي درجة تزيد في مسئوليته عن مسئوليتها • فهي ترجع في شأنها وشأن أبنائها وشأن منزلها اليه : تطالبه بالاتفاق ، وتطالبه بما ليس في قدرتها ، وما ليس لها من سبيل اليه •

وهذه المسئولية أساسها في تحميل الرجل اياها ، هو ما أشارت اليه الآية الكريمة التي تقول : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ (النساء : ٣٤) •

أمران قضت بتحملها طبيعة الرجل : القيام بمشاق الأمور ،

(١) المرأة في النصور الاسلامي - ص ١٥٣

وأساس ذلك ما أودع الله فيه من قوة البدن والعزم والعمل ، والانفاق فيما يحتاج اليه البيت من مطعم وملبس ، وما تشرح به صدور الأبناء والأسرة .

ولقد يكون في قوله تعالى : ﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾ . دون أن يقول : بما فضلهم عليهن ، اشارة واضحة الى أن هذا التفضيل ليس الا كتفضيل بعض أعضاء الجسم الواحد على البعض الآخر . وأنه لا غضاضة في أن تكون اليد اليمنى أفضل من اليد اليسرى ، ولا في أن يكون العقل أفضل من البصر ، ما دام الخلق الالهي اقتضى ذلك .

واذن ، فهي درجة طبيعية لا بد منها لكل مجتمع من المجتمعات ، قل ذلك المجتمع أو أكثر . وليس من الحكمة في ظر شرع أو وضع أن يترك مجتمع دون أن يعرف له رئيس يرجع اليه في الرأي ، وعند الاختلاف ، وفي مهام الشئون .

وإذا تصور مجتمع على هذا النحو ، ليس له محور يدور حوله ويعتصم به ، فهو مجتمع مآله حتما الى السقوط والانحلال . مجتمع صائر لا محالة الى الفوضى والاضطراب بالتنازع والتضارب وتناقض الرغبات . وبذلك ينقلب المجتمع رأسا على عقب ، تتفكك وحداته ، وتتناثر لبناته ، وتضيع الثمرات التي عقدت به . . .

بنى الاسلام المجتمعات ، في ادارتها وتنظيم شئونها - مع تعيين مصدر القوامة فيها - على أساس من الشورى وتبادل الرأي . . . فقال : ﴿ وامرهم شورى بينهم ﴾ (الشورى : ٣٨) .

ولم تكن الشورى أساسا لمجتمع الحاكم والمحكوم فقط ، وانما هي أساس لكل مجتمع ، حتى مجتمع الرجل وزوجه في البيت والأسرة .

وقد جاء ذلك في صريح القرآن فيما يتعلق بحق ابداء الرأى فى فظام الطفل ورضاعه • ولم يجعل للرجل ولا للمرأة حق الاستشار به دون الرجوع الى صاحبه :

﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ، لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكف نفس إلا وسعها ، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك ، فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ﴾ (البقرة : ٢٣٣)

حقوق موزعة على الزوجين : ارضاع على الزوجة ، وتفقة على الزوج ، دون ارهاق ولا مشقة ، ودون مضارة أو اىذاء • ثم تشاور فى الرأى وتراض من جهة الرضاع أو الفظام •

وإذا كان للزوجة حق ابداء الرأى فى نظام تربية الولد وارضاعه ، واشترط القرآن فى ذلك ارادتها مع ارادة الرجل ، ورضاها مع رضاه ، فان ذلك يكون شأنها معه فى كل ما يعترضهما من شئون تحتاج الى التشاور والى تبادل الرأى •

كيف والمشورة بينهما مما يشعر المرأة بأنها ذات مسئولية مشتركة ، وأنها تعيش فى جو حياة مشتركة ، يههما صلاحها ، ويوغر صدرها فسادها ، فتكتل قواها ، وتجمع أمرها على الحفظ والصيانة ، وكمال الاشراف والرعاية •

اما ذلك الزوج الذى يمنح نفسه السلطان المستقل ، والأمر النافذ القاهر ، تاركاً زوجه وراء ظهره ، متاعاً لا ينظر اليه الا حيث يريد ، فهو زوج دخيل على الحياة الزوجية التى رسمها الاسلام ، لا يمثلها ولا يكون مرآة لها • هو زوج لا يعرف معنى قوله تعالى : ﴿ واخذن منكم ميثاقاً غليظاً ﴾ . (النساء : ٢١) •

ولا معنى قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لِهِنَّ ﴾
(البقرة : ١٨٧)

ولا معنى قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾^(١) (الروم : ٢١) •

* *

● مشاكل تهدد الحياة الزوجية :

لا يخلو بيت من مشاكل ، وان اختفت حيناً فلا بد أن تظهر في
أحيان كثيرة • فهذا واقع الحياة وهو واقع مشهود ومحسوس •

وفي سبيل الحفاظ على الحياة الزوجية واستمراريتها ، وضِع
القرآن تعاليماً تعين الزوجين على تحقيق ذلك ، ان صدقت عزمتهما •
وتسير خطوات المعالجة متسلسلة كالاتي :

١ - الزوجان يبدآن الاصلاح : ان الزوجين هما أعلم الناس بما
يدور بينهما ، وما يتهدد حياتهما الزوجية من شقاق بدت أعراضه في
جفاء وقتور في العلاقات • وهما أقدر الناس على تدارك ذلك باجراء
مراجعة شاملة لما كان بينهما ، واعتراف كل منهما لصاحبه بما بدر
منه من اساءات ، قد يكفي لغفرانها وعد صادق بعدم التكرار ، مع
كلمة رقيقة بالاعتذار •

﴿ وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً او اعراضاً فلا جناح عليهما
أن يصلحا بينهما صلحاً ، والصلح خير ، واحضرت الأنفس الشح ،
وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيراً ﴾
(النساء : ١٢٨)

(١) الاسلام : عقيدة ونريعة - ص ١٥٥ - ١٦٠

٢ - الحكمان يحاولان الاصلاح : اذا عجز الزوجان عن الاصلاح
بينهما ، وسارت الأمور الى الأسوأ ، فلا مناص من تدخل خارجي •

ويكون ذلك باختيار حكم من قبل الزوج ، وحكم من قبل الزوجة ،
يفترض في كل منهما أن يكون حريصا على استمرارية الحياة الزوجية
مع رفع الضرر أو الأذى الذي لحق بأى من الزوجين • فالاصلاح بين
الناس تعليم الهى لكل المؤمنين :

﴿ انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم ﴾ (الحجرات : ١٠) •
ولهذا كان الاصلاح بين الزوجين واجبا على المسلمين قبل أن
تصل الأمور بينهما الى حد القطيعة التي لا يرجى معها اصلاح :
﴿ وان خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها
ان يريدنا اصلاحا يوفق الله بينهما ، ان الله كان عليما خبيرا ﴾
(النساء : ٣٥)



● أبغض الحلال الى الله الطلاق :

اذا فشلت كل الوسائل لتحقيق المصالحة بين الزوجين ، وأصر كل
منهما على موقفه ، وبدت المعيشة بينهما مستحيلة ، فأخر الدواء الكى ،
كما يقول المثل السائر مجازا من الطب البدوي ، أو البتر بلغة الطب
الحديث •

لا مناص ، اذن ، من الطلاق الذي هو من المؤكد مطلب لأحد
الزوجين ، بل انه قد يكون مطلب كليهما •

لقد فرض الله على الأزواج أن يعاشروا زوجاتهم بالحسنى ، فقال :
﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ (النساء ١٩) •

وقال النبي ﷺ في حجة الوداع : « اتقوا الله في النساء »
(رواه مسلم) •

ولا يستطيع أحد أن يدعى أن مسئولية هدم بيت الزوجية تقع
دائما على عاتق الزوج ، أو دائما على عاتق الزوجة ، بل انها تختلف
من حالة لأخرى •

ولما كان الطلاق أبغض ما يسمح به الله - كما علمنا سيدنا
رسول الله في حديثه - صار اللجوء اليه ، لا أقول بعد
استنفاد كل وسائل الاصلاح ، بل أقول بعد استنفاد كل
طاقات الصبر ، أمرا لا مفر منه ، فلا بد أن تسير الحياة بأقل
الخسائر والأضرار ، ولا مانع أن يسمح يضرر أقل درء الأضرار أكبر ،
وشرور أفظع •

على أن الطلاق لا يعنى الفرقة الدائمة بين الزوجين الا في حالة
خاصة ، وفيما عداها فهو تفرقة الى حين ، لعلها تكون عاملا نفسيا
يساعد على تهدئة النفوس الشائرة ، وتضميد الجراح الحقيقية
أو المتوهمة ، بعد أن يراجع كل من الزوجين موقفه ويتبين له أن بيت
الزوجية قد تصدع • وأن افتراقهما ومحاولة كل منهما للدخول
في حياة زوجية جديدة قد تكون مخاطرة مجهولة المحاذير ، أهون منها
تلك المعيشة التي خيراها بشرها وحلوها • بالاضافة الى ما يلحق الأولاد ،
فلذات الأكباد ، من أذى وضرار لافتراق الأبوين •

وهنا يسير الطلاق وفق قيود وضوابط ، تعمل جميعها من أجل
كبح الفرقة الدائمة ، كالاتي :

١ - الطلاق في طهر : قال ابن كثير : « طلق ابن عمر امرأته حائضا
على عهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : ليراجعها - فردها ، وقال
إذا طهرت فليطلق أو يمسك » •

والاتفاق بين العلماء على أن الطلاق لا يصح إلا إذا كانت المرأة في طهر من غير جماع ، أو حاملا قد استبان حملها •



٢ - الرجوع عن الطلاق في فترة العدة : تعرف العدة بأنها المدة التي تتربص فيها المرأة بعد طلاقها أو وفاة زوجها ، كي يحل لها الزواج من غيره • وقد أمر الله بأحصاء العدة نظرا لأهميتها في الحياة الزوجية فقال :

﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ﴾
(الطلاق : ١)

وبالنسبة للمرأة العادية ، فقد حدد القرآن العدة بثلاثة قروء ، فقال : ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن أن كن يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ (البقرة : ٢٢٨)
والقراء - لغة - هو الحيض ، وهو أيضا الطهر ، فهو من الأضداد ، وبذلك يكون على المطلقة أن تمكث بعد طلاق زوجها لها طلاقا صحيحا ، مدة ثلاثة قروء ، أي بعد وقوع ثلاث حيضات بعد الطلاق ، قبل أن يحل لها الزواج بآخر • وبذلك قد تصل مدة العدة ، للمرأة العادية ، نحو ثلاثة أشهر ، وقد تقل الى الشهرين • ويتوقف ذلك على مدة دورتها الشهرية وتوقيت ايقاع الطلاق في فترة الطهر •

ولقد أمر الله بإبقاء الزوجة المطلقة في منزل الزوجية خلال فترة العدة ، إلا في حالة ترددها في البذاءة والفحشاء ، بل انه - سبحانه - كرمها كل التكريم حيث جعل منزل الزوجية بيتها ، فقال : ﴿ واتقوا الله ربكم ، لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ، لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ﴾ (الطلاق : ١) •

لقد وضحت الحكمة من فترة العدة ، ومعيشة الزوجين خلالها في بيت الزوجية الذي سماه الله بيتها ، وذلك لكي تستعيد النفوس صفاءها وتضمد الجراح ، ويبدأ تفكير الزوجين في نبد الطلاق الذي وقعا فيه .

وخلال مدة العدة يستطيع الزوج مراجعة زوجته واعادتها لعصمته ، دون حاجة الى عقد جديد أو مهر جديد . فكلمة ، أو غيرها ، تكفى لاستئناف الحياة الزوجية من جديد :

﴿ وبصولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ،
(البقرة : ٢٢٨)

لكن الأمر ليس عبثا ، فقد حسبت عليه طلقة .

*

٣ - الطلاق مرتان : لقد سمح الله بإيقاع الطلاق مرتين اثنتين فقط ، يستطيع الزوج خلال عدتها مراجعة زوجته دون عقد ومهر ، أما اذا أسرف الزوج على نفسه وأوقع بزوجه الطلقة الثالثة ، فقد بان منه بينونة كبرى . وسواء انتهت الحياة الزوجية بالطلاق ، أم استعيدت مرة أخرى ، فقد أمر الله - سبحانه - بالمعروف والاحسان بين الزوجين .

﴿ الطلاق مرتان ، فامسك بمعروف او تسريح باحسان ، ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله ، فان خفتما الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون . فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ، فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله ، وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون . واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن

بمعرفة ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ،
ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من
الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم •
وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ، فلا تفضلوهن أن ينكحن أزواجهن
إذا تراضوا بينهم بالمعروف ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم
الآخر ، ذلكم أزكى لكم وأطهر ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴿
(البقرة ٢٢٩ - ٢٣٢)

هذا - ويسمح للزوج الذي طلق زوجته مرة واحدة ، أو مرتين ،
وانقضت عدتها دون أن يراجعها فيها ولم تتزوج بعد من رجل آخر ،
أن يعود الى الزواج منها بعقد جديد ومهر جديد •

ويحق للمرأة أن تجعل العصمة بيدها في عقد الزواج ، كما يحق
للزوجة أن تطلب الطلاق من القاضي بعد اثبات استحالة دوام العشرة مع
زوجها •

وأیضا يحق للزوجة المطلقة أن ترث في زوجها اذا مات قبل أن
تنقض عدتها •



يقول الامام محمود شلتوت : « لم يجعل الطلاق كلمة يلقيها الزوج
على زوجته ، فتحرم أحدهما على الآخر تحريماً أبدياً لا رجعة فيه
ولا التثام ، وإنما سلك به طريق العلاج ، وكرر في مراحلته حتى يمتد
أمد النظر والتبصر • فشرعه أولاً مفزقاً مرة بعد أخرى ، دفعات متعددة
ليجرب الرجل نفسه بعد المرة الأولى والثانية ، ويروضها على الصبر
والاحتمال ، ولتجرب المرأة أيضاً ثقافتها • حتى اذا لم تعد التجارب
وأوقع الطلقة الثالثة ، وضع أمامهما حاجزاً ، وهو أنه لا يباح لهما

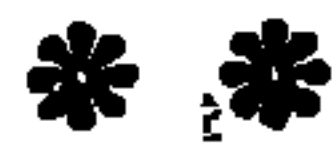
رجع الحياة الزوجية الا بعد شرط ، في تصوره ما قد يمنع الرجل عن ايقاع هذه الطلقة الثالثة . وذلكم الشرط هو المشار اليه بقوله تعالى : ﴿ فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ﴾ (البقرة : ٢٣٠) .

وما دام لم يصل الرجل الى الطلقة الثالثة ، فان الاسلام يفريه بالرجوع الى زوجه ، ويمكنها منه بكلمة (المراجعة) فقط دون تجديد عقد ما دامت في عدتها . .

ان الطلاق في جميع صوره التي يقع فيها ، ليس الا نوعا من اعطاء فسحة للزوجين يتدبران فيها أمرهما ، ولعلمهما يجدان ما يدفعهما الى العودة الى الحياة الزوجية ، اما بكلمة المراجعة ، واما باجراء عقد آخر جديد يستأنفان به حياة زوجية جديدة ، بعد أن تمثل لهما شبح الافتراق الدائم المستمر .

واذن ، يكون الطلاق من هذه الوجهة - فيما عدا المكمل للثلاث - وسيلة من وسائل الاحتفاظ بالحياة الزوجية ، ويكون بمثابة العلاج يتر بعض الأعضاء . أما المكمل للثلاث ، فقد بلغت فيه التجربة أقصى حد لها ، فضيق فيه أمر العلاج باشتراط أن تنكح المرأة زوجها غيره^(١) . وبشرط ألا يحدث ذلك وفق تدبير سابق من أى من الطرفين ، انما يأتي عرضا ساقته تقلبات الحياة .

ومهما تكن مرارة وضع الزوجين بعد افتراقهما بالطلاق ، فيجب ألا يكون ذلك نهاية الحياة لأى منهما . فلعل الله يعوض كلا منهما بمن هو خير ، فما ذلك على الله بعزير . بل لعل هذا الأمل هو ما يبثه قول الله في النفوس التي اکتوت بنار الفراق : ﴿ وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ، وكان الله واسعا حكيما ﴾ (النساء : ١٣٠) .



(١) المرجع السابق - ص ١٧٣ - ١٧٦

● مسئوليات الرجل بعد الطلاق :

فرض الله على الرجال معاشره زوجاتهم بالمعروف ، فقال سبحانه :

﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ (النساء : ١٩) •

وإذا حدث طلاق ثم أرجع الرجل امرأته الى عصمته ، عاد القرآن ليؤكد مرة أخرى ضرورة امساكها بمعروف ، وليس من أجل ايقاع الضرر بها ، فقال :

﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن يمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ﴾ (البقرة : ٢٣١)

أما اذا كان الفراق ، فقد أمر الله أن يكون ذلك أيضا بالمعروف والاحسان ، فقال :

﴿ سرحوهن بمعروف ﴾ (البقرة : ٢٣١) •

﴿ تسريح باحسان ﴾ (البقرة : ٢٢٩) •

ولما كان المعروف والاحسان يمكن أن يشتمل على جانب أخلاقي يتمثل في المعاملة والسلوك ، وجانب آخر مادي يتمثل في البذل والعطاء ، فقد أكد القرآن على قيام الرجل الذي طلق زوجته بدفع تعويض مادي لها ، سماه متعة ، به تقوم حياتها في فترة ما بعد الطلاق الى أن يجعل الله لها مخرجا من أزمته • وقد اعتبرت هذه المتعة حقا للمطلقة ، فقال سبحانه : ﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف ، حقا على المتقين ﴾ (البقرة : ٢٤١)

﴿ لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف ، حقا على المحسنين • وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن

فريضة فنصف ما فرضتم الا أن يعفون أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح ،
وأن تعفوا أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم ، ان الله بما تعملون
بصير ﴿ (البقرة : ٢٣٦ - ٢٣٧) ٠

وبالنسبة للاسكان والاتفاق ، وخاصة ذوات الأحمال منهن ، يقول

الحق : ﴿ أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضييقوا
عليهن ، وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يرضعن حملهن ، فان
ارضعن لكم فآتوهن أجورهن ، واتمروا بينكم بمعروف ، وان تعاسرتن
فسترضع له أخرى . لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه
فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ، سيجعل الله بعد
عسر يسرا ﴿ (الطلاق : ٦ ، ٧) ٠

*

لقد رأينا كيف يقوم الطلاق في التوراة على مجرد ورقة مكتوبة
يعطيها الرجل لمطلقاته . ثم جاءت تعاليم الانجيل لتمنع الطلاق الا لعلة
الزنا ، حسب قول متى . أما في الاسلام فهناك مواجهة لواقع الحياة
الذي برهن على حاجة الحياة الزوجية الى اللجوء الى الطلاق كمتنفس
أخير وعلاج بغيض لا بد منه في بعض الحالات . لكن هذا العلاج تسبقه
خطوات واجراءات تكبح اللجوء اليه ، وتعقبه تبعات ومسئوليات
يتحمل الرجل فيها الغرم المادي بوجه عام .

* *

● الأعباء المالية للرجل :

ذكرنا ، فيما سبق ، بعض الأعباء المالية التي تلزم الشريعة
الاسلامية الرجل بتحملها وخاصة في مجال الاتفاق على بيت الزوجية ،
بل قبل ذلك في مسئوليته عن تدبير المسكن المناسب لزوجته .

ونريد الآن استعراض أهم تلك الأعباء المالية التي يلتزم بها الرجل في حياته الزوجية والأسرية .

يقول الامام الأكبر محمود شلتوت ان الشريعة الاسلامية قضت « أن يحتل الرجل نفقات الأسرة من زوجة ، وبنين ، وأقارب .

وأن يحتل كذلك المهر الذي يقدمه للمرأة عنوانا على رغبته فيها ، وبذله ما يجب في سبيل الاقتران بها .

وأن تحتل المرأة تدير البيت ، وشئون الحمل والوضع والتفرغ لحضانة الأطفال ، والقيام على أمرهم .

وفي ظل هذا الأساس نرى بالموازنة بين نصيب الرجل والمرأة ، أن المرأة أسعد حظا من الرجل في نظر الاسلام :

أوجب لها مهرا لا حد لأكثره : ﴿ وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ﴾ (النساء : ٢٠) .

وأوجب لها على الرجل : نفقتها ، وكسوتها ، وجميع ما تحتاج اليه بالمعروف لبيئتها ، حتى أوجب الخادمة والخادمتين : ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ﴾ (الطلاق : ٧) .

وأوجب لها اذا ما طلقت : (نفقة العدة) على نحو ما وجبت لها في حياتها الزوجية ، وأوجب لها (المتعة) ، وهي ما يبذله الرجل بعد طلاقها غير نفقة العدة ، مما تحفظ به نفسها وكيانها : ﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف ، حقا على المتقين ﴾ (البقرة : ٢٤١) .

أما الرجل فهو كما قلنا مطالب بنفقته على نفسه وعلى أولاده وعليها ، وعلى نوائب الحياة كلها التي تنشأ من مكافحته فيها ، ثم على والديه وأقاربه اذا كانوا ضعافا أو فقراء .

واذن ، فيماذا يمتاز الرجل عنها « (١) ١٤ -

ان الرجل مطالب بكافة الأعباء المالية ، أما المرأة ، الزوجة ،
فلا تطالب بأى شيء . ان جادت بشيء من مالها ، فذاك فضلها ، وان أمسكت
فهذا حقها ، ولا تشرب عليها .

* *

● ميراث المرأة :

أولا - نص القرآن الكريم على المساواة في الميراث بين الذكر والأنثى
في حالات ، كالآتى :

١ - فيما بين الأخ والأخت لأم في ارثهما من أخيهما ، اذا لم يكن
له أصل من الذكور ولا فرع وارث .

٢ وان كان رجل يورث كلاله او امرأة وله أخ او أخت فلكل
واحد منهما السدس ، فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ،
من بعد وصية يوصى بها أو دين نير مضار ، وصية من الله ، والله عليم حلِيم
(النساء : ١٢)

يقول ابن كثير : « الدين مقدم على الوصية ، وبعده الوصية ثم
الميراث . وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء .. »

الكلاله مشتقة من الاكليل وهو الذى يحيط بالرأس من جوانبه ،
والمراد هنا من يرثه من حواشيه ، لا أصوله ولا فروعه ، كما روى
الشعبى عن أبى بكر الصديق أنه سئل عن الكلاله فقال : الكلاله من
لا ولد له ولا والد ..

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا يونس ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنا
يونس عن الزهرى ، قال : قضى عمر أن ميراث الأخوة من الأم بينهم
للذكر مثل حظ الأنثى .

(١) المرجع السابق - ص ٢٣٨

قال الزهري : ولا أرى عمر قضى بذلك حتى علم ذلك من رسول

الله ﷺ » •

٢ - فيما بين الأب والأم في ارثهما من ولدهما ان كان له ولد :

﴿ ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد ﴾
(النساء : ١١)

ثانيا - نص القرآن على جعل نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى في

الميراث في حالات ، كالآتي :

١ - في حالة وجود أولاد للمتوفى ، ذكورا واناثا •

﴿ يوصيكم الله في أولادكم ، للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾
(النساء : ١١)

٢ - في حالة التوارث بين الزوجين ، حيث يرث الزوج من زوجته

ضعف ما ترثه هي منه •

﴿ ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد ، فان كان لهن

ولد فلكم الربع مما تركن ، من بعد وصية يوصين بها أو دين ،

ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد ، فان كان لكم ولد فلهن الثمن

مما تركتم ، من بعد وصية توصون بها أو دين ﴾ (النساء : ١٢) •

ويلزمنا في هذه الحالة ان نتذكر الأعباء المالية الملقاة على عاتق

الرجل وقد أعفيت منها المرأة ، لنعلم الحكمة من التورث هنا حسب

قاعدة : ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ فهذا عدل لا مرء فيه ، اقتضته

الموازنة السليمة بين حقوق الرجل وواجباته ، مترجمة في صورة مالية •

*

وبعد ... هذا مما أعطاه الاسلام للمرأة ، فأروني ماذا أعطى

الذين من دونه ! ... ﴿ لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ﴾ •

(مريم : ٣٨)

* *

● شهادة المرأة :

يتوقف الحكم في مختلف القضايا بين الناس على شهادة الشهود وما تتم به البينة من أدلة قوية لا يتسرب اليها الاحتمال ، وقرائن قطعية ، تتفاعل جميعها في فكر القاضي ، فيصدر حكمه وفقا للقانون ، وهو مستريح الضمير .

وهناك أنواع من القضايا لا يتوقف الحكم فيها على مجرد اتفاق عدد من الشهود حول واقعة ما ، بل تكون المصدقية متوقفة على خبرة الشهود ونوعيتهم ، لا على عددهم .

مثال ذلك : تقارير الطب الشرعى ، وخبراء البصمات ، ومكافحة التزييف ... الخ .

والحق يقول ، وقوله الحق : ﴿ ولا ينبئك مثل خبير ﴾ (فاطر : ١٤) .

ومن هنا تنوعت المواقف بالنسبة لشهادة المرأة .

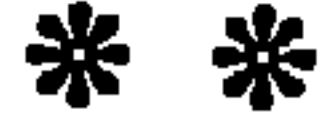
١ - فهناك مواقف تكون فيها شهادة المرأة كشهادة الرجل تماما .

وفي هذا يقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « نص القرآن على أن المرأة كالرجل - سواء بسواء - في شهادات اللعان ، وهو ما شرعه القرآن بين الزوجين حينما يقذف الرجل زوجته وليس له على ما يقول شهود :

﴿ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود الا انفسهم فشهادة احدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين . والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين . ويدروا عنها العذاب ان تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين . والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ﴾

(النور : ٦ - ٩)

أربع شهادات من الرجل يعقبا استمطار لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ، ويقابلها ويبطل عملها أربع شهادات من المرأة يعقبا استمطار غضب الله عليها ان كان من الصادقين « (١) » .



٢ - وهناك مواقف تكون فيها شهادة امرأتين مكافئة لشهادة رجل ١٠ وذلك في مقام المعاملات المالية والتجارية ومعاملات الأسواق وما الى ذلك . ولقد جاء هذا في آية الدين ، التي تعتبر أطول آية في القرآن ، اذ يقول الله فيها :

﴿ يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا ياب كاتب ان يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبغض منه شيئا ، فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليمل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تفضل احدهما فتذكر احدهما الأخرى ، ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا ، ولا تساموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ، ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وأدنى الا ترتابوا ، الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها ، واشهدوا اذا تبايعتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وان تفعلوا فانه فسوق بكم ، واتقوا الله ، ويعلمكم الله ، والله بكل شيء عليم ﴾ (البقرة : ٢٨٢)

يقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « المقام مقام استيثاق على

(١) المرجع السابق - ص ٢٤١

الحقوق ، لا مقام قضاء بها ، والآية ترشد الى أفضل أنواع الاستيثاق
الذى تطمئن به نفوس المتعاملين على حقوقها .

وليس معنى هذا أن شهادة المرأة الواحدة ، أو شهادة النساء
اللاتى ليس معهن رجل ، لا يثبت بها الحق ولا يحكم بها القاضى . فان
أقصى ما يطلبه القضاء هو (البيينة) . وقد حقق الملامة ابن القيم
أن البينة فى الشرع أعم من الشهادة ، وأن كل ما يتبين به الحق ويظهره ،
هو بيينة يقضى بها القاضى ويحكم . ومن ذلك يحكم القاضى بالقرائن
القطعية ، ويحكم بشهادة غير المسلم متى وثق بها واطمأن . واعتبار
المرأتين فى الاستيثاق كالرجل الواحد ، ليس لضعف عقلها الذى يتبع
نقص انسانيته ويكون أثرا له ، وانما هو لأن المرأة — كما قال الأستاذ
الشيخ محمد عبده : « ليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية
ونحوها من المعاوضات ، ومن هنا تكون ذاكرتها فيها ضعيفة ، ولا تكون
كذلك فى الأمور المنزلية التى هى شغلها ، فانها فيها أقوى ذاكرة من الرجل .
ومن طبع البشر عامة أن يقوى تذكرهم للأمور التى تهتمهم ، ويمارسونها ،
ويكثر اشتغالهم بها » .

والآية جاءت على ما كان مألوفا فى شأن المرأة ، ولا يزال أكثر
النساء كذلك ، لا يشهدن مجالس المداينات ، ولا يشتغلن بأسواق
المبايعات ، واشتغال بعضهن بذلك لا ينافى هذا الأصل الذى تقضى به
طبيعتها فى الحياة .

وإذا كانت الآية ترشد الى أكمل وجوه الاستيثاق ، وكان المتعاملون
فى بيئة يغلب فيها اشتغال النساء بالمبايعات وحضور مجالس المداينات ،
كان لهم الحق فى الاستيثاق بالمرأة على نحو الاستيثاق بالرجل متى
اطمأنوا الى تذكرها وعدم نسيانها » .



٣ - « وقد نص الفقهاء على ان من القضايا ما تقبل فيه شهادة المرأة وحدها .

وهي القضايا التي لم تجر العادة باطلاع الرجال على موضوعاتها ، كالولادة ، والبكارة ، وعيوب النساء في القضايا الباطنية » (١) .
يقول الحق سبحانه : ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ (البقرة : ٢٢٨) .

فهذه من المواقف التي تقبل فيها شهادة المرأة وحدها ، اعتمادا على صدق ايمانها ، واستشارة للوازع الديني ، وازع الضمير اليقظ .
يقول ابن كثير في تفسيره : قوله : ﴿ ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ﴾ ، أى من جبل وحيض . قاله ابن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي . . وغير واحد . وقوله : ﴿ ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ ، تهديد لهن على خلاف الحق .

ودل هنا على ان المرجع في هذا اليهن ، لأنه امر لا يعلم الا من جهتهن ، ويتعذر اقامة البينة غالبا على ذلك ، فرد الامر اليهن ، وتوعدهن فيه لئلا يخبرن بغير الحق ، اما استعجالا منها لانقضاء العدة ، أو رغبة منها في تطويلها ، لما لها في ذلك من المقاصد ، فأمرت أن تخبر بالحق في ذلك من غير زيادة ولا نقصان » .

* *

● عقوبة لحماية سمعة المرأة :

نص القرآن على عقوبة لمن يتعرض كذبا بالسوء لسمعة المرأة ، تعرف بعد القذف ، وذلك نظرا لخطورة تلك الجريمة على حياتها وحيات أسرته ومستقبلها .

﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا ، وأولئك هم الفاسقون .

(١) المرجع السابق ص ٢٣٩ - ٢٤٠

إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴿
(النور : ٤ ، ٥)

وقد عد رسول الله قذف المحصنات من الكبائر ، فقال :
« اجتنبوا السبع الموبقات » . قيل : وما هن يا رسول الله ؟

قال : (الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا
بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ،
وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » (رواه البخارى ومسلم) •

وما من شك فى أن شعوب أوروبا ، ونساءها بوجه خاص ، كانت
فى أشد الحاجة لتطبيق حد القذف على أولئك الظلمة من أهل
السلطة الدينية واتباعهم ، الذين أثاروا موجات مجنونة ضد النساء
عرفت باسم : تعقب المتشيطنات وقمعهن ، يزعم أن أولئك المضطهدات كن
يمارسن الجنس مع الشيطان • ولم يكن من شهود سوى الشبهات ،
واتزاع الاعترافات منهن تحت وطأة التعذيب •

والا ، فإى عاقل هذا الذى يستطيع الشهادة بأنه رأى امرأة تمارس

الجنس مع الشيطان ؟! •••



وبعد ••• لقد تعمدت أن تكون أغلب مادة هذا الفصل الخاص
بمكانة المرأة فى الإسلام مما سطره قلم الامام الأكبر محمود شلتوت -
شيخ الأزهر الأسبق - وذلك نظرا لكونه رأس أقدم مؤسسة تعليمية
دينية تمتد جذورها لأكثر من ألف عام ، وتمتد اشعاعاتها العلمية
والثقافية والروحية فى شتى أرجاء العالم الإسلامى ، لا بل أرجاء العالم
كله • ويكفى التذكرة بأن أوروبا لم تعرف نظام استاذ الكرسى
فى جامعاتها التى أنشئت بعد الأزهر بقرون عديدة ، الا نقلا عن الأزهر
العريق •

كذلك أختتم هذا الفصل بما قاله فضيلة الامام الأكبر في ختام حديثه عن : المرأة في نظر الاسلام ، اذ قال :

« وبعد... فهذه عدالة الاسلام في توزيع الحقوق العامة بين الرجل والمرأة وهي عدالة تحقق انهما في الانسانية سواء » .



الباب الرابع

حقائق ومواقف

- حضارة لا اله الا الله ..
 - تحرير الانسان
- هذا التلوث الجنسي •
- أوروبا • • مهلا !
- قضية الدجال الهندي •
- مقاطع شيطانية •
- حملة مسعورة علي : عيسى ومحمد •
- بين شيطانيات : الهندي ••
واليوناني !
- محاكمة الكاتب سلمان رشدي •
 - وفق أحكام الكتاب المقدس •
- حقوق الانسان •

حضارة لا اله الا الله .. وتحرير الانسان

يعرف الحضرة ، في أبسط صورته ، بأنه الارتقاء بالانسان من حالة التوحش والبداءة والجهل الى ما هو أفضل ، وذلك بالتعليم والتهديب والعيش في نظام اجتماعي قادر على تيسير الحياة وتطويرها ... ويقول ي . هل في كتابه : « الحضارة العربية » : « الحاجة أم الحضارات الانسانية ، ذلك أن النفس البشرية فطرت على شوق لا حد له الى الرفاهية والسيطرة والجمال والحق . وهذه الغايات هي الأهداف الأخيرة لكل طموح انساني ، والسعى اليها هو العلة الجوهرية في ارتقاء الانسانية .

فالمثل الأعلى للانسان يكمن وراء عدد لا يحصى من الحاجات ، وكلما حصل على واحدة منها اتسع مجال طموحه الى ما يليها .

وعلى هذا النهج تسير الحضارات كلها : الحاجات الجديدة تؤدي الى وجود أهداف جديدة ، والكدح في سبيل هذه الحاجات هو الطابع الذي يميز الحضارة ، والحصول عليها هو خلق للحضارة نفسها ، وادخال أقوال آخرين في مجالها هو نشر لهذه الحضارة » (١) .

ان النظر الى الحضارة من هذا المنطلق انما ينبع من مفهوم مادي بحث بالدرجة الأولى ، وان تخللته بعض اللبسات الفكرية التي تتحدث عن الحق والجمال . وهو تقرير خاطيء لأنه أسقط من حسابه العنصر الرئيسي المسئول عن الوجود الانساني نفسه ، وكل تقرير أسقط

عنصرا من العناصر المؤثرة في عملية ما يعتبر تقريبا خاطئا بلا جدال . ان حضارة صنعها الانسان بهذا المفهوم ، لهي حضارة مقضى عليها بلا شك ، لأنها لم تعد أن تكون حضارة المتاع ...

(١) نقله الى العربية : الدكتور ابراهيم أحمد العدوي - ص ١١

لقد نسي الانسان خالق الوجود ... لقد نسي الاله .. !
وماذا يقي بعد ذلك ، بل وأى معنى لوجوده ، اذن ، وفيم الكفاح؟!
ان الانسان لا يقف وحده ، في هذا الكون ، كما ادعى هكسلي ،
ومن سيقوه ، ومن جاءوا بعده ...

ان هناك : الله ، والكون ، والانسان ... وعلى الانسان أن يعي
ذلك تماما ، والا فالحياة عبث ، والمصير ضياع وشقاء ...
ومن هنا كانت حضارة الاسلام مختلفة عن غيرها من الحضارات ،
وحق لها أن تسمى باسم : حضارة لا اله الا الله ...
وتقطة البدء فيها أن يعلم الانسان : ﴿ انه لا اله الا الله ﴾ .
(محمد : ١٩)
ومعنى هذا أن يتعامل الانسان مع الله مباشرة ، دون واسطة ما ،
كائنا من كان ...

فرسول الله ليس واسطة بين الله وخلقه ، انما هو داع الى
الله ومعلم منهجه ، ومبين محتواه ...
﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ .
(آل عمران : ١٤٤)

ثم لنقرأ جيدا قول الحق هذا ، لتعلم كيف يدعو الله الانسان -
كل انسان سواء أكان : رجلا أو امرأة ، متحضرا مغرورا أو متخلفا
لا يدرى من أمر دنياه شيئا ... يدعو ليتعامل معه - سبحانه - مباشرة
وذلك على هدى منهجه ، فيقول مخاطبا نبيه :

﴿ وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾
(الشورى : ٥٢)

آنذاك يضع الانسان عن كاهله أثقالا كاذبة ، تتمثل في معتقدات خاطئة ، وخوف من قوى لا وجود لها • ويفك أساراه وأغلاله التي قيده بها تقاليد زائفة ، فينطلق نحو التقدم في الحياة ، ويعمل من أجل تخفيف آلامها والاستمتاع بها وفق منهج الله ، فيحقق لنفسه ولغيره الخير والأمن في الدنيا والآخرة •

حضارة الاسلام ، اذن ، هي حضارة لا اله الا الله ، لأنها تعلم الانسان الحق والخير والجمال ، وتدعوه الى التفكير والبحث والدراسة والابداع ، وتجعل تخفيف أعباء الحياة وتوفير المتاع عبادة مثل سائر العبادات •••



● قالوا عن حضارة الاسلام :

تقول عالمة الألمانية الدكتورة سيجريد هوتكه عن حضارة الاسلام التي قامت على لا اله الا الله ، كما علم بذلك محمد رسول الله: « لو أوصى محمد كل مؤمن ، رجلا كان أو امرأة ، بطلب العلم ، وجعل ذلك واجبا دينيا • فهو الذي يقول للمؤمنين : اطلبوا العلم من المهد الى اللحد • ويرشد أتباعه دائما الى هذا ، فيخبرهم بأن ثواب التعلم كثواب الصيام ، وأن ثواب تعليمه كثواب الصلاة •

وكان محمد يرى في تعمق أتباعه في دراسة المخلوقات وعجائبها ، وسيلة للتعرف على قدرة الخالق • وكان يرى أن المعرفة تنير الايمان ، مرددا عليهم : اطلبوا العلم ولو في الصين •

والرسول يطلب الى علوم كل الشعوب ، فالعلم يخدم الدين • والمعرفة من الله وترجع اليه • لذلك فمن واجبه أن يصلوا اليها وبنالوها ، أيا كان مصدرها ولو نطق بالعلم كافر •

وعلى النقيض تماما يتساءل بولس الرسول مقرا : (ألم يصف
الرب المعرفة الدنيوية بالغباوة) ؟ (١) .
مفهومان مختلفان بل عالمان منفصلان تماما ، حدا بهذا طريقين
متناقضين للعلم والفكر في الشرق والغرب .
وبهذا اتسعت الهوة بين الحضارة العربية الشامخة ، والمعرفة
السطحية المعاصرة في أوروبا ، حيث لا قيمة لمعرفة الدنيا كلها .
ويعرف القديس أوغسطينوس محور المعرفة قائلا : (أما الرب
والروح فاني أبغى معرفتهما . فالبحث عن الحقيقة هو البحث عن الله ،
وهذا لا يستدعى معونة من الخارج) . والمصدر الوحيد لتلك المعرفة هو
الكتاب المقدس ، وقصة الخليقة تعطى كل ما يحتاجه المرء من معلومات
عن السماء والأرض والجنس البشرى . وأما أن يكون هناك سكان على
الوجه الآخر من الأرض ، فقد نفاه أوغسطينوس بشدة : (اكتاب المقدس
لم يذكر مثل هذا الجنس من سلالة آدم) .

وأما ما يدعيه بعضهم من أن الأرض كروية فهو كفر وضلال ،
فمعلم الكنيسة لاكتانتيوس يتساءل مستنكرا : (هل هذا من العقول ؟!
ايقل أن يجن الناس الى هذا الحد ، فيدخل في عقولهم ان البلدان
والاشجار تتدلى من الجانب الآخر من الأرض ، وان اقدام الناس
تعلو رؤوسهم) ؟! لقد كانت الأرض بالنسبة الى بعض الناس تلا تلور
الشمس حوله ما بين الشروق والغروب ، وبالنسبة الى الآخرين مسطحا
تحيط به المحيطات . . .

ملعون من يقتنع أو يقبل الآن تفسيراً علمياً لحوادث الطبيعة .
خارج عن طاعة الرب من يشرح أسباباً طبيعية لبزوغ كوكب أو فيضان

(١) يقول بولس في رسائله : « اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء
. . . واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود . . .
ان كان أحد يظن انه حكيم بينكم في هذا الدهر ، فليصر جاهلا
لكي يصير حكيما . لأن حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله ، لأنه مكتوب
الآخذ الحكماء بمكرهم . وأيضا الرب يعلم أفكار الحكماء انها باطلة - الرسالة
الاولى الى أهل كورنثوس ١ : ٢٧ - ٢٨ ، ٢ : ١٨ - ٢٠ » .

نهر ، بل لمن يعطل علميا شفاء قدم مكسورة أو اجهاض امرأة . فتلك كلها عقوبات من الله ، أو من الشيطان ، أو هي معجزات أكبر من أن ندرك كنهها !

ما وصلت اليه الكنيسة وكهنتها في المجال الديني ، لم يكن عامل اتقاذ للحضارة بل كان عائقا لها . لقد كانت أمامهم الفرصة ، تماما كالعرب ، بل ان فرصتهم كانت أكبر في أن يأخذوا التراث العظيم ويتطوروا به في درجات السلم المرقى ..

لكن الفكر الاغريقي ظل بالنسبة اليهم غريبا على الدوام . فحوالي عام ٣٠٠ ميلادية علل أسقف قيصرية اوزيربيوس ذلك المسلك لعلماء الطبيعة من الاسكندرية قائلا : (ان موقفنا هذا ليس جهلا بالأشياء التي تعطونها أتم كل هذه القيمة ، وانما لاحتقارنا لهذه الأعمال التي لا فائدة منها . لهذا فاتنا نشغل أنفسنا بالتفكير فيما هو أجدى وأنفع) .

ويظل هذا التفكير العقيم سائدا لا يتغير ، فيتحدث بمثل هذا في القرن الثالث عشر ، القديس توما الأكويني فيقول : (ان المعرفة القليلة لأمور سامية أجل قدرا من معرفة كبيرة موضوعها امور حقيرة) ..

ولقد بدت للسادة المهيمنين على الأمور ضرورة تحريم الكتب التي تهتم بالامور الحقيرة الدنيوية على المتعلمين ورجال الدين . ففي عام ١٢٠٦ نبه مجمع رؤساء الكنائس المنعقد في باريس رجال الدين بشدة الى عدم قراءة كتب العلوم الطبيعية ، واعتبر ذلك خطيئة لا تغتفر .

وقضى هذا التفكير الضيق على كل موهبة ، وعاق كل بحث علمي ، واجبر كل المفكرين الذين لا تتفق اعمالهم ومعتقدات الكنيسة هذه على انكار ما قالوه من النظريات العلمية ، والا كان مصيرهم الحرق العلني بالنار لكفرهم وخروجهم على المعتقدات الالهية .

ومن هنا فقط يتضح لنا تماما لماذا احتاجت الحضارة في الغرب
الفا من السنين قبل أن تبدأ في الازدهار تدريجيا ، مع أنها كانت لديها
فرصة مناسبة لتبدأ قبل الحضارة العربية بقرنين أو ثلاثة ... وما ان
انقضى قرن واحد من الزمان على الفتوحات الاسلامية حتى ازدهرت
حضارة العرب وآتت أكلها مكتملة ناضجة ..

ان الاسلام لا يعرف وسيطا بين العبد والرب ، ولم يكن لديه على
الأقل في تلك الظروف الحاسمة طبقة من الكهنة ولا تنظيمات وسلطات
عليا مشرفة . وحيثما كانت المسيحية تظفي نتيجة لتسامح المسلمين ،
كان ذلك دائما يؤدي الى كساد العلوم واهمالها . ولعل افناء الطبقة
العلمية العليا على يد الأسباب والمغول ، هو خير برهان على ما نقول .

كانت الاحتكاكات بين الآراء المختلفة قد منحت الحركة الفكرية
حيوية دائمة ، وحثت الاسلام من الجمود وأجبرته على أن يسلح نفسه
علميا ، وأن يتطور بالقوى العقلية وينهض بها من سباتها . وساعده
على ذلك المطالب العديدة المنبثقة من شعائر الدين أو من الحياة اليومية
للشعوب .

واجبات عديدة ومسئوليات جسيمة : فمعالجة المرضى ضرورية ،
وحماية الملايين من سكان المدن الكبيرة من الأوبئة ، وامدادهم بالدواء
الناجع يتطلب أبحاثا علمية دقيقة . وأدخلتهم حاجات تلك الملايين في
عالم الحيوان والنبات ليدرسوه وينهضوا به . فنظم رى الأرض
ومسحها ، ورصدت الكواكب وحركاتها ، ونظمت الرحلات ، وأخذ
كل شيء مكانه وزمنه اللازم له ...

ففى كل حقل من حقول الحياة صار الشعار للجميع : تعلم وزد
معارفك قدر امكانك واينما استطعت . وبأقدام ثابتة ونفوس مطمئنة ،
تعرف حقها وتؤدى واجبها ، أقبل العرب على ما وجدوا من معارف ،
فاغترفوا منها قدر جهدهم ، وما رأوا فيه نفعا لهم ..

لقد ذاقوا حلاوة العلم فازداد شوقهم الى البحث عنه ، ولم يعودوا
يرضون بغير العلم والبحث بديلا . وبدأ نوع فريد في التاريخ من طرق
الكشف عن كنوز المعرفة ، خصصت له البعثات الضخمة والأموال
الطائلة ، بل واستخدمت لأجله الوسائل الدبلوماسية ، وخدمته سياسة
الدولة الخارجية .

ولو أردنا دليلا آخر على مدى الهوة العميقة التي كانت تفصل
الشرق عن الغرب ، لكفانا أن نعرف أن نسبة ٩٥٪ على الأقل من سكان
الغرب في القرون : التاسع ، والعاشر ، والحادي عشر ، والثاني عشر ،
كانوا لا يستطيعون القراءة والكتابة .

وبينما كان شارل الأكبر يجهد نفسه في شيخوخته لتعلم القراءة
والكتابة ، وبينما امرء الغرب يعترفون بعجزهم عن الكتابة او القراءة ،
وفي الأديرة يندر بين الكهنة من يستطيع مسك القلم ، لدرجة أنه
عام ١٢٩١ لم يكن في دير جالينوس من الكهنة والرهبان من يستطيع
خل الخط - بينما كان هذا كله يحدث في الغرب - كانت آلاف مؤلفة
من المدارس في القرى والمدن تستقبل ملايين البنين والبنات ،
يجلسون على سجادهم الصغير يكتبون بحبر يسيل الى السواد فوق
ألواحهم الخشبية ، ويقرأون مقاطع من القرآن حتى يجيدوها ، ويجودون
ذلك معا بلحن جميل عن ظهر قلب ، ثم يتقدمون خطوة تلو الأخرى في
المبادئ لقواعد اللغة .

وكان الدافع الى كل هذا هو رغبتهم الصادقة في أن يكونوا
مسلمين حقا كما يجب أن يكون المسلم . فلم يجبرهم أحد على ذلك ،
بل اندفعوا اليه عن رغبة وايمان ، لأن من واجب كل مسلم أن يقرأ
القرآن .

فالكتاب المقدس لا يجد الناس اليه سبيلا ، اذا استثنينا الكهنة

ورجال الدين ، فهم وحدهم يستطيعون قراءته وفهم لغته .
ومنذ عام ٨٠٠ ميلادية لم يعد الشعب يفهم المواعظ الملقاة باللاتينية ،
حتى ان مجلس رؤساء الكنائس المنعقد في مدينة تور اوصى بوعظ
الناس باللغة التي يتكلمون بها . ولم تكن هناك حاجة تدعو الشعب في
تلك العصور الى تعلم اللاتينية ، بل لم تكن هناك أية رغبة في تعليم
الشعب أو تثقيفه .

وعلى خلاف ذلك ، كان الحال في العالم الاسلامي ، فقد اهتمت
الدولة بتعليم الرعية . ولم تلبث أن جعلت من التربية واجبا ترعاه ،
فالأطفال من مختلف الطبقات يتعلمون التعليم الأولى مقابل مبالغ ضئيلة
يقدر على دفعها الناس دون مشقة . ومنذ بدأت الدولة تعين المعلمين
للمدارس ، أمكن للفقراء أن يعلموا أولادهم مجانا .

بل ان بعض البلدان العربية ، مثل أسبانية ، قد جعلت التعليم
للجميع مجانا . وقد افتتح الحكم الثاني حوالي عام ٩٦٥ م في قرطبة
سبعاً وعشرين مدرسة للأبناء الفقراء ، بالإضافة الى المدارس الثماني
التي كانت فيها فعلا .

وفي القاهرة ، أنشأ المنصور قلاوون مدرسة لليتامى ملحقة
بالمستشفى المنصوري ، ومنح كل طفل فيها ، يوميا ، رطلا من الخبز ،
وثوبا للشتاء ، وآخر للصيف .

وانشأت الدولة المدارس العليا في كافة المدن الكبيرة .
وكان الطلبة يتناولون طعامهم مجانا ، بل ويتقاضون مرتبا صغيرا ،
ويسكنون في الأدوار العليا في المدرسة دون مقابل . أما في المهاجع
فثمة المطبخ والمخازن والحمامات . وفي الطبقة الأرضية تلتف الفصول
وقاعات المكتبة على شكل دائري خلف ممرات مظلة تزينا الأعمدة ،
وفي الوسط فناء فسيح تتوسطه نافورة ماء .

هنا يتعلم شباب العرب الطموح القرآن وقواعد اللغة والديانة والخطابة والأدب والتاريخ والجغرافية والمنطق والفلك والرياضة .
ويساهم الطلاب في المناقشات والمناظرات ، ويعيد معهم دروسهم مساعدون من طلبة الصفوف المتقدمة أو من الخريجين . وتبدو هذه المدارس كخلايا النحل الدائبة النشاط ، تخرج للجميع شهداء حلوا فيه شفاء للناس ، ولتقدم قادة للعلم والسياسة ..

أما الطريق الذي يسلكه الراغب في تعلم فرع معين من العلوم ، والذي يرغب الطالب أن يقوم هو بتدريسه يوما من الأيام ، فكان يبدأ في المساجد . فلم تكن المساجد مجرد أماكن تؤدي فيها الصلوات فحسب ، بل كانت منبرا للعلوم والمعارف ، كما ارتفعت فيها كلمات الرسول فوق مجد التدين الأعمى . ألم يقل محمد أقوالا ، كان يكفي لأن يقولها في رومة حتى يحاكم عليها بتهمة الهرطقة .
او ليس هو القائل : بان حبر الطالب أقدس من دم الشهيد !؟

وحول أعمدة الجامع كان يجلس الأستاذ ويلتف حوله طلبته ، حلقة أبوابها مفتوحة لمن يشاء ، رجلا كان أو امرأة ، ولكل الحق في سؤال الأستاذ أو مقاطعته معارضا . وكان هذا النظام أكبر دافع للأساتذة يدفعهم دائما للاعداد المتقن لدروسهم والتعمق فيها ..

وحول أعمدة المساجد أتيحت للطلاب دائما فرصة الاستماع الى الأساتذة الزائرين من كل أنحاء العالم العربي المترامي الأطراف .. سواء أكان هؤلاء العلماء في طريقهم الى الحج أو مسافرين خصيصا لهذا الغرض ، يجوبون أنحاء العالم الاسلامي من سواحل بحر قزوين الى سواحل الأطلسي ، ومنهم المؤرخون والجغرافيون ، ومنهم علماء الحيوان والنبات والباحثون في تراث الأدب القديم ..

لقد قدم العرب ، بجامعاتهم التي بدأت تزدهر منذ القرن التاسع ،

والتي جذبت اليها منذ عهد البابا سلفستر الثاني عددا من الغربيين من جانبي جبال البرانس ، ظل يتزايد حتى صار تيارا فكريا دائما ، فقدم العرب بها للغرب نموذجا حيا لاعداد المتعلمين لمهن الحياة العامة وللبحث العلمي .

لقد قدمت تلك الجامعات - بدرجاتها العلمية ، وتقسيما الى كليات ، واهتمامها بطرق التدريس - للغرب اروع الامثال ، ولم تقدم هذا المظهر فقط ، بل وفرت له كذلك الباب : مادة الدراسة (1) .



وإذا كان الكتاب يقرأ من عنوانه ، كما يقال دائما ، فان ما سطره الدكتور لويس يوتج في مقدمة كتابه : العرب واوروبا ، لكفيل باعطاء فكرة معقولة عن محتوى هذا الكتاب .

يقول لويس يوتج : « قصة التفاعل بين حضارتى العرب وأوروبا معقدة وشائكة وطويلة : وهي اذ تبدو قصة فتوحات واعادة فتوحات ، فانها تأخذ أحيانا أشكال مبادلات ثقافية متناوبة ، أخذا وعطاء . ونحن حينما نسلم اليوم أن آسيا وافريقيا تتمثلان أوروبا قدوة لهما ، يجب الا ننسى الوجه الآخر للصورة في العصور الوسطى ، عندما عكفت أوروبا على علوم العرب من طب وفلسفة وطبيعة ، واستمر ذلك لفترة طويلة . حتى اذا كان القرن الثامن عشر قبست منهم نار الرومانطيقية ، وفي القرن التاسع عشر سلبتهم اراضيتهم ، ثم بتروولهم في القرن العشرين . وعلى الرغم من سجل أوروبا الطافح بالتزمت الفكرى واللا تسامح الدينى ، على النقيض من المسلمين ، فانها ظلت ترفض الاعتراف بما

(1) شمس العرب تسطع على الغرب : ص ٣٦٩ - ٣٧٤ ، ٣٩٣-٣٩٨
[كان من الأفضل أن يكون عنوان هذا الكتاب : شمس الله تسطع على الغرب ، حيث انه في أصله الالماني :

للرب من يد طولى على حضارتها ، وتتجاهل دورهم الحضارى وتقل من شأنه .

لقد هول المؤرخون الأوربيون فى وصفهم الفتوحات الاسلاميه فى أوروبا خلال العصور الوسطى ومدى تهديدها للدين المسيحى ، بينما تغافلوا عن ظاهرة انتكاس الحضارة فى البلدان التى أجلى العرب عنها . وما أسبانيا والبرتغال وصقلية الا أمثلة لذلك .

ففى أسبانيا يسود التعصب الدينى وتعذيب الحيوانات كمشهد مألوف . وفى البرتغال أعلى نسبة للأمية فى أوروبا ، وفى صقلية عصابة المافيا السيئة السمعة .

ما الذى تركته حضارة العرب والمسلمين فى أوروبا ؟

لقد تركت بصماتها على جميع المستويات ، ابتداء بالفولكلور ، كراقصى الموريش الانكليز الذين هم فى الحقيقة قناع لراقصى البربر ، وانهاء بالعلوم حيث يستخدم ملاحو الفضاء اصطلاحات عربية مثل : السميت ، وسمت الرأس . وهناك فى خرائط القمر أكثر من موقع أطلق عليها أسماء لبعض العلماء العرب : كالزركلى والبثانى وأبى الفداء .

ان أشياء كثيرة لا يزال على الغرب ان يتعلمها من الحضارة الاسلامية، منها نظرة العرب المتسامحة وعدم تمييزهم فروق الدين والعرق واللون .

وسوف أحاول فى الصفحات التالية أن أقدم الخطوط العريضة للتاريخ العربى والمجتمع الإسلامى ، وما أرساه العرب من أسس أولا . كما سأشير ، ثانيا ، الى أهم الطرق والأساليب التى أثرت بواسطتها حضارة العرب فى الحضارة الأوروبية ، وكيف أثرت أوروبا بدورها فى الحضارة العربية «(١)» .

*

(١) العرب وأوروبا : ص ٩ - ١٠

ويحدثنا موريس لومبار في كتابه «الاسلام في فجر عظمته»
عن تأثير الفتوحات الاسلامية على تحضير الغرب وانطلاقه نحو الحضارة ،
فيقول :

« لم يترافق الفتح بالتخريب مطلقا ، فلم تحرق المدن ولم تنهب ..
وبالنسبة للقسم الغربي ، فكان تجندا حقيقيا ..
انا نعتقد بالواقع ان الغرب استتاف التماس بالحضارات
الشرقية ، وعبرها بالحركات العالمية الكبرى للتجارة والثقافة ، بفضل
الفتح الاسلامي . وفي حين ان الغزوات البربرية الكبرى في القرنين
الرابع والخامس أدت الى التقهقر الاقتصادي للغرب ، فقد جلب قيام
الامبراطورية الاسلامية الجديدة لهذا الغرب نفسه تطورا مدهشا .
وإذا كانت الغزوات الجرمانية قد عجبت بانحطاط الغرب ، فان
الفتوحات الاسلامية كانت حافزا على انطلاق حضارته » (١) .

*

وهكذا يعترف أهل العلم والفضل من مختلف شعوب أوروبا ،
كالألمان والانجليز والفرنسيين ، بفضل حضارة الاسلام وأثرها في
بناء الحضارة الأوربية الحديثة . وهو فضل لا ينكره الا جاهل
أو متعصب .

* *

● تحرير النساء :

تقول سيجريد هونكه : « ان الحلوى التي يقدمها الأوروبي لحبيبتة
أو لزوجة صديقه أو رئيسه ، سواء أكانت ماسا أصليا أو زجاجا
مصنوقا ، هي عادة استوردت من الشرق ويمارسها الناس كل يوم
ولا يعرفون لها مصدرا . وتمر السنون ، والحلى تلك ما زالت تتنوع

(١) الاسلام في فجر عظمته : ص ١٢

وتغير ، ولكنها لم تفقد قوتها السحرية في جذب قلوب النساء حتى ولو
كنا نعيش في القرن العشرين ..

وقد تعارض هذا الاتجاه العربي في تكريم المرأة أيضا مع ما كان
سائدا في دول البحر الأبيض ..

وعارض الكتاب المقدس أيضا ذلك المسلك العربي ، ونص على
أن الرجل سيد المرأة ، ونشطت الكنيسة تحارب كل الأفكار المخالفة ،
وتعمل كل ما في وسعها لابقاء المرأة تحت سيطرة الرجل ، تبعا لمشيئة الرب .
وعلى الرغم من هذا ، فقد قاوم العرب كل التيارات المعادية
واستطاعوا القضاء على هذا العدا للمرأة ، وجعلوا من منهجهم
مثالا يحتذاه العرب ولا يملك الآن منه فكاكا ..

ولكن ، أو ليس هذا نوعا من المبالغة ؟ وهل يعقل هذا الكلام ؟!
ثم ألم تعش نساء العرب منذ زمن بعيد مقيدات مظلومات لا يتمتعن
بحقوقهن ؟ ألم نسمع بالحريم كالسجن يملك فيه الرجل عددا كبيرا منهن
ويقيم عليهن الحراس ؟ ألم تسمع بنساء يزوجن دون أن يستشرن ؟
وتكفى بضع كلمات يتفوه بها الرجل وقتما شاء لتصبح المرأة طالقا
تعود الى عائلتها دون أى ذنب ، والدين لا يمنع هذا ؟ ...

أين هي الحقيقة في كل هذا ؟ وما هو مركز المرأة في المجتمع ؟ ...
ألم تكن خديجة زوج النبي الأولى ، التي عاش معها أربعة وعشرين
عاما وانجب منها ستة اطفال ، أرملة لها شخصيتها ومالها ومكائنها
الرفيعة في مجتمعها ؟ لقد كانت خديجة نموذجا لشرفات العرب ، أجاز
لها الرسول أن تستزيد من العلم والمعرفة كالرجل تماما .

وسار الركب وشاهد الناس سيدات يدرسن القانون والشرع ويلقن
المحاضرات في المساجد ويفسرن احكام الدين . فكانت السيدة تنهى دراستها

على يد كبار العلماء ، ثم تنال منهم تصريحا لتدرس هي بنفسها ما تعلمته ، فتصبح الأستاذة الشبيخة . كما لمعت بينهن أدبيات وشاعرات ، والناس لا ترى في ذلك غضاظة او خروجا على التقاليد .

ان النساء في صدر الاسلام لم يكن مظلومات او مقيدات ، ولكن هل دام هذا طويلا ؟

لقد هبت على قصور العباسيين رياح جديدة قدمت من الشمال فغيرت الأوضاع ، وقدم الحريم والحجاب مع الجاريات الفارسيات واليونانيات اللاتي كن محظيات للخلفاء وأمهات الأولادهم ..

والاسلام برىء من كل ما حدث ، والرسول لم يأمر قط بحجب النساء عن المجتمع . لقد امر المؤمنين من الرجال والنساء على حد سواء بأن يفضوا الطرف ، وان يحافظوا على اعراضهم . و امر النساء بالا تظهن من اجسادهن الا ما لا بد من ظهوره ، والا يظهرن محاسن اجسادهن الا في حضرة أزواجهن ..

لقد شرعت القصور تعزل النساء في الحريم على غرار ما تعوده الفرس ، وبدأ استيراد الخصيان لخدمتهن كما كان عليه الحال في بيزنطة قديما . وأصبح حجب النساء عن المجتمع وعدم مغادرتهن لبيوتهن مظهرا من مظاهر الأبهة والثراء « (١) » .

* *

● وتحرير الشعوب :

يقول موريس لومبار في حديثه عن الفتوحات الاسلامية : « كيف يمكن شرح سهولة الفتح وسرعته ، خاصة اذا نفذ بعدد قليل جدا من الفاتحين ؟

(١) شمس العرب تسطع على الغرب : ص ٦٧ - ٤٧١

لقد كان للعرب في حقيقة الأمر كل الفرص الموانية ليستقبلوا كمحررين من قبل السكان القدماء للعالم السامي في سوريا وما بين النهرين ومصر . ففضلا عن القرابة العرقية واللغوية التي تربط بعضا من هذه الشعوب بالعرب ، فانها كانت تخضع منذ زمن طويل الى روما ثم بيزنطة في الغرب ، والى الامبراطورية الفارسية الساسانية في الشرق . لقد كانت هذه الشعوب بحالة انتفاضة دائمة ضد ادارة القسطنطينية والمدائن .

وكانت هذه الانتفاضة كما هي العادة في الشرق دينية في ظاهرها ، بينما هي في حقيقتها ذات أساس اجتماعي . كان الملك البيزنطي مزعزا بصراع الهرطقات ، فالنسطورية واليعقوبية على الخصوص تتعارضان مع الأرثوذكسية الحاكمة .

وفي ظل الدولة الساسانية ، تطورت المانوية والمسيحية واليهودية ، وكلها معتقدات ضد الدين الرسمي أى المزدكية .

وفي منازع الاسلام الى الديمقراطية ، ودعوته الى المساواة ، وعالية رسالته ، وجدت حركات الثورة الاجتماعية والدينية جوابا على مطالبها ، ومن هنا أتت - جزئيا على الأقل - سهولة الفتح . ودفع التطلع الى النظام والسلام سكان المدن ايضا لأن ينضموا الى الفاتح الذي كانوا ينتظرون منه حماية ضد الفوضى والنهب . .

ومما سهل العلاقات مع سكان البلاد المفتوحة في كل الحالات ، تسامح الفاتحين ، وبعدهم عن التعصب الديني . . وهكذا فلا اكرام ولا اضطهاد ، بل كان مطلبهم الوحيد هو النظام الضريبي . . كان الفتح سريعا جدا حتى انه تم دون فواصل أو انقطاع» (١) .

*

(١) الاسلام في فجر عظمته : ص ٩ - ١٠

ويقول الدكتور فيليب حتى « لو قام في الثلث الأول من القرن السابع الميلادي أحد وتكهن بأن دولة خامدة الذكر وضيعة الجانب ، تخرج من مجاهل جزيرة العرب ، ثم تنقض على الدولتين العظيمنتين المعروفتين ، فتقوض الدولة الواحدة - دولة آل ساسان - وتظفر بأملأها ، ثم تقطع من ولايات الثانية - بيزنطة - أزهى مقاطعاتها ، تقول لو صدرت مثل هذه النبوءة من فم انسان ذلك العصر لحكم عليه بالجنون .

والواقع ان هذا ما حدث فعلا ، فبعد الرسول تغيرت طبيعة بلاد العرب الجذباء ، وأخذت تنشى أبطالاً يندر وجود من يشاركهم في أى صقع كان ، فكان أعجوبة حلت فيها . . ان عظمة الجيش العربى لم تقم على قوة السلاح أو جودة التنظيم ، بل كان ثمره القوة المعنوية الروحية التى كان الايمان والدين عززها في نفسه . .

لقد جاء الاسلام مهيبا بالشرق الى النهوض من كبوته ، بعد ألف سنة اجتاحتها فيها سطوة الغريب . . ولقد انفتح امام الأمم المغلوبة باب الحرية ، فصاروا يمارسون عقائد اديانهم دون ازعاج (١) .

*

ويقول جوزيف رينو في كتابه « الفتوحات الاسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا » كوسيلة من وسائل نقل الحضارة : « عندما استقر المسلمون في القرن التاسع الميلادي في بروفانس وفي دوفيني وسافواى ، وفي سويسرا ، كانوا قد قطعوا اشواطاً في العلوم والفنون ، ويتقدمون بطريقة عجيبة . ومما لا جدال فيه ان مسلمى الأندلس وصقلية ، ومسلمى افريقيا الشمالية ، كانوا اكثر تقدماً من سكان فرنسا والبلدان المجاورة ، حيث كانت هذه البلدان كلها تعاني من الفوضى ومن كل انواع البؤس التى تلازمها .

(١) تاريخ العرب : تأليف الدكتور فيليب حتى وآخرين - جامعة برنستون - ص ١٩٣ ، ٢٣١

فمن ذا الذى لم يسمع بعظمة مسجد قرطبة ، ومن ذا الذى يجهل ما شيده المسلمون من الجسور ، وما شقوه من الأنهار والقنوات لرى الأرض ، وما شيده من الآثار العظيمة فى الأندلس ابتداء من النصف الثانى للقرن الثامن الهجرى !؟

. وعظمة المسلمين وتفوقهم لا تتجلى فى الفنون وحدها ، حيث ان عبقرتهم قد برزت فى العلوم ايضا - العلوم التى لا يمكن أن تقوم دعائم حضارة بدونها . فقد كان العرب يملكون ذخائر علوم الأولين وكنوزهم ، وكانوا قد ترجموا الى العربية كتب أرسطو وأبقراط وجالينوس ودسقوريدس وبطليموس وغيرهم ، وأضافوا مساهمات ثمينة الى ما اكتشفه الأولون .

وهكذا ، فقد كان تفوق العرب حقيقة لا مرء فيها ، ويعترف بها المسيحيون انفسهم .

وقد حفظ لنا التاريخ قصة شانجة (Sanche) ملك ليون الذى طلب اذنا من عبد الرحمن الثالث ، عندما أصيب بمض عضال فى سنة ٩٦٠ م ، ليقصد قرطبة ملتمسا الاستشفاء على يد الأطباء المسلمين . ويضيف المؤرخون أن شانجة قد وجد عند هؤلاء العناية ، وفى علمهم المساعدة التى كان ينشدها . وقد ظل طوال حياته يذكر الحفاوة التى قوبل بها والاهتمام الذى أحيط به .

وفى غضون تلك الفترة نفسها ، كان قسيس اسمه جيربر (Gerbert) قدر له أن يصبح البابا سيلفستر الثانى (Sylvester) قد قصد الى الأندلس ليطلب العلوم الطبيعية والرياضية . وقد حصل من تلك العلوم وغيرها حظا عظيما ، بحيث اعتبرته عامة الناس فى فرنسا ساحرا .

على أن عددا صغيرا من الفرنسيين استطاع الاعتراف من معين الثقافة والعلوم العربية فى الأندلس ، فى الوقت الذى ظلت فيه الجماهير غارقة فى ظلمات الجهالة فى فرنسا . .

ان نشر النفوذ الحضارى العربى الحقيقى فى فرنسا والبلاد
المجاورة لها ، فقد بدأ بعد ذلك ، أى ابتداء من القرن الثانى عشر
الميلادى ، ولا سيما فى أعقاب الحروب الصليبية ، وبعد الاحتكاك الذى
وقع بين الاسلام والمسيحية ، والشعوب الشرقية والشعوب الغربية التى
من بينها الشعوب الفرنسية والانجليزية والألمانية - تلك الشعوب التى
بدأت تخرج من سباتها العميق ، وشرعت فى ابداء رغبتها فى الاستفادة مما
حقته الحضارة العربية من التقدم .

كانت العلوم اليونانية فى ذلك الوقت قد انمحت من أوروبا ، ولكنها
كانت مترجمة ومحفوظة عند العرب . وكذلك اتجه المسيحيون من فرنسا
والبلدان المجاورة لها الى أسبانيا ليتعلموا تلك العلوم بالعربية ،
لينقلوها الى اللغة اللاتينية التى كانت يومئذ لغة العلم فى أوروبا .
وهذه الكتب المترجمة هى التى ستدرس فى الجامعات الأوروبية حتى القرن
الخامس عشر . .

سوف لا تتوقف لدرس مختلف الأشياء المحفوظة بعناية فى فرنسا
والتي يرجع تاريخها الى العهد العربى . وهذه الآثار تتكون ، خصوصا ،
من أقمشة الحرير ، وصناديق العاج أو الفضة ، وكؤوس البللور
وأسلحة . . . الخ . وجزء كبير من هذه التحف لا يزال محفوظا فى
الكنائس ولدى الهواة لجمع التحف الأثرية . .

وقد قيل ان القمح الأسود الذى يسمى قمح السارازين ،
والذى يمثل فى القرن التاسع أهم المنتجات الزراعية فى فرنسا ، هو من
أصل فارسى ، وقد انتقل من هناك الى مصر ، وسار مع الفاتحين على
طول شواطئ افريقيا الشمالية ، قبل أن يعبر مضيق جبل طارق الى
الأندلس ، ويصل من هناك الى فرنسا . .

ويعزى الى العرب الذين استقروا فى بروفانس استغلال شجر
البلوط فى الغابة الكثيفة التى احتفظت بعمدهم باسم : غابة المغاربة

(La Forêt des Maures) • وشجر البلوط كان يربى في كتالونية منذ وقت طويل ، ويمثل في الوقت الحاضر الثروة الأساسية للبلد •

وكذلك كان العرب يستخرجون القطران من أشجار الصنوبر والأرز ، ويحول الى زفت يجلفطون به المراكب • ولهذا السبب ، فان سكان بروفانس لا يسمون الزفت : جودرون (Goudron) ، بل يسمونه : قطران (Guitra) ، وهي كلمة عربية •

كذلك يعزى الى العرب تحسين سلالة الخيول في جنوب فرنسا ، ولا سيما في مقاطعة كمارج (Camargue) ، وذلك بتهجين الخيول المحلية بخيول الأندلس ••

لقد ظل الناس في فرنسا والبلدان المجاورة لها ، أجيالا طويلة ، وهم لا يفكرون الا في عظمة الفكر الاسلامي ، وفي قوة المسلمين واتساع آفاق فتوحاتهم ••

وكذلك كان الرأي العام يعزو الى العرب كل ما هو عظيم وضخم من المنجزات العمرانية ••

لقد جاء المسلمون الى فرنسا قبل النورمانديين والهنغارين ، وقد استمر وجودهم فيها ، بعد غارات هولا وأولئك • والفتوحات الاسلامية كانت تكتسى طابعا من الجلال والعظمة بحيث لا يمكن ان يقرأ انسان اخبارها اذ يسمع رواياتها دون ان تهتز نفسه لها • فعلى عكس النورمانديين والهنغارين ، كان المسلمون ، أجيالا طويلة ، في طبيعة قافلة الحضارة في العالم» (١) •

*

لقد ذكر جوزيف رينو ما ذكره الناس في فرنسا عن البابا سلفستر الثاني ، الذي درس العلوم الطبيعية والرياضية على يد المسلمين في

(١) الفتوحات الاسلامية في فرنسا : ص ٢٥١ - ٢٥٦ ، ٢٦٤ - ٢٦٥

الأندلس ، اذ اعتبروه ساحرا ، وخاصة عندما كان يدهشهم بتجاربه
في الكيمياء والفيزياء .

أما لويس يونج ، فانه يعطى تفصيلا عن الفكر الأوروبي في ذلك
الوقت ، والذي استمر حتى القرن السابع عشر ، لا يملك الا أن يعزو
كل ما كان يجهله الى الشيطان والأعيه . وما جنون ظاهرة تعقب
النساء المتشيطنات بعيد .

يقول يونج : « لقد أغنى الرياضيون العرب العالم بالمعرفة في
جميع المجالات ، وبخاصة الأفكار والملاحظات الرياضية .

وأحد أوائل الأوربيين الذي أخذوا بالأرقام العربية كان جربرت ،
الذي أصبح فيما بعد (في عام ٩٩٩ م) البابا سيلفستر الثاني
(ولد ٩٤٥ - وتوفي ١٠٠٣ م) . سافر جربرت هذا بين عامي (٩٦٧ - ٩٧٠ م)
الى أسبانيا ، حيث درس العلوم ، وألف بعد ذلك كتابا يشرح فيه
كيفية استخدام الأرقام العربية .

الا أن أوروبا لم تلق بالا الى هذا النظام الجديد . بل كان ينظر
الى جربرت بعين الشك ، لأنه درس على يد العرب في أسبانيا ، وعلى
المستوى الشعبي كان يشك في أنه يمارس السحر .

ولقد رويت عنه كثير من الروايات الخارقة . ف قيل انه كان يفادر الدير
ليلا ، ويطير في الهواء الى أسبانيا حيث يدرس الفلك والفنون السحرية ،
ثم يعود الى حجرته قبل بزوغ الفجر .

كما كان يظن بانه تعلم احضار الأرواح من جهنم ، وانه يحتفظ بكتاب
سحر حصل عليه بالكر والخديعة من ساحر عجوز ، وانه رهن روحه
للشيطان لكي يحميه من انتقام هذا الساحر العجوز .

وبعد فترة طويلة من الزمن تبنت أوروبا الأرقام العربية ، نتيجة

أعمال ليوناردو فيبوناتشي من بيزا ، الذي توفي عام ١٢٤٠ م . وكان فيبوناتشي رياضياً ، درس الرياضيات على يد معلم عربي ، في شمال أفريقيا ، وأصدر كتاباً يشرح فيه نظام الأرقام العربية عام ١٢٠٢م ، وكان ذلك بداية تبني أوروبا للأرقام العربية ، وبداية لعلم الرياضيات الأوروبي» (١) .

*

أما بعد . . .

لقد علم المسيح بنى اسرائيل أن يبحثوا بوعى وتبصر ما فى بطون الكتب ، فستجدون فيها شهادات وتنبؤات ، اذ قال : « فتشوا الكتب - انجيل يوحنا ٥ : ٣٩ » .

وهذا الذى يراه الناظر فى التاريخ القديم ، يثير العجب والانبهار حقاً ، حين يطل خلال تلك الحقبة من الزمن ، فىرى أبناء الصحراء وقد خرجوا الى العالم ، شرقاً وغرباً ، يعلنون : لا اله الا الله ، وقيمون حضارة زاهرة تشع أنوارها هنا وهناك ، فينهل منها الظالمون الى العلم والايمان ، ويصد عنها الآخرون : « استكباراً فى الأرض ومكر السوء ، ولا يحيق المكر السوء الا باهله » (فاطر : ٤٣) .

وفى هؤلاء .لأخيرين ، قال مفكر مسيحي هو الدكتور نظمي لوقا قوله حق ، وحكمة ترددها الألسنة عبر القرون :

من يفلق عينيه دون النور ، يضر عينيه ولا يضر النور .

ومن يفلق عقله وضميره دون الحق ، يضر عقله وضميره ولا يضر

الحق .

فالنور منيفة للرأى لا للمصباح ، والحق منفة واحسان الى المهتدى

به لا الى الهادى اليه .

(١) العرب وأوروبا : ص ١٢٥

وما من آفة تهدر العقول البشرية كما يهدرها التعصب الذميمة
الذي يفرض على أذهان أصحابه وسراؤهم ما هو أسوأ من العمى لدى
البصر ، ومن الصمم لدى السمع . لأن الأعمى قد يبقى بعد فقدان
البصر انسانا ، والأصم قد يبقى بعد فقدان السمع انسانا . . . أما من
اختلف موازين عقله أو موازين وجدانه ، حتى ما يميز الخبيث من
الطيب ، فذلك ليس بانسان ، بالمعنى المقصود من كلمة انسان « (١) » .

وحين نفتش أسفار الكتاب المقدس ، نجد أن هذا الذي طلع به
أبناء الصحراء على العالم ، إنما كان تحقيقا لنبوءة هتف بها اشعيا
النبي في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد - وخاصة في الاصحاح الثاني
والأربعين من السفر الذي يحمل اسمه ، فقال في النبي العربي وقومه
وتابعيه :

١ - يشتهر هذا النبي المنتظر بلقب : عبد الله ورسوله : « هوذا عبدى
الذي أعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى . وضعت روحى عليه
فيخرج الحق للأمم » .

وقد اشتهر محمد نبي الاسلام بأنه : عبد الله ورسوله ،
فتلك بداية الاسلام لكل مؤمن ، يعرفها الصغير قبل الكبير ،
ويرددها المسلم كل يوم في صلاته المكتوبة تسع مرات على الأقل حين
يقرأ التشهد ، اضافة لما يقوله في صلواته الأخرى من السنن والنوافل .
والحق يقول في القرآن :

﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب وإليه يرجع له عوجا ﴾
(الكهف : ١)

﴿ وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة
من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ﴾
(البقرة : ٢٣)

(١) محمد الرسالة والرسول : ص ٢٥

ومما يندى له الجبين خزيا وأسى ، تلك المقولات الكاذبة التي ظلت
تردها الكنيسة طوال القرون الوسطى ، ولا يزال صدها يتردد الى
الآن ، وهو أن المسلمين يعبدون محمدا . . . أى جهل أحقق من هذا ؟!
لكنه التزوير المتعمد ، وطمس الحقائق عن عيون التسحوب ، حتى
لا يفيقوا ذات يوم ويميزون الخبيث من الطيب .

يقول جوزيف رينو عن جهل الفكر الأوروبي والخرافات التي امتلأت
بها عقول الأوروبيين ، في القرون الوسطى ، عن الاسلام والمسلمين :

« ان الكتاب المسيحيين في العصور الوسطى كانوا يطلقون على
جميع فئات الغزاة المسلمين اسم : الوثنيين . وهذه عقيدة أبعد عن
الوثنية من الاسلام الذي حطم الأصنام .

والواقع ان الاسلام ينادى بعباده اله واحد لا شريك له ، خالق
السموات والأرض . ولشدة استفظاع الاسلام للوثنية ، فانه يمنع تصوير
كل ما هو حي . .

وقد زعم كاتب التاريخ المنسوب الى رئيس اساقفة تورين ،
أنه يوجد في الأندلس على شاطئ البحر ، فوق عمود شديد الارتفاع ،
صنم من البرونز صنعه محمد بنفسه ، ويعبده المسلمون !

كذلك ادعى فيلومين في تاريخه القصصى حول غزوة شارلمان
لمقاطعة لانجدوك ، أنه كان يوجد تمثال لمحمد مصنوع من فضة
مذهبة في مدينة اربونة ، وضع في معبد أثناء احتلال المسلمين لهذه
المدينة . .

وقد جاء في القصيدة الفرنسية التي تروى أعمال البطولة التي قام
بها رولان ، أن سكان سرقسطة المسلمين وقع اختيارهم على مغارة
لتكون معبد آلهتهم ، وأنهم نصبوا في هذه المغارة تمثالا من الذهب

في يده صولجان وعلى رأسه تاج • وادعى الكاتب أن المسلمين يجتمعون في هذه المغارة حينما يريدون أن يطلبوا رضا الله •

واسم تيرفاجنت الذي يحرف أحيانا الى تيرماجنت ، يتردد كثيرا! مع اسم أبولين ، في الروايات الخيالية الفرنسية القديمة وفي غيرها من كتب الأدب • وهذه الأسماء يدعى أنها آلهة اسلامية • وهذه الادعاءات والمزاعم تكثر ، خصوصا ، في مسرحية سانت نيكولاس التي تحتوى على تمثال نصفي متوج أطلق عليه اسم محمد •

فيالسخرية القدر ، والجهل الأعمى بالاسلام ! فان هؤلاء الكتاب والأدباء يجهلون أنه عندما فتح محمود الغزنوي الهند في سنة ١٠٢٥ م (٤١٦ هـ) ، حطم جميع أصنام الهند الكثيرة فيما عدا صنم واحد عرض عليه السكان شراءه بوزنه ذهباً ، ورفض عرضهم مفضلا وضعه عند عتبة باب العاصمة الرئيسي ، لكي يدوس عليه ويصق عليه كل داخل الى العاصمة وكل خارج منها •

ما هو السبب الذي دفع آباءنا الى هذا الوهم والخطأ ، يا ترى ؟

ذهب بعض العلماء الى أن النورمانديين وغيرهم من الشعوب الوثنية ، كانوا ضمن الشعوب التي كان يشملها اسم : سارازين ، وبالتالي ، فان موطن أسماء مثل : تيرفاجنت وأبولين وغيرها هي البلاد الشمالية ، الذين كانوا يعبدون الأوثان •

وهكذا خلط العامة بين المسلمين وهذه الشعوب بصورة مخجلة» (١).

*

ولنكمل الآن ، استعراض نبوءة أشعياء ، فنجدها تقول :

٢ - **يسود الدين وتكتمل الشريعة التي جاء بها في عهده لا من بعده: (لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته) • ولقد وعد الله نبي الاسلام أن يتم الأمر الذي جاء به ، فقال :**

(١) الفتوحات الاسلامية في فرنسا : ص ٢٢١ - ٢٢٣

﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره
ولو كره الكافرون ﴾ (التوبة : ٣٢) •

ولقد أكمل الله الدين في حياة النبي حتى إذا توفاه الله
ترك الأمة الإسلامية على المحجة البيضاء ليلاً كنهارها • لقد
أكمل الدين ونزل القرآن يقول :

﴿ اليوم يسئ الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم
أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً •
(المائدة : ٣)

•

٣ - يعصمه الله من الناس حتى يكمل رسالته فتنتهى حياته بالموت
الطبيعى الذى هو نهاية كل مخلوق حى ، فلا يموت قتلاً : « انا الرب
قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك واحفظك وأجعلك عهداً للشعب
ونورا للأمم » •

ولقد طمأن الله نبي الإسلام ألا يلتفت الى مؤامرات الكائدين له ،
فالله عاصمه من الناس حتى يبلغ الأمر غايته • ولقد نزل القرآن ليعلن
هذا التحدى على رؤوس الأشهاد :

﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم
تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس •
(المائدة : ٦٧)

٤ - ينتسب النبي الى اسماعيل بن ابراهيم : « لترفع البرية ومدنها
صوتها ، الديار التى سكنها قيثار » • وقيثار هذا هو الابن الثانى
لاسماعيل (تكوين ٢٥ : ١٣) •

•

٥ - الشعب الذى ظهر فيه عبدة أوثان ، أصحاب اصنام : « يخزى
خزياً المتكلمون على المنحوتات القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا » •

٦ - رجل حروب مقدم ينتصر على أعدائه : « الرب كالجبار يخرج • كرجل حروب ينهض غيرته • يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه » •

ولقد سجل القرآن المعارك الكبرى في الاسلام وكان النبي هو القائد والمخطط والمحارب حين البأس :

﴿واذ غدوت من اهلك تبوء المؤمنون مآعدا للقتال ، والله سميع عليم﴾ (آل عمران : ١٢١) •

﴿ فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك ، وحرص المؤمنون ، عسى الله ان يكف باس الذين كفروا ، والله اشد باسا واشد تنكيلا ﴾ (النساء : ٨٤)

ان هذا امر اختص به اولوا العزم من الأنبياء والمجاهدين • ولقد كان ذلك امر موسى بعد أن خرج بيني اسرائيل من مصر ، وانهت مرحلة في جهاده وبدأت مرحلة أخرى ، فأنداك « كلم الرب موسى في بركة سيناء •• في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلًا : احصوا كل جماعة بني اسرائيل •• من ابن عشرين سنة فصاعدا ، كل خارج للحرب في اسرائيل ، تحسبهم أنت وهارون حسب أجنادهم ويكون معكما رجل لكل سبط ، هو رأس لبيت آبائه » •

وجدير بالذكر أن رجل الحرب من الأسماء الحسنی التي تسبها التوراة لله • فقد قال موسى وبنو اسرائيل في تسبيحة لله شكرا بعد نجاتهم من مطاردة فرعون وجنوده ، وغرق الأخيرين :

« هذا الهی فأمجده •• الرب رجل الحرب • الرب اسمه - خروج ١٥ : ٢ - ٣ » •



٧ - في مناسك دينه هتاف من رؤوس الجبال وتسبيح وتكبير :
« من رؤوس الجبال ليهتفوا ، ليعطوا للرب مجدا ويخبروا بتسبيحه
في الجزائر » .

لقد بنى الاسلام على خمسة أعمدة خامسها الحج ، وفيه يعقد
أكبر مؤتمر ديني عالمي سنويا بجبل عرفات ، وقد جعلت
الوقفة بهذا الجبل ركن الحج الركين ، اذ قال نبي الاسلام :
« الحج عرفة » . فهناك يهتف الحجاج لله فوق جبال عرفات ويسبحون
ويكبرون ويهللون ويتضرعون بالدعوات وصالح العبادات ، وما أعظمه
من نسك .

وفي الحج - يتجرد الانسان عن زخرف الحياة ومتعها ، اذ يحرم
عليه ممارسة بعض ما اعتاده في حياته الزوجية الصالحة مثل العلاقة
الجنسية ، والتحلى بأفخر الثياب ، وعوامل الصخب والاثارة .

هناك يواجه الانسان الحقيقة بين يدي خالقه فيأتي هذه التجربة
العظيمة طوعا في الدنيا قبل أن يأتيها كرها في الآخرة ، فآنذاك لا ينفع
الندم ولا تجدى الحسرات .

﴿ الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال في الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير
الزاد التقوى ، واتقون يا اولى الالباب . ليس عليكم جناح ان تبتغوا
فضلا من ربكم ، فاذا افضتكم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ،
واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ﴾
(البقرة : ١٩٧ ، ١٩٨)

*

٨ - الشعب الذي ظهر فيه كان متخلفا ضعيفا طعمة لكل آكل :
« شعب منهوب ومسلوب ، وقد اصطيد في الحفر كله وفي بيوت الحبوس
اختبأوا . صاروا نهبا ، ولا منقذ . وسلبا ، وليس يقول رد » .

ويقول القرآن : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ، وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ﴾ (الجمعة : ٢ - ٤) .



٩ - ولكن بعد أن جاءهم النبي برسالة الله خرجوا من الظلمات الى النور : « لتفتح عيون العمى ، لتخرج من الحبس المأسورين ، من بيت السجن الجالسين في الظلمة .

أسير العمى في طريق لم يعرفوها . في مسالك لم يدروها أمشيهم .
أجسل الظلمة أمامهم نورا والمعوجات مستقيمة . هذه الأمور أفعالها ولا أتركهم » .

ويقول القرآن : ﴿ آلر ، كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ﴾ (ابراهيم : ١) .

﴿ فاتقوا الله يا اولى الألباب الذين آمنوا ، قد أنزل الله اليكم ذكرا . رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ﴾ (الطلاق : ١٠ - ١١) .

ان تجربة الاسلام في عرب الجزيرة العربية نموذج فريد في التاريخ . وأذكر في هذا المقام مقالة للمؤرخ الانجليزى ارنولد توينبى قال فيها :
لكى ندرك ما فعله الاسلام بالعرب - بمقاييس العصر - تتصور دولة في حجم كوبا تظهر فجأة ، ثم تستولى على نصف الولايات المتحدة الأمريكية وتخضع لها روسيا بأكملها .

ومن الواضح أن توينبى ضرب المثل بهاتين الدولتين الكبيرتين باعتبارهما القوتين الأعظم في النصف الثانى من القرن العشرين ،

وينظرهما في القرن السابع الميلادي : الامبراطورية الرومانية ،
والامبراطورية الفارسية على الترتيب •



١٠ - هو نبي البر الذي يعظم شريعة الله : ((الرب قد سر من أجل
بره ، يعظم الشريعة ويكرمها)) •

ان بر نبي الاسلام ورحمته بالناس جميعا أمر يشهد
به الجميع حتى من غير المسلمين ، ومنهم عتاة تطاولوا على
الاسلام ونبيه • ولقد حدث أن مرت جنازة يهودى فوق النبي ﷺ
نكريها للأخوة الانسانية ، فاذا ببعض الصحابة يقول له : انها ليهودى -
وقد علم ما أصاب النبي والمسلمين من أذى على يد اليهود
تمثل في مؤمرات وفتن وحرب نفسية وحروب دموية - فأمسك
عليه النبي اعتراضه قائلاً : اليسنت نفسا ؟ ! وصدق الله :
﴿ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) •



ولنراجع الآن نبوءة أشعيا هذه ، فنجدها تتعلق بثلاثة عناصر
رئيسية هي : النبي المنتظر ، والتسعب الذي ظهر فيه ، والدين الذي
جاء به • فلهذا النبي شريعة تنتظرها الجزائر ، وهذا بالتأكيد يعنى
شريعة جديدة غير شريعة موسى • بل ان هذا ما تنبأ به أشعيا في موضع
آخر من سفره ، اذ يقول وحى الرب على لسانه :
((شريعة من عندى تخرج ، وحقى أثبتته نورا للشعوب • •
اياى ترجوا الجزائر ، وتنتظر ذراعى - اشعيا ٥١ : ٤ - ٥ » •

واذا جمعنا الأوصاف العامة والملامح الرئيسية لكل عنصر من
عناصر نبوءة اشعيا ، وقرأناها معا لجاءت كالاتى :

عن النبي المنتظر :

يشتهر بلقب عبد الله ورسوله - وينتسب الى اسماعيل بن ابراهيم -

ويعصمه الله من الناس حتى يكمل رسالته ، فتنتهى حياته بالموت الطبيعى الذى هو نهاية كل مخلوق حى ، فلا يموت قتلا - وهو رجل حرب مقدم ، ينتصر على أعدائه - ثم هو نبي البر الذى يعظم شريعة الله فى كل صورها .

*

... وعن الشعب الذى ظهر فيه :

عبده أصنام ، وأصحاب أوثان - وكانوا شعبا متخلفا ضعيفا ، طعمة لكل آكل - ولكن بعد أن جاءهم النبي برسالة الله خرجوا من الظلمات الى النور .

*

... وعن الدين الذى جاء به :

يسود الدين ، وتكتمل الشريعة التى جاء بها ، فى عهده لا من بعده - وهو دين من مناسكه : هتاف من رؤوس الجبال وتسبيح وتكبير . وهذا ما يحدث فى الحج الى بيت الله الحرام بمكة كل عام .

*

وإذا استعرضنا خصائص الأنبياء منذ نطق اشعيا بهذه النبوءة فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ، حتى مطلع القرن السابع بعد الميلاد ، وما وجدناها تنطبق تماما. الا على محمد رسول الله .

*

من أجل ذلك سار أبناء اسماعيل - بعد نبوة أكرم سلالته محمد بن عبد الله - هم والذين ﴿ آمنوا به وعزروه ونصروه وانبعوا النور الذى أنزل معه ﴾ (١) ، يعلنون دين الله الى العالم كله : شرقا حتى الصين ، وغربا حتى الأطلسى ، وشمالا حتى أوروبا . وصدقت فيهم نبوءة اشعيا حرفيا ، اذ يقول الرب :

(١) الاعراف : ١٥٧

(أسير العمى في طريق لم يعرفوها • في مسالك لم يدزوها أمشيهم •
أجعل الظلمة أمامهم نوراً ، والمعوجات مستقيمة • هذه الأمور
أفعلها ، ولا أتركهم) •

لقد كان هذا ما نطقت به أسفار العهد القديم ، وحسب المعتقدات
المسيحية : (لا بد ان يتم جميع ما هو مكتوب) ، (ويتم ما قيل باشعيا النبي) •

فلا بد ، اذن ، أن تتحقق كل التنبؤات •



ونختم الحديث عن الفتوحات الاسلامية وأثرها في تحرير شعوب ،
واقامة حضارات ، باطلالة لمؤرخ مصرى معاصر هو الدكتور عبد العظيم
رمضان يعرض فيها رؤيته لحركة التاريخ وحكمتها وانعكاساتها ،
خلال فترات مختلفة ، فيقول :

« من المفارقات التاريخية ان الغزو الذى تعرضت له بعض الامم
قد خدمها باكثر مما كان ان يخدمها تفادى الغزو ! والعكس بالعكس ،
فان كثيرا من الأمم قد خسرت بسبب تفادى الغزو ما لم تكن لتخسره
لو تعرضت له •

وعلى سبيل المثال : فان نجاح القبائل الجرمانية فى العصور
القديمة فى ابادة ثلاث فرق رومانية وتحرير بلادها من الحكم الرومانى
فى عام ٩ قبل الميلاد ، لم يكن فى مصلحة ألمانيا ! فقد قررت روما
التخلى عن خطة جعل حدود الامبراطورية عند نهر الب ، وجعلتها عند
نهر الراين الذى أصبح فاصلا بين الأراضى الفرنسية والأراضى
الألمانية ، وبذلك حرمت ألمانيا من التمتع بالحضارة الرومانية والطرق
الرومانية الشهيرة ، واستسلمت للبربرية قرونا عديدة !

وعلى العكس من ذلك ، فان دخول الجيوش المصرية اليمن ،

وتعزيزها الثوار ضد حكم الامامة الرجعي الفاسد ، قد نقل اليمينيين من العصور الوسطى الى العصر الحديث • ولو نجحت القبائل اليمينية في اخماد الثورة ، وأعادت حكم الامامة ، لاستسلمت للتخلف كما استسلمت القبائل الجرمانية تماما ، لعدد لا يعرف من عقود السنين !

وهذا ينطبق على مصر أيضا ، فلو أنها نجحت في ابادة الحملة الفرنسية بقيادة الجنرال بوناپرت على مصر ، لكانت كارثة كبرى - ليس على الحملة الفرنسية وانما على مصر ! فبالنسبة للحملة الفرنسية ذاتها ، فلم تمكث في مصر أكثر من ثلاث سنوات ، ولكنها - بالنسبة لمصر - أنهت العزلة الطويلة التي عاشتها بعيدة عن الغرب ، والتي أبعدها عن الحضارة الغربية الحديثة •

وقد كان دخول آلة الطباعة مع الحملة الفرنسية لأول مرة ، هو رمز انتهاء تلك العزلة • فحتى وصول الفرنسيين الى الاسكندرية ، لم يكن قد طبع في مصر سطر واحد ، وبالتالي لم تكن قد عرفت بعد الصحافة ، ولم تكن قد عرفت المطبوعات في مجال العلوم والفنون والآداب ، وبالتالي أيضا لم تكن قد أطلت بعد على الحضارة الغربية ، واتتهلت من مواردها ، ولكن هذا انتهى مع مجيء الحملة الفرنسية •

وفي الوقت نفسه لم تكن مصر قد عرفت بعد كنوزها القديمة وآثارها الفرعونية ، فلم تكن تعرف من قيمة لتلك الأحجار المنقوش عليها الكتابات المصرية القديمة أية فائدة أو قيمة - اللهم الا فيما عدا احتمال استخدام أصلها للبناء ! كما لم تكن تعرف أية فائدة أو قيمة للفائف البردي أو صناديق المومياءات • وكانت جميع النقوش والكتابات الهيروغليفية بالنسبة لها طلاس ومعميات ، لا تعنى نفسها بمحاولة فهمها ، وبالتالي لم يكن المصريون حتى ذلك الحين يعرفون شيئا عن تاريخ مصر القديمة ودياتها وعاداتها وتقاليدها •

ولكن هذا كله عرفته مصر على يد الحملة الفرنسية ، بفضل

(لجنة العلوم والفنون) التي جلبها برنابرت معه من فرنسا ، والتي ضمت ١٦٥ عالما من علماء الهندسة ومساحة الأراضي ورسم الخرائط وفن المعمار والنبات والحيوان والطب والصيدلة والكيمياء والمعادن ، فضلا عن علماء الرياضة وعلم طبقات الأرض والكتاب والموسيقين • ومن هذه اللجنة تكون (المجمع المصري) الذي قسم نفسه الى أربعة أقسام : قسم الرياضيات ، وقسم الطبيعيات ، وقسم الاقتصاد السياسي ، وقسم الآداب والفنون •

وكان ثمرة الجهد الهائل الذي بذله علماء هذا المجمع المصري خلال فترة الاحتلال ، هو أعظم كتاب صدر عن مصر في العصر الحديث كله ، وهو كتاب (وصف مصر) الذي ترجم عدة أجزاء منه المرحوم زهير الشايب • وقد صدر في ٢٣ مجلدا ، احتوت المجلدات التسع الأولى منه على النصوص ، بينما احتوت المجلدات الأربعة عشر الباقية على الرسوم • وقد طبع في تسعة عشر عاما - أي (من ١٨٠٩ الى ١٨٢٨ م) •

وبطبيعة الحال فلست أقصد من هذا الكلام جث الشعوب على الترحيب بالغزاة الأكثر تحضرا ، وإنما انا فقط انبه الى هذه المفارقة ، لأن ما مضى قد مضى ، وعلى الشعوب ان تستلهم ضميرها القومي وكرامتها الوطنية وهي تقاوم كل معتد وغاز (١) •
نعم ... على الشعوب التي تتعرض لغزو ، أن تقاومه في سبيل حريتها •

وقد تكون المقاومة بالسلاح والدماء ، أو قد تنهج مسالك أخرى مثل الاستفادة من توازن القوى المؤثرة في الصراع الدائر في منطقتها ، وغير ذلك من الأساليب التي يحفل بها تاريخ الدول والشعوب •

(١) مجلة أكتوبر القاهرية - العدد ٦٤٢ - الأحد ١٢ فبراير ١٩٨٩

وقد تكفى شرارة الغزو ، واحتكاك النظم والحضارات المختلفة ،
في ايقاظ الأمم والشعوب ، وتبادل المعارف والخبرات •

* *

﴿ يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير ﴾
(الحجرات : ١٣)

* * *

هذا التلوث الجنسى

يعرف التلوث ، فى أبسط صورة ، بأنه افساد النقاء وتلطيف الطبيعة الأولى لشيء ما بأوساخ دخيلة عليه .

والجنس غريزة فطرية ، أودعها الله فى الانسان - كما فى غيره من الكائنات الحية الأخرى - كوسيلة أولى لحفظ النوع ، وبالتالي ضمان استمرارية الحياة على كوكب الأرض .

وهى ترتبط فى صورتها المكشوفة لجميع المخلوقات ، بالأعضاء الجنسية لكل من الزوجين : الذكر والأثى ، ويعرفها كل مخلوق جيداً دونما حاجة الى تعليم أو ارشاد من آخرين .

فلم يحدث ، مثلاً ، أن شوهد حمار يعلم وليده الذكر كيف يمارس الجنس مع الفه من اناث الحمير ... ومع ذلك فالحمير تمارس الجنس فى سهولة ويسر ، تندفع اليه بغريزتها ، وتعرف ماذا تفعل ، فستمتع به وتحافظ على نوعها مثل بقية المخلوقات .

والجنس غريزة قوية ، لا يحتاج الحديث عن قوتها الى برهان ... وازاء الكبت الذى فرضته الكنيسة على رجالها ، لم يكن هناك من متنفس سوى صراع موجه ، وأناث يائسة ، كما فعل لوثر حين قال : (كم هو شيء مرعب وأحمق تلك الخطيئة ان الشهوة هى الشيء الوحيد الذى لا يمكن شفاؤه باى دواء ، حتى ولو كان بالزواج الذى رسم لنا خصيصاً من أجل هذه النقيصة التى تكمن فى طبيعتنا) .

والذين لم ينفعمهم الصراخ شيئاً . فى تخفيف ما يسببه لهم الجنس من عذاب وآلام ، كانت لهم ممارسات أخرى معروفة ... ان هذا يعنى بدهاءة أن غريزة الجنس فى الانسان ليست فى حاجة الى استشارة .

ووسائل الاثارة معروفة أيسرها الكلمة ، وهي أكثرها شيوعا ، ثم الصوت ، والصورة ، والمجسم الميت ، كالتمثال ونحوه ، ثم الجسد الحي ، حيث العرى والتجرد من كل ستر أو حياء . وهنا تهبط غريزة الجنس بالانسان الى ما دون الحيوان ، فيرتكب في سبيل اشباعها - دون جدوى - جرائم لا تحصى ، مثل القتل والسرقة والاعتصاب والجاسوسية وتعاطى المخدرات ... الخ .

ومن هنا كان خطر الاثارة رهيبا ، وكانت آثارها مدمرة للأفراد والشعوب على السواء . وان سجلات التاريخ ، وواقع حياتنا اليومية خير شاهد على ذلك .



الجنس ، اذن ، مطلب فطرى ، فرضه وجود الزوجين : الذكر والأنثى ، ليعمل وفق الناموس الطبيعى للمخلوقات ...
والجنس مطلب شرعى ، أوصى الله به ، وفق الناموس الالهى الذى شرع الزواج وباركه ...

ومن ثم ، كان التلوث الجنسى هو كل ممارسة لغريزة الجنس خارج الناموس الالهى الطبيعى الذى شرع الزواج بين الذكر والأنثى . ويتضمن ذلك ، بطبيعة الحال ، كل قول او فعل من شأنه ان يفضى الى مثل تلك الممارسة الجنسية الآثمة ، قياسا على ما تعارف عليه البشر في تشريعاتهم من اعتبار التحريض ركنا من أركان الجريمة .

ولما كانت الوقاية خيرا من العلاج ، كان من اللازم تجنب الاثارة الجنسية وعواقبها ، وذلك بالتعامل مع الجنس بلطف ، ومعالجة قضاياها بوعى وتبصر .

ويقتضى ذلك عدم اشاعة الفضائح والفواحش بين الناس ، ومس

موضوعات الجنس مسا خفيفا ، واستخدام الفاظ وتعابير لا فحش
فيها ، تهديبا للعواطف وارتقاء بالفرائض .

* *

● وقائع جنسية :

يحفل الكتاب المقدس بذكر كثير من الممارسات الجنسية الآثمة ،
والتي يقع أغلبها في بيوت الأنبياء ، رجال الله المختارين ! ولقد رأينا
شيئا من ذلك سلفا حين تحدثنا عن نساء الأنبياء ، أما الآن فنكتفي
بعرض خلاصة اجمالية مع شيء من الاضافات .

*

١ - لوط زنى بابنتيه ، وأنجب منهما ولدين : (الأول : موآب ،
وهو أبو الموابيين . والثاني : بن عمى ، وهو أبو بني عمون)
(تكوين ١٩) .

ومن الموابيين جاءت (راعوث الموابية) التي كانت جدة كبرى
لداود (راعوث ١ ، ٤) .
ومن داود جاء يوسف النجار ، رجل مريم (متى ١ : ٦ ، ١٩ ،
لوقا ٣ : ٣١) .

وقد سمي الانجيل يسوع : ابن يوسف فقال : « ولما ابتداء
يسوع كان له نحو ثلاثين سنة ، وهو على ما كان يظن : ابن يوسف
ابن هالي ٠٠٠ - لوقا ٣ : ٢٣ » .

وقد دعت مريم يوسف رجلها : أبا ، لابنها يسوع . . فقد كان
« أبواه (مريم ويوسف) يذهبان كل سنة الى اورشليم في عيد
الفصح . ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا الى اورشليم كمسادة
العيد : وبعد ما أكملوا الأيام بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في
اورشليم ، ويوسف وأمه لم يعلما . . وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل

جالسا وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم .. وقالت له أمه : يا بني ، لماذا فعلت بنا هكذا • هو ذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذيين - لوقا ٢ : ٤١ - ٤٨ » •

وهكذا ، جاء التناول الأول لنسب المسيح الطاهر النقي الذي قال القرآن في أمه العفيفة البتول :

﴿ واذا قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ (آل عمران : ٤٢) •

ومن المفارقات أن بولس لم يذكر اسم مريم أم المسيح ، ولو مرة واحدة ، في رسائله الكثيرة والطويلة • وكان كل ما قاله في هذا الصدد ، أن المسيح جاء « مولودا من امرأة ، مولودا تحت الناموس - غلاطية ٤ : ٤ » •

*

٢ - ابن عمدة شكيم (نابلس) يغتصب دينه ابنة يعقوب • فقد « أخذها ، واضطجع معها ، وأذلها • وتعلقت نفسه بدينه ابنة يعقوب ، وأحب الفتاة ، ولاطف الفتاة - تكوين ٣٤ : ٢ - ٣ » •

*

٣ - راويين ، الابن البكر ليعقوب ، بزنى باحدى نساء أبيه • (تكوين ٣٥ : ٢) •

*

٤ - يهوذا ، ابن يعقوب ، يزنى بثامار ، كنته التي كانت زوجة بالتوالي لولديه المتوفين • (تكوين ٣٨) • وقد ولدت ثامار ثمرة هذا الزنا ، توأمين : الأول : اسمه فارص ، والثاني : اسمه زارح •

وقد تكرر التأكيد على هذه الفجيرة الآثمة في نسب المسيح الذي ذكرته الأناجيل ، حيث كان فارص أحد أجداده القدامى •

« ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار . وفارص ولد حصرون . . . »
متى ١ : ٣ ، لوقا ٣ : ٣٣ »

وهكذا ، جاء التلوث الثاني لنسب المسيح الطاهر النقى . . .

✱

٥ - جاسوسا يشوع بن نون ، خليفة موسى في بني اسرائيل ،
يستخدمان راحاب الزانية لانجاح مهمتهما في تجسس أرض فلسطين .
(يشوع ٢)

وقد كافأها يشوع باستثنائها وبيتها من الذبح والتدمير ، بعد
فتح المدينة ، فقال :

« راحاب الزانية فقط تحيا هي وكل من معها في البيت ،
لأنها قد خبات المرسلين ! للذين أرسلناهما - يشوع ٦ : ١٧ »

« واستحيا يشوع راحاب الزانية وبيت ابيها وكل ما لها -
يشوع ٦ : ٢٥ »

وقد جاء ذكر راحاب الزانية في سلسلة نسب المسيح ، فقال
الانجيل :

« وسلمون ولد بوغز من راحاب . وبوغز ولد عوييد من راعوث -
متى ١ : ٥ »

وهكذا ، جاء التلوث الثالث لنسب المسيح الطاهر النقى . . .

✱

٦ - ومن قصة اسرائيل ، « كان يفتاح الجلعادي ، جبار بأس ،
وهو ابن امرأة زانية . . وكان روح الرب على يفتاح قضاة ١١ : ١ ، ٢٩ »

✱

٧ - ومن قصة اسرائيل ، كان شمشون الذي « باركه الرب .
وابتدا روح الرب يحركه . . فحل عليه روح الرب . . تم ذهب شمشون

من غرة ورأى هناك امرأة زانية فدخل إليها - قضاة ١٣ : ٢٤ - ٢٥ ،

• ١٤ : ١٦ ، ٦ : ١ «

✱

٨ - داود زنى بامرأة أوريا الحثي ، احد جنوده ، ثم تأمر عليه

وفتله • وبعد موته تزوج امراته بثشبع وانجب منها سليمان •
(صموئيل الثاني ١١)

وقد جاء ذكر امرأة أوريا هذه في سلسلة نسب المسيح، فقال الانجيل:
(داود الملك ولد سليمان من التي لأوريا ، وسليمان ولد
رجعام - متى ١ : ٦ - ٧ «

وهكذا جاء التلوث الرابع لنسب المسيح الطاهر النقي ...

✱

٩ - امنون بن داود يفتصب اخته تامار (صموئيل الثاني ١٣)

✱

١٠ - ابشالوم بن داود يزنى بسراري ابيه العشر •
(صموئيل الثاني ١٦)

✱

١١ - اشعيا سير عاريا ثلاث سنين بين شعب إسرائيل
(اشعيا ٢٠ : ٢)

✱

١٢ - هوشع يتزوج زانيتين وينجب منهما ذرية •
(هوشع ١ : ٢ - ٣ ، ٣ : ١ - ٢)

✱ ✱

● أساليب القصص الجنسي :

حرص مؤلفو الكتاب المقدس على تنويع أساليب القصص الجنسي
الذي يطفح به •

١ - فهناك التشبيب بالمرأة ، والغزل في جسدها ، واحاديث التلاقى

بين العاشقين الذين لعبت الخمر برؤوسهم •

يقول سفر نشيد الانشاد :

« في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي . طلبته فما وجدته .
انى أقوم وأطوف في المدينة .. حتى وجدت من تحبه نفسي ،
فامسكته ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمي وحجرة من حبلت بي ..
ها أنت جميلة يا حبيبتى ، ها أنت جميلة . عيناك حمامتان من
تحت قبابك .. شفطاك كسلطة من القرمز . وفمك حلوى . خدك
كفلقة رمانة .. عنقك كبرج داود .. ثدياك كخشفتي ظبية توأمين ..
كلك جميل يا حبيبتى ، ليس فيك عيب ..
كلوا أيها الأصحاب ، اشربوا واسكروا أيها الأحياء ..
قد خلعت ثوبي ، فكيف ألبسه ..
حبيبي مد يده من الكوة ، فأنت عليه أحشائي ..
طلبته فما وجدته ، دعوته فما أجابني . وجدني الحرس الطائف
في المدينة . ضربوني ، جرحوني . حفظة الأسوار رفعوا أزارى عنى ..
ما أجمل رجلك .. دوائر فخذيك مثل الحلوى .. سر ..
كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج . بطنك صبرة حنطة مسيجة
بالسوسن ..
ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة بالذات ، قامتك هذه
شبيهة بالنخلة ، وThدياك بالعناقيد . قلت انى اصعد الى النخلة
وامسك بعذوقها . وتكون ثدياك كعناقيد الكرم .. وحنك كاجود
الخمر السائفة المرققة السائفة على شفاه النائمين .
انا لحبيبي ، والى اشتياقه . تعال يا حبيبي لنخرج الى الحقل
ولنبت في القرى . هنالك أعطيك حبي . اللقاح (نبات مخدر)
يفوح رائحة وعند أبوابنا النفاس من جديدة وقديمة ، ذخرتها لك
يا حبيبي .
ليتك كاخ لي ، الراضع ندى أمي ، فأجده في الخارج وأقبلك
ولا يخزونني . وأقودك وأدخل بك بيت أمي ، وهى تعلمنى ، فأسقيك من
الخمر المزوجة من سلاف رمانى .
شماله تحت رأسى ، ويمينه تعانقنى ..

اجعلنى كخاتم على قلبك ، كخاتم على ساعدك • لان المحبة قوية
كالموت • الغيرة قاسية كالهواية • لهيبها لهيب نار لظى الرب •
مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة ••
أنا سور ، وئدياي كبرجين • حينئذ كنت فى عينيه كواجدة
سلامة » •

ان هذا النشيد الذى يرجع تاريخ تأليفه الى أكثر من ألفى عام
لم يترك شيئاً للأجيال اللاحقة التى تهوى هذا النوع من الغزل الجنىسى
المفصوح • فهو لا شك مصدر الهام لمن قرأوه وسلكوا هذا السبيل •

•

٢ - وهناك تعليم لأصول الجنس فى صورته المتبدلة حين تمارسه
موسى هاوية •

فمن المعلوم أن أنبياء الله ، مثل : (هوشع وارميا وحزقيال ، قد
شبهوا علاقة الشعب الاسرائيلى مع الهة بعلاقات الزوجة بزوجها) !
وبعد أن انقسمت مملكة سليمان ، عقب موته ، الى مملكتين ،
سميت مملكة السامرة ، فى الشمال ، باسم : الزانية أهولة ، وسميت
مملكة اورشليم ، فى الجنوب ، باسم : الزانية أهولبية • ولقد تردت
المملكتان فى طريق الكفر والوثنية والانحلال ، فجاءهما التبكيت والنذير
على لسان الأنبياء فى صور جنسية يخجل منها كل من عنده بقية
من حياء !

يقول حزقيال : « كانت الى كلمة الرب قائلة : يا ابن آدم ! عرف
اورشليم برجاستها وقل •• كبرت وبلغت زينة الأزيان • نهديا
ونبت شعرك وقد كنت عريانة وعارية • فمررت بك ورأيتك ، واذا
زمن الحب • فبسطت ذيلى عليك ، وسترت عورتك ••
فاتكلت على جمالك وزنيت على اسمك ، وسكبت زناك على كل
عابر فكان له •• وصنعت لنفسك صور ذكور وزنيت بها ••
فى رأس كل طريق بنيت مرتفعتك ، ورجست جمالك ،

وهرجت رجليك لكل عابر ، وأكثرت زناك • وزنيت مع جيرانك بنى
مصر •• وزنيت مع بنى آشور ، اذ لم تشبى فزيت بهم ، ولم
تشبى أيضا ••

فعلت كل هذا فعل امرأة زانية سليطة •• ولم تكونى كزانية ، بل
محتقرة الأجرة •• لكل الزوانى يعطون هدية • أما انت فقد اعطيت كل
محبك هداياك ورشيتهم ليأتوك من كل جانب للزنا بك • وصار فيك
عكس عادة النساء فى زناك ، اذ لم يزن وراءك ، بل أنت تعطين أجرة
ولا أجرة تعطى لك ، فصرت بالعكس •

فلذلك يا زانية اسمى كلام الرب •• ها أنذا أجمع جميع محبيك
الذين لذت لهم •• واكشف عورتك لهم لينظروا كل عورتك -
الاصحاح ١٦ » •

ويقول حزقيال أيضا : « كان الى كلام الرب قائلا : يا بن آدم !
كان امرأتان ابنتا أم واحدة • وزنتا بمصر • فى صباهما زنتا •
هناك دغدغت ثديهما ، وهناك تزغزعت ترائب عذرتهما ••

واسماهما : السامرة أهولة ، وأورشليم أهولية • وزنت أهولة
من تحتى وعشقت محبيها آشور الأبطال •• شبان شهوة ••

ولم تترك زناها من مصر ، لأنهم ضاجعوها فى صباها ، وزغزغوا
ترايب عذرتها ، وسكبوا عليها زناهم • لذلك سلمتها ليد عشاقها ••

فلما رأت أختها أهولية ذلك ، أفسدت فى عشقها أكثر منها ••
عشقت بنى آشور •• كلهم شبان شهوة •• فأتاها بنو بابل فى مضجع
الحب ونجوها بزناهم •• وكشفت زناها وكشفت عورتها ••

عشقت معشوقهم ، الذين لحمهم كلحم الحمير ، ومنيهم كمنى
الخيول • وافتقدت رذيلة صباك بزغزغة المصريين ترائبك لأجل ثدى
صباك ••

هكذا قال السيد الرب : ها أنذا أهيج عليك عشاقك •• فيعاملونك

بالبغضاء . . . وتركوك عريانة وعارية ، فتتكشف عورة زناك ،
ورذيلتك وزناك - الاصحاح ٢٣ » .

*

٣ - وحين يكون هناك احتيال بين رجل وامرأة من اجل ممارسة
جنسية آثمة ، نجد تفصيلا للمحاورات والمراوغات ، التي تجر فكر القارئ
الى مستنقعات ملوثة لا داعي للخوض فيها . ففي قصة يوسف وامرأة
العزير بمصر ، يقول الكتاب المقدس : « وحدث بعد هذه الامور ان امرأة
سيده رفعت عينيها الى يوسف وقالت : اضطجع معي . فأبى وقال
لامرأة سيده هو ذا سيدي . . كل ما له قد دفعه الى . . ولم يمسك
عنى شيئا غيرك لانك امراته . فكيف اصنع هذا الشر العظيم واخطيء
الى الله .

وكان اذ كلمت يوسف يوما فيوما انه لم يسمع لها ان يضطجع
بجانبها ليكون معها .

ثم حدث نحو هذا الوقت انه دخل البيت ليعمل عمله ، ولم يكن
انسان من اهل البيت هناك في البيت . فأمسكته بثوبه قائلة : اضطجع معي .
فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج الى خارج . . . - تكوين
٣٩ : ٧ - ١٢ » .

ان كل ما ذكره القرآن العظيم في هذه الواقعة ، أن مسها بما قل
ودل من الفاظ منتقاة ، فكان حقا أبلغ الكلام على الاطلاق ، اذ قال :
« وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت
هيت لك ، قال معاذ الله » (يوسف : ٢٣) .

وفي قصة احتيال أمنون بن داود لممارسة الجنس مع أخته تامار ،
تعليم لكل جاهل بمثل تلك الموبقات .

يقول الكتاب المقدس : « وجرى بعد ذلك أنه كان لأبشالوم بن

داود أخت جميلة اسمها ثامار ، فأحبها أمنون بن داود • وأحصر أمنون
للسقم من أجل ثامار أخته ، لأنها كانت عذراء وعسر في عيني أمنون
ان يفعل لها شيئا !

وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بن شمعي أخى داود • وكان
يوناداب رجلا حكيما جدا • فقال له : لماذا يا ابن الملك أنت ضعيف
هكذا من صباح الى صباح ؟ أما تخبرني ؟ فقال له أمنون : انى أحب
ثامار •• فقال يوناداب : اضطجع على سريرك وتمارض • واذا جاء أبوك
ليراك فقل له : دع ثامار أختى فتأتى وتطعمنى خبزا ، وتعمل أمامى
الطعام لأرى فأكل من يدها •

فاضطجع أمنون وتمارض ، فجاء الملك ليراه • فقال أمنون للملك :
دع ثامار أختى فتأتى وتصنع أمامى كعكتين فأكل من يدها •
فأرسل داود الى ثامار •• فذهبت ثامار الى بيت أخيها أمنون
وهو مضطجع • وأخذت العجين وعجنت وعملت كعكا أمامه •• فأبى أن
يأكل •

وقال أمنون : أخرجوا كل انسان عنى • فخرج كل انسان عنه
ثم قال أمنون لثامار : ايتى بالطعام الى المخدع فأكل من يدك • فأخذت
ثامار الكعك الذى عملته وأتت به الى أمنون أخاها ، الى المخدع •
وقدمت له لياكل فأمسكها وقال لها : تعالى اضطجعى معى يا أختى •
فقلت له : يا أخى ، لا تذلتى لأنه لا يفعل هكذا فى اسرائيل ••
والآن كلم الملك لأنه لا يمنعنى منك • فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل
تمكن منها وقهرها واضطجع معها •

ثم أبغضها أمنون بغضة شديدة جدا ، حتى ان البغضة التى أبغضها
اياها كانت أشد من المحبة التى أحبها اياها • وقال لها : قومى انطلقى ••
بل دعا غلامه الذى كان يخدمه وقال : اطرده هذه عنى خارجا واقفل
الباب وراءها •• فأخرجها خادمه الى الخارج واقفل الباب -

صموئيل الثانى ١٣ : ١ - ١٨ » •

وهكذا يتعلم الناس الكثير والكثير •••

٤ - ثم هناك اصرار على التوسع في امور الجنس وذكر اعضائه

تصريحا أو تلميحاً في شتى الأمور والمناسبات .

فيعبر الكتاب المقدس عن حمل المرأة بأن الرب فتح رحمها ،

اذ يقول : «ورأى الرب أن ليثة مكروهة ففتح رحمها .. فحبلت ليثة

وولدت ابناً - تكوين ٢٩ : ٣١ - ٣٢ » *

ويقال للذكر البكر بأنه فاتح رحم :

« كلم الرب موسى قائلاً : قدس لى كل بكر فاتح رحم من بنى اسرائيل

ومن البهائم - خروج ١٣ : ١ - ١ » *

وحين يتحدث الكتاب المقدس عن عملية جنسية بين رجل وامرأة

يسميا اضطجاع زرع ، فيقول :

« المرأة التى يضطجع معها رجل اضطجاع زرع ، يستحمان بهاء

ويكونان نجسين الى المساء - لاويين ١٥ - ١٨ » *

لقد اکتفى القرآن العظيم باستخدام كلمة واحدة للعملية الجنسية

بين الرجل وامرأته ، تعبر عن المعنى المطلوب بكل لطف ، فكانت كلمة

المس :

﴿ قالت انى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم اك بغيا ﴾

(مريم : ٢٠)

﴿ وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة

فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفوا الذى بيده عقدة النكاح ﴾

(البقرة : ٢٣٧)

وحين يتحدث الكتاب المقدس عن انتقام الله من شعب اسرائيل نظير

كفره وتمرده ، يأتى من وسائل ذلك الانتقام كشف العورات ، ليعاينها

الناس ، ويكون وراء ذلك ما يكون !

« قال الرب: من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ، ويمشين
ممدودات الأعناق ، وغامزات بعيونهن ، وخاطرات في مشيبتهن
ويخشخن بأرجلهن • يصلح السيد هامة بنات صهيون ،
ويعرى الرب عورتهم - اشعيا ٣ : ١٦ - ١٧ » •

« فقال الرب : كما مشى عبدى اشعيا معرى •• هكذا يسوق ملك
أشور سبي مصر وجلاء كوش ، القتيان والشيوخ ، عراة وحفاة ،
ومكشوفى الأستاه - أشعيا ٢٠ : ٣ - ٤ » •

إن النظر الى عورة الغير ، دون سبب مشروع ، انما هو خطيئة ،
حتى لو كان هذا الغير من الأعداء • ويحكم هذا كله ، وأمثاله ، قاعدة
أصولية عامة قررها القرآن العظيم في قوله :

﴿ ان الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ ؟!
(الأعراف : ٢٨)

*

٥ - ثم هناك الشتائم الجنسية التي انتقلت الى العالم كله •••
فحين غضب شاول - مسيح الله • وأول ملك في اسرائيل - على
يوناثان ابنه ، فانه شتم أمه وعرض بعورتها فصارت مثل سوء في
العالمين ، يرددها المنحطون في كل زمان ومكان :

« حمى غضب شاول على يوناثان ، وقال له يا ابن المتعوجة المتمردة !
أما علمت أنك قد اخترت ابن يسي لخزيك وخزي عورة امك ؟! -
صموئيل الأول ٢٠ - ٣٠ » •

« تقدموا الى هنا ، يا بني الساحرة ، نسل الفاسق والزانية -
اشعيا ٥٧ : ٣ » •

وهكذا ، صارت شتمة : يا ابن الزانية ! على لسان السفلة ورعاع
الناس ، حتى تقلدوا أعلى المناصب ، وحصلوا على أرفع الألقاب •••

* *

● انزلاق الى الاباحية :

(من الثمر تعرف الشجرة) ، هكذا علم المسيح . . . وهكذا ضرب
الأمثال ، فلقد قال انجيل متى ، في موعظة الجبل : « هل يجتنون من
الشوك عنباً أو من الحسك تيناً - ٧ : ١٦ » .

وقد قبلها انجيل لوقا ، في موعظة السهل ، فقال : « انهم لا يجتنون
من الشوك تيناً ، ولا يقطفون من العليق عنباً - ٦ : ٤٤ » .

لقد كان لهذا التلوث الجنسي الذي استحوذ على أفكار أولئك
الذين عاشوا فيه بحكم انتمائهم العقائدي والتاريخي ، أن ينتج ثماراً
تنفق وبذورها المزروعة . ولذلك انطبعت عندهم الفنون والآداب ، التي
هي إحدى مفاخر الإبداع الإنساني ، بطابع الجنس الاباحي .

وتعرف الاباحية في مجتمع ما بأنها انتهاك فوضوي لنظمه ، ولقواعد
السلوك ، والقيم الأخلاقية التي تعارف عليها المجتمع ، وارتضى العيش
في ظلها .

كما أنها تعنى العمل : قولاً أو فعلاً أو باي صورة أخرى من صور
التعبير ، عما في مكنون الإنسان ، وفقاً لهواه الشخصي ،
ودون أدنى اعتبار للوجود الإنساني للآخرين وكرامتهم .
وما دام الأمر كذلك ، فلا عاصم من اختراع الأكاذيب ، واختلاق
الأوهام ، والاستغراق في كل خيال جامح وشاذ .

كذلك ، تعنى الاباحية ، بلغة الكتاب المقدس ، ما كان عليه الشعب
الاسرائيلي بعد موسى وخليفته يشوع ، حين انسلخ عما جاء في التوراة
من تشريع ونظام حياة ، وانطلق فوضوياً عابثاً ، يمارس الكفر والجنس
واللهو على هواه . لقد كان ذلك منذ أكثر من ثلاثين قرناً ، أي ٣٠٠٠
عام ، « ففي تلك الأيام ، لم يكن ملك في اسرائيل . كان كل واحد
يعمل ما يحسن في عينيه - سفر القضاة ١٧ : ٦ » .

فالإباحية ، في حقيقتها ، ردة الى الفوضى والتوحش الانساني ،
واهتدار لجهاد الانسان عبر آلاف السنين في سبيل : الحق والخير
والجمال ، (وذلك بأن يعمل كل واحد ما يحسن في عينيه) .



● الأدب الاباحى والأدب العالمى :

معذرة ! ان الأدب الاباحى ، بحكم طبيعته ، لا يمكن أن يكون
أدباً ، يسمو بالانسان فكراً وسلوكاً ، ويعبر عن أفضل المشاعر والوجدان،
لكنه لم يكتسب هذا الاسم الا كخطأ شاع وانتشر .

فالأدب الاباحى ، من واقعه ، يعنى التعبير عن كل ما تختزنه النفس
البشرية من فجور وقصور ، وما بها من أهواء للانطلاق بعيداً عن كل
قيود ، اضافة لما يتوارد عليها كل وقت وحين من همزات الشياطين .
ويعتبر الأدب عالمياً ، اذا عبر من المحلية والاقليمية الى العالمية ،
فأصبح معروفاً ومتداولاً بين أفراد كثيرين وجماعات شتى من أغلب
شعوب العالم ، فيتناوله الأدباء والمفكرون بالدراسة والنقد والتحليل .
حتى اذا صمد لذلك ، واستذاقه الناس ، عاشوه وصار يفعل فعله فيهم ،
 ويفرض مثله عليهم ، ردحا من الزمن .

ولا شك أن الترجمة الى اللغات الحية العالمية هي المنفذ الأول
من المحلية والاقليمية الى العالمية . بل صارت هذه الترجمة ، في أكثر
الأحيان ، اجازة العبور الى العالمية .

ويرينا الواقع الملموس كل يوم ، أن انزلاق الأدب الاباحى الى الأدب
العالمى سهل ميسور . والأمثلة على ذلك كثيرة ، نكتفى بمس بعضها
مسا خفيفاً .



● الفقر والرزيلة !

الفقر قد يدفع ، أحيانا ، الى الرزيلة ... هذا واقع ملموس . ومن المفارقات أن تقيضه ، وهو الغنى ، قد يدفع ، أحيانا ، الى الرزيلة أيضا . عجيب أمر هذا الانسان ... الفقر يدميه ، والغنى يطعنه ، وضمان أمنه يتطلب الوسطية والاعتدال في كل شئ . فذلك هو العدل والميزان الذى به تستقيم الحياة .

على أن هناك غالبية عظمى من الفقراء ، تعيش صابرة بإيمانها وفضائلها ، لا تفرط في شئ من ذلك مهما كانت الآلام والمعاناة . فهذا الصنف المتميز من الفقراء : ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا ﴾ (البقرة : ٢٧٣) .

لكن نموذج الأدب الاباحى الذى نستعرض شيئا منه بعد قليل ، قد جاء من مخلوق آدمى الفقر أسرته وظل بعضها صباح مساء ، فحدث التحلل والانهار ، خاصة وأن رصيد الايمان كان في المستوى الدون . ومعذرة ، اذا استبدلت بعض ألفاظه المبتذلة بوضع خمس نقاط متلاحقة ، اعتمادا على فطنة القارئ !

ومعذرة ، مرة أخرى ، فان ما قرأناه من سفرى حزقيال ونشيد الانشاد وغيرهما ، يعطينا قدرا من المناعة ضد مثل هذا الا ادب الرخيص .

*

يقول المؤلف عن روايته التى اختار لها اسما من كلمتين ، بأنها (سيرة ذاتية روائية) . وكان مما سطره قلمه المتمرد :

(تذكرت كيف لوى أبى عنق أخى . كدت أصرخ : أبى لم يكن يحبه . هو الذى قتله . نعم قتله . رأيت يقاتله . لوى عنقه . تدفق الدم من فمه) .

*

وفي المنزل الذي يتكون من غرفة واحدة ، كالت بالنسبة لهم كل شيء ، ففيها ينامون - الأب والأم والابن ، وفيها يأكلون :
(في الليل أيقظتني مثنى المثلثة .. قبلات تصفق .. همسات حب .. انها يجبان بعضهما .. اللعنة على جبهما .. انها تكذب .. لن أصدقها بعد اليوم !

..... -

..... -

- لا .. لا .. ليس هكذا !

- بنت الزناء !

يعضان بعضهما .. يأكلان بعضهما .. أحسن مثنى تفرغ السائل
• (الساخن)

*

(أحيانا أنام في المخبزة المجاورة للمقهى .. ذات ليلة رأيتهم يمزحون : أمسك خمسة أو ستة من الخبازين بالخباز .. وطرحوه على الأرض .. كمموا له فمه بخرقة من القماش حتى لا يعض .. أنزل واحد من رفاقه سراوله وحك
خرجت من المخبزة خائفا أن يحدث لى مثل ما حدث .. لقد سمعت كثيرا عن الاغتصابات الجنسية التي تحدث للفتيان والصبيان)

*

(أستيقظ باكرا لأسرق الفواكه من الأشجار .. الدجاج وبيضه وأفراخ الحمام .. أبيع المحصول لأصحاب دكاكين الحى .. رغبتى الجنسية تهيج كل يوم .. الدجاجة ، العنزة ، الكلبة ، العجلة .. تلك كانت اناثى)

*

بعد ذلك يروى مغامراته في بيوت الدعارة ، وما شاهدته فيه من بنات جنسه ، وما شاهدته من نظيراتهن الأوروبيات .. والفرق بين هؤلاء وهؤلاء ..

(علمتني مخدومتى غسل الصحون .. شعرتني سعيدا معها .
صارت موضوع رغبتى الجنسية .. الحنين يحزنتى عندما أفكر فى بغايا
... على مهل أو بسرعة . بتقبيل الشفتين وضم النهدين أو مجرد أن
يدخل الشيء فى الشيء) .

*

(صرت أفكر : اذا كان من تمنيت له أن يموت قبل الأوان ، فهو
أبى . أكره أيضا الناس الذين يشبهون أبى . فى الخيال لا أذكر كم
مرة قتلته ! لم يبق الا أن أقتله فى الواقع) .

*

(فى الصباح ، بعد صعودى من الميناء ، ذهبت الى مكتبة واشترت
كتابا لتعلم مبادئ القراءة والكتابة بالعربية ..
ان لى عشرين سنة ، ولا اعرف حتى كيف اوقع اسمى) .

*

هذا بعض ما سطره مخلوق يحمل اسما مسلما متميزا ، نختزل اسمه
الكامل الى : المسيو مركش . وهو قد نشأ فى أسرة مسلمة وضيعة الحال
فى كل شىء .. وفى بلد عربى مسلم عريق الجذور ..

لقد كان الانسان يسير فى شوارع عاصمته ، فيلمح روايته على
الرصيف بحذاء الحذاء .. لا تجد من ينظر اليها . فمؤلفها مغمور فى
القاع ، لم يؤت حظا من القراءة ، فما باله يخوض فى عالم الكتابة الذى
أشقى كثيرا من أهل العلم وحملة العالى من الشهادات .

وفجأة حدث ما لم يكن فى الحسبان ! لقد تنبعت السلطات الى
ما تنطوى عليه الرواية من فحش وتبذل ، وما تزخر به من خسة وحقارة
يمبر عنها موقفه من أيه . ولم تكن الا تصورا للحانات والمواخير
وجماعات السوء وعصابات الشرور . وكان القرار بمصادرتها . لكن
هناك اصرار من قوى تعمل على نشر التحلل والرذيلة فى عالمنا ، تحت ستار

حرية التعبير والدفاع عن حقوق الانسان ، فعبرت بها الى العالمية حيث
ترجمت الى ثلاث لغات حية . وان كانت قد اختلفت من بلد مؤلفها ،
فلتطبع في بلاد عربية أخرى .

وصار كاتبها المتمرد محل تعليق في الاعلام العربي الذي وقف
يسانده ، وكأنه يقول : ولو ! نحن معك ، فالقوة وفرض الوجود معك !
لقد تغيرت حياته من الفقر الى الغنى ، ومن الخمول الى الشهرة ...
ثم جاء كاتب آخر مشهور في بلده ، يقدم لتلك الرواية الاباحية المبتذلة ،
فيغلق عليها وعلى صاحبها أعظم النعوت والأوصاف ، فيقول :

(لم يتعلم ... القراءة والكتابة حتى العشرين من عمره ، فكانت

حداثته انجرافا في عالم البؤس ..

هروب من أب يكره أولاده ، فقد قتل أحد أبنائه في لحظة غضب .
شروء في أزقة مظلمة وخطرة .. اكتشاف دنيا السارقين والمدمنين على
السكر ..

هو عمل لا مثيل له ، يحتل موقعا متميزا في الأدب العربي المعاصر .
وليس صدفة أنه نشر بلغات اوروبية متعددة مثل : الانكليزية او الفرنسية
او الاسبانية ..

ان الذي يكتبه ... من الأمور التي لا تقال ، فتكتم ، أو على
الأقل لا تكتب وتشر في الكتب ، خصوصا في ميدان الأدب العربي
الراهن)

*

فليفرح العرب ، اذن ، بهذا الانتصار الذي تحقق في عالم الحضارة
.. فلقد سبق أدبهم المعاصر ... معذرة ، أقصد : شبك أدبهم المعاصر
بذيل الأدب العالمي ، وعبر من الاقليمية الى العالمية ...
ولينتظر هذا الأدب الاباحي المتمرد بوبل فلم تعد عليه بعزير ...
وهكذا يكون الطريق الى الأدب العالمي ...

* * *

أوروبا : مهلا . . . !

فجأة ، توقفت الحرب العراقية الايرانية . . .

وبدأ الناس ، هنا ، يتنفسون الصعداء . . . ولكن في حذر وريبة . . . فتجارب مئات السنين مع أولئك الذين يهمهم الاستمرار فيها ، ولو مائة عام ، تجعل الشعور بالاطمئنان من هذه الناحية أمرا مستحيلا .

لذلك كان السؤال الذي ظل يتردد هو : وماذا يدبرون لنا الآن ؟
وإذا نجح تديرهم ، فأين تكون الجبهة التالية لاستنزاف المسلمين ؟
ولم يدم التساؤل كثيرا . . . فما هي الا شهور ، حتى جاء نذير
المعركة التالية ! لقد بدأت بداية عابثة ، ثم هي تتطور الآن في طريق
مواجهة خطيرة منفلة لا يعلم عواقبها الا الله . . .

لقد استعرت نار الهوشة الأخيرة تحت شعار براق هو المحافظة على
حقوق الانسان اى انسان ؟ . . . انسان واحد بعينه ، هذه المرة ، هو الدجال
الهندي الملحد ، مؤلف روايات شيطانية ، الذى صارت حياته في خطر
بعد أن تلقى تهديدا بالقتل ، نتيجة لسبه الاسلام ونبيه ونساءه وصحابته ،
وتدنيسه أسماء تتألق في سماء القداسة والطهر ، من البشر : ابراهيم
أبي الأنبياء ، والأب الروحي لليهود والمسيحيين والمسلمين - ومن الملائكة :
جبريل ، معلم الأنبياء ورجال الله الصديقين والقديسين (دانيال
٨ : ١٦ ، ٩ : ٢١) ، وأمين العرش « الواقف قدام الله - لوقا
١ : ١٩ » والروح المرسل الى مريم العذراء لتحمل ابنها المسيح بأمر
الله (لوقا ١ : ٢٦) .

لقد أعمت الكراهية المتوارثة أبصارهم عن تلويث بعض مقدساتهم
والعبث بها ، ما دام قد سب الاسلام ونبيه والمسلمين . ولذلك سارت
من أجله المظاهرات ، وأعلنت الاحتجاجات . وإذا تركنا آحاد الناس
وجماعاتهم التي يسهل اثارها بقوة الاعلام اليوم ، وانتقلنا الى أهل

الحكمة والتعقل من قادة الشعوب وساستها لوجدنا عجباً ! فما هو المجلس الوزاري لدول السوق الأوروبية المشتركة يجتمع ويصدر قراراً تلو قرار ، دعماً لهذا الكاتب العايب ومحاولة لدرء الخطر عنه • وأكثر من ذلك أن تطلب بعض الدول عقد جلسة طارئة لمجلس الأمن لبحث الموضوع واتخاذ الاجراءات اللازمة للحفاظ على حياة ذلك الدجال ، وكأنه مسيح منتظر جاء في وقته ليقود الغرب •

ان التاريخ شاهد على ظهور مثل أولئك المسحاء الكذبة ، وكان منهم « باركوشبا الذي دعى المسيح المنتظر » ، وقاد ثورة الريبين ضد الرومان في الفترة ١٣٢ - ١٣٥ م ، « وعندما قضى عليهم نهائياً ، فان كلمتى : اليهودية ، وأورشليم ، قد محيتا تماما من القاموس الروماني وأعيد تسمية الاقليم باسم : فلسطين ، وأقيمت عاصمتها ايليا كاييتالينا على أبقاض أورشليم ، وحرّم دخولها على اليهود » (١) •

ولقد تنبأ المسيح عن رفض اليهود له ، وهو المسيح الحقيقي ، وجريهم وراء ذلك الكذاب الآتى بعده ، والذي قادهم الى الشتات الطويل ، فقال لهم : « لستم تقبلوننى • ان أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه - يوحنا ٥ : ٤٣ » •

ثم كانت حركة مسيائية في ايطاليا (١٥٢٤ - ١٥٣٢) ، ومسيحاً آخر كذاب هو شبتاي زفي عام ١٦٦٥ م ••• الخ •



ان لهيب هذه المعركة المستعرة يتزايد الآن في صورة تحريض سافر وسافل بالاسلام ونبيه والمسلمين ، وبالعالم الاسلامى قاطبة • وهو تحريض وصل حد السفه الذى ارتفعت فيه أصوات مسئولة أو شبه مسئولة ، تعلنها صراحة ودون موارد بضرورة اتفاق الغرب والشرق على محاربة الاسلام بالقضاء على المسلمين ومحاصرتهم ••• !
الى هذا الحد؟! نعم ••• !

(١) J. Parkes : A History of The Jewish People, p. 39

ان هذا الجو المحموم الذى يثيره شياطين الانس فى الغرب الآن ضد الاسلام والمسلمين ، يمثل اضطهادا نفسيا يتعرض له ، بالدرجة الاولى ، المسلمون فى الغرب بمختلف صنوفهم وهو انتهاك صارخ لحقوق الانسان . ثم هو تخريب متعمد للعلاقات الاسلامية المسيحية ، التى لا مصلحة لأى من الطرفين فى تخريبها ، بعد أن حاولت هذه العلاقات تجاوز الماضى ، فأقامت جسورا كثيرة للتعاون والتفاهم والخير المشترك للجميع .

ان هذا الجو المحموم لىذكرنا بما حدث فى الأمس القريب ، حين هيج بعض ساسة أوروبا شعوبهم ضد قرار مصر بتأميم قنواتها - قناة السويس - تمهيدا للعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ بزعامة انجلترا وفرنسا ، واشتراك اسرائيل .

ولقد كان لفشل هذا العدوان فى تحقيق أهدافه آثار بعيدة المدى ، يكفى التذكرة بأنه منذ ذلك التاريخ ، اعترف العالم بقوتين عظيمين فقط هما : أمريكا وروسيا ، بعد أن تراجعت اثنتان من القوى الأربع الكبرى الى الصف الثانى ، وبدأ عصر التحرر الوطنى والاستقلال ، ففقدت انجلترا وفرنسا جل مستعمراتهما فى الستينات من هذا القرن . وهكذا فعل الحمقى من الساسة بامبراطورياتهم .

وان هذا الجو المحموم لىذكرنا بالأمس البعيد حين أهاج البابا ايربان الثانى ورجال كنيسته الشعوب المسيحية ضد الاسلام والمسلمين ، وأطلق صرخة الحروب الصليبية فى مجمع كلدمونت عام ١٠٩٥ ، تلك الحروب التى أدمت كل شىء طيلة قرنين من الزمان ، وتركت جراحا تستكين فترة ، لتعاود الايلام فترات . ومن مظاهر ذلك ، حالة السعار السائدة فى الغرب الآن .

ومما لا شك فيه اننا امام ظاهرة اوروبية متكررة ، تفعل فعلها فى الشعوب الأوروبية ذاتها ، كما تفعل فعلها فى الآخرين .

ولقد نقلنا ، سلفا ، بعض ما قالته كادرن أرمسترونج في حديثها عن اضطهاد النساء بدعوى التشيطان ، التي اجتاحت أوروبا طيلة قرنين من الزمان - السادس عشر والسابع عشر - بسبب خوف متوهم ، تماما كما هو حادث الآن حيث يتصاعد الوهم بالتخوف من الاسلام والمسلمين . ولا مانع بالتذكير ببعض ما قالته كادرن مرة أخرى :

« ان أعمال القمع في الحضارة الغربية لا ترى ظاهرة بوضوح الا في حالات الرعب الفجائي المتعظم الذي يصاحب تلك الأعمال ، ويتفجر من وقت لآخر بعنف مذهل ثم يخمد فجأة ، تاركا كل شخص مرتبكا ومتحيرا من ذلك الجنون الوقتي الذي سيطر على المجتمع . ان جنون القمع هذا لا يوجه الى مجرمين حقيقيين في المجتمع ، أو ينزل بمن يناصبونه العداة حقا ، لكنه يصيب ضحايا يعملون كبش فداء للأمراض العصاب التي كتبتها المجتمع ، ولم يكن له من وسيلة للتعبير عنها سوى هذا الأسلوب العنيف اللاعقلاني » .

* *

أوروبا تريد أن ترتد ٩٠٠ عام !

لقد نسيت أوروبا أشياء كثيرة... لا بد من التذكير ببعضها الآن ،
قبل أن ينفلت العيار ، وينقلب العرش جدا وخطرا .

*

أولا - ادانة الحروب الصليبية :

لقد نسيت أوروبا أن عقلاءها وعلماءها ومؤرخيها ، بل ومبشريها ،
أدانوا جميعا الحروب الصليبية .

يقول المبشر ستيفن نيل : « ان فكرة تخلص الأماكن المقدسة
المسيحية من أيدي الكفرة ، لم تكن فكرة حقيرة في ذاتها ،
لكن الرجال قد حاربوا لأسباب أعمق من هذا . فقد كانت ضربة داهية
من جانب البابوات لابعاد القوة التي لا تهدأ لطبقة الفرسان بعيدا عن
الحروب الضروس التي استمرت تخرب أوروبا الغربية . وبالنسبة لمن
سقطوا قتلى في الأرض المقدسة ، أسبغت عليهم هالة الاستشهاد في سبيل
قضية مسيحية مزعومة ، وبالنسبة لأولئك الذين عاشوا ، كان هناك الأمل
في جزاء مادي ضخم من أجل المساعي الروحية : الاستيلاء على أراض
جديدة ، بعيدا عن أوروبا التي لم تكن أما كريمة بأبنائها الصغار .

ومما لا يقبل الجدل ، ان الحروب الصليبية قد علمت العصور الوسطى

الأولى : فلقد أصبح المسيحيون على دراية بعالم آخر وبحضارة أكثر تقدما
عن حضارتهم .

ولكن ، بعد أن تفرغ كل ما يقال في جانب الاطراء لتلك الحروب
الصليبية ، فان المسيحي لا يملك سوى الحكم بانها كانت في مجملها
كارثة لا يمكن تفسادى آثارها بالنسبة لقضية المسيحية .
لقد صورت الحروب الصليبية بأسلوب رومانتيكى قوامه الأساطير...
وبالنسبة لأغلب المحاربين المسيحيين ، كان المسلمون مجرد كفرية ليس
لهم الحق في الوجود ، وليس لهم عقيدة يحافظون عليها ، ويمكن ذبحهم
دون شفقة أو ندم ، من أجل مجد الاله المسيحي .

وهكذا ، غشى عالم البحر المتوسط سحابة كثيفة من الكراهية طيبة القرنين اللذين انصرما بين الفتح الأول لأورشليم عام ١٠٩٩ ، وفقدان آخر معقل صليبي في عكا عام ١٢٩١ ، سحابة تلقى بظلالها على المستقبل . ولقد كانت كارثة الكوارث ، أن تلك الكراهية قد استحضرت فكرتها في الأذهان باسم المسيح « (١) » .

*

ويقول لويس يونج : « في أوروبا كان يظن بأن الصليبيين أبطال . وقد أسبغت عليهم عبارات التمجيد البطولي الرومانسية . ولكنهم في الواقع ليسوا سوى أفضع زمرة سفاكة متعطشة للدماء في تاريخ أوروبا » (٢) .

*

هكذا كان الأجداد ، فهل يريد الأحفاد السير على خطاهم !؟

* *

ثانيا - انتهاك حقوق الانسان عبر تاريخها :

لقد عاشت أوروبا تنتهك حقوق الانسان عبر تاريخها المثير . ويحتاج الحديث عن هذا الموضوع الى مجلدات ضخمة ، لا بضع صفحات من كتاب . ونكتفى الآن بمس هذا الموضوع الخطير في تاريخ البشرية .

* *

(١) S. Neil : A History of Christian Missions, pp. 113 — 114.

(٢) الغرب وأوروبا : ص ١٤٨

١ - انتهاك حقوق الانسان الأوروبى

(١) الأوروبى وثنيا :

لقد استخدم ملوك أوروبا وأمراءها السيف لاجبار شعوبهم على التحول الى المسيحية دون خيار آخر . وفي هذا يقول المبشر ستيفن نيل (١):
« ان شارلمان يعتبر بلا جدال واحدا من أعظم الشخصيات فى تاريخ كل من الكنيسة والعالم . . . وما يهمنى فى المقام الأول ههنا هو امتداد الدائرة المسيحية عن طريق غزوات شارلمان ضد السكسون . . . فقد كانوا مصدر خطر عليه . ولذلك قرر أن يخضعهم لسلطانه باستخدام مزيج من القوة المسلحة والعقيدة الدينية .

فمنذ عام ٧٧٢ حتى عام ٧٩٨ ونحن نقرأ عن استمرار الغزوات المتعاقبة ، وتحول الى المسيحية ، ومؤامرات ، وأعمال قمع . .

وبمجرد اخضاع احدى القبائل الألمانية ، فان تحولها الى المسيحية كان يندرج فى بنود السلام ، كمن يمنح نظير تمتعها بحماية الامبراطور . . وتلقى القصة الطويلة للاستشهاد والمذابح ، ضوءا شاحبا على العمليات التى تم بها اخيرا تحول السكسون الى المسيحية .

لقد سجل انه فى احدى المناسبات ، قتل شارلمان ٥٠٠٠ سكتسونى فى يوم واحد .

وتفرض قوانين الدولة عقوبات ونحشية ضد أى خرق لمجموعة القواعد المسيحية ، منها :

(١) S. Neil : A History of Christian Missions, pp.

79 — 80; 105; 93 — 95.

ان اى سكسونى غير معمد ، يحاول ان يختبئ بين شعبه ويرفض قبول التعميد مسيحيا ، سوف يقتل » .

وفى النرويج استخدم الملك أولاف ، منذ عام ٩٩٥ « كل الاسلحة : المداينة ، والخداع ، والتحريض . وعندما فشل كل ذلك فانه استخدم الأجبار المحض دون موارد . . وفى أغلب الحالات كان الملك مستعدا عند الضرورة ان يكرههم على ابتلاع عقيدته (المسيحية) بحد السيف » .

وفى بروسيا « كان يعيش فى جنوب البلطيق وشرقه شعوب الوندال والبروسيين والتتوانيين ، وعدد من شعوب أخرى ؛ لم تتحد جميعها الا على شىء واحد هو تصميمها على الا تكون مسيحية . . ومهما كان تفكيرنا فى الطريقة التى اتبعت أخيرا ، فان التاريخ لا يستطيع انكار ان اضافة هذه المناطق الى العالم المسيحى كان سببه غزوات الفرسان التيوتونيين . .

لقد كان المفهوم هو أن هذه الجماعة لديها تفويض بأن تضم الى ممتلكاتها أى اراضى تستولى عليها من الوثنيين ، شريطة أن تعطى الشعب المغلوب ، التعاليم المسيحية كتعويض له عن فقد اراضيه ! وقد حدث أخيرا ، عندما عين مطارنة لتلك المناطق ، أن عدل البابا المنحة ، حيث جعل الثلثين للغزاة (الفرسان) والثلث للمطارنة . . لقد انقضت خمسون عاما فى أعمال الغزو ، وفى نهاية تلك الفترة انتهت المقاومة ، وانضمت بروسيا الى العالم المسيحى . .

لقد جاءت الى هنا كل أجهزة التبشير المسيحية فى القرون الوسطى لترافق الغزو الحربى . وكانت بنود المعاهدة (بين الغزاة والبروسيين) أبعد ما تكون عن اعتبارها مهذبة أو صورة لنصيحة بالحسنى . .

قد يكون موضع تساؤل : الى أى مدى كان الاقتناع الداخلى متمشيا مع المظهر الخارجى للممارسات العقيدية ؟

لكنه سؤال مقلق لا يزال يتعقبنا (نحن المسيحيين) منذ حمل شارلمان السيف ليساعد على تنصير السكسون . بل انه فى الواقع يلاحقنا منذ زمن التعميد بالجملة لكلويفيس (ملك فرنسا) ورجاله فى عام ٤٩٦ .

وفى المجر : « تزوج أميرها جيزا فى عام ٩٧٣ أميرة مسيحية هي أولهيد البولندية . . . ومنذ ذلك الوقت فصاعدا ، فان جيزا عقد العزم على تحويل بلده الى المسيحية .

ولما كان الترغيب لم يأت بنتائج فعالة ، فانه لجأ الى وسائل اخرى غير مقبولة ، ومن ثم تضاعف اعداد المنتصرين بسرعة » .

وهكذا كان تحول اوروبا الى المسيحية بالسيف الذى عمل بين شعوبها ، من شرقها الى غربها . . . فهذا ما يقرره مؤرخو التبشير بالمسيحية .



(ب) الأوروبى مسيحيا :

منذ أن صارت المسيحية الدين الرسمى للامبراطورية على عهد قسطنطين الكبير (٣٢٥ م) بدأت الكنيسة تقوى حتى جمعت فى يدها السلطين الدينية والدنيوية ، فسيرت الجيوش الجرارة للحرب باسم المسيح ، ومنحت بركاتها للملوك والأمراء الذين خضعوا لسلطانها ، وقاتلت الذين خرجوا على ارادتها ، وقتلت حرقا وشنقا كل من اعتبره متمردا على تعاليمها فى الدين والدنيا . ولقد كان لدعاة الاصلاح والتقدم من رجال الدين ورجال العلم النصيب الوافر من الاضطهاد والملاحقة والابادة .

لقد كان دعاة الاصلاح الدينى يعملون من أجل اعادة فتح باب

الاجتهاد في الدين على أساس احلال العقل محل النقل ، والغاء احتكار رجال الكثينة كمفسرين وحيدين للوحى ، والغاء دور القديسين كوسطاء بين الله والناس .

أما رجال الفكر الكنسى المتشدد فكانوا على العكس من ذلك ، يرون ضرورة الاحتفاظ بالتقاليد والمفاهيم المتوارثة واطاعتها طاعة عمياء ، وأن أى مخالفة لذلك انما هى هرطقة وكفر جزأؤهما الاحراق في الدنيا رحمة بالمذنبين ، بدلا من الاحراق الأبدى في الآخرة .

ويعبر عن هذا المنطق الرهيب توركويمادا (١٤٢٠ - ١٤٩٨) ، رئيس محاكم التفتيش في اسبانيا ، الذى كان « يبرر احراق مئات الزنادقة والسحرة على الخازوق ، وتعريف الزنادقة والسحرة وكل منشق على الكنيسة الكاثوليكية أو رافض لها في العقيدة أو السلوك أو المصالح ، بقوله : نحن نحرقك في الدنيا رحمة بك حتى تنقذك من النار الأبدية في الآخرة » (١) .

ولقد كان من نتيجة تطبيق هذا الفكر الكنسى الرهيب ان تعرض الكثير للتعذيب او الاحراق او كليهما معا . ونكتفى بذكر عدد محدود جدا من رجال الاصلاح الدينى ورجال العلم الذين سحقتهم الكنيسة سحقا .

١ - في عام ١٤٩٨ ، أحرقت الكنيسة الراهب الايطالى سافونا رولا الذى كان أول من بدأ حركة الاصلاح الدينى في ايطاليا ، وذلك بعد قرار جرمان أصدره البابا اسكندر السادس عام ١٤٩٧ . وبعد محاكمة استمرت اربعين عاما ، استخدمت فيها كل انواع التعذيب ، اعدم وأحرقت جثته مع راهبين آخرين من أتباعه المخلصين ، في فلورنسا .

٢ - وكانت « أول ترجمة انجليزية للكتاب المقدس عملت بصورة مباشرة عن الأصل العبرى والاغريقى ، انما كانت من عمل وليام تندال .

(١) ثورة الفكر - ص ٨٩

لقد واجه معارضة مريرة ، واتهم بتعمد افساد معنى الكتاب المقدس ، وأمر باحراق تراجمه للعهد الجديد باعتبارها تراجم زائفة .

وأخيرا ، سلم ليد أعدائه ، حيث تم اعدامه على رؤوس الأشهاد حرقا بالشد على الخازوق ، في أكتوبر ١٥٣٦ » .

٣ - وفي عام ١٥٥٣ ، احرقت الكنيسة ، في جنيف ، ميخائيل سارفيتوس الأسباني ، ومعه كتابه : اعادة بناء المسيحية .

٤ - وفي عام ١٦٠٠ ، احرقت الكنيسة جوردانو برونو ، في ميدان الازهار (كامبو دي فيورى) بروما .

وكان من بين التهم الموجهة اليه : الزندقة والردة . والدعوة لنظرية كوبرنيك في الفلك القائلة بان الأرض ليست مركز الكون ، وان الكواكب تدور حول محورها وحول الشمس ، وهو ما يتنافى مع الجغرافيا والفلك كما استخلصتها الكنيسة من الكتاب المقدس ومن أعمال أرسطو وبطليموس الجغرافى . وكان من التهم أيضا ، الاشتغال بالسحر ، ويدخل في هذا الباب الدعوة الى العلم للسيطرة على الطبيعة .

٥ - وفي عام ١٦٤٢ مات الفلكى جاليليو في عزله كما ، بعد ان اصيب بالعمى . فقد حاكمته الكنيسة ، وحكمت عليه بتحديد اقامته بعد ان اعلن تبراه من مفاهيمه العلمية حول الأرض وحركتها ، والشمس والكون . فقال في اعترافه أمام المجمع المقدس عام ١٦٣٣ : (أستنكر هذه الأخطاء والزندقات المذكورة ، وبوجه عام كل الأخطاء والزندقات والمعتقدات المتعارضة مع الكنيسة المقدسة) .

هذا - وسوف نصرف النظر عن الحديث عن الاضطهادات الدينية التي تعرضت لها الجماعات الدينية ، وخاصة ما كان بين الكاثوليك والأرثوذكس ، ويكفى التذكرة بأن الحملة الصليبية الرابعة

خربت القسطنطينية التي فرح العالم الكاثوليكي باخضاعها ، اذ كان يسميها المدينة الملحدة ! وقد ابتهج البابا انوسنت الثالث ، وأعلن في رسالته الى بلدوين - الذي جرى تتويجه امبراطورا صليبيا في كنيسة القديسة صوفيا - بأنه يطرب (لما صنعه الله) ، وأعلن موافقته دون تحفظ . وأما ما كان بين الكاثوليك والبروتستانت فجرائمه كثيرة ومتبادلة ، وتاريخه مريز ، يحفظه الغرب المسيحي جيدا .

**

٢ - انتهاك حقوق اليهود .

عاش اليهود في أوروبا المسيحية يعانون الاضطهاد والتعذيب والطرده طبقا لما توارثه المسيحيون عبر القرون من تعاليم كنسية . ولم تقف اللعنة التي ظلت تطارد اليهود - ازاء موقفهم العدواني من المسيح حسبما تقول الأناجيل ورسائل التلاميذ - الا بعد الحرب العالمية الثانية . وكانت خطوة حاسمة في هذا السبيل ، تلك التي اتخذها البابا يوحنا الثالث والعشرون (اعتلى كرسى البابوية من أكتوبر ١٩٥٨ الى يونيو ١٩٦٣) وذلك بحذف عبارة عدائية من صلاة الجمعة الحزينة تتحدث عن اليهود الملعونين ، تداولتها الكنيسة عبر القرون من مفاهيم الانجيل ، مثل قوله : « اجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى اولادنا - متى ٢٧ : ٢٥ » .

وكذلك من وصف بولس لليهود اعداء الانسانية ، وأن غضب الله عليهم الى النهاية ، وذلك في قوله : « اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن وهم غير مرضين لله ، وأضداد لجميع الناس . يمنعونا عن أن نكلم الأمم لكي يخلصوا ، حتى يتمموا خطاياهم في كل حين . ولكن قد أدركهم الغضب الى النهاية - تسالونيكي ١ : ١٤ - ١٦ » .

وفي نظرة سريعة على أهم الأحداث في تاريخ الشعب الاسرائيلي ،

منذ صارت المسيحية الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية وما تلا ذلك من اقامة ممالك ودول مسيحية في أوروبا ، منذ صار للمسيحية سيئ تفاتل به ، نجد مسلسل اضطهاد أوروبا لليهود يسير كالآتي (١) :

٥٣٧ م مرسوم جستنيان بحرمان اليهود من الحقوق المدنية وحرية العبادة .

٦١٣ ملك القوط الغربيين يجبر اليهود في أسبانيا على اعتناق المسيحية .

٦٢٩ اجبار اليهود على التعميد ، وطردهم من فرنسا تحت حكم الملك داجوبرت .

٦٩٤ تحويل جميع اليهود في أسبانيا وبروفانس الى عبيد .
١٠٩٦ مذابح للطوائف اليهودية في أوروبا ، ابان الحملة الصليبية الأولى .

١٠٩٩ طرد اليهود المقيمين في اورشليم بعد سقوطها في يد الصليبيين
١١١٣ أول مذبح لليهود في كيف بروسيا .

١١٨٢ - ١١٩٨ طرد اليهود من فرنسا على عهد فيليب الثاني (أوغسطس) .

١١٨٩ مذبح لليهود في انجلترا ، ابان الحملة الصليبية الثالثة .
١٢٥٤ طرد اليهود من فرنسا في عهد القديس لويس (التاسع) .
١٢٩٠ طرد اليهود من انجلترا .

١٣٣٠ - ١٣٣٨ انتشار الطاعون يؤدي الى مذابح لليهود ، اعتقادا بانهم سبب الوباء .

١٣٩٤ الطرد الأخير لليهود من فرنسا على عهد شارل السادس .
١٤٢١ طرد اليهود من فيينا .

- ١٤٨١ محاكم التفتيش .
- طرد اليهود من أسبانيا ١٤٩٢ ، ومن لتوانيا ١٤٩٥ ، ومن البرتغال ١٤٩٨
- ١٥١٦ بناء أول جيتو في فينيسيا .
- ١٥٥٣ البابا يحرق التلمود في روما .
- ١٥٦٣ - ١٦٥٦ مذابح لليهود في أوكرانيا ، وألمانيا ، وبولندا ، والنمسا .
- ١٦٧٠ طرد اليهود من فيينا .
- ١٧٤٠ طرد اليهود من براغ .
- ١٧٦٨ مذابح لليهود في أوكرانيا .
- ١٨٢٧ القيصر نيقولا الأول يأمر بتحويل أطفال اليهود اجباريا للمسيحية .
- ١٨٩١ طرد اليهود من موسكو .
- ١٩١٨ - ١٩٢١ نشر بروتوكولات حكماء صهيون .
- ١٩٣٦ - ١٩٤٠ سن تشريعات معاداة السامية في رومانيا وايطاليا والنمسا .
- ١٩٣٩ - ١٩٤٥ الحرب العالمية الثانية . مذابح لليهود .

*

ان فكرة معاداة السامية اختراع أوروبي ، لا علاقة له من قريب أو بعيد بالعرب ، لأنهم واليهود أبناء عمومة ، ويعتبرون ، وفق روايات الكتاب المقدس ، أمة سامية .

ولا علاقة بين المسلمين واضطهاد اليهود وتعذيبهم ، فالثابت تاريخيا ان عصور ازدهار الطوائف اليهودية كانت دائما في ظل الحكم الاسلامي . ولدينا في هذا المقام شهادات وردت في مرجع هام هو :

اطلس اسرائيل الحديث ، الذى وضعه : البرنامج الاسرائيلى للترجمات العلمية ، وطبع بمطابع جامعات اسرائيل بالقدس فى عام ١٩٦٨ ، ويعتبر بهذا وثيقة اسرائيلية رسمية .

تقول هذه الوثيقة :

« سيطر المسلمون سيطرة كاملة على فلسطين كلها ما بين سنة ٦٣٦ و٦٤٠ ، عندما كانت تحت الحكم البيزنطى . ووجد المسلمون جماعات يهودية مبشرة تعيش فى حالة فقر مدقع نتيجة للقيود والاضطهاد الذى مارسه الأجيال السابقة . وكانت مصادر عيشهم محدودة ، وكانوا يكتسبون عيشهم فى المدن بممارستهم للتجارة أو الاشتغال بالأعمال الحرفية . ولم يكن لهم سوى نصيب قليل فى الأدب والثقافة .

وعلى مر الزمن ، استعمل يهود فلسطين كثيرا من طرق جيرانهم بما فى ذلك لغتهم ، وأصبح يطلق عليهم أشباه العرب أو المستعربين .
وإذا ما قورن الفاتحون العرب فى فلسطين بغيرهم من الحكام الطغاة السابقين ، نجد ان العرب كانوا يعاملون الرعايا اليهود بقدر كبير من السماحة ، بل والعطف عليهم . .

وفد حاملو الصليب من البلاد الأوروبية المختلفة . . ثم توجهوا رأسا الى هدفهم المقدس وهو مدينة اورشليم . . واستولوا عليها بعد اراقة كثير من الدماء . . وذبح فى هذه المعركة السواد الأعظم من يهود اورشليم . .

وعندما أصبح للمسيحيين اليد العليا فى الموقف ، قاموا بمذابح لا رحمة فيها بين اليهود .

وقد حضر الى فلسطين العالم اليهودى والفيلسوف الكبير ميمون بن موسى فى سنة ١١٦٥ ، ولكنه ذهب الى مصر بسبب القلاقل التى كانت تعم البلاد فى تلك الأثناء . وفى مصر قضى احسن سنى حياته الاخلاقية . .

ان الممالك المسلمين ، هم الذين طردوا الصليبيين في النهاية وحلوا
محلهم في السيطرة على فلسطين . وكان الممالك يعطفون على اليهود
ويحسنون معاملتهم ، وساد الرخاء بين الطائفة اليهودية في فلسطين ايام
حكمهم ..

وفي ايام حكم الممالك ساد السلام والهدوء ربوع البلاد ، وكان هناك
سيل لا ينقطع من الحجاج المسيحيين واليهود ..

وقد استولى المسلمون الأتراك على البلاد من المسلمين الممالك
في سنة ١٥١٧ ، وفي عهدهم استمرت الطائفة اليهودية في النمو والازدهار ..
وفتح السلطان سليمان الكبير طبرية وقرى كثيرة أخرى بالقرب منها
لاقامة اليهود واستقرارهم فيها ..

وفي سنة ١٨٣١ غزا البلاد الجيش المصري بقيادة ابراهيم باشا بن
محمد على . وفي عهده ازدهرت المدن اليهودية في فلسطين « .

بعد هذا : من يجرؤ على التكرار او الانتكار !؟

* *

٣ - انتهاك حقوق المسلمين

(١) من الماضي :

هو حديث طويل يتعذر تقصيه في صفحات ، لكن ملامحه الرئيسية
يحددها مثال متكرر عبر القرون ، يرينا كيف يعامل المسيحيون المسلمين
عندما يكون السلطان بيد المسيحية . انها قصة اضطهاد دموى غشوم ،
من أمثلته ما حدث بالأندلس بعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢ م . فلقد
توالت القوانين الجائرة لاستئصال بقايا العرب والمسلمين في الأندلس .
ومنذ عام ١٥٠١ أجبر المسلمون على التنصر ، وكان الاعدام نصيب كل
من يمارس في الخفاء تعاليم الاسلام ، أو تلقين أولاده مبادئ الدين
ولعتهم العريية . وأمام هذا القمع الأعمى والارهاب المطلق ، تظاهر

المسلمون ابتداء من عام ١٥٢٦ باغتناق المسيحية . وقد ظلوا على هذا الحال أكثر من قرن ، يخفون دينهم في قرارة أنفسهم ، ويلقنونه أبناءهم بكامل السرية والحذر .

وقد أنشئت في تلك الفترة دواوين التفتيش لتعقب المسلمين والتجسس على من تنصر منهم ، وتسليط أشد العقوبات عليهم ومن بينها الإبادة الجماعية . وفي تلك الفترة أصدر المفتش العام دون الفونشو مانريك قائمة بسخائر المظاهر التي تدين صاحبها بالتلبس بممارسة شعائر الاسلام ، وبالتالي تبيح أن ينزل به أشد العقوبات فتكا وارهابا . وكانت تعلق تلك القوائم في الكنائس والساحات العامة ، وتحرض المسيحيين الأسبان على الوشاية بكل من يشتبه في تشبته بالاسلام .

وتقرأ في هذه القائمة :

« لكل ما يتعلق بالمحدين الحمديين ، اليكم المظاهر والأشياء التي

يجب الاخبار عنها :

إذا قيل ان المسيح كان نبيا ، وليس الها ، وان والدته لم تكن عذراء !

ان سمعنا أو رأينا أن المسيحيين الذين تم تعميدهم ، يقومون ببعض طقوس أعياد الدين المحمدي ، مثل الاحتفال بيوم الجمعة ، وتزيينهم بقميص نظيف وألبسة أحسن من بقية الأيام الأخرى .

إذا ذبحوا الدواجن والحيوانات قاطعين العنق بالسكين ، وقائلين : باسم الله .

إذا رفضوا أكل لحم الحيوانات غير المذبوحة .

إذا ختبتوا أبناءهم أو لقبوهم بأسماء عربية .

إذا قالوا انه يجب الايمان بالله وبمحمد نبيه .

- إذا حلفوا بكل الآيات القرآنية •
- إذا قاموا بصيام رمضان ، وأنهم لم يأكلوا أو يشربوا حتى يلاحظوا
النجمة الأولى ، ووزعوا بعض الصدقات •
- إذا قاموا بالسحور ، واستفاقوا ليأكلوا قبل طلوع النهار ، أو
غسلوا أفواههم ورجعوا الى فراشهم •
- إذا قاموا بالوضوء وغسلوا السواعد والأيدي حتى المرافق ،
والوجه والقدم والأذن والقدمين والأعضاء الجنسية •
- إذا قاموا الى الصلاة وحولوا وجههم نحو المشرق •
- إذا احتفلوا بعيد الأضحى بعد قيامهم بالوضوء •
- إذا تزوجوا على النهج المحمدي •
- إذا غنوا الأغاني العربية ونظموا حفلات أو رقصات وغنوا بآلات
موسيقية ممنوعة •
- إذا احترموا تعاليم الاسلام الخمسة •
- إذا غسلوا موتاهم ولفوهم في كفن من قماش أبيض ودفنوهم في
قبر عميق وأضجعوهم فيه ، واضعين حجارة تحت رؤوسهم •
- إذا قالوا أو فعلوا أى شيء مرتبط بالدين المحمدي « •
- ويكفينا جوستاف لوبون التعقيب على أحداث تلك الحقبة الحالكة
بقوله في كتابه « حضارة العرب » :
- « يستحيل علينا ان نقرا دون ان ترتعد فرائصنا من قصص التعذيب
والاضطهاد التي قام بها المسيحيون المنتصرون على المسلمين المنهزمين •
- فلقد عمدوهم عنوة ، وسلموهم لدواوين التفتيش التي أحرقت
منهم ما استطاعت من الجموع • واقترح القس بليدو قطع رؤوس كل
العرب دون أى استثناء ممن لم يعتنقوا المسيحية بعد ، بما في ذلك
النساء والأطفال •

وهكذا تم قتل أو طرد ثلاثة ملايين عربي ، كانوا يشكلون النخبة الفكرية والصناعية في أسبانيا . وهكذا انطفأت حضارتهم الوهاجة التي ظلت تشع على أوروبا منذ ثمانية قرون » .

ويقول المؤرخ الأمريكي درايبير في كتابه « النمو الثقافي في أوروبا » : « ما أن رسخت أقدام العرب في أسبانيا حتى شرعوا في عملهم الفريد الوضاء . وأصبح خلفاء قرطبة أكبر حماة للعلوم . واقاموا الدليل على سمو ذوق يتناقض بصورة صارخة مع بدائية الأمراء الأوربيين . وتحت ادارة هؤلاء الخلفاء بلغت قرطبة أوج ازدهارها . فبعد غروب الشمس ، يمكن للمرء بها أن يقطع عشرة أميال في شوارع مستقيمة مضاءة بالفوانيس .

وبعد سبعة قرون من ذلك لم تكن لندن عرفت بعد الاضاءة العمومية ، وكانت شوارع قرطبة مبلطة بطريقة جيدة . وبعد أربعة قرون من ذلك لم يكن الباريسي يستطيع ان يخطو عتبة بيته دون ان يغوص في الوحل الى كعبه .

ان العرب لم يحملوا معهم الى اسبانيا : لا الأحقاد الطائفية او الدينية ، ولا محاكم التفتيش ، وانما حملوا معهم انفس شيئين في العالم ، هما اصل عظمة الأمم : السماحة والفلاحة » .

وبمناسبة اضاءة شوارع المدن الاسلامية ليلا ، تذكر الدكتورة سيجريد هوتكه ، أنه عندما بدأت اضاءة الشوارع في ألمانيا ، في مطلع القرن التاسع عشر ، صدرت « جريدة كولونيا الألمانية ، تصف اضاءة الشوارع بمصاييح الغاز في عددها الصادر يوم ٢٨ مارس سنة ١٨١٩ بأنه شر مستطير من البشر ، يهدد الظلام الالهي » !



(ب) من الحاضر :

منذ خمسين عاما ، اشتعلت الحرب العالمية الثانية وهي حرب أوروبية مائة بالمائة ، كان حريا بمن أشعلوها نتيجة طموحاتهم أو أخطائهم ، أن يقصروها على شعوبهم وبلدانهم . لكن دنيا السياسة لا تعرف حقوقا ولا ترتبط بواجبات . فلقد وضع ميكيا فيلي (١٤٦٩ - ١٥٢٧) نظريته في أن : الغاية تبرر الوسيلة ، فجرد السياسة من الأخلاق . ولا مانع بعد ذلك أن تتردى السياسة الى السفالة والقهر والارهاب . فالأمير المرهوب أفضل ، عنده ، من الأمير المحبوب .

لقد عاصر جيلنا تلك الحرب الضروس ، التي امتدت ليكتوى نيرانها العالم القديم كله . في تلك الأثناء كانت جميع البلدان الاسلامية ، عدا بلدا أو بلدين ، خاضعة تماما للاستعمار الأوربي : من المحيط الأطلسي غربا الى الأرخيل الأندونيسي شرقا . وهذا الاستعمار ظاهرة - كما يقول الدكتور لويس عوض - « اقترنت بالحضارة الغربية الحديثة ، وانتهت بنزح ثروات العالم وكنوزه وتكديسها واستغلالها في أوروبا ، في الانتاج والخدمات ، وفي مزيد من البحث والاقتحام » .

لقد آكلت هذه الحرب شباب العالم الاسلامي ، واستنزفت خيرات بلاده ، سواء فيما وراء البحار - كما يقولون في أوروبا - في المراحل الأولى من الحرب ، أو خلال المعارك الدموية فوق أرض أوروبا ذاتها خلال مراحلها الأخيرة . ان وثائق الحرب في لندن ، وباريس ، ولاهاي ، وروما ، وغيرها ، خير شاهد على ذلك .

بل دعنا من الوثائق وما فيها ، فهذه يمكن اخفاؤها والعبث بها ، فلدينا ما هو أقوى من ذلك آلاف المرات انه الواقع الملموس بجميع حواس الانسان .

لقد نقلت أوروبا صراعاتها الدموية الرهيبة الى شعوب مستعمراتها وهكذا ، نجد احدى البلاد التي احتلتها انجلترا سابقا ، وهي مصر ، قد

اكتوت بنار الحرب العالمية ، حرب فرضت عليها فرضا ، فأجبرت على التعرض للخسائر والدمار طيلة سنواتها ، ولا تزال تعاني الى الآن من آثارها التخريبية • ولو جاءت لجنة من دول السوق الأوروبية المشتركة لتعاین آثار حروبها المدمرة الى الآن لتقدر تعويضات مناسبة لمصر ، وسارت على أرض الساحل الشمالى المصرى فى منطقة العلمين وما حولها ، فلن تعود تلك اللجنة أبدا ••• ستسفنها ألغام الحرب التى زرعها الانجليز والألمان ••• تلك الألغام التى يحصد المصريون ثمارها بازهاق الأنفس كل يوم ••• وفى نفس الوقت تحرمهم من زراعة أكثر من ٢ مليون فدان ، مساحة هائلة يكفى أن نعلم أنها تساوى ثلث مساحة الأرض الزراعية بمصر ، فهى مساحة كانت كفيلا بتوفير احتياجاتهم من القمح ، ذلك المحصول الاستراتيجى ، الذى صار واحدا من أسلحة الاستعمار الجديد •••

لقد كانت مصر فى الماضى مزرعة القمح الرئيسية للامبراطورية الرومانية الجبارة ، فاذا بها الآن تستورده لتأكل ••• !

ومع ذلك ، فان صوت القوة العشوم والاستعلاء المتعصب لا يزال يزعم كل صباح : أنها حضارة حقوق الانسان ••• !

وماذا ، فى أوروبا ، بعد انتهاء الحرب ؟

ما كان غير الأيدى العاملة الرخيصة والمطبعة من شباب العالم الاسلامى وبقية العالم الثالث ، ليقوم بعمليات اعادة بناء أوروبا وتعميرها • فلقد جند هؤلاء واستدعوا من أوطانهم ليحملوا أعباء البناء من أجل السلام ، كما حملوا أعباء الحرب والقتال • لقد جاءوا من نيجيريا والسنغال وغينيا ••• ومن المغرب والجزائر وتونس ••• ومن تركيا وايران وشبه القارة الهندية والملايو واندونيسيا ••• جاءوا من كل مكان الى أوروبا ليعملوا بها ، وحصلوا على جنسيات البلدان التى استقروا فيها ، حتى اذا انقضت بضع عقود من السنين ، هدأت فيها

الحرب الباردة بين الشرق والغرب ، واستعداد الاقتصاد الأوربي قوته ،
وقاربت أوروبا تحقيق وحدة قوية بينها ، خطط لها عام ١٩٩٢ ، انطلقت
أصوات انتهازية تنتكر لدائنها ، وتدعو لطرده أولئك الغرباء عن النسيج
الأوروبي المتميز !

ان هذا وحده خير برهان ، لمن هو في حاجة الى برهان ، على
أن من يدينون بالمسيحية لا يعرفون التعايش السلمى بين الأديان .
وحين تكون لهم اليد الطولى في مجتمع ما ، فاما خضوع من الكل
لتقاليدهم وممارساتهم ، واما صدام لا مفر منه .

لقد استنفدت أوروبا أغراضها منهم ، ولم تعد بحاجة اليهم ،
فليذهبوا الى أى مكان ، وليكن الجحيم . . . ! لا يهم ، فالأمر سيان . . .
أليس هذا ما جاء في سفر (الأمير) : السياسة سفالة . . . أو كما
قال . . . !

الأدهى والأمر ، انهم يعطوننا دروسا في حقوق الانسان . . . !



٤ - انتهاك حقوق شعوب المستعمرات

تعتبر افريقيا خير مثال للدراسة الاستعمارية وما ارتبط به من
انتهاكات فظيعة لحقوق الانسان . فهذه القارة قد تعرضت لمختلف
أنواع الاستعمار بخصائصه المختلفة ، فذاقت ويلات الاستعمار :
الانجليزى والفرنسى والايطالى والأسباني والبرتغالى والبلجيكى
والهولندى والألمانى . وهى الوحيدة التى لا تزال بها الى الآن جيوب
استعمارية ، فى نصفها الجنوبى ، لم تتم تصفيتا بعد .

وقد قام القس جاك مندلسون بجولة تبشيرية فى افريقيا فى
الستينات من هذا القرن ، تعرف فيها على مشاكل القارة وارتباطها
بالتبشير الذى عمل مخلب قط للاستعمار .

تقول جاك مندلسون : : « حينما تكون حالة الشبان الافريقيين سعيدة ، فانهم لا يتعبون من ترديد القصة القديمة : ان المبشرين جاءوا الينا وقالوا : ائنا نريد أن نعلمكم العبادة . وقلنا : حسنا . ائنا نريد أن نتعلم العبادة .

**وطلب المبشرون منا ان نغلق اعيننا ، وفعلنا ذلك وتعلمنا التعبد .
وحينما فتحنا اعيننا ، وجدنا الانجيل في يدنا ووجدنا اراضينا قد اغتصبت .**

وهناك أيضا تلك الكلمات المريرة ، كلمات تكررت بلا توقف في افريقيا كلها : ان حركة التبشير المسيحية كانت محاولة لاختاد الروح الافريقية .

**ان ما تدعيه المسيحية من معاملة الناس بالحسنى لا معنى له ، لأن المسيحية قد ثبت عمليا انها دين مشاغف ، فكل ملة تهاجم الأخرى . .
ان المبشرين مننبون بأكبر خداع حماسي لجذب الناس للعمل الارسالي . . انهم وكلاء لسوء التمثيل الخارجى . . انهم كانوا ذئابا في جلود نعاج . . ان المسيحية كانت جزءا من خداع افريقيا » .**

**ولقد عقب مندلسون على ذلك بقوله : « ان المبشر مهما اعتقد أن هدفه مختلف عن المستكشف والمستوطن والوكيل التجارى والموظف الادارى ، فان الافريقى راي فيهم جميعا مشروعاً مشتركاً .
ولم يكن الافريقى مخطئاً في تقديره . . فالمسيحية ، وقد طبع عليها الاستعمار طابعه ، اصبحت في موقف شديد الحرج » (١) .**

ويقول المبشر ستيفن نيل : « في القرن التاسع عشر ، خضع المبشرون الى العقد الاستعمارية التى تقول بأن الرجل الغربى فقط هو الانسان

(١) الرب والله وجوجو : جاك مندلسون ، ص ٢٩ ، ١٩٩

بكل ما تعنيه هذه الكلمة . لقد كان عاقلا وطيبا ، على أنه يجوز للأجناس الأخرى (غير الأوروبية) أن تشارك في هذه الحكمة والطيبة بالقدر الذى تصطبغ به من نظم الحياة الغربية لكن الرجل الغربى كان هو القائد ، وسوف يبقى هكذا ا زمن طويل ، وربما الى الأبد . . .
فحتى عام ١٩١٤ لم يكن لدى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية اى أسقف من اصل غير أوروبى سوى أربعة . . .

وعندما أثار شاب بلجيكى ، هو القس فنسنت لب ، السؤال عما اذا كان الوقت لم يحن بعد لخلق أسقفية وطنية فى الأقاليم الأخرى ، فانه واجه معارضة شديدة لاحقته فى كل مكان ، تقول : انه طالما كان الجنس الأبيض فى استطاعته ان يقدم موردا لا ينضب من الأساقفة ، فان لا يمكن أن يوجد رجل واحد من الأجناس الصفراء والحمراء والبنية والسوداء ، يستطيع حمل ثقل الأسقفية . . .

وفى أمريكا ، كان المبشرون شهودا على مأساة الهنود الحمر . ان ايا من بريطانيا وفرنسا وهولندا ، لا يمكنها التنصل مما حدث . لقد كان الأسلوب اللانسانى الذى أقحم به الرجل الأبيض ، ذلك الهندى الأحمر فى صراعاته الخاصة ، مثيرا الهندى ضد الهندى ، والهندي ضد الأوروبى ، انما يمثل مرحلة من اكثر مراحل التاريخ الاستعماري خزيا وعارا .

وأسوأ من ذلك هو تطبيق مبدأ : اشرب الخمر ، ودع الشيطان يتكفل بالتالى .

فان الهندي الأحمر لم يستطع مقاومة اغراء خمر الرجل الأبيض الملتهبة . وهنا ، كما فى اى مكان آخر ، نجد ان تفضية الشعب البدائى بالكحول ، يعادل القتل مع سبق الاصرار (١) .

* *

S. N. i : A History of Christian Missions, pp. (1)
259 , 202.

٥ - انتهاك حقوق المسيح

وأخيرا ، فانه لما يزيد فداحة هذه المظالم والجرائم التي ارتكبت عبر القرون ، أنها ألصقت ظلما وعدوانا باسم (الانسان يسوع المسيح) ، كما سماه بولس في رومية ٥ : ١٥

ان المسيح براء من كل ما حدث باسمه من حروب واقتهاكات ومظالم . وهو قد تبرأ من هؤلاء وهؤلاء ، ويوم القيامة يقول لهم جميعا : « انى لم اعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الاثم - متى ٧ : ٢٣ » .

هنالك ، يجمعون « جميع الماثر وفاعلى الاثم ، ويطرحونهم في اتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان - متى ١٣ : ٤١ - ٤٢ » .

* * *

قضية الدجال الهندي

● النشأة والخلفية :

ولد سلمان رشدي في بومباي بالهند سنة ١٩٤٧ - عام التقسيم وانشاء الدولتين : الهند وباكستان - من أب هندي يدعى أنيس رشدي ، مرتد عن الاسلام . وتلقى تعليمه الأولي في إحدى مدارس التبشير المنتشرة آنذاك في الهند ، حيث كان المبشرون يقدمون له ولزملائه الطعام والكساء وغيره لاستمالتهم . فشرّب في هذه السن المبكرة كراهية الاسلام وكل ما يتصل به . وهكذا تضافر البيت والمدرسة في بناء شخصيته مهتزة ، صلتها بالاسلام مجرد تسمية تثبت في شهادة ميلاد أو بطاقة شخصية ، وعوامل اتزاعها من الاسلام أقوى وأبقى من عوامل ادخالها فيه .

ولما كانت بلده تعاني أزمات اقتصادية بسبب خضوعها للاستعمار مئات السنين ، وأخيرا بسبب الحرب بين الهند وباكستان ، فقد كانت أسرته ضمن من هاجر الى انجلترا سعيا للرزق . وهناك التحق بالتعليم الثانوي ، ثم بكلية الملك في جامعة كمبردج .

وبعد تخرجه بحث عن وظيفة مناسبة هناك فلم يجد ، فقرر العودة الى موطنه الأصلي ، شبه القارة الهندية ، ولكن هذه المرة الى باكستان ، حيث أتاحت له فرصة عمل في التلفزيون . بيد أن روائح الكفر والزندقة والظعن في الاسلام بدأت تفوح منه ، ففصل من عمله ، وعاد الى لندن يجر أذيال الخيبة والاحباط بعد أن امتلا قلبه حقدا على الاسلام والمسلمين . وأخيرا وجد عملا في إحدى وكالات الاعلان ، أعطته دخلا ثابتا استطاع معه أن يتجه الى التأليف الروائي .

وفي عام ١٩٧٥ أصدر روايته الأولى : جريموس ، وعمره آنذاك ٢٨ عاما ، فلم يلتفت اليها أحد ، فماتت في مهلها وأصابه لذلك احباط شديد . ثم تزوج بعد ذلك بفنّانة انجليزية تدعى كلاريسا لوارد ،

وعن طريقها تعرف الى الناشرين ، فأصدر روايته: اطفال منتصف الليل ، وصف فيها حال الأولاد الذين يدخلون الحياة وقلوبهم خاوية من الايمان والقيم الأخلاقية ، ويأتون الى عالم مليء بالمتناقضات . ولقد قال عن نفسه : انه يشبه احدى شخصيات هذه الرواية ، ففي داخله ثقب لم يبق قطرة واحدة من الايمان عنده .

ولقد أثارت روايته ضجة في الهند ، اذ كانت توجه نقدا عنيفا لسياسة السيدة أنديرا غاندى الخاصة بتعقيم الرجال ، فأدلت بتصريح تتوعد فيه صاحب الرواية بتقديمه الى القضاء . وفي تلك الأثناء منحته انجلترا جائزة بوكر ، وكأنها تعيظ الهند - الدولة المستقلة - والتي كانت يوما ما احدى مستعمراتها . لقد بدأ يطفو على السطح ، فما هي روايته : اطفال منتصف الليل ، تثير ضجة في موطنه الأصلي ، الهند ، وما هو يمنح عليها جائزة في موطن هجرته ، انجلترا .

بعد ذلك كتب رواية بعنوان : العار ، وانتظر أن يحصل بها على جائزة بوكر ، الا أن لجنة التحكيم أسقطتها من الفوز .

ثم ما لبث ان طلق زوجته الانجليزية ، وتزوج كاتبة امريكية اسمها ماريان ويجينز ، لعلها تؤدي نفس الدور مع الناشرين الأمريكين .

وبالرغم من تعرفه الى كثير من الناشرين في انجلترا والولايات المتحدة ، وتعرفهم الى ما تتضمنه كتاباته من حقد دفين على الاسلام والمسلمين وتشجيعهم لاتجاهه هذا ، الا أنه ظل مغمورا ، بعيدا عن أضواء الشهرة العالمية التي التي كان يحلم بها (١) .

ثم كانت روايته : آيات شيطانية ، التي تجرد فيها من كل حياء ، وقذف بنفسه عاريا ، أمام الجميع ، في مستنقعات الكفر والفجور والأكاذيب ، فعبث بكل المقدسات ، ومن بينها المقدسات المشتركة بين

(١) آيات سماوية : الدكتور شمس الدين الفاسي - ص ١١ - ١٤

اليهود والمسيحيين والمسلمين : ابراهيم خليل الله ، ابو الانبياء ، والاب
الروحى لأصحاب الديانات الثلاث ، كما عبث بملائكة الله فى السماء ، وعلى
رأسهم جبريل أمين الوحي وأمين العرش ، اضافة - بطبيعة الحال - الى
عبثه بمقدسات الاسلام .

لقد انتهى هذا الدجال الهندى من تأليف روايته الشيطانية هذه
فى سنة ١٩٨٨ ، ونشرتها له دار فايننج برس ، وظلت راقدة فى
المكتبات لا تتحرك ، ولا تمتد اليها يدي قارئ . ثم ما لبثت دار
فايننج برس أن تخلصت منها ، فباعتها الى دار بنجوين وبقي الحال
كما هو عليه من ركود تلك السلعة البائرة ، الى أن تبه المسلمون
الى ما فيها من فحش وأكاذيب ، وتعريض فاجر بمقدسات الاسلام
والمسلمين ، فتحركوا لوقفها . لكن المتآمرين كانوا يتوقعون هذا ،
فحشدوا طاقات اعلامهم لاثارة الغرب المسيحى كله ضد الاسلام
والمسلمين ، وخاطبوا وجدانه وما استقر فيه من كراهية وعداء دفين ،
فانطمت الأبصار وعميت البصائر . وفى هذا الجو المشحون ، فقد
العقل سلطانه ، وتحول المجرم الحقيقى ، سلمان رشدى ، الى
ضحية برىء . ووقف الغرب جميعا يعلن حمايته تحت شعار براق ،
استخدم بخداع ، هو : حماية حقوق الانسان ، ومن بينها حقه فى حرية
التعبير !

* *

● عاصفة كان يمكن تفاديها :

« عندما صدر الكتاب فى بريطانيا ، حاولت اللجنة المتحركة
للشئون الاسلامية هناك اللجوء الى القضاء الانجليزى للاحتكام ضد
الرواية ، فاتضح لها ان القانون الانجليزى يحمى فقط المذهب
المسيحى الانجليكانى . فحاولت اللجنة بعد ذلك مفاوضة الناشر على
أساس أن يكتب على غلاف الرواية عبارة : (هذا الكتاب يسئ
الى الاسلام) ، كالعبارات التى تكتب على السجائر وتحذر من التدخين
ولكن الناشر رفض .

وأمام المعارضة الاسلامية ، قررت احدى دور النشر البريطانية منح الكتاب جائزة أدبية واخرجه في طبعة شعبية . عندئذ قامت المؤتمرات الشعبية الاسلامية بمناقشة الحل الأمثل لمواجهة هذا التحدى ، فتوجهوا الى أسقف احدى الكنائس بمدينة برادفورد ، وقام مجلس مساجد برادفورد بتقديم احتجاج الى الأسقف وطالبوه بأن يستخدم نفوذه ويناشد الحكومة البريطانية وناشرى الكتاب عدم نشره ، ولكن لا جدوى . فقامت الجماهير الاسلامية بشراء الكتاب من الأسواق وأحرقته ، ولكن المطابع فى استطاعتها أن تنتج المزيد .

فقام سكرتير اتحاد المنظمات الاسلامية فى لندن بتوجيه خطاب الى السيدة رئيسة مجلس الوزراء ، يدعوها فيه : (من منطلق الحرص على المقدسات الدينية) الى الأمر من موقعها كمستول رئيسى (باتخاذ اجراءات قانونية ضد الرواية ومؤلفها) .

ثم قام سفراء كل من باكستان وقطر والصومال بتقديم طلب الى وزارة الداخلية البريطانية ، يطالبون فيه باتخاذ اجراء حاسم نحو الرواية .

واخيرا جاء اعلان من القصر الملكى : (ان الكتاب لا يعرض لعمل يعاقب عليه) .

ثم أعلن وزير الداخلية بيانا جاء فيه : (ان الحكومة لا تنوى احداث تغيير فى قانون الطعن فى المقدسات الذى يتعلق فقط بالديانة المسيحية) . .

وأمام التعصب (الديمقراطى !) انفجرت المشاعر الاسلامية التى لم يستطع الشيطان تلجيمها ، انفجرت أولا فى بريطانيا ، فسارت المظاهرات تطالب باتخاذ موقف حاسم ضد : آيات شيطانية^(١) ، ثم

(١) سلمان رشدى شيطان الغرب : سعيد أيوب - ص ٨٦ ، ٨٧

انفجرت بعد ذلك في العالم كله . ثم توالى ردود الأفعال من كلا الجانبين ...

لقد كان بالإمكان تفادي هذه العاصفة التي أحدثت - حتى الآن - تصدعا خطيرا في علاقات المسلمين بالغرب المسيحي ، بعد أن أظهرت قضية الدجال الهندي أن صليبيته العمياء في نهاية القرن العشرين لا تزال كما كانت في نهاية القرن الحادي عشر . وكان بإمكان بريطانيا أن تعالج الموقف بحكمة الساسة المتمرسين وذلك بإعادة النظر في قانون الطعن في المقدسات ، بجعله يتضمن حماية اليهودية ، والمذاهب المسيحية الأخرى مثل الكاثلكة والأرثوذكسية ، إضافة الى الاسلام ، بدلا من قصره على المذهب الانجليكاني فقط . وما كان هذا العمل - لو تم - الا ليحظى بتقدير عالمي ، باعتباره برهانا على تأكيد حرية المعتقدات ، ووسيلة فعالة للتعايش السلمي بين أصحاب الأديان .

لكن الحكومة الخفية لا ترضى بذلك ... وهي تمسك بيدها خيوط دمي كثيرة تحركها كيفما تشاء ... وكان ان ازداد الموقف اشتعالا ... فنشرت اعلانات مدفوعة الأجر شغلت مساحات كبيرة من الصحف العالمية ، وظهرت حملة واسعة من التحقيقات الصحفية واستطلاعات الرأي ، وقامت محطات التلفزيون بالدق على حواس المشاهدين ، وكلها تسير في خط واحد هو اثاره الغرب ضد الاسلام والمسلمين . وبلغت احدى موجات الاثارة قممها حين قام بعض طلبة جامعة في النمسا بعقد ندوة ، هي في حقيقتها قداس صلاة مسيحي تليت فيه فقرات من كتاب ذلك الدجال الهندي .. سبحان الله !!

كأن الغرب قد عثر على انجيل مخفي ، جاء به ذلك الدجال المنتظر ، كما سبق أن عثر على بعض أسفار الكتاب المقدس جنوب البحر الميت عام ١٩٤٧ .. لقد بلغ الاستفزاز مداه ، وخاصة عندما تتحدث الصحف والاذاعات العالمية - وعلى رأسها هيئة الاذاعة البريطانية التي توجه اذاعاتها خصيصا الى العالم الاسلامي - فتصف ذلك الدجال باسم :
الكاتب المسلم سلمان رشدي ...

من ، يا ترى ، ذلك الكاتب الأسطوري ، الذي حظى فجأة باهتمام الغرب والعالم ، وصار حديث كل لسان ، كأته ظاهرة غير مألوفة أو مرض خطير ، كاللايدز ، لم تعرفه البشرية من قبل . . . فلم يحدث أن اصطدمت عيناي في أي من مكتبات لندن على مجرد ورقة تحمل هذا الاسم ، ولم يחדش بصرى أي ملصق من اعلانات الحائط يحمل ولو نصف اسمه . وهاهي قائمات الكتب التي تصدرها دوريا بعض دور النشر ، تصلني تباعا ، ولا يوجد في أي منها ذكر لهذا النكرة . . .

*

هنالك ، صدرت عن ايران فتوى تبيح اهدار دم مؤلف رواية آيات شيطانية ، فتلقفها رؤوس الفتنة في الغرب ، واستطاعوا تصعيد المواجهة من مستوى الأفراد والهيئات الى مستوى العمل السياسي الرسمي . فانعقد المجلس الوزاري للسوق الأوروبية المشتركة في اجتماع غير عادي ، وأدان ايران بعنف ، وقرر سحب سفراء دوله من طهران وفرض عقوبات عليها . وقد علق وزير خارجية أسبانيا على هذا الموقف الجماعي الأوربي ، بقوله : انها أول مرة ، في حدود علمي ، التي تعرب فيها المجموعة الأوروبية عن غضبها على هذا النحو .

وفي أوتواوا رفض سفراء ٢٥ دولة اسلامية طلبا من كندا بادانة ايران ، كما رفضت الحكومة الكندية ، في نفس الوقت ، طلبا من السفراء المسلمين بمنع تداول الكتاب أو ادخاله الى كندا .

وفي واشنطن ، تعهد المدعى العام الأمريكى ، أمام عدد من ناشري الكتب ، باستخدام كل الوسائل الممكنة لوقف الجهود الرامية الى منع نشر الكتاب في أمريكا .

وأصدر البرلمان الألماني بيانا جاء فيه : ان اعلان الامام الخميني عن قتل سلمان رشدي هو بمثابة اعلان الحرب على القيم الغربية .

وفي لندن ، مسرح المؤامرة ، وقع ٣٤ عضوا من مجلس العموم على مشروع قرار يحث الحكومة على ضمان سلامة رشدي .

ووصفت السيدة مارجریت تاتشر ، رئيسة الوزراء ، فتوى ايران بأنها تهجم على حرية الكلمة التي هي من الحريات الأساسية للانسان
لقد اختلطت الأوراق تماما ، وهذا ما يريد المتآمرون
ولقد حول الغرب صدامه السياسي مع ايران الى صدام مع الاسلام والمسلمين ، واستهان بمشاعر ١٠٠٠ مليون مسلم ، بينهم ٥٥ مليوناً في ايران . ولا أدل عن مدى التخبط السياسي الذي وقعت فيه دول الجماعة الأوربية من أنها بدأت تعيد سفراءها الى ايران بعد أسابيع من سحبهم ، ودون أى تغيير في الموقف الايراني ، سواء بالتراجع عن الفتوى أو حتى بادخال تعديل عليها .

مقاطع شيطانية

هذه هي الرواية الرابعة في سلسلة انتاج الدجال الهندي سلمان رشدي لهذا النوع من الروايات الخيالية . وهذا يعنى أننا أمام عمل لا علاقة له بالدراسات العلمية الجادة التي تقوم على المنطق والبرهان واستجلاء الحقائق وتقريرها ، وكشف الشبهات ودحض الأكاذيب .
تبدأ الرواية بأهداء : الى ماريان ، زوجته الأمريكية الثانية التي تزوجها بعد طلاق زوجته الانجليزية كلاريسا . وقد عرف عن ماريان هذه أنها كاتبة ملحدة ، تهاجم الأديان ومن بينها المسيحية .
وتتكون الرواية من تسعة فصول : الأول ، باسم : الملك جيريل ، وهذا يعطى انطباعاً مبدئياً للقارئ أنه بصدد قراءة شيء عن الوحي والدين . ويتحقق توقع القارئ ، حيث يأتي الفصل الثاني مباشرة باسم : ماهوند ، وهو ما كانت تنادي به أوروبا عصور الظلام ، النبي محمداً ، بعد أن اخترعه رجال الكنيسة والكتاب والشعراء ، تحقيراً واهانة ! ثم تتعاقب الفصول : الثالث باسم الودين ديوبين ، والرابع : عائشة ! والخامس : مدينة مرثية لكن مخفية ، والسادس : عودة الى الجاهلية ! ، والسابع : الملك عزرائيل ، والثامن : شق بحر العرب ، والتاسع : مصباح عجيب .

وقد ألحقت صفحة شكر - رقم ٥٤٩ - في آخر الرواية ، حسب طبعة فايكنج ١٩٨٩ ، يتحدث فيها المؤلف عن اقتباسات من بعض تراجم معاني القرآن ، فيعترف بأن تلك الاقتباسات انما هي توكيدية من مجموعة من أعمال المترجمين السابقين مثل : داود ومولانا محمد علي وغيرهما ، الا ان اخطر ما في الموضوع هو اعترافه باحداث تغييرات من عنده .

وهو يذكر ، في تلك الصفحة ، مجموعة من الروايات التي اقتبس منها وكانت مصدر الهام له ، الا أنه يقر باعتراف خطير آخر ، جاء في آخر سطرين ، يقول فيه :

« أرجو أن تكون هوية كثير من المؤلفين الذين تعلمت منهم واضحة من خلال النص ، اما هوية الآخرين فيجب ان تبقى غفلا » .

ويلاحظه هنا سؤال : لماذا أغفل ذكر أسماء هؤلاء؟!!

ان الاجابة المنطقية ، التي تتبادر الى الذهن ، هي أنهم ،

شركاؤه في المؤامرة ...

*

ولقد حدث ما هو متوقع من اعتراف الدجال الهندي بالعبث بتراجم القرآن . فهو يقتبس آيات من سورة النجم - التي زعم ، كالزنادقة السابقين ، أن النبي أضف اليها عبارتين شيطائيتين تمدح آلهة المشركين - ثم هو يعبث بصيغة الآيات المقتبسة ، فيحول بعضها من صيغة الضمير الثالث (المفرد الغائب) الى صيغة الضمير الأول (المفرد المتكلم) ، وبذلك يوحى للقارئ بأن القرآن من عمل محمد . لكنه ، في تزويره هذا ، نسي ككل مجرم أن يحكم جريمته ، فجاء الجزء الأول من الآيات المقتبسة بصيغة الضمير الثالث ، بينما تلاه الجزء المحرف بصيغة الضمير الأول .

فآيات سورة النجم تقول :

﴿ والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن

الهوى • ان هو الا وحى يوحى • علمه شديد القوى • ذو مرة فاستوى •
وهو بالأفق الأعلى • ثم دنا فتدلى • فكان قاب قوسين أو أدنى •
فأوحى الى عبده ما أوحى • ما كذب الفؤاد ما رأى • افتتارونه على
ما يرى ﴿؟! (النجم : ١ - ١٢) •

لقد استبدل الدجال كلمة (الثريا) مكان كلمة (النجم) ، واستمر
يستخدم هذه الصيغة الى أن انتقل الى الصيغة الأخرى بكلام وضعه
على لسان النبي يقول فيه :

(ولقد رأيته مرة أخرى • عند سدرة المنتهى • عندها جنة
المأوى • اذ يغشى السدرة ما يغشى • ما زاغ بصرى وما طغى •

لقد رأيت من آيات الرب الكبرى (١) ، فخالف بذلك جميع
التراجم المعروفة والتي أشار الى بعضها مثل : داود ، وبكتال ، وعلى ...
ان القرآن لا يورد صيغة المتكلم المفرد على لسان النبي الا مسبوقة
بكلمة : قل ، مثل قول الله - سبحانه - لنبيه :

﴿ قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض ، وهو يطعم
ولا يطعم ، قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ، ولا تكونن من المشركين ﴾
(الأنعام : ١٤) •
﴿ قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ﴾
(الكهف : ١١٠) •

ولقد وردت كلمة : قل ، فى القرآن ٣٣٢ مرة ، فى آياته التى تبلغ
٦٢٣٦ آية •

فحن ، اذن ، تتعامل مع خائن غير مؤتمن على أسير الأمانات ،
أمانة النقل ...



I saw him. also at the lote tree of the uttermost (1)
end, near which lies the Garden of Repose . When that tree was
covered by its covering my eye was not averted, neither did
my gaze wander; and I saw some of the greatest signs of the
Lord.

ما هذا النبي الا رسول الله الى الناس ، يبلغهم رسالات ربهم ،
وينقل اليهم كلماته ، فيكون محدثهم الأمين باسم الله ، تحقيقا لما تنبأت
به التوراة ، وحيا من الله لموسى ، فى قوله :
« أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم ، مثلك ، واجعل كلامى فى
فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به . »

ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به
باسمى ، أنا أطلبه - تشية ١٨ : ١٨ - ١٩ « .
لم يقل الله : (أقيم لهم الها ، أو ابن الله) ، لكنه قال : « أقيم
لهم نبيا » مثل موسى من بين اخوة بنى اسرائيل بن اسحق ، أى من
العرب بنى اسماعيل أخى اسحق ، مهمته الأساسية نقل كلام الله الى
الناس . ومن لا يسمع لذلك الكلام ، الذى يقرأه عليهم قرآنا - فان
الرب ينتقم منه .
ان الأمر واضح تماما ، لكن القوم يصمون الآذان ويغمضون
العيون ...

*

بعد ذلك ، تبدأ أول سطور الرواية بحديث عن عقيدة هندوكية
تعرف باسم : تناسخ الأرواح ، أى الموت والولادة مرة ثانية ، أو تكرار
الولادة . ويحدث ذلك - حسب ظن من يعتقدون فى هذا - بعد
موت الانسان ، فيبلى جسده ، أما روحه فتعود الى الحياة متمصنة
جسدا جديدا ، قد يكون انسانا أو حيوانا أو حشرة ، فتبدأ الروح
بذلك دورة حياة جديدة .

ان استخدام هذه الفكرة يسمح باللعب بالأشخاص والأزمنة ،
فتتداخل الأحداث وتختلط الصور والأوراق ، ويترك القارئ متحيرا ،
أو واقعا تحت ايجاءاته . فهو ، بهذا ، يهرب من الجدية والموضوعية
التي تتطلبهما الدراسات العلمية ، ويجنح الى رواية يفرغ فيها سمومه
وخيالاته ، فيعبث بالحقائق المعروفة ، ويزيف التاريخ كما يشاء ، ويترك
القارئ ، بذلك ، يسبح فى هواء .

وفي الفصل الأول : الملك جبريل ، نجد الدجال يخلع اسمه على مواطن هندي أسماه : جبريل فارشتا ، الذي يذهب من بومباي الى لندن ، ومعه على نفس الطائرة مواطن آخر هو صلاح الدين شمشا ، والذين تقع بهما الطائرة في القنال الانجليزي ، ثم ينجوان من الموت بمعجزة ، فيصاب جبريل بانقسام الشخصية .

ويحلم جبريل ، ويحلم كثيرا ، وييث أحلامه الى ماهوند - في الفصل الثاني - فيربط الوحي الى نبي الجاهلية بذلك التزييف المستمد من فكرة تناسخ الأرواح .

لقد عمد هذا المحتال - كما قال بحق الناقد سامي خشبه - الى أن : « يضع ثقافته الخاصة ، مكان ثقافة كل شخصياته . ويضع فكره وعقله الخاصين ، مكان فكر كل شخصياته وعقولها .. والمؤلف يسوق أفكاره سوفا ، من وراء شخصياته التي تسدو كالأقنعة او المشجب حامل الأفكار ، نحو هدف محدد هو : الى أى اتجاه ينبغي - ويمكن للمسلمين الذين يخاطبهم في الغرب أو في أوطانهم - أن يتخذوه .. لقد مللم سلمان رشدي كتابه : آيات شيطانية ، من ثلاث قصص طويلة لا يربط بينها رابط ما ، ووزع فصول القصص الثلاث توزيعا اعتباطيا تقريبا .. أما رشدي ، المتواضع الموهبة ، والفاقد الايمان بشيء أو بعقيدة محددة ، فانه عجز عن أن يقيم من أكوام خيالاته ومعلوماته وتأليفاته ، وما نقله عن المصادر المختلفة وألبسه كساءا خياليا رديئا ومفتعلا ، عجز عن أن يقيم من كل ذلك ، بناء فنيا موحدا ، ليس فقط لضعف موهبته ، وانما لأنه أراد أن يجمع بين ما لا يجتمع وهو : تصوره الذاتي عن تجربة اغتراب المثقف الشرقي (الهندي) عن هوية أمته ، وعن تجارب المسلمين المغترين في أوروبا (لنيلن) ، أو المقيمين في وطنهم بومباي .. ثم مجموعة الأكاذيب والمخترعات والاهانات - التي ألف بعضها بنفسه - والتي وجهها الى الاسلام وكتابه ورسوله .. ويضمن السيد رشدي أن يستمر خلط

الأوراق بلا نهاية ، عندما يستخدم لتسمية الأشياء والظواهر ، أسماء متناقضة لحقيقة الأشياء والظواهر ، حتى يتحقق التشويش المطلوب على الحلول العلمية الحقيقية ، الحلول التي تسعى إليها الشعوب الآن - في الشرق والغرب على السواء ، بصرف النظر عن جهود البرابرة المعاصرين عندهم وعندنا - الحلول التي تتلخص في الديمقراطية والعقلانية اللتين تحفظان لكل شعب ، ولكل طائفة من شعب ، الحق في سماته - أو سيماتها الخاصة - في اطار ثقافة انسانية عامة ، وثقافات قومية متميزة ، مستنيرة ومثقة بحقيقتها وبحقائق الثقافات الأخرى ، ومتخلصة من تعصباتها المتهوسة ، ومن الرغبة في تلويث ثقافات الآخرين وتدنيس مقدساتهم ، ومتخلصة من الرغبة في استخدام الابداع لنصب الفخاخ واشعال الحرائق» (١) .

*

● الامكنة والاشخاص :

ماهوند : يتيم ، سريع الخطى ، يتسلق الجبل الحار في الحجاز ليبقى هناك شهرا في وحدته . اذا فُطِق اسمه صحيحا فانه يعنى : ذلك الذى يجب أن يخص بالحمد ، لكنه يأخذ اسم ماهوند ، مرادفا لاسم الشيطان ! (ص ٩٣) .

بهذا يتحدث الدجال عن محمد بن عبد الله .

الجاهلية : بنيت كلها من الرمال ، ويأتى مأوها من مجارى وينايع جوفية ، واحدة منها تسمى زمزم وتقع في قلب المدينة ، ملاصقة بيت الحجر الأسود . وفي هذه المدينة يؤسس ماهوند واحدة من أكبر ديانات العالم . ويهمس صوت في أذنه : أى نوع من الإنكار أنت ؟ انسان أم فأر ؟! (ص ٩٤ ، ٩٥) .

(١) صحيفة الاهرام ، في ٥/٢٦ ، ١٩٨٩/٦/٢

• فالجاهلية تعنى مكة •

يثرب : واحة في شمال مدينة الجاهلية ، تتمتع بجو رطب ، اتقل اليها المهاجرون أتباع عقيدة الاسلام الجديدة (ص ٣٦٣) •

أتباع ماهوند في مدينة الجاهلية : كان من أوائلهم : (خالد سقاء الماء الحثير ، ثم ذلك المتسكع من فارس ويحمل اسما غريبا : سلمان ، ولتكلمة هذا الثلاثي من حثالة المجتمع ، هناك العبد بلال الذي حرره محمد ، ثم حمزة عمه (ص ٩٥ ، ١٠١) •

أعداء ماهوند في مدينة الجاهلية : أبو سمبل ، سيد الجاهلية ، وزوج هند الجميلة الرهيبة • وكانت عشيرة هند تتحكم في معبد اللات وتلقى عائدات معبدي مناة والعزى • كما كان بعل خادما للات وشاعر هجاء مشهور •• وكان أبو سمبل ديوثا ، يعلم أن بعل عشيق لزوجته هند ، التي كانت شديدة النهم الجنسي حتى أنها ضاجعت كل مؤلفي مدينة الجاهلية ! (ص ٩٦ ، ١٠٠ ، ٣٦١) •

فأبو سمبل ، يعنى أبا سفيان ، وأما بعل شاعر الهجاء فهو اختراع من الدجال •

الحجاب : جعل الحجاب اسما الأشهر ماخور في مدينة الجاهلية ، له فناء واسع تحيط به غرف الجنس •

(كم زوجة ؟ اثنا عشر ، وسيدة عجوز توفيت منذ زمن بعيد •
وكم مومس في الماخور ؟ اثنا عشر ! ••

وكانت المومس عائشة ، ذات الخمسة عشر عاما ، أكثر العاملات رواجاً ، تماما كما كانت سميتها مع ماهوند •• وكانت أكبرهن سنا ، المومس البدينة سودة وكان لها زوار كثيرون •• أما المومس حفصة فكانت حادة الطبع مثل سميتها •• وكان الماخور مرآة للجماعات السياسية في مسجد يثرب • فكان هناك ، مثلا ، تحالف بين عائشة وحفصة ضد

أم سلمة المخزومية ورملة بنت أبي سمبل • وكان هناك زينب بنت جحش وجويرية وصفية وميمونة ، ثم أكثرهن اثاره للشهوة الجنسية ، الفاتنة المصرية مارية القبطية ، التي رفضت أن تعلم عائشة ألعيبها •

وعندما فكرت المومسات في مستقبلهن ، رأين أن يكون لهن زوج صوري هو بعل •• وفي هذا الوكر الداعر أصبح بعل زوجا لنساء رجل الأعمال السابق ، ماهوند !) (ص ٣٧٦ ، ٣٨٠ ، ٣٨٣) •

لقد كبكب الدجال على وجهه ، وعبث بعقول قرائه ، كعادته في طول الرواية وعرضها • فبعد أن اتحل لمومسات ماخوره أسماء زوجات النبي ، إذا به يعود بفجره المعهود ، فيجعل من بعل زوجا لنساء ماهوند ، بدلا من أن يحترم قراءه ، ولو مرة واحدة ، فيقول : زوجا لسميات نساء ماهوند !

﴿ الا لعنة الله على الظالمين • الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون • اولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ، ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون • اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون • لا جرم انهم في الآخرة هم الأخسرون ﴾ (هود : ١٨ - ٢٢)

*

● الألفاظ والتراكيب :

تمتلىء هذه الرواية الشيطانية بأقذر الألفاظ واشدها فحشا • واغلبها مما يتداوله الزناة مع المومسات في المواخير من مسميات واوصاف • ونذكر فيما يلي بعضا منها ، - نشير الى اللفظ المتبدل بحرف أو حرفين منه ، مما يتداوله السفلة من الناس :

- فرج المرأة : ك ، والجمع : أك •

يتحدث اللجال عن أصغر مومس في الماخور فيقول :

(قبل تكميم أصغر ال أك ، صرخت قائلة ...) (١) •

- ممارسة الجنس : ن ك •

قال أبو سميل (أبو سفيان) لتابعه شاعر الهجاء بعل : (أيها

القواد ! أنا أعلم أنك .. ن ك امرأتى) (٢) !

وصل خطاب لمحمود يقول :

(يا آكل الخراء ! انك .. ن ك امرأتى) (٣) •

ويقول جبريل :

(أحلام ن ك الأمهات سبب كل البلاء للجنس البشرى ..) (٤) •

وفي مدينة الجاهلية :

(كان كل الحديث منصبا على ال ن ك والمال) (٥) •

*

ولقد امتلأت الرواية بالشتائم القذرة ، بدءا من صفحاتها الأولى

حتى صفحاتها الأخيرة ، مثل :

(ابن الزنا) ... (أبناء الزنا) (٦) •

*

(before the youngest cunt was gagged , she yelled ...) (p. 389). (1)

(Pimpl — I Know you fuck my wife.) (p. 100). (٢)

(shit - eater, you're fucking my woman) (p. 207) (٣)

(Mother - fucking dreams, cause of all the trouble in the human race ..) (p. 122) (٤)

(al the talk was of fucking and money) - (p. 380) (٥)

(Bastard.) .. (Bastards.) (pp. 3,8 .. 95, 105, 116 .. 367 , 376 ..) . (٦)

وامتلأت الرواية بتعابير مقزرة ، لا تخرج الا من نفس قدرة تسبح
دائما بفكرها في المراحض وأماكن القاذورات . ففي حديث الأم. الهندية
المسلمة لابنها ، قالت له :

(لا تصر قدرا مثل أولئك الانجليز ، فهم يمسخون استاهم بورق
فقط) (ص ٣٩) *

فرد عليها الابن المنبهر :

(ان ما تقولينه ، يا أمي لا يمكن تصديقه . ان انجلترا حضارة
عظيمة ، وما تقولينه هراء) *

(وكان يسيئه كثيرا أن يقارن بطفل يبول على نفسه) ...
(ص ٤٧) *



ويعبث الدجال الهندي بعقول قرائه ، فيستخدم أساليب زكية
هازلة كأنه يحكى قصة للأطفال قبل النوم ، فيقول :

(كان ما كان في قديم الزمان ...) (ص ١٤٣) *

ولما كان مؤلفا رديئا ، فاقد المواهب ، كان مثله كمثل تلميذ
خائب ، تعلم جملة واحدة مفيدة ، كانت كل زاده ، فما انفق يستخدمها
في كل المناسبات دون تمييز *

ولما كانت عبارة : ألف ليلة وليلة ، ذات مذاق خاص ، فقد
تشبث بها ، وبدأ يستنسخ صوراً منها بلا وعى أو حساب ، فيقول :

(... بسبب طيشه الذى مارسه ألف مرة ومرة) (ص ٢٦) *

(وفكر ألف مرة ومرة ...) (ص ٢٧٠) *

(وبعد مائة يوم ويوم ...) (ص ٨٥) *

ومثل ذلك ، حجم أوعيته الزمنية التى تؤكد ، حقا ، أنه كاتب

ممل هزيل . فهو يقول فى صفحة ٣٩٢ :

- (ولم تر مخلوقا حيا آخر ، طيلة سنتين وشهرين) •
 ثم يكرر ذلك في نفس الصفحة :
 (وبقيت مدة سنتين وشهرين) •

ويقول أيضا :-

- (وبعد مرور سنتين ويوما واحدا من بدء بعث حياته في ماخور
 الصحاب) • (ض ٣٨٥) •

هذا بعض العار الذي ألحقه ذلك الكاتب التافه بلغة قوم شكسبير
 وبالآدب الانجليزي عامة ، وبجامعة كمبردج التي يقال انه تخرج منها ،
 على وجه الخصوص .

* *

تزييف الحقائق واختلاق الأكاذيب

ذلك دأب الدجال الهندي في روايته الشيطانية •••
 والحديث في هذا يطول ، نكتفي منه بعرض أمثلة محدودة ، لهذا
 وذلك .

اولا - فمن حقائق التاريخ الاسلامي :

- ١ - أن خالدا كان بطل المشركين في معركة أحد التي وقعت في
 السنة الثالثة من الهجرة ، وانهم فيها المسلمون وأصيب فيها النبي وشج
 في وجهه • لقد كان ذلك بعد الهجرة إلى المدينة ، حيث كان خالد ما زال
 على شركه . ولم يسلم خالد الا في السنة السابعة من الهجرة ، بعد عمرة
 القضاء ، حيث ترك مكة وذهب الى المدينة يعلن اسلامه أمام النبي •
- ٢ - أن حمزة كان بطل المسلمين في معركة بدر الكبرى التي وقعت
 في السنة الثانية من الهجرة ، حيث انتصر المسلمون وقتل فيها عتبة بن
 ربيعة - والد يهود امرأة أبي سفيان (أبي سمبل ، في الرواية) - كما
 قتل في بدر الوليد بن عتبة - أخو هند - وشيبة عمها •

٣ - أن سلمان الفارسي كان قد تعرض لعملية اختطاف بيع على أثرها ليهودي من بني قريظة بالمدينة ، فلما قدم النبي المدينة وسمع به سلمان ، أسلم على يديه . وقد أعانه النبي وصحابته على تحرير رقبته ، فأمدوه بالمال الذي أعتق به نفسه بعد سنين من اسلامه . وكان الرق قد حبسه عن حضور بدر وأحد ، فكادت غزوة الأحزاب أول مشاهدته ، حيث أشار بحجر الخندق ، وكان ذلك في السنة الخامسة من الهجرة . وقد عاش مسلماً كريماً وتوفي مسلماً كريماً بالمدائن في خلافة عثمان .

ولقد اتخذ الرسول في مكة كتبة يكتبون الوحي ، قبل اسلام سلمان بأكثر من ١٥ سنة ، كما استمروا يكتبون له بالمدينة ، ويزيد عددهم على ٢٠ كاتباً ، ليس منهم سلمان .

فما كان سلمان الفارسي يوماً ما من كتبة القرآن .

✱

لكن الكاتب الجهول ، سلمان رشدي ، ما كان له الا أن يزيف تاريخاً يجهله . فلو احترم نفسه مرة واحدة ، أو احترم قراءه ، لقرأ شيئاً عن تاريخ صدر الاسلام ليستعين به على حيك روايته .

فمن جهالات الدجال الهندي :

١ - أن خالد وسلمان كانوا من أوائل المسلمين بمكة (مدينة الجاهلية) ، كما سبق أن أشرنا الى ذلك .

٢ - وأن حمزة قتل أخاهند في مكة عندما هاجم هذا الأخير مع زملاء له كلا من خالد وسلمان وبلال ، فأخذ حمزة أخوته المسلمين من موت محقق (ص ١١٨) .

٣ - وأن سلمان كان الكاتب الرسمي للنبي (ص ٣٦٥) .

٤ - وأن النبي كان قد اشترى بلالا وأعتقه (ص ١٠١ ، ١٠٢) ، والصحيح أن أبا بكر هو الذي اشتراه وأعتقه .

هـ - وأنه عقب موت النبي ، خرجت عائشة من حجرتها تقول :
 (من كان قد عبد الرسول ، فليحزنوا ، لأن ما هوند (محمد) مات • ومن
 كان يعبد الله ، فليستهجوا ، لأنه حي لا يموت) (ص ٣٩٤) •
 ثم يردف الدجال ، بعد ذلك ، قائلاً : (لقد كان هذا نهاية الحلم)
 (.حلم جبريل بموت محمد - ص ٣٩٣) •
 والحقيقة أن أبا بكر هو الذي قال عقب موت الرسول : (أيها
 الناس ! ان من كان يعبد محمدا ، فان محمدا قد مات • ومن كان يعبد
 الله فان الله حي لا يموت) • ثم تلا قوله - تعالى - في القرآن :
 ﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افئن مات او قتل
 انقلبتم على اعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزي
 الله الشاكرين ﴾ (آل عمران : ١٤٤) •

* *

ثانيا - ومن حقائق الاسلام والتاريخ :

١ - أن الاسلام دين التوحيد الخالص الذي لا شبهة فيه ، وهو
 خاصيته الأولى التي يتميز بها • فأول العلم فيه : ﴿ لا اله الا الله ﴾ -
 ﴿ لا اله الا هو الرحمن الرحيم ﴾ - ﴿ انما الله واحد ﴾ -
 ﴿ فالحكم اله واحد فله اسلموا ﴾ (١) ثم جاءت سورة الاخلاص ،
 من أوائل السور نزولا ، تقول : ﴿ قل هو الله احد • الله الصمد •
 لم يلد ولم يولد • ولم يكن له كفوا احد ﴾ •
 ولقد قال فيها رسول الله : انها تعدل ثلث القرآن •

*

٢ - وأنه بعد نزول أكثر من مائة آية ، موزعة في عشر سور
 أغلبهن قصار ، فتر الوحي وطالت غيبة الأمين جبريل ، فجزع لذلك النبي

(١) هذه النصوص القرآنية تأتي على الترتيب من السور الآتية :
 محمد : ١٩ ، البقرة : ١٦٣ ، النساء : ١٧١ ، الحج : ٣٤ ، ... وغير
 ذلك في مئات الآيات •

جزعا شديدا ، وأرجف المشركون بذلك وفرحوا بهذا التوقف . بعد ذلك نزلت سورة الضحى فى إحدى عشرة آية ، يقول أولها :
﴿ والضحى والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى . . . ﴾ ثم تتابع الوحى .

لقد كان ذلك برهانا ، لمن يريد البرهان ، على أن القرآن ليس من عند محمد . فاذا كان قد اختلق أكثر من مائة آية ، فما يمنعه أن يخلق آيات أخرى ، بدلى هذا التوقف النجائى ، والتعرض لحرب دعائية شرسة يشوش بها الكفار على فكر المسلمين الأوائل وعقيدتهم .

كذلك توقف الوحى مرة أخرى بعد ذلك فترة تعرض فيها الرسول لخرج شديد ، وعانى بسبب ذلك الكثير . ثم ما لبث أن عاد ، وقد علم الله نبيه أن نزول الملائكة (بالروح من أمره) على رسله لا يتم الا بأمر الله ، وليس وفق مشيئة الرسول وهواه .

﴿ وما ننزل الا بأمر ربك ، له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسيا ﴾ (مريم : ٦٤) .

وما أمر محمد رسول الله ، بعجب فى هذا . فمن قبل طلب بنو اسرائيل من النبى ارميا أن يخبرهم (عن الطريق الذى يسرون فيه والأمر الذى يفعلونه) . « فقال لهم ارميا النبى : قد سمعت . ها أنذا أصلى الى الرب الهكم . . ويكون أن كل الكلام الذى يجيىكم الرب أخبركم به . . »

وكان بعد عشرة ايام ان كلمة الرب صارت الى ارميا -
ارميا ٤٢ : ٤ ، ٧ ، ٤ .

لم يكن هذا السؤال فى حاجة الى تأخير اجابته ولو ثانية واحدة من الزمن ، لكنه أمر الله ، يتنزل الوحى بمشيئته ، وليس بمشيئة البشر ، ولو كانوا أنبياءه المصطفين الأخيار .



٣ - وأنه منذ بدأ الرسول دعوته الى الله ، دخل فيها الأقيوياء والأغنياء ، كما دخل فيها الضعفاء والفقراء ، فلقد كانت عقيدة التوحيد الخالص هي نقطة الجذب وسبب التحول - قبل أى اعتبار آخر مثل الدعوة الى المساواة بين الناس ، وتحرير الأتقى من ضلالات الجاهلية وفعل الخيرات - لذلك كان من أوائل المسلمين : أبو بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، كما كان فيهم زيد بن حارثة وبلال وعبد الله بن مسعود . لقد استهوى الاسلام الأقيوياء والضعفاء على السواء .



٤ - ولما بدأت قريش تحس بالدين الجديد الذى يخالف دير آبائهم ويسب آلهتهم وأصنامهم ، بدأت تحثك بالمسلمين فى محاولات لصددهم عن دينهم . فكان الأذى والتعذيب الذى تعرض له الرسول شخصيا على يد عمه أبى لهب وزوجه أم جميل - أخت أبى سفيان - كما تعرض له أتباعه وخاصة الضعفاء مثل بلال الحبشى الذى كان يلقي على صخر مكة الملتهب فى حر الظهيرة ، ويذمى جسده بالسياط ، وتوضع صخرة على صدره ، فلا يقول سوى : أحد . أحد .

لم يصرخ بلال الى ربه قائلا : يا ناصر المستضعفين أجرنى ، أو : يا أرحم الراحمين خفف عني ، انما كان ترديده : أحد . أحد .

فهو يصر ، تحت وطأة العذاب الشديد ، أن يعلن ايمانه بالله الواحد .

كذلك تعرض آل ياسر ، من المستضعفين ، لتعذيب شديد ، هلك فيه ياسر الزوج ، وهلكت فيه سمية الزوجة بعد ضرب وحشى بالسياط ، وكى بالنار ، وهى تصر على توحيدها حتى استشهدت بطعنة من حربة فى فرجها !

لقد كان الصراع شديدا ، لا مهادنة فيه . فكانت سورة المسد

من أوائل السور نزولا - رقم ٦ - والمسلمون يومئذ أعداد محدودة جدا . لكنها نزلت لترعد أبا لهب عم الرسول وزوجه ، وتقرر مصيره الأبدى ، فتقول :

﴿ تبت يدا ابي لهب وتب . ما اغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نارا ذات لهب . وامراته حمالة الحطب . في جيدها جبل من مسد ﴾ .
ان هذا هو التحدى الحق . . .

لقد دخل آلاف من المشركين في الاسلام بعد هذه السورة ، وكان يمكن لأبى لهب أن يعلن قبوله الاسلام ، ولو كيدا له ، حتى يبطل هذه السورة التي تداولها الناس : مسلمون ومشركون ، منذ نزولها ، فيكون ذلك مدعاة لاحداث بلبلة في نفوس المؤمنين ، وصد للمشركين عن الدخول في الاسلام .

لكنه لم يفعل ، لأنه قضاء الله عليه ، ونبوءة حق نطق بها القرآن كلام الله الحق . فكان أن هلك على شركه عقيب غزوة بدر .



٥ - ولما رأى المشركون أن الاسلام ينتشر بين الناس ، لجأوا الى المداهنة ، ومحاولة الوصول الى حل وسط يعترف بألتهم على أى صورة من الصور . ولقد كان تعليم الله لنبيه بالحذر من ذلك ، في سورة القلم ، ثانية السور نزولا :

﴿ فلا تطع الكافرين . ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ .
(الآيتان : ٨ ، ٩) .

ثم كانت (سورة الكافرون) قاطعة في هذا الصدد :

﴿ قل يا ايها الكافرون . لا اعبد ما تعبدون . ولا انتم عابدون ما اعبد . ولا انا عابد ما عبدتم . ولا انتم عابدون ما اعبد . لكم دينكم ولى دين ﴾ .



٦ - ثم كانت سفارات الى عمه أبي طالب ، الذي لم يكن قد دخل في الاسلام ، وان ظل حاميا لابن أخيه ، يحسب له القرشيون حسابا خاصا . فقد مشى اليه رجال من أشرف قريش فيهم : (عتبة بن ربيعة ، وشيبة ، وأبو سفيان ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل ، وغيرهم . فقالوا : يا أبا طالب . ان ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا . فاما أن تكفه عنا ، واما أن تخلي بيننا وبينه فنكفيكه . وانك على مثل ما نحن عليه من خلافه .

فقال أبو طالب قولا رقيقا ورد ردا جميلا ، فانصرفوا عنه) .

ومضى رسول الله يدعو الناس الى دين الله دون توقف .

ولم تياس قريش ، فمشوا الى أبي طالب قائلين : ما نحن - يا أبا طالب ، وان كنت فينا ذا منزلة بسنك وشرفك وموضعك - بتاركى ابن أخيك على هذا ، حتى نهلكه ، أو يكف عنا ما قد أظهر بيننا من شتم آلهتنا ، وسب آباءنا ، وعيب ديننا ، فان شئت فاجمع لحربنا . وان شئت فدع . فقد أعذرنا اليك ، وطلبنا التخلص من حربك وعداوتك . فانظر في أمرك ، واقض الينا قضاءك) .

فبعث أبو طالب الى النبي ، وقال له : (يا ابن أخي ، ان القوم جاؤوني فقالوا كذا وكذا . . . وآذنوني قبل الحرب . فابق على وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت . واكفف عن قومك ما يكرهون من قولك هذا الذي فرق بيننا وبينهم) .

فظن رسول الله أن عمه خاذله ومسلمه ، فقال : (يا عم ، لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ، ما تركت الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك في طلبه) .

ثم بكى رسول الله ، ونهض من مجلسه . فقال له أبو طالب : (أقبل يا ابن أخي) ، فأقبل عليه ، فقال أبو طالب : (امض علي أمرك ، وافعل ما أحببت ، فوالله لا نسلمك بشيء أبدا) .

ثم لم يلبث حمزة - عم الرسول - أن أسلم ، فعز به المسلمون .
فهو من خير رجالات بني هاشم ، شكيمة وعزة نفس ، اذا طلب أمرا ،
قصده لا يلوى على شيء حتى يبلغه . كما عرف بين عشيرته بأنه صياد
الأسود .

وهكذا ازداد المسلمون قوة وعددا .

*

٧ - ولم تياس قريش ، فأرسلوا الى النبي سيدا من ساداتهم هو
عتبة بن ربيعة . فذهب اليه وقال : (يا ابن أخي ، اتك منا حيث قد
علمت . . . وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفحت
به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت من مضي من آياتهم .
فاستمع بني أعرض عليك أمورا تنظر فيها . لعلك أن تقبل منها بعضها) .
فقال الرسول : (قل يا أبا الوليد ، أسمع) .

فقال : (يا ابن أخي ، ان كنت انما تريد بما جئت من هذا القول
مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . وان كنت انما
تريد شرفا ، شرفناك علينا حتى لا تقطع أمرا دونك . وان كنت تريد
ملكا ، ملكناك . وان كان هذا الذي يأتيك رثيا (من الجن) تراه
ولا تستطيع أن ترده عن نفسك ، طلبنا لك الطب وبدلنا فيه أموالنا
حتى نبرئك منه) .

حتى اذا فرغ عتبة ، قال رسول الله : (أفرغت يا أبا الوليد) ؟

قال : نعم . قال : فاستمع مني . قال : أفعل .

فقال رسول الله : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من
الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ﴾ .
ومضى رسول الله يقرأ عليه سورة فصلت حتى اذا بلغ موضع السجدة -
في الآية رقم ٣٨ - فسجد . ثم قال : (قد سمعت يا أبا الوليد
ما سمعت ، فأنت وذاك) .

فقام عتبة الى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به • فلما جلس اليهم ، قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟

فقال : (ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت لمثله قط • والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة • يا معشر قريش : أطيعوني واجعلوها بي • خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت فبأ ••) •

قالوا : (سحرك والله يا أبا الوليد بلساته) •

فقال : (هذا رأي لكم ، فاصنعوا ما بدا لكم) •

لم يعرف النبي المداهنة طيلة حياته ، فكان في الحق صريحا واضحا يغضب لله ، ويرضى لمرضاته • وما كان في أمر العقيدة ، جوهر الدين وأساسه ، ليرضى بغير التوحيد النقي •

في ديانات أخرى ، قبل دعائها حلولا وسطا في أمور جوهرية ، أما في الاسلام ، فكلا ، وألف كلا •••

فها هو بولس - منشيء المسيحية التقليدية - يقول في رسائله : « استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين • فصرت لليهود كيهودي ، لأربح اليهود •

وللذين تحت الناموس ، كأني تحت الناموس ، لأربح الذين تحت الناموس •

وللذين بلا ناموس ، كأني بلا ناموس •• لأربح الذين بلا ناموس • صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء •

صرت لكل كل شيء ، لأخلص على كل حال قوما •

وهذا أنا أفعله لأجل الانجيل لأكون شريكا فيه - ١ - كورنثوس

٩ : ١٩ - ٢٣ •

فالغاية تبرر الوسيلة ، حتى في أمور الدين ، حسب قوله : « ان كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده ، فلماذا أدان أنا بعد كخاطيء - رومية ٣ : ٧ » .

ثم لم يلبث عمر بن الخطاب أن أسلم ، فعز به المسلمون كثيرا . لقد فت اسلام عمر في عضد قريش ، اذ دخل في دين الله بالحمية التي كان يحاربه بها من قبل . فلم يخف اسلامه ولم يستتر ، بل ذهب يعلنه على رؤوس الملأ ويقاثلهم في سبيله . ولم يرض عن استخفاء المسلمين وذهابهم الى شعاب مكة يقيمون الصلاة فيها بعيدين عن أذى قريش ، بل دأب على تحديهم حتى صلى عند الكعبة والمسلمون معه . وأيقنت قريش أن ما تنال به النبي وتابعيه لن يحول دون انتشار الاسلام .

*

٨ - كان العرب أهل فصاحة وبيان ، استثمروهما في حرب دعاية جبارة استخدمت فيها شتى الأساليب من هجاء بالشعر ، وافتراء للأكاذيب ، وتشويش على المسلمين وخاصة عندما كانوا يصلون بالكعبة ، فيرفعون أصواتهم حين تلاوة القرآن ، حتى يدخلوا عليه ، في أذن السامع ، ما ليس منه . لقد كان ذلك دأبهم منذ ظهور الاسلام . فلقد جاء في سورة فصلت ، التي قرأها الرسول على عتبة بن ربيعة - أبي الوليد - حين ذهب اليه في سفارة لقريش ، ما قصه الله من حرب الدعاية التي استخدمها الكفار للتشويش على القرآن في قوله : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ (فصلت : ٢٦) .

وفي هذا قال ابن كثير : « الغوا فيه ، يعني بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ اذا قرأ القرآن ، قريش تفعله »

وقال الفخر الرازي : « قال بعضهم لبعض : (لا تسمعوا لهذا القرآن ، اذا قرئ) وتشاغلوا عن قراءته برفع الأصوات بالخرافات والأشعار الفاسدة والكلمات الباطلة ، حتى تخطوا على القارئ »

وتشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته • كائت قرش يوحى بذلك بعضهم بعضا • والمراد افعلوا عند تلاوة القرآن ما يكون لغوا وباطلا ، لتخرجوا قراءة القرآن عن أن تصير مفهومة للناس ، فهذا الطريق تغلبون مجمدا » •

وقوله ، تعالى : ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية ، فنوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ (الأتفال : ٣٥) •

وقد نقل ابن كثير عن مجاهد قوله : « كان يصنعون ذلك ليخطوا بذلك على النبي ﷺ صلواته • وقال الزهري : يستهزئون بالمؤمنين • وعن سعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد : تصدية ، قال : صددهم الناس عن سبيل الله عز وجل » •

ولقد حاول المشركون ، في حياة الرسول وبعد مماته ، أن يقولوا كلاما ، يحاولون أن يجعلوه سيارا على الألسن المشركة ، تلوكه لعله يضاهى القرآن ويتغلب عليه • ومن أمثلة ذلك ما قاله مسيلمة الكذاب : (يا ضفدع يا ضفدعين • نقى ما تنقين • لا الماء تكدرين • ولا الشارب تمنعين) ••• الى آخره ، من مثل هذا الهذر والهراء •••

*

٩ - ان اختراع الأقوال المكذوبة شيء تعرضت له الأديان • فبالنسبة للجزء الأول والأكبر من الكتاب المقدس ، الذى يعرف باسم العهد القديم ، نجد أن هناك ١٤ سفرا منحولا ، تسمى الابوكريفا اعتبرها اليهود والبروتستانت مزورة ، ورفضوا ادخالها فى كتابهم ، بينما قبل الكاثوليك ، وكذلك الأرثوذكس ، سبعة من هذه الأسفار أدخلت فى الكتاب المقدس تحت اسم : الأسفار القانونية الثانية • كذلك فان الجزء الثانى والأصغر من الكتاب المقدس ، الذى يعرف باسم العهد الجديد ، فانه يتكون حاليا من ٢٧ كتابا لم تحظ بالاجماع على شرعيتها الا عام ٣٦٧ م ، أى بعد أكثر من ٣٣٥ سنة من رفع المسيح •

وتصدرها أربعة أنجيل فقط ، بعد استبعاد عشرات الأناجيل مثل :
انجيل توما ، وانجيل بطرس ، وانجيل المصريين ، وانجيل العبريين ،
وانجيل فيلبس ، وانجيل نيقوديموس ، وانجيل برنابا ... الخ .

كذلك تحتوى على ٢٣ رسالة بعد استبعاد عشرات الرسائل مثل :
رسالة برنابا ، ورسالتا كليمنت الأولى والثانية ، ورسالة بوليكارب ،
ورسالة اجناتيسوس ، وتعاليم الاثنى عشر ، ورؤيا بطرس ، وراعى
هرمس ... الخ .

وجدير بالذكر أن الرسالة الى العبرانيين ، وهى احدى الرسائل
القانونية ، لا يعرف لها كاتب حتى الآن ، حيث تظهر غفلا من اسم
كاتبها فى طبعات البروتستانت . أو الكاثوليك ، فقد أراحوا أنفسهم
من عناء البحث عن المؤلف ، واعتبروها من مؤلفات بولس ، رغم الجدل
الشديد حول هذا الموضوع .

١٠ - أن رسول الله ﷺ اتخذ كتبه عديدين يكتبون القرآن
فور سماعه منه . وأنه كان يذاغ فور نزوله أولا بأول بدليل أن سورة
المسد ، التى تتوعد أبا لهب وامرأته بالعذاب ، كانت من أوائل السور
نزولا وتداولها بين الناس ، حتى انها بلغت أبا لهب وامرأته ، فقالت هذه
للأبى بكر : (هجانا صاحبك) . فقال أبو بكر : (لا ورب هذه البنية
(المسجد) . ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به) .

ولقد نزل القرآن مفرقا على مدى ٢٣ سنة ، فى آيات متواليات
يسهل حفظها واستيعابها . وكان يستخدم فى الصلاة وفى أغلب المعاملات ،
كما كان سببا رئيسيا للتفاضل بين الصحابة ، فأكثرهم حفظا له ، أفضلهم
منزلة .

أما أحاديث الرسول ، فقد نهى عن تدوينها لقوله :
« لا تكتبوا عنى . ومن كتب عنى غير القرآن فليمحاه » (رواه مسلم) .
ولم يرض عمر بتدوين السنة فى كتاب جامع مثل القرآن ، كما

كان ينهى عن شغل الناس بكثرة الحديث ، بدلا من القرآن • واستمر
الوضع كذلك حتى جرت السنة الناس بأحاديث كثيرة فيها من الصدق
ما يتفق والقرآن العظيم ، وفيها غير ذلك • فكان أن أمر الخليفة الورع
عمر بن عبد العزيز بأول تدوين رسمي للسنة • وكان ذلك في بدايه
القرن الثاني الهجرى • فظهرت أولى المصنفات فى نحو منتصف ذلك
القرن •

لقد كذب كثير على رسول الله ، ونسبوا له أحاديث وروايات
مكذوبة ويكفى أن نعلم أن البخارى (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) قد أخرج
كتابه المعروف باسم : الجامع الصحيح ، أو صحيح البخارى ، من زهاء
٦٠٠٠٠٠ حديث ، صفاها ، وفق شروطه ومعايره التى وضعها ، الى
٧٣٩٧ حديثا بالمكرر ، وبدون المكرر تكون الأحاديث الموصولة فقط
٢٦٠٢ حديثا • وقد استغرق هذا العمل الضخم ١٦ سنة فى رحلات
وأسفار بين البلاد الاسلاميه ليتبع أحاديث رسول الله من كل من سمع
أن له صلة بالحديث •



١١ - ابتلى المسلمون بظهور الزنادقة الذين عمدوا الى تزيف
الأحاديث النبوية ، وأسندوها كذبا الى الثقات من الصحابة والتابعين •
وامتدت أيديهم العاثة الى كتب الفقه والتفسير ، وهاجموا الأديان
عموما ، ومن بينها الاسلام ، كما أنكروا الوحي الى أنبياء الله ورسله ،
وقالوا بأن العقل الانسانى هو حلقة الاتصال بين المرء وربيه • وكان
فى تعاليمهم مجون وخلاعة ودعوة للمحرمات • ولما اشتد خطرهم ، أنشأ
المهدى - ثالث الخلفاء العباسيين - ديوان الزنادقة ، لتتبع أنشطتهم
وما يثونه بين الناس • وكان من أخطرهم : عبد الكريم بن أبى العرجاء ،
الذى اعترف قبل موته بأنه وضع ٤٠٠٠ حديث •
ونكتفى بمثال واحد لخرافاتهم : خلق الله الملائكة من شعر ذراعيه
وصدره ا



١٢ - كان اليهود يعثرون بالمسيح، فقال لهم : « ليس نبي بلا
كرامة إلا في وطنه وبين أقبائه وفي بيته . ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة
واحدة - مرقس ٦ : ٤ - ٥ » .

ان هذه قولة حق ، انطبقت على كل الأنبياء المعروفين . ولقد قانى
المسيح من أهله ، ما هو أكثر من عدم التكريم ، فقد كان أقرباؤه
يعتبرونه مختل العقل :

« ولما سمع أقرباؤه ، خرجوا ليمسكوه ، لأنهم قالوا انه
مختل - مرقس ٣ : ١ » .

وكان اخوته - أبناء أمه مريم حسب رواية الانجيل - يشكون
في صدق رسالته : « قال له اخوته : انتقل من هنا واذهب إلى اليهودية
لكي يرى تلاميذك أيضا الأعمال التي تعمل . . . لأن اخوته أيضا لم
يكونوا يؤمنون به - يوحنا ٧ : ٣ - ٥ » .

وحين سمع كثير من تلاميذه بعض مواعظه ، فاتهم انفصلوا عنه
وتركوا صحبته ، شكافيه . فلم يبق معه الا الاثنى عشر : « قال كثير
من تلاميذه ، اذ سمعوا : ان هذا الكلام صعب . . من هذا الوقت رجع
كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه .

فقال يسوع للاثنى عشر : ألعلمكم أتم أيضا تريدون أن تمضوا -
يوحنا ٦ : ٦٠ - ٦٧ » .

ثم كانت صدمته كبيرة في أن الخائن الذي تأمر عليه مع شيوخ
اليهود ، كان تلميذه الذي توسم فيه الأمانة ، فجعله أمينا للصندوق .
ذلك هو يهوذا الأسخريوطي (يوحنا ١٣ : ٢٩) .

حتى اذا ما جاءت ساعة المحنة وأحس المسيح بالخطر تهدده :
« حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا - متى ٢٦ : ٥٦ » .

وبخصوص ما تقوله المسيحية عن قيامة المسيح من الأموات

وظهوره لمريم المجدلية ، كان تلاميذه أول المرتابين • « فلما سمعوا أولئك أنه حي ، وقد نظرته ، لم يصدقوا •

وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم •• وذهب هذان وأخبرا الباقيين ، فلم يصدقوا ولا هذين - مرقس ١٦ : ١١ - ١٣ •
« فترأى كلامهن لهم كالهذيان ، ولم يصدقوهن - لوقا ٢٤ : ١ »

لقد ابتلى المسيح في تلاميذه من أول يوم ، ولهذا كان يوبخهم لقلّة فهمهم وقساوة قلوبهم ، بل انه كثيرا ما كان يشتمهم • وفي هذا يقول الانجيل :

« لم يفهموا بالأرغفة ، اذ كانت قلوبهم غليظة - مرقس ٦ : ٥٢ •»

« ولما دخل من عند الجمع الى البيت سأله تلاميذه عن المثل •
فقال لهم : أفانتم ايضا هكذا غير فاهمين؟! - مرقس ٧ : ١٧ - ١٨ •»

« الا تشعرون بعد ولا تفهمون • أحتى الآن قلوبكم غليظة؟! انكم اعين ولا تبصرون؟! ولكم آذان ولا تسمعون ولا تذكرون؟! •• كيف لا تفهمون؟! - مرقس ٨ : ١٧ - ٢١ •»

« وويخ. عدم ايمانهم وقساوة قلوبهم - مرقس ١٦ : ١٤ •»

كذلك عانى محمد رسول الله من أهله - وعلى رأسهم عمه أبو لهب - ومن عشيرته والمشركين • لقد حاربوه بالقول والفعل ، وبكل سلاح استطاعوه • وكان من أمثلة مفترياتهم عليه ما قالوه :

في الجنون والشعر : « وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لجنون » (القلم : ٥١) •

« انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون • ويقولون اننا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون » (الصافات : ٣٥ - ٣٦) •

وفي افتراء القرآن وتأليفه كذبا على الله « وقال الذين كفروا ان

هنا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلما وزورا .
وقالوا اساطير الاولين اكتتبا فهي تملى عليه بكرة واصيلا ﴿

(الفرقان : ٤ - ٥)

﴿ بل قالوا اصفاث احلام بل افتراه بل هو شاعر ﴾

(الأنبياء : ٥)

﴿ ولقد نعم انهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون
اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين ﴾ (النحل : ١٠٣) •

﴿ ام يقولون تقوله ، بل لا يؤمنون • فليأتوا بحديث مثله ان كانوا

صادقين ﴾ (الطور : ٣٣ - ٣٤) •

وفي السخرية من النبى : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل

من القرينتين عظيم ﴾ (الزخرف : ٣١) •

﴿ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل

ممزق انكم لفي خلق جديد • افترى على الله كذبا ام به جنة ؟!

(سبأ : ٧ - ٨)

لقد كان ما تعرض له محمد رسول الله في الحرب الدعائية

الشرسة ، استمرارا لما تعرض له اخوته السابقون من رسل الله :

﴿ كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون •

اتواصوا به ، بل هم قوم طاعون ﴾ (الذاريات : ٥٢ - ٥٣) •

لكن الله - جلت حكمته - عوض رسوله بصحابة كانوا نعم

الرجال : رجال الله ، سواء الذين أسلموا في فجر الدعوة ، أو الذين

لما زالت عن عيونهم غشاوات الجاهلية والعصية ، دخلوا في دين الله

باخلاص وحمية •

لقد شهدت لهم نبوءات التوراة - ولا تزال - بانهم قديسون •

فهذه نبوءة موسى فيهم وفي نبيهم - محمد رسول الله - تقول ،
حسب ترجمة البروتستانت :

« جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلاأ من
جبل فاران .

وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم .

فأحب الشعب . جميع قديسيه في يدك ، وهم جالسون عند
قدمك ، يتقبلون من أقوالك - ثنية ٣٣ : ٢ - ٣ » .

وإذا رجعنا الى نسخة الملك جيمس نجد ترجمة الفقرة
التي تتحدث عن (ربوات القدس) وما بعدها تعطينا صورة أوضح ،
اذ تقول : « وجاء مع عشرة آلاف (١٠.٠٠٠) من القديسين .
ومن يمينه خرجت شريعة ملتهبة لهم » (١) .

أما العبارة التي تقول : (أحب الشعب) ، فنجدها في التراجم
الفرنسية تتكلم عن حب الله للشعوب ، أى للناس أجمعين ، وليس شعبا
واحدا ، التي جرت العادة ، في مثل تلك الحال ، أن يفهم أنه الشعب
الاسرائيلي ، فالفرق كبير بين هذا وذاك . فهذه التراجم تقول :
(أجل ، انه يحب الشعوب) (٢) .

وأما قولهم : (يتقبلون من أقوالك) ، فهي في نسخة الملك
جيمس : (وكل واحد سيتلقى من أقوالك) .

وهناك اجماع بين التراجم على أن هذه الفقرة من سفر الثنية ،
لها علاقة بفقرة أخرى في سفر حبقوق ٣ : ٣ ، ستعرض لها فيما بعد .

(1) : (and he came with ten thousands of saints :
from his right hand went a fiery law for them) .

(Oui, il aime les peuples) . (L. S.) (٢)

والآن ننظر في هذه النبوءة ، كما جاءت في سفر التثنية مع الأخذ
في الاعتبار ما تقوله مختلف التراجم ، نجد أن :-

مجىء الرب من سيناء-يشير الى رسالة موسى ، حيث ناداه الله في
البقعة المقدسة .

واشراق الرب من سعير ، يشير الى رسالة المسيح عيسى ، حيث
تمتد سعير جنوب البحر الميت ، شرق فلسطين ، وحيث اعتزل المسيح نحو
١٨ عاما مع طائفة من أهل التقوى والورع يعرفون باسم : الإسينيين .
وأما تلالؤ الرب من جبل فاران ، فهو اشارة الى رسالة مجيد
الذي جاء من ذرية اسماعيل بن ابراهيم . فلقد سكن اسماعيل في
« برية فاران - تكوين ٢١ : ٢١ » .

وكان « بنو اسماعيل .. اثنا عشر رئيسا ، حسب قبائلهم ..
وسكنوا من حويلة الى شور التي امام مصر - تكوين ٢٥ : ١٦ - ١٨ » .
هذا ، ولقد دخل محمد مكة في السنة الثامنة من الهجرة في
١٠٠٠ من اصحابه ، القديسين كما تقول نبوءة موسى . دخلوها
بسلام لهم ولأهلها . فلما دخل المسجد الحرام طاف بالكعبة وسجد
للّه شاكرا ، ثم دعا القرشيين وقال لهم : (يا معشر قريش ، ما ترون
أنى فاعل بكم) ؟

قالوا : (خيرا . أخ كريم ، وابن أخ كريم .

قال : (فاذهبوا ، فانتم الطلقاء .)

ثم أتم رسول الله في أول يوم لفتح مكة ، ما استمر يدعو اليه
طيلة ٢٠ سنة ، وما حاربته مكة بصناديدها أشد الحرب فيه . فقد
طهر المسجد الحرام من الأصنام وقضى تماما على الوثنية .

هذا ، ونجد اشارة أخرى الى جبل فاران ، جاءت في نبوءة حبقوق

التي أشارت إليها مختلف التراجم ، كما ذكرنا سلفا • فهي تقول :
« الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبل فاران • سلاه •

جلاله غطي السموات • والأرض امتلأت من تسبيحه -

حقوق ٣ : ٣ » •

آن المسلمين هم الوحيدون بين المؤمنين بالله ورسالاته ، الذين
يملأون الأرض تسييحا ، خمس مرات على الأقل كل يوم في الأذان
للصلاة ، حيث يهتفون قائلين : الله أكبر • ثم يعلنون شهادة الحق
الكبرى وهي : لا اله الا الله •

توان مكة لهي المدينة المقدسة الوحيدة التي قضى الله - جلت
حكمته - ألا يدخلها مشرك نجس • فوجب على المسلمين أن يحافظوا
على طهارتها هذه ، فذاك قضاء الله في كتب النبيين ، كما هتف به أشعيا
الذي جاء بعد موسى بستة قرون ، فقال نبوءة عن البرية ، بلاد العرب
المقفرة الجذباء ، جاء فيها : « تفرح البرية والأرض اليابسة ويبتهج الفقير
ويزهو كالنرجس • • هو ذا الحكم ، الانتقام يأتي • جزاء الله • •
وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة • لا يعبر فيها نجس
بل هي لهم - أشعيا ٣٥ : ١ - ٨ » •

ولقد كان قضاء الله في القرآن العظيم :

﴿ يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد

الحرام بعد عامهم هذا ﴾ (التوبة : ٢٨) •

حقا ، لقد عوض الله رسوله بصحابة عظام ، قادمهم في جيش من
١٠٠٠ قديس ، كان كل منهم - كما تقول نبوءة التوراة -
(يجلس عند قدمي النبي يتلقى من أقواله) •

*

١٣ - أما ما أتت به النبي حقا ، فهم أولئك الرواة ، ووضاع
الحديث ، وغير قليل من كتاب السيرة ، الذين انشغلوا بجمع الروايات

والأخبار بما فيها من غث وسمين ، دون نقد أو تمحيص . فكان الواحد
من هؤلاء (كالبندوز) ، يكتسح في مجرفته كل ما يصادفه :
التبر مع التراب . . . لا فرق .
لقد رأينا سلفاً^(١) بعض ما أورده محمد بن جرير الطبري ، المتوفى
سنة ٣١٠ هـ من روايات متناقضة في قصة النبي وزيد بن حارثة وزينب
بنت جحش . ونعرض الآن أمثلة أخرى لرواياته المتناقضة في الموضوع
الواحد .

(١) الذبيح ابن ابراهيم :

قال محمد بن جرير في تفسيره لما جاء في سورة الصافات عن
الذبيح ابن ابراهيم : « اختلف أهل التأويل في المفدى من الذبيح من
ابنى ابراهيم ، فقال بعضهم : هو اسحق . ذكر من قال ذلك : حدثنا
أبو كريب . . . عن العباس بن عبد المطلب : « وفديناه بذبح
عظيم » ، قال : هو اسحق .
حدثني الحسين بن يزيد بن اسحق . . . عن ابن عباس ،
قال : الذي أمر بذبحه ابراهيم هو اسحق » .
ثم ذكر روايات أخرى كثيرة بهذا المعنى وعلى هذا المنوال .
ولما جاء للحديث عن تقيض ذلك قال : « وقال آخرون : الذي
فدى بالذبح العظيم من ابني ابراهيم ، اسماعيل ذكر من قال ذلك :
حدثنا أبو كريب واسحق بن ابراهيم بن حبيب . . .
عن ابن عمر ، قال : الذبيح اسماعيل .
حدثنا ابن بشا قال ثنا سفيان . . . عن ابن عباس :
« وفديناه بذبح عظيم » ، قال : اسماعيل .
حدثنا ابن حميد . . . عن ابن عباس ، قال : الذي أمر بذبحه
ابراهيم ، اسماعيل » .
ثم ذكر عدة روايات أخرى ، تنتهي الى ابن عباس أيضاً ، بهذا
المعنى وعلى هذا المنوال .

(١) راجع ص ٧٠

انه تناقض يدعو الى السخرية حقا ...

أين التمهيص العلمي لهذه الروايات المتهاكمة ، التي تذكر مرة أن
الذبيح ابن ابراهيم هو : اسحق ، ثم تذكره مرة أخرى بأنه : اسماعيل .
واكثر من هذا ، فان اغلب هذه الروايات تنتهي الى شخص واحد ، هو
ابن عباس ...!
سبحان الله !

ما هذا أيها الرواة والمحدثون وكتاب السيرة؟! ..
نحن ، حقا ، أمام عمل من طراز (البولدوزر) ...
لقد كمانا الطبرى اللجاجة في هذه الحقيقة التي ذكرناها عنه .
فلاعتراف سيد الأدلة ، كما قلنا من قبل ، عند الحديث عن رواياته
المتناقضة في موضوع زينب بنت جحش ، وما نذكر القارىء بعض
ما قاله :

ليعلم الناظر في كتابنا هذا ، أن اعتمادى في كل ما أحضرت
ذكره فيه .. انما هو ما رويت من الأخبار .. دون ما أدرك
بحجج العقول وأستنبط بفكر النفوس .. فما يكن من كتابى
هذا من خبر ذكرناه .. مما يستكره قارئه .. من أجل أنه لم
يعرف له وجها من الصحة ، ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم
يؤت في ذلك من قبلنا ، وانما أتى من قبل بعض ناقله الينا .
أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى

أن هذا يعنى ، بوضوح ، أن كتب التفسير والسيرة لم تسلم من
روايات فيها كذب واختلاق . وهذه تحتاج الى تمحيص علمى لبيان
الحقيقة فى كل موضوع . ويترتب على ذلك أننا أمام قاعدة أصولية
لا بد من التسليم بها ، وهى :

ان كتب التفسير والسيرة النبوية ليست حجة على الاسلام ونبيه

على أن هذا التناقض في الروايات عن اسماعيل واسحق ، باعتبار
أن كلا منهما كان هو الذبيح ابن ابراهيم ، ليذكرنا بذلك التناقض في
الروايات الخاصة بتحول بولس من اليهودية الى المسيحية .
ففي الرواية التي ذكرها لوقا ، كاتب سفر أعمال الرسل ، في
الاصحاح التاسع منه ، نجده يقول :

« وفي ذهابه حدث أنه اقترب الى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من
السماء . فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له : شاول شاول ،
لماذا تضطهدني . فقال : من أنت ياسيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع .
أما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين : يسمعون الصوت ،
ولا ينظرون احدا - أعمال الرسل ٩ : ٣ - ٧ » .

بينما يقول ذات السفر - أعمال الرسل - في الاصحاح الثاني
والعشرين على لسان بولس نفسه :

« أبرق حولى من السماء نور عظيم . فسقطت على الأرض وسبغت
صوتا قائلا لى : شاول شاول ، لماذا تضطهدنى .
والذين كانوا معى نظروا النور وارتعبوا ، ولكنهم لم يسمعوا
صوت الذى كلمنى - أعمال الرسل ٢٢ : ٦ - ٩ » .
لا يمكن قبول الروايتين معا ، فلا بد من نبذ واحدة منهما على
الأقل . . .

* *

(ب) حديث الفرائق :

قال محمد بن جرير في تفسيره لما جاء في سورة الحج من قول الله :
« وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ،
والله عليم حكيم » (الحج : ٥٢) ، قيل ان السبب الذى من أجله أنزلت

هذه الآية على رسول الله ﷺ أن الشيطان كان ألقى على لسانه فى بعض ما يتلوه مما أنزله الله عليه من القرآن ما لم ينزله الله عليه ، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ واغتم به ، فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات •

ذكر من قال ذلك : حدثنا القاسم •••• عن محمد بن كعب القرظى ومحمد بن قيس ، قالوا : جلس رسول الله ﷺ فى ناد من أندية قريش كثير أهله ، فتمنى يومئذ ألا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه • فأنزل الله عليه : ﴿ والنجم اذا هوى • ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ •••• فقرأها

رسول الله ﷺ حتى اذا بلغ : ﴿ أفرايتم اللات والعزى • ومناة الثالثة الأخرى ﴾ ، (النجم : ١ - ٢٠) ألقى عليه الشيطان كلمتين : تلك الغرائق العلى • وان شفاعتهن لترتجى •

فتكلم بها ثم مضى فقرأ السورة كلها ، فسجد فى آخر السورة ، وسجد القوم جميعا معه ••••

فلما أمسى أتاه جبريل ، عليهما السلام ، فعرض عليه السورة ، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه ، قال : ما جئتك بهاتين • فقال رسول الله ﷺ : افتريت على الله وقلت على الله ما لم يقل ! فأوحى الله اليه :

﴿ وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذن لاتخذوك خليلا • ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا • اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ (الاسراء : ٧٣ - ٧٥) •

فما زال مغموما مهموما حتى نزلت عليه : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى •••• ﴾ - الآية (الحج : ٥٢) •

حدثنا ابن حميد •••• عن محمد بن كعب القرظى ، قال ••••

تلك الغرائق العلى • وان شفاعتهن ترتضى •
حدثنا ابن عبد الأعلى ••• ••• عن ابي العالية ، قال •••
تلك الغرائق العلى • وشفاعتهم ترتجى • مثلهن لا ينسى •
حدثنا ابن المثنى ••• ••• عن ابي العالية ، قال •••
وهى الغرائقة العلى • وشفاعتهم ترتجى •
حدثنى محمد بن سعد ••• ••• عن ابن عباس : قال ••••
ان تلك الغرائق العلى • منها الشفاعة ترتجى •
حدثنى يونس ••• ••• عن عبد الرحمن بن الحرث : قال •••
ومائة الثالثة الأخرى • ان شفاعتهن ترتجى ••• ••• «

هذا - ولسوف تناقش هذه الأقاويل والروايات ، ونعالجها من مختلف الوجوه فى نقاط متسلسلة ، ملتزمين بقاعدة أصولية ، يطبقها الناس فى مختلف قضاياهم فى المحاكم أو فيما بينهم كل يوم ، قاعدة تقول :

كل ما تسرب اليه الاحتمال ، سقط به الاستدلال •
وأول هذه الوجوه ، هو ما كان وفق قواعد المنطق البسيط ، الذى يعالج الموضوع باعتباره مجرد قضية كلامية ، لا تحتاج الى خلفية علمية تتعلق بالاسلام وكتابه ونيه وتاريخه •

فمن المعطيات التى اتفقت عليها هذه الروايات المتعددة :
- أن النبى قرأ سورة النجم **كلها** على جمهور كثير من المسلمين والمشرىين •
- وأن هناك كلمات كفر أدخلت بين آيات السورة عقب الآية التى تقول : **﴿ ومائة الثالثة الأخرى ﴾** •
- وأن تلك الكلمات عددها قليل ، بوجه عام ، لا يتعدى سطرا

واحدا في الكتابة • فالنص الأصغر ، وهو السادس والأخير ،
الذي بدأ بيونس ، لا يتعدى ثلاث كلمات تقول : ان شفاعتھن ترتجى •
بينما النص الأكبر ، الذي بدأ بابن عبد الأعلى ، يصل الى
سبع كلمات •

فلنبدأ الآن مراجعة هذا الموضوع من مختلف الوجوه •

*

(١) من مراجعة النصوص الستة لكلمات الكفر يتبين أن :

- بعضها استخدم لفظ : الغرائق (أرقام : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥) •
- وبعضها استخدم لفظ : الغرائقة (رقم : ٤) •
- والبعض لم يستخدم أيا من اللفظين (رقم : ٦) •
- كذلك ، استخدم بعضها لفظ : شفاعتھن (أرقام : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦) •

- والبعض استخدم لفظ : الشفاعة (رقم : ٦) •
- وأيضا ، استخدم بعضها لفظ : ترتجى أو لترتجى (أرقام :
١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) •

- والبعض استخدم لفظ : ترضى (رقم : ٢) •
- كذلك انتهى النصاب : الأول والثاني ، الى شخص واحد هو :
محمد بن كعب القرظي ، مع خلاف بينهما ، لترتجى ، ترضى •

- وانتهى النصاب : الثالث والرابع ، الى شخص واحد هو :
أبي العالية مع خلاف بينهما : الغرائق • مثلھن لا ينسى ، الغرائقة •

فما سبق يتبين أن هذه النصوص تختلف كثيرا فيما بينها ، ولا
يمكن أن تكون قد صدرت عن شخص واحد ، في ساعة من نهار في
مجلس واحد ، أمام جمهور كبير من الشهود ، على طرفي تقيض في
العقيدة : فبعضھم مسلم يوحد الله ، والبعض الآخر مشرك يعبد
الأصنام وسيطا بينهم وبين الله •

ومن ثم ، فان ايا من هذه النصوص المختلفة لا يرقى الى مرتبة الاحتمال ، فمن باب اولى ان يسقط به الاستدلال .

✽

(٢) ذكر ابن كثير في تفسيره رواية أخرى عن قتادة قال : « كان النبي ﷺ يصلى عند المقام ، اذ نفس ، فألقى الشيطان على لسانه : وان شفاعتھن لترتجى ، وانھا لمع الغرائيق العلى ، فحفظھا المشركون . واجرى الشيطان ان النبي ﷺ قد قراها ، فزلت بها سنتھم » .

ان الخلاف الرئيسى بين هذه الرواية وغيرها من الروايات السابقة يتركز في خلوها مما قيل من أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم على المسلمين والمشركين معا ، وأنهم سجدوا جميعا معه في موضع السجود في نهاية السورة . فهذه الرواية تجرد الروايات الأخرى من جزء أساسى فيها .

ناهيك بانقلاب شطرى كلمات الكفر ، والاختلاف نصها مع كل من النصوص الأخرى ، والادعاء بأن خطأ القراءة كان في حال نعاس رسول الله ، وليس في حال يقظته !

✽

(٣) كذلك ، ذكر ابن كثير في رواية تبدأ بابن أبى حاتم وتنتهى بسعيد بن جبیر الذى قال : « قرأ رسول الله ﷺ بمكة النجم ، فلما بلغ هذا الموضع : ﴿ افرايتم اللات والعزى ٠٠٠ ﴾ .

وفي رواية أخرى لابن كثير : عن « البزار ٠٠٠ ٠٠٠ عن ابن عباس فيما احسب الشك في الحديث أن النبي ﷺ قرأ بمكة سورة النجم حتى انتهى الى : ﴿ افرايتم اللات والعزى ٠٠٠ ﴾ .

ان ما يلفت النظر في هاتين الروايتين المشكوك في حديثهما أنهما تتحدثان عن قراءة النبي لسورة النجم في مكة . وهذا يعنى بداهة أن المتحدثين لم يكونوا في مكة وانما كانوا في المدينة . وكان الأمور هناك كانت هادئة مستقرة ، فلا حروب ولا مخاطر متوقعة في كل وقت

وحين ، حتى ان الواحد منهم استلقى على ظهره وأخذ راحته في استرجاع ما كان من أمر الدعوة في مكة ، ثم تذكر قراءة النبي لسورة النجم هناك ، وهي سورة نزلت قبل الهجرة الى المدينة بأكثر من ٨ سنوات ، وأن هذا التذکر لن يحدث قبل ١٨ عاما ، أي بعد وفاة الرسول .

عجبا حقا لهذا الهرج الذي لا يستحق مجرد القراءة ١٠٠٠

لكننا آثرنا أن نعالج هذا الموضوع من شتى أوجهه ، ومن هنا كان صبرنا على استعراض هذه الخرافات .

*

(٤) تقول قواعد المنطق : إن صحة مقولة ما تتحقق ، على الأقل ، بتحقيق شرطين متلازمين متعاقبين :

الشرط الأول : ألا تتناقض المقولة مع نفسها (فيحدث توافق داخلي) .

الشرط الثاني : ألا تتناقض المقولة مع حقائق المقولات الأخرى (فيحدث توافق خارجي) .

ومن الواضح أن عدم تحقق الشرط الأول يعتبر كافيا للطعن في صحة تلك المقولة ، ويجردها من كل مصداقية .

وبتطبيق هذه القاعدة المنطقية البسيطة على قضيتنا هذه ، نجد أن مجموعة الآيات التي تكلمت عن آلهة المشركين ، ثم تخطتها كلمات الكفر المزعومة - ولتكن وفق النص الأكبر - تقرأ معا كالاتي :

﴿ أفرايمم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى ﴾ .

تلك الغرائيق العلى . وشفاعتهم ترتجى . مثلهن لا ينسى .

ذالكم الذکر وله الأنثى . تلك اذن قسمة ضيزى . ان هي

الا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، ان
يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى .
ام للانسان ما تمنى . فله الآخرة والأولى . وكم من ملك في السموات
لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى

من الواضح أن الشرط الأول لم يتحقق في هذه المقولة ، فهي
بهذه الصورة تتناقض مع نفسها ، اذ لم يحدث فيها توافق داخلي
ألبتة . ذلك أنها بعد أن ذكرت أسماء تلك الأصنام المعبودة في
الآيتين الأوليين ، ثم مدحتهن في ثلاث مقاطع تالية ، اذا بقيت الآيات
تحمل عليها حملة شعواء ، تبدأ بإنكار وجودها فتعتبرها مجرد أسماء
اختلفها الخيال ، والعقيدة فيها ليس لها من برهان سوى الظن
والهوى . ثم بينت الآيات أن الملائكة لا يملكون من أمر الشفاعة
شيئا ، ﴿ فله الآخرة الأولى ﴾ ، (وله كل شيء) ، وحده لا شريك له .

ان هذه المقولة ، بما دس فيها من حديث الغرائق ، لا يمكن أن
تكون قد صدرت عن شخص واحد ، في مجلس واحد ، شاهده جمع
من المسلمين والمشركين . فلا بد ، اذن ، من نبد حديث الغرائق حتى
يتوافق هذا القول مع نفسه ، قبل البحث - من وجهة نظر المنطق
البحث - في البحث في تحقيق الشرط الثاني وهو توافقه مع الحقائق
القرآنية الأخرى .

ان القاعدة المنطقية التي استخدمناها في بحث حديث الغرائق
تعتبر وسيلة مضمونة وميسرة لبحث مختلف القضايا المماثلة . ونستطيع
تطبيقها ، في سهولة ويسر ، على مقولات أخرى ، ولتكن تلك التي
تتعلق بيوسف الصديق ، وامرأة العزيز في مصر ، حسبما جاءت في
الكتاب المقدس .

فبعد أن تأمر اخوة يوسف عليه وألقوه في البئر ، « اجتاز

رجال مديانيون تجار ، فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر .. فأتوا
يوسف الى مصر .. وأما المديانيون فباعوه في مصر لفوطيفار خصي
فرعون رئيس الشرط ..

وأما يوسف فأتزل الى مصر واشتراه فوطيفار خصي فرعون
رئيس الشرط رجل مصرى .. وكان الرب مع يوسف فكان رجلا ناجحا،
وكان في بيت سيده المصرى ..

وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينيها الى يوسف
وقالت : اضطجع معي ... فأخذ يوسف سيده ووضع في بيت
السجن ..

وحدث بعد هذه الأمور أن ساقى ملك مصر والخباز أذنا الى
سيدهما ملك مصر .. فوضعهما في حبس بيت رئيس الشرط
في بيت السجن المكان الذي كان يوسف محبوسا فيه ..

فحدث في يوم عيد ميلاد فرعون أنه ... رد رئيس السقاة الى
سقيه .. ثم كلم رئيس السقاة فرعون قائلا ... في حبس بيت
رئيس الشرط .. كان هناك معنا غلام عبراني عبد لرئيس الشرط ... -
تكوين ٣٧ : ٢٨ - ٣٦ ، ٣٩ ، ١ : ٣٩ - ١ : ٤٠ ، ٧ - ١ : ٤٠ ، ٣ - ٢٠ ، ٣ - ٢١ ،
٤١ : ٩ - ١٢ » .

هذه هي الخطوط العامة للجزء الأول من قصة يوسف . ويستطيع
القارئ العادي ، الذي لا يعرف شيئا عن يوسف وما قيل عنه في
الكتاب المقدس أو في القرآن العظيم ، أن يلمح شيئا يمنع توافق هذا
الجزء من القصة مع نفسه . فيوسف عبد لرئيس الشرط ، فوطيفار ،
خصي فرعون ، وأن هذا الخصي له زوجة تحاول اغواء يوسف ... !
كيف هذا : خصي يتزوج !؟

ان هنا خلا واضحا يتمثل في وصف رئيس الشرط أو الموظف
السامى لدى فرعون بأنه خصي ... !

ولقد أوقع هذا الخطأ مترجمي سفر التكوين من العبرية الى اللغات الأخرى في حرج شديد ، فاضطر بعضهم الى الالتزام بالنص العبرى الخطأ ، ووصف رئيس الشرط بأنه خصى فرعون . وهذا ما تقرأه في التراجم العربية الشائعة ، وفي الترجمة الفرنسية المسكونية ، وفي ترجمة اورشليم الفرنسية . أما تراجم البروتستانت ، عموماً ، فقد أسقطت كلمة « خصى » من القصة لتتخلص من هذا المأزق .

وجدير بالذكر أن مجيء يوسف الى مصر ، ثم مجيء أبيه وقبيلته في عقبه ، كان خلال حكم أجنبي غريب ، غير فرعونى ، تشير المقارنات التاريخية الى أنه حدث أيام الهكسوس .



(هـ) من المعلوم أن حادث الاسراء كان فى العام الأخير قبل الهجرة الى المدينة ، وأن حديث الاسراء كان سبباً فى ارتداد بعض المسلمين على دينهم ، اذ لم تستطع عقولهم تصديقه . ويروى ابن كثير فى تفسيره عن ابن عباس قال : « أسرى برسول الله ﷺ الى بيت المقدس ، ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره ، وبعلامة بيت المقدس ، وبغيرهم (التى كانت فى الطريق) » .

فقال ناس : نحن لا نصدق محمداً بما يقول . فارتدوا كفاراً . .

(فقد حدث فى صباح ليلة الاسراء أن) مر به علو الله أبو جهل ،

فجاء حتى جلس اليه ، فقال له كالمستهزىء : هل كان من شيء ؟ !

فقال له رسول الله ﷺ : نعم . قال : ما هو ؟ . قال : انى أسرى

بى الليلة . قال : الى أين ؟ قال : الى بيت المقدس . قال : ثم أصبحت

بين ظهرانينا ؟ قال : نعم . .

قال : رأيت ان دعوت قومك ، أتحدثهم بما حدثتني به ؟ فقال

رسول الله ﷺ : نعم .

فقال : يا معشر بنى كعب بن لؤى ! قال : فانفضت اليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا اليهما • قال : حدث قومك بما حدثتني •

فقال رسول الله ﷺ : انى أسرى بى الليلة • فقالوا : الى أين ؟ قال : الى بيت المقدس • قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم • قال : فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا « ...

لقد ارتد قوم عن الاسلام بعد سماعهم قصة الاسراء من الرسول ، وكان ذلك قرب نهاية فترة الدعوة فى مكة ، وقد ازداد المسلمون آنذاك عددا وقوة ، وفشل الحصار الاقتصادى والاجتماعى والفكرى الذى فرضه القرشيون على المسلمين •

فمن باب أولى أن يحدث ارتداد لبعض المسلمين — على الأقل — قبل ذلك بما لا يقل عن سبع سنين ، حين نزلت سورة النجم ، لو كان فيها حقا حديث الغرائيق ، والمسلمون يومئذ قليل ، والقرآن الذى يأتيهم به الرسول فى متناول أيديهم ، وحجة لهم أو عليهم وذلك كله قبل مولد ابن عباس ، الذى تنسب اليه زورا بعض روايات الغرائيق ، بمدة لا تقل عن خمس سنين ، اذ المعروف أنه كان قد بلغ الثالثة عشر عند موت الرسول •

.. لم يحدث ارتداد عن الاسلام ، اذن ، عقب نزول سورة النجم ونلاوة الرسول اياها جهارا نهارا أمام حشد كبير من اليهود : مسلمين ومشركين ، وذلك لسبب وحيد وجوهري وهو أنها كانت نقية كما أنزلها الله ، وكما يتلوها كل مسلم اليوم •

فلا يعقل أن يرتد مسلمون بمجرد الحديث عما اراه الله لنبيه من عالم الغيب — الذى يشكل جزءا أساسيا من عقيدة كل مؤمن — بينما لا يرتد أحد لسماع قرآن اختلط به حديث الغرائيق ... ! ان هذا مستحيل ...



هذا - ولقد عالج شيخ كبير من شيوخ المفسرين ، هو الفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٤ هـ ، حديث الغرائق ، بعد أن ذكر رواية تتشابه مع رواية الطبري وان اختلفت معها في نقاط هامة منها : اختلاف نص كلمات الكفر ، فانه قال : « اما أهل التحقيق فقد قالوا : هذه الرواية باطلة موضوعة . واحتجوا عليها بالقرآن والسنة والمعقول » . ثم ذكر الفخر الرازي براهين على بطلان هذه الرواية ، نقبس بعض ما استند اليه من (السنة والمعقول) ، ونضعه ضمن مسلسل معالجتنا لهذا الموضوع . أما الاحتجاج بالقرآن ، فسنعرض له فيما بعد .

(٦) قال الفخر الرازي : « روى عن محمد بن اسحق بن خزيمة (الذي كان معاصرا للطبري ، ولقب بامام الأئمة ، وله كتاب : الصحيح في الحديث) أنه سئل عن هذه القصة ، فقال : (هذا وضع من الزنادقة) وصنف فيه كتابا .

وقال الامام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : (هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل) . ثم أخذ يتكلم في أن رواية هذه القصة مطعون فيهم » .

(٧) « وأيضا ، فقد روى البخاري في صحيحه أن النبي عليه السلام قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون . . . وليس فيه حديث الغرائق . وروى هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرائق » .

*

(٨) « وأما المعقول ، فمن وجوه :
أله عليه السلام ، ما كان يمكنه في أول الأمر أن يصلي ويقرأ القرآن عند الكعبة آمنا أذى المشركين له ، حتى كانوا ربما مدوا أيديهم اليه ، وانما كان يصلي اذا لم يحضروها ليلا ، أو في أوقات خلوه .
وذلك يبطل قولهم .

وأن معاداتهم للرسول كانت أعظم من أن يقرأوا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر . فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجدا (في نهاية السورة) مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم (حسب بقية السورة) .

*

(٩) أجمعت الروايات المختلفة كلها على شيء واحد ، وهو أنه في نهاية نفس اليوم كانت سورة النجم عند الرسول تقية كما نقرأها اليوم . لكن الوضعين أرجعوا ذلك الى تصحيح سريع قام به الأمين جبريل ، وإن اختلفوا ، كالعادة ، في كيفية تدخل أمين الوحي . فاحدى روايات الطبرى ، كتلك التى نقلناها سلفا ، تقول :

(فلما أمسى أتاه جبريل ، عليهما السلام ، فعرض عليه السورة ، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه ، قال : ما جئتك بهاتين) .
أما الرواية التى نقلها الفخر الرازى ، فتقول :

(فلما أمسى رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام فقال : ماذا صنعت؟! تلوت على الناس ما لم آتك به ، وقلت ما لم أقل لك) ١٤
ان نظرة واحدة فى أى من هاتين الروايتين لتقطع بكذبها .
فمثل هذا الحديث الذى يزعمون أنه جرى بين أمين الوحي والنبي ، ما كان لبشر أن يعلمه الا عن طريق النبي نفسه . ولما كان النبي لم يحدث بشيء من ذلك على الاطلاق ، كان ذلك الحديث المزعوم بين أمين الوحي والنبي مختلفا ولا صحة له ، ويترتب على ذلك الاقرار باختلاق حديث الغرائق برمته ، جملة وتفصيلا .

على أن الذين اختلفوا روايات الغرائق ليثروا شبهات حول القرآن ، وأولئك الذين ظاهروهم عبر الزمان - ولا يزال بعضهم الى الآن - من غير المسلمين ، انما استدرجوا - نتيجة لسوء مكرهم -

الى التسليم بنتيجة منطقية - ترتبت على قولهم بتدخل الأمين جبريل لبيان الحق في نفس اليوم - وهى : أن القرآن الذى يتلوه الرسول على الناس فى الأرض ، انما هو مرصود من السماء ، تحت المراقبة التامة ، ومحفوظ من التدخل فيه على أى صورة من الصور •

ان هذا يعنى أنهم يسلمون - دون أن يدروا! - بقول الحق : ﴿ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾ (الحجر : ٩) •



(١٠) ثم نختم استعراضنا للروايات المختلفة بذكر واحدة ، تختلف عن سابقتها فى شىء هام يسترعى الانتباه ، فقد ذكرها ابن كثير بدءا بابن أبى حاتم ، و انتهاء بابن شهاب الذى قال : « أنزلت سورة النجم وكان المشركون يقولون : لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير ، أقررقاه وأصحابه • وكان رسول الله ﷺ قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم ، وأجزئه ضلالهم ، فكان يتمنى هداهم • فلما أنزل الله سورة النجم قال : ﴿ افرأيتم اللات والعزى • ومناة الثالثة الأخرى • الكم الذكر وله الأنثى ﴾ ، ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت فقال : (وانهن لهن الغرائق العلاء • وان شفاعتهن لهنى التى ترتجى) • وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته • فوقعت هاتان الكلمتان فى قلب كل مشرك بمكة ، وذلت بها سنتهم • فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر النجم سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك • • فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم فى السجود لسجود رسول الله ﷺ •

فاما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير ايمان ولا يقين ، ولم يكن المسلمون سمعوا الذى ألقى الشيطان فى مسامع المشركين •

(وأما المشركون) فاطمأنت أنفسهم لما ألقى الشيطان فى أمنية

رسول الله ﷺ ، وحدثهم به الشيطان ان رسول الله ﷺ قد قراها
في السورة ، فسجدوا لتعظيم آلهتهم ، ففشت تلك الكلمة في الناس » .
من هذه الرواية تتبين عدة أمور هامة :

— أن ما كان يتمناه النبي هو هداية قومه . وهذا حق له
وواجب عليه ، وذلك خلافا للروايات الأخرى التي زعمت أنه كان يتمنى
ألا يأتيه من الله شيء فينفروا منه . فشتان بين هذا وذاك .

— وأن النبي لم يقرأ كلمات الكفر على الاطلاق ، وانما قرأ ثلاث
آيات متواليات دون تدخل خارجي ، فقال : ﴿ أفرايتم اللات والعزى .
ومناة الثالثة الأخرى . لكم الذكر وله الأنثى ﴾ ، وذلك خلافا للروايات
الأخرى التي تحقن كلمات الكفر بين الآيتين الثانية والثالثة . ولهذا
السبب لم يسمع المسلمون تلك الكلمات الشيطانية على الاطلاق ، ومن
ثم تعجبوا لسجود المشركين معهم في نهاية السورة .

— وأن كلمات الكفر كانت وقفا على المشركين دون غيرهم .

— وأن نصها هنا يعتبر أطول النصوص ، ويختلف معها جميعا .

ويمكن تقدير ما حدث اعتمادا على أن سورة النجم التي قرأها
الرسول على المشركين والمسلمين ، سفهت آلهة قريش واعتبرتها مجرد
أسماء سموها (ما أنزل الله بها من سلطان) واعتمادا على ما بينته
الرواية الأخيرة ، ثم بالقياس لما يحدث في حياتنا اليومية . فمن المعلوم
أن النيابة العامة عندما تباشر التحقيق في جريمة وقعت ، فانها تستطيع
في النهاية أن ترسم صورة تقديرية لحقيقة ما حدث اعتمادا على
ما تجمع لديها من قرائن وأدلة وعوامل أخرى مؤثرة .

وبالمثل ، فاننا نستطيع أن نقول :

يحدث في حياتنا اليومية أن يقرأ قارئ القرآن مجودا على جماعه

من المسلمين فيطربون له ويهتزون لتجويده • ويبلغ بأحدهم الطرب أن يتدخل بكلمات من عنده ، عقب بعض الآيات • فإذا تلى القارئ قوله تعالى : ﴿ واذا سألك عبادي عني فاني قريب ، اجيب دعوة الداع اذا دعان ﴾ (البقرة : ١٨٦) ، عقب ذلك المأخوذ الطرب بصيحه اعجاب ، عالية الصوت ، تقول ، مثلاً : ارحمنا يا رحمان ! فاذا استمع جاهل بالقرآن ، يجلس بعيداً عن القارئ ، كانت حصيلة سمعه : (••• اجيب دعوة الداع اذا دعان : ارحمنا يا رحمان) ! فيعتقد هذا الجاهل - خطأ - أن ذلك كله قرآن ، وما هو كذلك • انه قرآن الحق به قول بشر ••• وما حدث هذا الا لأن المسلمين لا يلتزمون بما يأمرهم به الله في تعليم قرآني واضح يقول : ﴿ واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ﴾ (الأعراف : ٢٠٤)

ولقد حدث في حياتنا اليومية أن كتب عالم فاضل شغل نفسه بالتفسير الموضوعي للقرآن ، تفسيراً لبعض السور ، فاذا به يكتب الآيات ويدس بينها مفردات وشروحا يضعها بين أقواس • فما هو الحال ، اذا حدث خطأ مطبعي ، وفقد أحد الأقواس ، وهو احتمال كثير الوقوع ! لا شك أن القارئ البسيط سيقراً القرآن وما ألحق به باعتباره كله قرآناً ، وما هو كذلك •

وبناء على ما سبق تكون الصورة الاحتمالية هي أن الرسول ﷺ بدأ يقرأ سورة النجم على المشركين والمسلمين ، وبمجرد أن جاء ذكر آلهتهم في قول الله تعالى : ﴿ افرايتم اللات والعزى • ومناة الثالثة الأخرى ﴾ استمر الرسول يقرأ ما بعدها صحيحاً نقياً - وهذا ما تقوله الرواية التي نحن بصدددها - فقال : ﴿ لكم الذكر وله الأثني ﴾ بينما هتف أحد المشركين بقوله : تلك الغرائيق العلا • منها الشفاعة ترتجي ، فاستجابت لها أفئدة المشركين ، لأنها تنفق وعقائدهم فيها ، وكانت بمثابة اسقاط نفسي لشيء كانوا يتمنوه - اذ تقول نفس هذه الرواية : كان المشركون يقولون : لو أن هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير ،

أقرناه وأصحابه - ومن ثم كان سجودهم في ختام السورة . هذا ،
بينما كان المسلمون يركزون سمعهم على ما يقوله الرسول ، كعادتهم في
كل مجلس له ، ولهذا قالت الرواية ان المسلمين لم يكونوا قد سمعوا
الذي ألقى الشيطان في مسامع المشركين ، ومن ثم كان تعجبهم لسجود
المشركين معهم .

واما أن تنسب كلمات الكفر للشيطان ، رغم أنها صدرت على
لسان انسان مشرك ، فذلك شيء تتفق عليه الكتب المقدسة ،
حيث ينسب الشر أصلا الى الشيطان الذي يغري الانسان بفعله ،
فيستجيب له ويفعله . ويوم الحساب ، يتبرأ كل من خيله .:

﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر ان الله وعدكم وعد الحق
ووعدتكم فاخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لى ، فلا تلومونى ولوموا انفسكم ، ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخى ،
انى كفرت بما اشركتمون من قبل ، ان الظالمين لهم عذاب اليم ﴾
(ابراهيم : ٢٢)

انا لسنا في حاجة الى التذكرة بأن القريحة العريية الأى من
المشركين الذين استمعوا الى رسول الله وهو يتلو عليهم سورة النجم ،
لكفيلة بأن تسعفه بكلمة تعظيم لآلهته بمجرد سماع أسمائها . فما هو
خالد بن الوليد ، الذى عاش على الشرك زمنا طويلا ثم هداه الله الى
الاسلام أخيرا قبل وفاة الرسول ، يمر يوما على صنمى اللات والعزى
بعد اسلامه ، فينظر الى الواحد منهما ويقول :

كفرانك ، لا سبجانك ! انى رأيت الله قد اهانك . لقد كان هذا
سجما لا تكلف فيه ، جادت به قريحة خالد لساعتها .

ولسنا في حاجة أيضا ، الى التذكرة بأن العرب كانوا أساتذة
في الحرب الكلامية ، فأنشأوا لها مواسم وأسواقا يعرضون فيها دعاياتهم

ما بين فخر وهجاء • لقد كانوا يدركون تماما قوة الكلمة وأثرها الفعال الذي يتعاضم بكثرة التردد •

فلقد حدث في غزوة أحد ، بعد أن رجحت كفة المشركين آخر الأمر ، أن أذاعت قريش أن محمدا قتل ••• وكان لهذه الكلمة الكاذبة الخبيثة فعلها الرهيب في كلا الجانبين ••• فلا عجب ، اذن ، أن يلغوا في القرآن ، وينسبوا له ، كذبا ، حديثا كحديث الغرائيق •

ومهما يكن من أمر ، فإن كلمات الكفر لم تكن لتصدر الا من جانب

المشركين •

ومن العجيب بالذكر أن ابن كثير قد ضعف روايات الغرائيق جميعا.

فقال : (انها من طرق كلها مرسلة ولم ارها مسندة من وجه صحيح) •

والمرسل هو ما سقط منه الصحابي الذي استمع الى النبي ﷺ وأخذ

عنه • ويرى جمهور العلماء من أهل الحديث - ومعهم الأصوليون -

ان الحديث المرسل لا يؤخذ به • وقد قال الامام مسلم في مقدمة كتابه

((الجامع الصحيح)) : ان المرسل من الروايات - في اصل قولنا وقول اهل

العلم بالاخبار - ليس حجة •



(١١) ليس جديداً أن يتهم رسول من رسل الله بتدخل الشيطان

في شيء يتعلق برسالاته ، فما زعمه الكافرون في شأن محمد رسول

الله ، قال بمثله ، من قبل ، الكافرون برسالة المسيح عيسى ابن مريم •

فلقد حدث أن شفى المسيح مجنوناً أعمى وأخرس • « فبهت كل

الجموع وقالوا : العل هذا هو ابن داود ؟

اما الفريسيون فلما سمعوا قالوا : هنا لا يخرج الشياطين الا

ببعزبول رئيس الشياطين •

فعلم يسوع افكارهم وقال لهم : كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب •

وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت • فان كان الشيطان يخرج

الشيطان ، فقد انقسم على ذاته • فكيف ثبت مملكته !؟

وان كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين ، فأبناؤكم بمن يخرجون ؟
لذلك هم يكونون قضاةكم •

ولكن ان كنت أنا بروح الله اخرج الشياطين ، فقد اقبل عليكم
ملكوت الله - متى ١٢ : ٢٣ - ٢٨ « •

« فأجاب اليهود وقالوا : ألسنا نقول حسنا انك سامري
وبك شيطان - يوحنا ٨ : ٤٨ « •
« فقال كثيرون منهم : به شيطان وهو يهذى لماذا تستمعون له -
يوحنا ١٠ : ٢٠ « •

ان المتبع لحديث الانجيل - وليكن انجيل مرقس أقدم الأناجيل ،
والذي أخذ عنه كل من متى ولوقا - نجد أنه ذكر أفعال الشيطان
في مجالين اثنين :

- اغواء الناس وتجربتهم بقصد اضلالهم ، ولقد تعرض المسيح
لهذا قبل أن يبدأ دعوته (١ : ١٣) ، كما حذر المسيح من اضلاله
الناس (٤ : ١٥) •

- احتلاله جسم الانسان واصابته بالأمراض والجنون (٣ : ١٥ ،
٥ : ٢ ، ٧ : ٢٥) •

أما في القرآن فان الحملة على الشيطان وقبيله عنيفة ومتواصلة ؛
بدأت منذ أول الخليقة واستمرت تلغنه الى يوم القيامة وتحذر الانسان
من شـيـوره •

﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة
ينزع عنهما لباسهما ليريتهما سوءاتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث
لا ترونهم ﴾ (الأعراف : ٢٧) •

﴿ ان الشيطان للانسان عدو مبين ﴾ (يوسف : ٥) •

﴿ ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، انما يدعو حزبه ليكونوا من
اصحاب السعير ﴾ (فاطر : ٦) •

﴿ يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل انتم منتهون ﴾ (المائدة : ٩٠ - ٩١) .

﴿ يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين ﴾ (البقرة : ٢٠٨)

﴿ لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا . ولاضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولأمرنهم فليغيرن خلق الله ، ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ﴾ (النساء : ١١٨ - ١١٩)

﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل افاك أثيم ﴾ (الشعراء : ٢٢١ - ٢٢٢)

﴿ فورك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ﴾ (مريم : ٦٨)

... وهكذا ، جاءت حملة القرآن على الشيطان أكثر من أى كتاب سماوى آخر . ففى أكثر من ثمانين آية ، تجد تحذيرا: تلو تحذير من ضلالات الشيطان وتلاييسه بهدف رئيسى يقصده وهو تحقيق الضياع الأبدى للانسان .

بعد هذا العرض المركز لموقف القرآن من الشيطان ، نستطيع أن نستخدم منطق المسيح فى حاجته لليهود الذين اهتموه بتدخل الشيطان فى أعماله .

لقد قال لهم المسيح : (ان كان الشيطان يخرج الشيطان ، فقد انقسم على نفسه . وكل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب) .

وعلى خطى المسيح نقول للذين زعموا تدخل الشيطان فى القرآن الذى نزل على محمد رسول الله ، بأى صورة من الصور :

(ان كان الشيطان يلعن الشيطان ويحذر الناس من شروره بعد ان يكشف لهم وسائله والاعيبه ، فقد انقسم على نفسه . وكل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب) .

ولقد قال المسيح ، لمن يريدون دخول ملكوت الله :
(ان كنت انا بروح الله اخرج الشياطين ، فقد اقبل عليكم ملكوت الله) .
وبنفس المنطق نقول لمن يريدون الايمان الحق والحياة
الأبدية الآمنة : (ان كان ايمانكم ان القرآن نزل به الروح القدس ،
فقد اقبل عليكم ملكوت الله) . وأن هذا يعنى بدهاة التسليم الكامل
بقول الحق :

﴿ وما تنزلت به الشياطين . وما ينبى لهم وما يستطيعون . انهم
عن السمع لعزولون ﴾ (الشعراء : ٢١٠ - ٢١٢)

(١٢) ان واقع الحياة ، ماضيها وحاضرها ، يؤكد الصاق تهم كثيرة
وخطيرة بمن هم منها براء . وتلك واحدة من شرور أكثر الناس ،
وهى فى نفس الوقت من أكثر شرورهم التى استحال التخلص منها .
وما باليد من حيلة سوى تنفيذ تلك الاتهامات وابطالها ، فمن شاء أصر
على موقفه منها ، ومن شاء خجل من نفسه وطلب العفران .

لقد كان المسيح ومن بعده محمد من أكثر من وجهت اليهم ثلاث
اتهامات خطيرة هى : الكذب ، والجنون ، والسحر او استخدام
الشياطين .

بل ان الكفرة ألحقوا بالمسيح تهمة أفظع وأوجع ، اذ طعنوا فى
شرف أمه فجعلوه : ابن زنا !

ففى محاوراة بينه وبين اليهود ((قالوا له : اننا لم نولد من زنا -
يوحنا ٨ : ٤٨ » .

ولقد لاحظنا ، سلفا ، أن الدجال الهندي سلمان رشدى ملأ بتلك

الشتيمة الفاحشة صفحات روايته الشيطانية • (فمن ثمارهم تعرفونهم)
حقا ، كما قال المسيح ، أو : كل اثناء بما فيه ينضح ، والطيور على
أشكالها تقع ، كما يقول الناس في أمثالهم •
هذا ، ولقد برأ القرآن العظيم مريم الطاهرة - كما برأ أنبياء
بنى اسرائيل - من كل المثالب وأحاديث الافك التي سطرها كتبه
أسفار الكتاب المقدس ، فقال في حقها أفضل ما يقال :

﴿ واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك
على نساء العالمين ﴾ (آل عمران : ٤٢) •

ذلك بعض ما كان من تعظيم القرآن لمريم أم المسيح • فبينما يفرد
لها سورة مستقلة باسمها تسمى سورة مريم ، ثم يذكرها مرات ومرات
بكل اجلال واحترام في غيرها من السور والآيات ، نجدها لم تذكر
خارج الأناجيل الا مرة واحدة في سفر أعمال الرسل ، في حديثه عن
التلاميذ بعد رفع المسيح ، اذ قال : « كانوا يواظبون بنفس واحدة
على الصلاة والطلبه مع النساء ، ومريم ام يسوع ومع اخوته -
١ : ١٤ » •

ولقد أغفلتها بقية أسفار العهد الجديد البالغ عددها ٢٢ سفرا ،
فلم يذكرها بولس في رسائله الكثيرة الا غفلا من الاسم ، وذلك في قوله
عن المسيح أنه : (مولود من امرأة) ، كما أغفلها التلاميذ الذين تنسب
اليهم بقية الأسفار وهم : بطرس ويوحنا ويعقوب ويهوذا ١٠٠٠
أليست هذه ظاهرة تستحق التأمل ؟

لا عجب ، اذن ، ان يقول المسلمون صادقين : نحن اولى الناس
بالمسيح وامه •

*

(١٣) وأخيرا ، نذكر بأمر عجيب حقا ، لكنه في الحقيقة واقع
ملموس لقول الحق في القرآن العظيم : ﴿ فانها لا تعمي الابصار
ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ﴾ (الحج : ٤٦) •

ذلك أن سورة النجم ، التي حاولوا اللغو فيها ، هي السورة الوحيدة بين سور القرآن البالغ عددها ١١٤ سورة ، التي تستفتح بعد القسم : ﴿ والنجم اذا هوى ﴾ ، بالتأكيد على تجرد الرسول من كل ضلال وغواية وهوى في كل ما يتعلق بالمنطوق القرآني . فهي تقول : ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى . علمه شديد القوى ﴾

ان سورا كثيرة أخرى من القرآن تستفتح بالتأكيد على أنه كتاب ﴿ لا ريب فيه ﴾ (سورة البقرة) ، وأن الله نزله على رسول بالحق (سورة آل عمران) ، وأنه وحى من الله الى رجل من الناس (سورة يونس) ، وأنه ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ (سورة هود) ، وأنه ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ (سورة فصلت) ، وهو ﴿ الكتاب المبين ﴾ (سورة الدخان) ، وهو ﴿ القرآن المجيد ﴾ (سورة ق)

٥:
أما استفتاح سورة النجم فانه متفرد في حديثه عن العلاقة بين الوحي ، والرسول ، والقرآن ، وتأكيدده على أنها بدأت بالحق ، وبالحق انتهت ، حق ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (فصلت : ٤٢) .

ومنذ نزلت سورة النجم ، وآيتان من صدرها ، يرددهما المسلمون بكثرة في أحاديثهم عن النبي والقرآن ، في شتى المناسبات وعبر العصور والأزمان ، وهما : ﴿ وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى ﴾ . وكأن صدر سورة النجم ينطوى على نبوءة تشير الى أن المبطلين سيلغون في هذه السورة بالذات ، ومن ثم كان الرد الالهي حاضرا في فاتحتها . فما على مبصر القلب الا أن يراه ، أما أعمى القلب فلن يراه ، وان قرأه مرات ومرات .



أما الآن ، فلنتوقف قليلا لنجربى مراجعة سريعة لدراستنا .

لقد بدأنا هذا الجزء بالحديث عن حقائق الاسلام والتاريخ ، فذكرنا منها ١٣ عنصرا متسلسلا . وكان عنصرها الثالث عشر والأخير متعلقا بما ابتلى به محمد رسول الله من الرواة ووضع الحديث وغير قليل من كتاب السيرة . واستشهدنا بما قيل عن الذبيح ابن ابراهيم ، وما روى كذبا من حديث الغرائق الذي أجرينا له مراجعة شاملة من مختلف الوجوه ، جاءت في ١٣ عنصرا فرعيا متسلسلا ، كل رقم بين قوسين .

والآن ، نعود لنذكر العنصر الرابع عشر والأخير في سلسلة عناصر الاسلام والتاريخ ، لنتقل بعد ذلك للحديث عن افتراءات الدجال الهندي على الاسلام ونبيه وكتابه وتاريخه .

* *

١٤ - في مرات عديدة ، نزل الوحي على رسول الله بما يخالف

موقفه من قضايا مختلفة .

(١) فلقد كان رسول الله يخاطب يوما بعض كبراء قريش ممن طمع في اسلامه ، اذ أقبل عليه ابن أم مكتوم ، رجل أعمى . كان قد أسلم قديما ، جاء يسأل النبي شيئا في الدين ويلح عليه في السؤال . فعبس النبي في وجهه وأعرض عنه ، التفاتا الى الشريف القرشي وطمعا في اسلامه . فأنزل الله عليه سورة عبس ، تستفتح باستنكار هذا الموقف ، وتعاتب الرسول عتابا شديدا ، فتقول :

﴿ عبس وتولى . ان جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . او يذكر

فتنفعه الذكرى . اما من استغنى . فانت له تصدى . وما عليك الا يزكى .

واما من جاءك يسئى . وهو يخشى . فانت عنه تلهى .

كلا انها تذكرة . فمن شاء ذكره . في صحف مكرمة . مرفوعة مطهرة .
بايدي سفرة . كرام بررة ﴿ (عبس : ١ - ١٦)

لقد طلب الله الى رسوله ، بشكل قاطع ، أن يساوى في تبليغ
رسالته الى الناس (بين الشريف والضعيف ، والغنى والفقير ،
والسادة والعييد ، والرجال والنساء ، والصغار والكبار) .

وكان الرسول ، بعد ذلك ، اذ جاءه ابن أم مكتوم ، يبالغ في
اكرامه ويبادره بقوله : أهلا بمن عاتبنى فيه ربي .



(٢) وفي فجر الدعوة ، والرسول حديث عهد بالوحي ، كان اذا
أنزل عليه ، (يتلقى أوله ويحرك به شفقيه خشية أن ينسى أوله قبل
أن يفرغ من آخره) . فأنزل الله تعالى ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به .
ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قراناه فاتبع قرآنه . ثم ان علينا بيانه ﴾
(القيامة ١٦ - ١٩)



(٣) وفي خضم الاضطهاد والتعذيب والحرب النفسية التي مارسها
المشركون ضد المسلمين ، بعثت قريش النضر بن الحارث ، وعقبة
ابن أبي معيط الى أنجبار اليهود بالمدينة ، يستفتونهما في أمر محمد ،
باعتبارهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم الأنبياء .

فقال أنجبار اليهود : سلوه عن ثلاث ، فان أخبركم بهن فهو نبي
مرسل ، والا فهو رجل متقول ، فتروا فيه رأيكم : سلوه عن فتية
ذهبوا في الدهر الأول ، وعن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ،
وسلوه عن الروح .

(فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش . فقالا : يا معشر
قريش ، قد جئناكم بفضل ما بينكم وبين محمد . فقد أمرنا أنجبار

يهود أن نسأله عن أمور ، فأخبروهم بها ، فجاءوا الى رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد • أخبرنا ، فسألوه عما أمرتهم به •
فقال لهم رسول الله ﷺ : أخبركم غدا عما سألتكم عنه •
فانصرفوا •

ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحيًا ، حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غدا ، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألنا عنه !

وقد أحزن رسول الله ﷺ سكت الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة •

ثم جاءه جبرائيل عليه السلام ، من الله عز وجل ، بسورة الكهف (وفيها معاتبته اياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سأله عنه) • ثم تعليم الهى يقول له : ﴿ ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا • الا ان يشاء الله ﴾ (الكهف : ٢٣ - ٢٤) •

لم يقل الرسول لمن سأله : أخبركم غدا عما سألتكم عنه ، ان شاء الله • ومن ثم كان ذلك الحرج الشديد والأذى والمعاناة •
انه نبي ورسول من عند الله ، فكل كلمة وتصرف بحساب يتناسب وأقدار الرجال •

وما أمر محمد رسول الله في ابطاء الوحي عليه بالشيء العجيب ، فلقد رأينا سلفا ، كيف أبطأ الوحي على النبي ارميا اذ لم تأتته كلمة الله الا بعد عشرة أيام من سؤال الاسرائيليين له ، مع فارق جوهرى وهو أن الذين سألوا ارميا كانوا مؤمنين به وبنبوته ، أما الذين سألوا محمدا رسول الله فقد كانوا كافرين به وبرسالته • ومن هنا كانت معاناته شديدة وموقفه في غاية الحرج •



(٤) تبني محمد بن عبد الله ، قبل الرسالة ، زيدا بن حارثة . فكان يقال له زيد بن محمد . واستمر ذلك في صدر الاسلام ، حيث عامله الرسول كابن له ، كل يرث الآخر ، جريا على عادة العرب في نظام التبني ، الذي هو في الحقيقة ادعاء على غير أساس . ﴿ ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ﴾ (الأتفال : ٧) ، ولهذا جاءت سورة الأحزاب تبطل دعوى التبني ، وتستفتح بالقاء قول ثقيل على الرسول ، لم تستفتح به غيرها من سور القرآن : ﴿ يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ، ان الله كان عليما حكيما . واتبع ما يوحى اليك من ربك ، ان الله كان بما تعملون خبيرا . وتوكل على الله ، وكفى بالله وكيلآ . ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن امهاتكم ، وما جعل ادعياءكم ابناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهذي السبيل . ادعوهم لأبائهم هو اقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ، وكان الله غفورا رحيفا ﴾ (الأحزاب : ١ - ٥)

وبجانب هذا التشريع العام ، الذي أبطل التبني ، فقد جاءت آية واحدة في نفس السورة تنفي أبوة محمد لزيد أو غيره . وكأنها ، في هذا ، تنبأ بأن رسول الله لن يكون له ، على الاطلاق ، أبناء ذكور يبلغ الواحد منهم مبلغ الرجال :

﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليما ﴾ (الأحزاب : ٤٠)
هذا قول الله ، ﴿ ومن اصدق من الله حديثا ﴾ (النساء : ٨٧) .

ولقد كان هذا ما حدث فعلا ، فقد توفي ولداه من خديجة : القاسم وعبد الله ، كما توفي ولده الأخير ابراهيم ، الذي ولدته مارية القبطية ، توفوا جميعا أطفالا ، لم يبلغ الواحد منهم مبلغ الرجال . ويلاحظ أن

آية ختم النبوة (رقم ٤٠) قد اختتمت بقول الحق : ﴿ وكان الله بكل شيء عليما ﴾ (الأحزاب : ٤٠) لأنه سبحانه : ﴿ عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ﴾ (التغابن : ١٨) . وهكذا وضعت خواتم آيات القرآن بحكمة وقدر ، ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ (الرعد : ٨) .



(٥) لم يكن من مشركي مكة ، بعد أن يسوا من القضاء التام على الاسلام وسحقه ، الا أن يلجئوا ، بفطرتهم ، الى الرحلة التالية من مراحل ادارة الصراع بين القوى العنيدة ، وهى الاحتواء والتطويق . لذلك طلبوا من رسول الله أن يأتيهم بقرآن غير هذا الذى يتلوه عليهم ، لعل ضغوطه ومطالبه ، وخاصة فى مجالات العقيدة والسلوك ، تكون أخف وأهون .

﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله ، قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى ، ان اتبع الا ما يوحى الى ، انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله ، افلا تعقلون . فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته ، انه لا يفلح المجرمون ﴾ (يونس : ١٥ - ١٧) .

انه قرآن ، ما الرسول فيه الا مستقبل أمين حفظه الله من كل تدخل أو تشويش . وما هو ، بعد قضاء وحيه اليه ، الا مرسل أمين تكفل الله بسلامة تلاوته على الناس :

﴿ ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم ان علينا بيانه) . (القيامة : ١٧ - ١٩) .

انه قرآن لا علاقة له بشخص الرسول ، على الاطلاق . ولو

افترضنا العكس - جدلا - كما نفعل في مناقشة مختلف القضايا ، أما كان محمد يجعل شخصه محور الحديث والتعظيم ، ويذكر أسماء أصحابه الذين قاسوا التعذيب والاضطهاد ، فكان (منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا) • ان احصاء في هذا الشأن لجدير بالتدبر • فلقد ذكر القرآن : موسى ١٣٦ مرة ، ومريم ٣٤ مرة ، وعيسى ٢٥ مرة ، وهارون ٢٠ مرة ، واسم المسيح ١١ مرة •

أما اسم محمد ، فلم يذكر الا ٤ مرات فقط •

ولم يذكر القرآن من أتباع محمد الا مولاة زيدا مرة واحدة ، ومن أعدائه عمه أبي لهب مرة واحدة ، قرر أن عاقبته النار ، وبئس المصير • لم يذكر القرآن : أبا بكر وعمر وعثمان وعلي ، أو حمزة وخالد والعباس ••• بينما جاء في القرآن : عتاب للرسول ، ولفت نظر ، وتحذيرات شديدة اللهجة ، يكاد بعضها يصل الى حد الانذار •••

ويكفي أن تتذكر هنا قول الحق : ﴿ والله لا يستحي من الحق ﴾ (الأحزاب : ٥٣) • فهو سبحانه الكبير المتعال ، والكل بين يديه - ورسله على رأس القائمة - ليسوا سوى عبيد ضعفاء ، ﴿ يرجون رحمته ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا ﴾ (الاسراء : ٥٧)

ومن رحمة الله بخلقه ، أن أشهدهم في هذه الحياة صورا من ضعف أنبيائه ، وخشية هؤلاء الأنبياء وفزعهم من بعض مخلوقاته وتجلياته ، لتكون حجة على المرسلين ، فلا يدع أحد منهم - معاذ الله ! - وقد أمده الله بمعجزات وأعاجيب ، أنه صار أكثر من بشر : الها أو ابن اله :

﴿ ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزي الظالمين ﴾ (الأنبياء : ٢٩) •

ثم لتكون صور الضعف التي وعها البشر للأنبياء حجة على الذين أرسلوا اليهم ، فليس لهم أقل القليل من العذر ، أن يسمو بهم فوق طينة البشر . هم بشر أولا وأخيرا ، وان كانوا أفضل البشر . ففي أول وحي تلقاه موسى ، تقول التوراة : « غطى موسى وجهه ، لأنه خاف - خروج ٣ : ٦ » .

وفي هذا ، قالت بعض أسفار العهد الجديد : « كان المنظر هكذا مخيفا ، حتى قال موسى : انا مرتعب ومرتعده - عبرانيين ١٢ : ٢١ » .
و حين شعر المسيح بالخطر يتهدده ، وأن أعداءه على وشك اصطياده ، حلت به حالة من الرعب والفرع ، يعرضها الانجيل في قوله :

« ابتدا يدهش ويكتئب . فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت . .
ثم تقدم قليلا وخر على الأرض ، وكان يصلى لكي تعبر عنه الساعة ان
امكن . .

وظهر له ملاك من السماء يقويه . واذ كان في جهاد ، كان يصلى باشد
لجاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض - لوقا ١٤ : ٣٣ - ٣٥ ،
لوقا ٢٢ : ٤٣ - ٤٤ » .

وما أن تلقى محمد أول وحي في غار حراء ، ثم سرى عنه ، حتى انصرف راجعا الى بيته ، يرجف فؤاده ويضطرب قلبه خوفا وهلعا .
فدخل على زوجته خديجة وهو يقول : زملوني ، زملوني . فزملته وهو يرتعد كأن به الحمى . فلما ذهب عنه الروح ، حدثها بالذي رأى وسمع . . .
ثم تتابع الوحي . ولقد كان محمد رسول الله يعاني من شدة الوحي ، كما عانى كل أنبياء الله المرسلين . وفي هذا قال عبادة بن الصامت :
(كان النبي اذا نزل عليه الوحي كرب له ، وتريد وجهه) .

وقال زيد بن ثابت ، كاتب رسول الله : (انزل (الوحي) على رسول الله ، وفخذه على فخذي ، فكادت ترض فخذي) .

هذا - ولقد قال الله في قرآنه لرسوله معلما ومحذرا :

﴿ وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفتري علينا غيره
وان لاتخذوك خليلا . ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا
قليلا . اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا
نصيرا ﴾ (الاسراء : ٧٣ - ٧٥) .

انه قرآن الله الذى يقول لرسول الله ما قد يشعره بالخرج، ولا حرج:
﴿ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه ﴾
(الأحزاب : ٣٧)

لا علاقة ، اذن ، بالوحي وهوى الرسول ، على الاطلاق .

* *

هذا - ونستطيع الآن ، على ضوء ما تقدم من حقائق الاسلام
والتاريخ ، أن نستألف استعراض مفتريات الدجال الهندي وأكاذيبه
الهائلة المأخوذة .

*

● مفتريات على سلمان الفارسي :

يتخيل الدجال مشهدا يحدث فى غرفة بعل ، شاعر الهجاء وتابع
أبى سمبل (أبى سفيان) وزوجه هند ، فيقول : (عاد بعل الى غرفته
الحقيرة فوجد فيها شخصا مقنعا عاجله بضربة أدمته . ثم بدأ بعدها حوار
بينهما كشف أثناءه المقنع وجهه ، فبانت شخصيته : انه سلمان الفارسي !

قال سلمان لبعل : ما هو نبد قادم . فارتعد بعل وقال له : انك واحد
من أقرب صحابته . فرد سلمان : كلما كنت أقرب الى المشعوذ ، كلما
سهل عليك كشف ألعيبه) ! (ص ٣٦٢ - ٣٦٣) .

ثم يقول الدجال : وحلم جبرنا بهنا :

(ظهر جبريل للنبي وسط أشجار نخيل الواحة (يثرب) ووجد نفسه يتدفق بتشريعات ، تشريعات ...)

بدأ سلمان يشكو لبعل ويقول : الوحي - القرآن - علم المؤمن مقدار ما يأكله ، وأن الأوضاع الجنسية بين الرجل والمرأة كلها مقبولة عدا أن تكون المرأة فوق الرجل !

ولقد حدد كبير الملائكة جبريل ، الطريقة التي توزع بها ثروة المتوفى ، حتى ان سلمان بدأ يتساءل : أى اله هذا الذى يبدو كرجل أعمال !؟

• وكان ذلك بداية الفكرة التي حطمت ايمانه (١ (ص ٣٦٤) •

(ونظرا لتعليم سلمان الراقى ، فقد صار هو الكاتب الرسمى لماهوند ، ومن ثم صار هو المسئول عن كتابة تلك التشريعات المتكاثرة ..)

وتكلم سلمان عن حثه النبي على حفر خندق كبير حول الواحة (يثرب) •

وبعد هزيمة الجاهليين ، قال سلمان لبعل برثاء : أين التكريم الشعبى لى ؟ أين اعتراف ماهوند لى بالجميل ؟ لماذا لم يذكرنى كبير الملائكة فى رسائله ؟ ولا لفظه واحدة ؟ ...

ثم اشتكى سلمان لبعل من ان وحي جبريل كان ينزل مؤكدا المواقف والتشريعات التي يتخذها ماهوند ، ولذا بدأ يشم رائحة كريهة ... •
بعد ذلك أخرج سلمان زجاجة مسكر حار من عباءته ، وبدأ هو وبعل يعبان منها عبا ... (ص ٣٦٥) •

وقال سلمان لبعل : (ان هذا الرجل ، ماهوند ، ساحر ، لم يقدر أحد على مقاومة اغرائه ... وعلى أى حال - قالها سلمان وهو يتجرع بقية الزجاجة - قررت أن اختبره ...)

فعندما جلس تحت قدمي محمد ليكتب له الوحي ، بدأ يغيره خلسة .
لم يلاحظ ماهوند هذه التغييرات . وبهذا : بدأت الوث كلمة الله بكلماتي
المنسفة ! ...

بعد ذلك عرفت أن أيامي في يثرب صارت معدودة . فرحلت عنها ،
قبل الفجر ، على جمل . . . ولم يعد يهمني أن أرتبط ثانية بمدينة الجاهلية
(مكة) . . . ان ماهوند سيعود اليها منتصرا ، وأنا أعلم أنني سأفقد
حياتي (. . .) (ص ٣٦٧ - ٣٦٨) .

(بعد أن فتح ماهوند ، مدينة الجاهلية ، وأمر بتطهير بيت الحجر
الأسود من أصنام الجاهلية - ٣٦٠ صنما - جاء الناس اليه يسلمون
ويعلنون : لا اله الا الله . . . همس ماهوند في آذن خالد : شخص واحد
لم يأت ليركع أمامي ، سلمان ، ألم تجدوه !

وفي اليوم التالي ، يسحب سلمان الي حضرة النبي ، يمسكه خالد
من آذنه ، وقد مد سكيننا على رقبته ، ويحضره باكيا متشنجا : وجدته
أخيرا مع موسى تصرخ في وجهه لأنه لم يدفع أجرها . وهاهي رائحته
تتة من الخمر . . .

سلمان الفارسي ! قالها النبي في بداية نطقه بالحكم باعدامه . لكن
هذا الأسير يصرخ بصوت عال : لا اله الا الله ! فيهب ماهوند رأسه قائلا :
ان تجديفك يا سلمان لا يمكن غفراته : أن تضع كلمتك بدل كلمة الله !
يقسم سلمان على تجديد اخلاصه للنبي ، ثم يهمس اليه باسم بعل
(وشاية) . وهنا يتدخل بلال لصالحه ، فيعضو عنه النبي .

عندئذ يذهب خالد للبحث عن بعل : من بيت الي بيت . . .
(ص ٣٧٤ - ٣٧٥)



ذلك من مقتريات اللجمال الهندي سلمان رشدي ، على الصحابي

التقى سلمان الفارسي ، لا لسبب الا لكونه ينتسب الى فارس (ايران الحديثة) التي اصطدمت بالغرب كثيراً بعد سقوط الشاه ، اضافة لتلك اللعبة الاستعمارية القديمة التي تعمل على تفتيت المسلمين تحت مسميات مختلفة مثل : عرب وعجم ، سنة وشيعة ، سلفية وصوفية ... فجاء هذا المسبخ من تشويه لحقائق الاسلام وعبث بتاريخه ، خلطاً للأوراق وجعلها في خدمة السياسة ، التي تعنى بلغة ميكياڤيلي « السفالة والانتهازية » .

وقبل ذلك وبعده ، تأتي مفتريات هذا الدجال علي أمين الوحي جبريل ، وعلي خاتم الأنبياء محمد رسول الله ، فيستوقها بلا حساب . ولقد غرته نفسه فاستكبر ، وطقق يسخر منهما ومن قول : لا اله الا الله ! لقد كذب وظلم وأجرم ، والحق والعدل والتاريخ يشهدون على أنه لا جريمة بغير عقاب ...

ان له بشرى في القرآن ، نزهها اليه والى أشنياعه الذين يظاهرونه ، بشرى تقول فيه وفي أمثاله من مسخ البشر الذين يتكررون عبر التاريخ :

« فانهم يومئذ في العذاب مشتركون . انا كذلك نعمل بالمجرمين . انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون . يقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون . بل جاء بالحق وصدق الرسلين . انكم لذائقوا العذاب الاليم . وما تجزون الا ما كنتم تعملون » .
(الصافات ٣٣ - ٣٩) .

* *

● صفقة مزعومة بين النبي وابي سفيان !

يبدأ الدجال هذا الجزء من روايته الشيطانية بقول أبي سمبل (أبي سفيان) لأحد خصيائه : (أرسل رسولا الي بيت الكاهن ماهوقد . سوف فجرى له اختبارا بسيطا . مباراة عادلة : ثلاثة ضد واحد) .

تغيب ماهوند على أصحابه : حمزة وخالد وبلال وسلمان ،
فيقلقون عليه • وعندما يعود اليهم يبادره حمزة بقوله : (يا ابن أخي ،
هذا شيء ملعون ! عندما تنزل من الجبل يكون حولك نور ساطع •
أما اليوم فيوجد شيء مظلم) ! ثم يجلس ماهوند على حافة بئر زمزم
ويبتسم قائلاً : (لقد عرضت على صفقة • فيصيح خالد : من
أبو سمبل ؟ ان هذا شيء لا يتصور • ارفضها • • يستأنف ماهوند
قائلاً : انه أمر تافه ، حبة رمل صغيرة ، فأبو سمبل يسأل الله أن
يمنحه امتيازاً واحداً صغيراً •

يرى حمزة أثر الاجهاد عليه ، كما لو كان قد صارع شيطانا •
ويصرخ السقاء (خالد) قائلاً : لا شيء ! ولا ذرة واحدة ! يستأنف
ماهوند قائلاً : (اذا كان الهنا العظيم قد وجد في قلبه أنه اذا تم
التسليم بأن ثلاثة - ثلاثة فقط من بين ثلاثمائة وستين صنما في البيت -
هي التي تستحق العبادة •••) وهناك يصيح بلال : لا اله الا الله !
ويشاركه زملاؤه في القول : يا الله !

ويستأنف ماهوند : (انه يطلب موافقة الله على : اللات والعزى
ومناة ، وفي مقابل ذلك يعطى الضمان بالتسامح الديني ، بل وبالاعتراف
بنا رسمياً • ويكون الدليل على مصداقية الصفقة أن أتخب عضواً
في مجلس الجاهلية (دار الندوة) • هذا هو العرض) •

ويبدأ التعليق من أصحابه ، فيقول له سلمان الفارسي : انها
مصيدة ! طيلة كم من الزمن ونحن نتلو شهادة الايمان الذي جئنا
به وهو : لا اله الا الله ؟ كيف يكون حالنا عندما تتخلي عن ذلك
الآن ؟!

ويقول حمزة في قلق : انك لم تهتم بأرائهم من قبل ، فلماذا تهتم
بها الآن ؟! ولماذا تهتم بها بعد الحديث مع أبي سمبل ؟!
فيجيب ماهوند : انكم تعلمون واقع الأمر : لقد فشلنا في اكتساب
مؤمنين • ان الناس لن يتخلوا عن آلهتهم ••

ثم ينهض مبتعدا عنهم : يغتسل في زمزم للصلاة
يستأف المناقشة بعد الصلاة قائلا : ليس المقترح أن يقبل الله
المعبودات الثلاث كفوا له أن يعطوا فقط نوعا من الوساطة .
وضعا أقل .

وهنا يقول له حنزة : يا بن أخي . اصعد الجبل واسأل
جبريل ويصعد ماهوند الجبل ويسأل جبريل : هل يمكن أن
نسمى اللات ومناة والعزى ، ملائكة ؟ هل لك أخوات يا جبريل ؟ هل
هن بنات الله ؟ (ص ١٠٤ - ١١١) .

لقد عاد الرسول . لم يذهب هذه المرة الى زمزم . انه يدخل
خيمة الشعر (التي يتبارى فيها شعراء الجاهلية) ، حيث يجلس
أبو سمبل سيد قومه أعلى المنصة . وما ان يرى ماهوند حتى ينهض
قائلا له : (مرحبا ! مرحبا ماهوند العراف والكاهن !

ثم يبدأ ماهوند حديثه قائلا : هذا تجمع لشعراء كثيرين ، ولست
أزعم أنني واحد منهم . لكنى رسول آتى بآيات من الواحد
الأعظم . فيقول له أبو سمبل : اذا كان الهك قد كلمك حقا ، فيجب أن
يستمع اليه كل الناس . ثم يسود صمت يقطعه ماهوند قائلا :

(بسم الله الرحمن الرحيم . والثريا اذا هوت . ما ضل صاحبكم
وماغوى . وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى . علمه شديد
القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان
قاب قوسين أو أدنى . فأوحى الى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد
ما رأى . أفتمارونه على ما يرى) .

(ولقد رايتنه مرة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة
المأوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ بصرى وما طغى . لقد
رايت من آيات الرب الكبرى) .

وعند هذا الحد ، وبلا أدنى تردد أو ارتياب ، يتلو ماهوند
مقطعين آخرين : (أفرايتم اللات والعزى • ومناة الثالثة الأخرى •

هن الطيور العلا • وان شفاعتهن ترتجى(1) •

وعندئذ تسمع صيحات وهتاف وصلوات للمعبودة : اللات •••
ويهتف أبو سمبل : الله أكبر ! ثم يسجد بعدها ، وتبعه زوجه هند ••
ويسجد الحاضرون جميعا بين يدي النبي الذي اعترف بالآلهة التي
تحمي مدينة الجاهلية) ! (ص ١١٣ - ١١٥) •

*

وهكذا ، يعبث الدجال الهندي بوحدة من أكبر ديانات العالم ،
ديانة التوحيد النقي الذي هو سمتها المميز ••• يأتي هذا المسخ
محاولا أن يهاجمها في أقوى حصونها منعة ، وأشد مداخلها
حزامة ••• ولكن هيهات هيهات !

لقد حدث في المؤتمر الثاني للحوار الاسلامي المسيحي ، الذي عقد
في قرطبة عام ١٩٧٧ ، أن ألقى الكاردينال ترانكون رئيس أساقفة اسبانيا
كلمة الافتتاح ، وقال فيها :

« انى كأسقف أود أن أضح المؤمنين المسيحيين بنسيان الماضى ،
كما يريد المجمع البابوي منهم ، وأن يعربوا عن احترامهم لنبي الاسلام ••
ان هذا شيء هام جدا بالنسبة للمسيحي ، اذ كيف يستطيع ان يقدر
الاسلام والمسلمين دون تقدير نبيهم والتقييم التي بثها ولا يزال يثها في
حياة أتباعه ؟ ••

لن احاول هنا تعداد قيم نبي الاسلام الرئيسية : الدينية
منها والانسانية ، فليست هذه مهمتى ، وسوف يلقيها عليكم الأخصائيون
واللاهوتيون المسيحيون بالمؤتمر •• غير أنى أريد أن أبرز جانبين
ايجابيين - ضمن جوانب أخرى عديدة - وهما :

(They are the exalted birds, and their intercession (1)
is desired indeed).

إيمانه بتوحيد الله وانشغاله بالعدالة .

أما إيمانه بالله الأحد ، فهو سمة حياته . انها اهم عقيدة تركها
لأمتيه .

وأما دعوته الى العدالة مع شتى التطبيقات الدينية والاجتماعية ،
فهي ما تزال قائمة . . . بيد أنى أود أن أخص بالذكر دعوته الى سواسية
الناس ، رجلا ونساء ، والى تحقيق العدالة بينهم » .

*

انها واحدة من مشاكل البشرية ، عبر العصور ، أن يوجد أقزام
يتناولون على عمالقة الحق والخير والجمال . . .

ولقد كان من سوء حظ البشرية أن أعطى هؤلاء ، وأمثالهم
من صغار النفوس ، حظوظا من مختلف الامكانيات ، فاستخدموها في
الهدم والتخريب . لقد تحقق فيهم المثل الذي ضربه المسيح :
مثل الكلاب والخنازير ، حين علم الناس قائلًا :

((لا تعطوا القدس للكلاب . ولا تطرحوا درزكم قدام الخنازير لئلا

تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم - متى : ٧ : ٦ » .

كان خيرا لذلك الدجال ، لو بقى أميا جاهلا كسواد شعبه الذي
يُحاول ، يائسا ، أن ينسلخ منه . . .

* *

● النبي في غرفة نوم هند !

يتخيل الدجال الهندي أن هند زوجة أبي سفيان
(أبي سمبل) عثرت على ملقى في أحد شوارع مكة (مدينة
الجاهلية) ، فنقله خدمها الى غرفتها ، وهناك استرد وعيه . وفي هذا
يقول : (يستيقظ النبي بين ملاءات من الحرير ، وهو يعانى من

صباح عنيف ، في غرفة لم يرها من قبل .. ثم لا يلبث أن يتعرف على صوت هند ، فينهض وقد وجد نفسه عاريا تحت ملاءة ، فيناديها قائلاً : هل تعرضت لهجوم ؟ .. تصفق هند بيديها ، فيأتي الخدم بطعام الإفطار ، ويرتدي النبي جلبابا من الحرير .. تسخر منه هند قائلة : أيها الرسول ! ... يا له من رسول لا يغازل النساء ! أما كان في مقدورك الحضور الى غرفتي بارادتك ، وأنت في كامل وعيك ؟ بالطبع ، كلا . اني متأكدة اني كنت طردتك .. يسألها النبي : هل أنا سجين ؟ فتضحك منه مرة أخرى قائلة : لا تكن أحمق . ثم تهز كتفيها استهزاء وتقول له : كنت أتجول ليلة أمس ، وقد ارتديت قناعا ، في شوارع المدينة ، لأشاهد المهرجان ، وما كان الا أن تعثرت في جسدك فاقد الوعي ، مثل سكران سقط في بالوعة ، يا ماهوند !

لقد أرسلت خدمي بحمالة ، لاحضارك الى بيتي ، فلتقل لي شكرا . فقال لها : شكرا .. ثم يتذكر ما حدث ويقول : لقد أغمى علي .

تأتي هند وتجلس على السرير ، قريبة منه ، وتمد اصبعها في فتحة الجلباب وتضرب صدره ثم تتمتم : أغمى عليك ! هذا ضعف يا ماهوند .. هل ضعفت ؟ ثم تردف قائلة له : أنا زوجة سيد قومه ، وكلانا : أنا وهو ، لسنا من أصدقائك . ان زوجي ، رجل ضعيف ، يعلم أن لي عشاقا ولا يفعل شيئا ، وذلك لأن رعاية بيوت العبادة في أسرتي : اللات والعزى ومناة ..

وتقدم هند للنبي مكعبات من البطيخ ، محاولة اطعامه بأصابعها ، لكنه يرفض اطعامها له ، ويتناول البطيخ بنفسه .

ثم تستطرد قائلة : بعل هو آخر عشاقى . وهنا تلمح الغيظ في وجهه .. وتقول له : لا بعل ولا أبو سمبل كفاء لك . أنا فقط .. أنا عدلك وأنا خصمك .. ثم تقترب منه واضعة وجهها أقرب ما يكون

منه ، وتقول : اذ كنت أنت نائبا عن الله ، فأنا نائبة عن اللات ،
وهي لن تؤمن باللهك عندما يعترف بها • ان معارضتها له عنيدة ونهاية •
لاحرب بيننا لا تنتهى بهدنة • ويالها من هدنة ! • ان الهك رب متعال •
ولا يوجد لدى اللات أقل رغبة في أن تكون ابنته • انها كفاء له كما
انى كفاء لك ••

عندئذ يسألها ماهوند : وبناء على ذلك ، هل يخون سيد قومه
عهده ؟ وتجب هند : من يدري ؟ •• انه ضعيف ، كما أخبرتك •
لكنى أصدقك القول : لا يمكن أن يوجد سلام بين الله وهذه
الثلاث • أنا لا أريد ذلك • أريد القتال حتى الموت • هذا ما أنا عليه •
ثم يرحل النبي ••• (ص ١١٩ - ١٢١) •

*

عبث ما بعده عبث ، وفجور ما بعده فجور •••

وغدا : ﴿ سيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ﴾ •

(الشعراء : ٢٢٧)

* *

● وماذا عن الماخور !؟

يفترى الدجال كعادته ، فيقول عن مكة بعد أن فتحها النبي ،
ودخل المكيون في الاسلام : (عاد ماهوند الى يثرب مع زوجاته ، تاركا
المدينة (الجاهلية) تحت امرة قائد جيشه خالد •• فمنذ مدة ، فكر
ماهوند في أمر خالد باغلاق مواخير الجاهلية ، الا أن أبو سمبل نصحه
بالألا يقدم على مثل هذا الاجراء المتهور • فلفت نظره الى أن الجاهليين
حديثو عهد بالاسلام : فلتأخذ الأمور بتأن • ونظرا لان ماهوند
يعتبر أكثر الانبياء واقعية ، فقد وافق على فترة اتقالية •

ولهذا ، اندفع الجاهليون الى ماخور الحجاب ، في غياب النبي

(في يثرب) .. ولأسباب واضحة ، لم يكن من الكياسة أن يقف رواد الماخور في صف طويل في الشارع ، وانما كانوا يلتفون حول نافورة الغرام ، في الفناء الداخلى للماخور ، يطوفون حولها ، كما يطوف الحجاج ، لأسباب أخرى ، حول الحجر الأسود القديم .. كان كل رواد الماخور لابسي أقنعة ، وكان بعل (الزوج الصورى لموسات الماخور) يراقبهم من أعلى ..

وبعد مرور سنتين ويوما واحدا ، من ممارسة بعل لحياته الجديدة (ديوثا) اذا بأحد زبائن عائشة يتعرف عليه على الرغم من تنكره ، قائلا : اذن ، هذا هو المكان الذى آواك ! لقد كان هذا سلمان الفارسى ، الذى دعاه بعل ، عقب ذلك ، الى ركن وقدم له زجاجة من النبيذ .. قال سلمان : لقد جئت الى هنا ، لأنى تارك نهائيا هذه المدينة اللعينة ، ولهذا أردت أن أستمتع بلحظة من المتعة بعد كل تلك السنين الخراء ! ..

لقد قررت أن أرحل الى وطنى .. انى راحل غدا دون أدنى تأخير)
(ص ٣٨١ ، ٣٨٥)

* *

● مقتريات حول موت النبى !

يتردى الدجال فى قعر مستنقعات الفجور والتضليل ، فيتخيل موت النبى ، وينسبه لحلم اعترى جبريل ، فيقول : (جاءت الأخبار أن النبى ماهوند قد أصيب بمرض عضال .. وأن رأسه بها دق ثقيل كما لو كانت قد امتلأت بالشياطين !

وهذا ما حلم به جبريل حول موت ماهوند : عندما بدأت رأس الرسول توجهه بالأم لم يعهدا من قبل ، أدرك أنها النهاية .. ثم صرخ قائلا : من هناك ؟ هل هو أنت يا عزرائيل ؟

لكن عائشة سمعت صوتاً مربعاً لامرأة تقول : لا يا رسول
الله • إته ليس عزرائيل !•••

وعاد ماهوند يسأل : هل هذا المرض منك يا اللات ؟

فقلت : انه انتقامى منك ، وهو يرضينى •• ثم خرجت تلك المرأة
المتكلمة •• وتمتم الرسول : ومع ذلك ، فانى أشكرك أيتها اللات على
هذه المنحة !

وما هنى الا لحظات ، حتى مات (ص ٣٩٣ - ٣٩٤) •



إما بعد ••

أما وقد تردت الأمور الى هذا الحد ، فلم يعد هناك من حديث
الا اللعنة ، نصبها على هذا الدجال الهندى ، من الكتاب المقدس ،
فلعل حماته من (اهل الكتاب) يفيقون قبل أن تدركهم • لقد كان
نعليم بنى الله داود أن تقول فى مثل هذه المواقف :

(يا اله تسبيحى لا تسكت • لأنه قد انفتح على فم الشرير وفم
بالغش • تكلموا معى بلسان كذب • بكلام بغض أحاطوا بى • وقاتلوني
بلا سبب ••

فأقم أنت عليه شريرا ، وليقف شيطان عن يمينه • اذا حوكم
فليخرج مذنباً • وصلاته فلتكن خطية • لتكن أيامه قليلة ، ووظيفته
ليأخذها آخر • ليكن بنوه أيتاما ، وامرأة أرملة • ليته بنوه تيهانا ،
ويستعطوا • ويلتمسوا خبزا من خربهم • ليضطد المرابى كل ماله ،
ولينهب الغرباء تبعه • لا يكن له باسط رحمة ، ولا يكن مترأف على
يتاماه • لتقرض ذريته • فى الجيل القادم ليمنح اسمهم • ليذكر اثم
آبائه لدى الرب ، ولا تمنح خطية أمه • لتكن أمام الرب دائما ، وليقرض
من الأرض ذكرهم ••

احب اللعنة فاتته ، ولم يسر بالبركة فتباعدت عنه . ولبس اللعنة
مثل ثوبه ، فدخلت كمياه في حشاه . . . لتكن له كثوب يتعطف به ،
وكمنطقة يتنطق بها دائما) (الزمور : ١٠٩) .

انها حقا رواية شيطانية ، كتبها حشاش في ماخور ، أصيب
بانفصام الشخصية فصار يتردد بين القرد والحشاش . . .
فحين ينظر في مرآة رأسية ، أمامه ، فانه يهذى ويشتد هراؤه .
وحين ينظر في مرآة أفقية ، أسفله ، ينعكس أقبح ما فيه ، فيهيج ويشتد
جنونه . ان قبحه يتضاعف : قبح وجهه يغذى قبح مؤخرته ، وقبح
مؤخرته يغذى قبح وجهه ، تماما كدائرة راديوية تعمل في حالة رنين . . .
قبح الى ما لا نهاية . . .

حقا انه شيطان انسى ، ممن فجد نعته في قول الله في القرآن
العظيم : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى
بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ﴾ (الأنعام : ١١٢) .

(لقد أحب اللعنة فاتته ، ولم يسر بالبركة فتباعدت عنه) - كما
قال داوود - (ولكل امرئ ما نوى) ، فكان هذا عدوا لخاتم
النبيين . لقد قاده نيته السيئة الى المهالك ، اذ أراد أن يشتري
الشهرة والمال بأى ثمن ، فدمر نفسه تدميرا . ولكن :
(ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه) ، كما قال المسيح .
لقد اختار طريق اللعنة ، فتهيات له أسبابها : صار الشيطان له قريبا .
﴿ ألم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا . فلا تعجل
عليهم ، انما نعد لهم عدا ﴾ (مريم : ٨٣ - ٨٤) .

وعندما تقبس ما جاء في الانجيل عن انسان الخيانة نقول :
(لقد دخل الشيطان في سلمان رشدى ، وهو كان معدودا من جملة

المسلمين . فمضى وتكلم مع رؤساء الكفر كيف ينفذ مؤامرتهم . ففرعوا وعاهدوه ان يعطوه مالا وشهرة ، فواعدهم . وكان يطلب فرصة ان يتم روايته الشيطانية ، فيفرغ فيها كل سمومه وسموم التآمرين) .
ولقد قام الخائن بتنفيذ الدور المرسوم له تماما ، فاستحق من سادته قبض الثمن : أموالا وشهرة واعلان حماية ، كما لو كان واحدة من المستعمرات السابقة .

(ولكن - كما قال المسيح - ويل لذلك الرجل .. كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد) .

* *

حملة مسعورة على عيسى ومحمد ...

أخرج الدجال الهندي سلمان رشدي روايته الشيطانية ، لأول مرة ، في عام ١٩٨٨ ، تطعن في محمد رسول الاسلام ، وتوجه للمسلمين أفظع الاهانات .

ولقد شهد نفس العام - ١٩٨٨ - حدثا آخر له نفس الأسلوب والمحتوى والأهداف ، وهو اخراج فيلم : «التجربة الأخيرة للمسيح» يطعن في عيسى رسول المسيحية ويشوه سلوكياته ، وأكثر من هذا أنه يمجّد تلميذه الخائن يهوذا .

ويظهره في شكل بطل غيور ، يتهم معلمه بالخيانة !

لقد صفق كثير في الغرب ، وما يزالون ، عندما سمعوا عن مضمون رواية الدجال الهندي وطعنها في الاسلام ونبيه . وهاجت قطعان كثيرة تطلب حمايته باعتباره منقذا لهم من خطر متوهم للاسلام ، يعيش في عقول الحمقى منهم والجهلاء . ونسوا ، أو جهلوا ، في غمرة موجات الجنون - التي تمثل ظاهرة دورية تعودنا على ظهورها بين الحين والحين - أن رسول المسيحية المعبود ، قد تحول في هذا الفيلم الى عريذ زان ضعيف ، خدعه الشيطان !

ان أى جاهل بسيط ، لم يؤت حظا من الخبرة والتثقيف ، لن يجد صعوبة في استنتاج ما وراء تلك الفقايع ... انها حملة مسعورة ، خطط لها بعناية ضد عيسى ومحمد في محاولة لهدم ما يمثله من قيم وأخلاقيات ، وبشرة من وراءهم من طوائف وجماعات ، حتى يخلو الجو للآخرين ، فيفعلوا بالعالم الأفاعيل ...



● فيلم التجربة الشيطانية :

أخرج الفيلم عن رواية الكاتب اليوناني نيكوس كازانتزاس ،

التي صدرت عام ١٩٥٥ ، وكانت من أكثر الكتب رواجا ، وقد صدر
ضده قرار بالحرمان من الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية •

تقوم أحداث الفيلم ، كما تقول مجلة تايم ، على (أن يسوع انسان
كامل واله كامل • وقد أظهره علم اللاهوت المسيحي على أنه متحرر
من الخطيئة ، لكنه معرض لكل الاغراءات بما فيها اغراءات الجنس •
وعلى خطى كازانتزاكيس (المؤلف) ، فان سكورسيس (المخرج)
أظهر يسوع كإنسان ضعيف متردد ، متعاون مع الرومان اذ يصنع لهم
صلبا^(١) ، يعدمون عليها الثوار اليهود) •

أما صاحبه يهوذا فهو مقاوم للاضطهاد الروماني ، لا يعجبه سلوك
يسوع فيوبخه بعنف قائلا : (انت متعاون معهم ! يهودى تصنع
صلبانا لهم) !

(يعتريه كرب عظيم فيهيم على وجهه حتى يقف أمام باب • وهناك
يجد حيتين متشابكتين ، احدهما سوداء والأخرى بيضاء •

وخلف الباب يكتشف ماخورا ، تمارس فيه مريم المجدلية الدعارة •
يطلب منها المغفرة ثم يسقط في الاثم !
ويصيح قائلا : يا الهى ، أنا ابن الخوف^(٢) !

وفيما بعد ، أمام المنافقين البرجوازيين (من الكتبة والفريسيين ،
ينقذ مريم المجدلية من الرجم ، قائلا : ومن هو الذى لم يخطئ أبدا^(٣))
ثم يرحل الى الصحراء للتأمل •••

(١) كان المسيح نجارا : « كثيرون اذ سمعوا بهتوا قائلين : اليس
هذا هو النجار ابن مريم ، وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان - انجيل
مرقس ٦ : ٣ - ٢ » •

(٢) (Mon Dieu , je suis le fils de la peur) !

(٣) يشير الى قصة المرأة الزانية التي أحضرها له شيوخ اليهود
للرجم فقال لهم : « من كان منكم بلا خطية ، فليرمها أولا بحجر - انجيل
يوحنا ٨ : ٧ » •

.. وهناك تجربه حية ، ويتحدث معه أسد ، ويسيل الدم من شجرة
تفاح عندما يأكل منها ، وتظهر بلطة في الرمل ...
من الآن فصاعدا ، يشير بالحرب ... وأمام تلاميذه يدخل يده
في صدره وينتزع قلبه ، ويريه لهم باعجاب ! ويصير اله الحرب !
وفي فزعه من فرط قوته : يقيم لعازر من الأموات) ...
(الا أنه يبقى قلقا ومشوش الفكر فيما يتعلق برسالتة وحقيقة
مهمته . وفي احدى الليالي ، على جبل الزيتون ، يحرض يهوذا ، أفضل
أصحابه ، على خيافته من أجل تنفيذ خطة الله !
يقول يسوع ليهوذا : (افعلها من أجل ! فيجيبه يهوذا : لا أستطيع .
فيلح عليه قائلا : افعلها ، من أجل الحب) !
يفعلها يهوذا ، وتسير الأحداث حسب روايات الأناجيل ، حتى
يعلقونه على الصليب . (وهناك في لحظة تفكير حالم يظهر يسوع
وهو يمارس الجنس مع مريم المجدلية !
وعندما يشرف على الموت ، تراءى له فتاة صغيرة ، لعلها ملاك ؟
انها تطلب منه أن ينزل وتقول له : لقد عانيت كثيرا . انك لست المسيا .
وبطريقة خفية ينزل من على الصليب ، ويرتحل تجاه واد أخضر نضرا .
هناك يمارس الجنس مع مريم المجدلية ثم يتزوجان) .
(وبعد موتها يتزوج مريم أخت لعازر (الذي أقامه من الأموات) ،
ثم يزني بأختها مرثا !
ثم يرى يسوع بطرس ويوحنا ويهوذا قادمين اليه ، فيسبه يهوذا
قائلا : ايها الخائن ! لقد طلبت مني أن أبيعك ، لكنك لم تمت على
الصليب . ان الفتاة الصغيرة التي تراءت لك ، لم تكن ملاكا . انها
شيطان ! (١) .

(Traître ! Tu m'as demandé de te vendre, (١)
et tu n'est pas mort sur La Croix ! La petite fille n'était pas
un ange, mais Satan) !.

يتوسل اليه يسوع مرة أخرى • انه يريد العودة الى الصليب •
وهناك يوت (1) •

وهكذا عبثوا بالمسيح •••

*

● رد الفعل والتعليقات :

اثار الفيلم ضجة كبيرة وموجات احتجاج عارمة ، فقد اعتبره
(المحافظون) تجديفا ، ودعوا لمقاطعته ، وكونوا حملة من المعارضين
لاتلاف الصور والملصقات أو سحبها من أماكن الاعلان • كما وقعت
في نفس الوقت عدة حوادث مما يطلق عليه (معاداة السامية) يفهم
أنها موجهة ضد اليهود ، تعرض لها العاملون منهم في استوديوهات
شركة يونيفرسال ، وهتفت جماعات مسيحية في الشوارع : التمويل
بأموال اليهود !

وقام القس دونالد دايلدمون ، رئيس (جمعية العائلة الأمريكية) ،
بارسال ٢٥ مليون رسالة احتجاج على الفيلم ، ونشر اعلانات لمقاطعته
في ٧٠٠ محطة راديو ، و ٥٠ محطة تلفزيون •

وقد طالب بل برايت من جماعة : (صليبية من اجل المسيح) ،
بجمع أموال لتعويض شركة يونيفرسال عن كل نسخ الفيلم الموجودة ،
نظير اتلافها •

لكن الشركة ردت على ذلك بغطرسة في اعلانات نشرتها في صفحات
كاملة لبعض الصحف في أربع مدن تقبس فيها من توماس جيفرسون ،
وتعلن فيها أن الحقوق الدستورية الخاصة بحرية التعبير ، والحرية
الدينية ، ليست للبيع •

(1) TIME; NEWSWEEK; U. S. NEWS & WORLD
REPORT; PEOPLE; THE NEW REPUBLIC; PAEMÈRE.
(1988).

وقامت (جماعة الأخوات الريميات بتداول احتجاج ضد الفيلم
به عبارة استفزازية - وردت في القصة الأصلية لكنها حذفت من
الفيلم - يقولها يسوع لمريم المجدلية : الاله ينام بين فخذيك) ! (١) .
كما احتوى الفيلم على عبارات فظيعة وضعت على لسان يسوع ،
مثل قوله : (انى كذاب . انى منافق . انى خائف من كل شيء . ان
الشیطان فى داخلى) ! (٢) .

ومع ذلك ، فقد وجد من يدافع عن الفيلم ، بل ويشيد به ، ليس
فقط من بين المنحرفين من عامة الشعب ، بل وأيضا من بين المنحرفين
من رجال الكنيسة !

فقد قدم الأسقف بول مور ، فى كنيسة نيويورك ، أقوى دفاع
عن الفيلم قائلا : انه صحيح من الناحية اللاهوتية . وعلى الرغم من أن
ممارسة يسوع للجنس مع مريم المجدلية ، قد يؤذى مشاعر البعض ،
فيجب علينا أن نتذكر أنه حلم ، وأنه ليس الا صورة أخرى ليسوع ،
وعملا فنيا يؤكد على جوانب معينة من شخصيته !

ان الناس اليوم ، يا جناب الأسقف ، يعيشون حقا عالم الهلوسة !

كذلك ، قال القس وليام فور ، من (المجلس الوطنى للكنائس)
أنه يرى فى الفيلم : (محاولة أمينة تحكى قصة يسوع من منظور
مختلف) !

وقال القس اللوثرى تشارلز برجستروم : (لا يمكن اعتبار هذا
الفيلم تجديفا ، أو هجوما على الأسفار المقدسة) :

(God sleeps between your legs).

(١)

(I am a liar. I am a hypocrite. I am afraid

(٢)

of everything . Lucifer is inside me).

وقال الأسقف انتوني بوسكو ، من (المجلس الوطني للأساقفة الكاثوليك) : (ان مُعاداة السامية ، والكراهية التي سببها هذا الفيلم ، يصعب أن ترضى قلب المسيح) !

حقاً أيها الأتقياء من رجال الكنيسة : لقد اغتيل الحق باسم الحب ، وأنتم علمت ذلك من الشاهدين ، بل ومن المباركين ! فباي اسم الحب ، ترتكب اليوم كل الموبقات ...

ولماذا نذهب بعيداً ؟!؟ إنها هي مؤلف هذه التجربة الشيطانية - كازاتزاكيمن - يبدأ صفحاتها الأولى بتقديم يقول فيه : (انى متأكد من ان كل انسان حر يقرأ هذا الكتاب الممتلئ حبا على هذا النحو ، سوف يحب المسيح أكثر من أى وقت مضى ، وفضل من أى وقت مضى) !

* *

بين شيطانيات : الهندي ٠٠٠ واليوناني !

صدرت رواية الدجال اليوناني، نيكوس كازاتزاكس عام ١٩٥٥ تحت اسم : « التجربة الأخيرة للمسيح » . وهي تعنى التجربة الشيطانية الأخيرة التي تعرض لها المسيح ، و انتهت - حسب زعمه - بسقوط المسيح في الخطيئة ، بعد أن استحوذ عليه الشيطان وأخضعه لسلطانه !

وبعد ٣٣ عاما ، صدرت رواية الدجال الهندي سلمان رشدي - عام ١٩٨٨ - تحت اسم « مقاطع شيطانية » . وهي تزعم أن للمقطعين على شاكلة سجع الكهان وسدنة الأصنام ، قد تفهما الشيطان أثناء قراءة النبي محمد لاحدى سور القرآن - سورة النجم - كصفقة شيطانية بين النبي وأبى سفيان ، تمجد ثلاث معبودات وثنية هي : اللات ، والعزى ، ومنىة . وهذا يعنى - حسب زعمه - أن النبي محمدا استحوذ عليه الشيطان يوما ما وأخضعه لسلطانه !

ذلك هو الفكر العام الذى تتضمنه كل من الروايتين . ولما كانت الأولى قد سبقت الثانية بمدة ثلث قرن ، كان الانطباع العام هو أن الثانية قد جاءت كسرقة أدبية من الأولى .

وإذا تعمقنا قليلا فى دراسة البنية الأساسية لكلا الروايتين ، لتبين لنا صدق القول بأن الهندي سرق من اليوناني ٠٠٠

لقد لخص الناقد جان لوقا سابلون حقيقة التجربة الأخيرة للمسيح ، بقوله : (هل هى حلم ؟ أم تقلص الزمن ؟ أم خيال ؟

الله والشيطان شئ واحد) ! ٠٠٠ (١) .

وتلك هى حقيقة رواية « مقاطع شيطانية » فلقد هرب الدجال

(١) (Réve ? Contraction du temps ? Fantasma ? Dieu et le Diable sont un).

الهندي من الجد الى اللهو والعبث وذلك باللجوء الى الأحلام والتخيلات التي ازدحمت بها روايته • وهو قد اعترف بذلك صراحة في مثل قوله : (لقد بدأت الأحلام في نفس الليلة • وفي تلك الرؤى كان حاضرا دائما ، ليس كذاته ، بل كسميه •• أنا هو ، وهو أنا ، أنا كبير الملائكة الدموي ، جبريل نفسه) ! (ص ٨٣) •

- (وهذا ما حلم به جبريل) (ص ٣٦٣)
- (حلم جبريل بالحجاب) (ص ٣٧٦)
- (حلم جبريل بموت بعن) (ص ٣٩٠)
- (حلم جبريل بموت ماهوند) (ص ٣٩٣)

*

واستخدم الهندي فكرة تقلص الزمن ، كما ذكرنا سلفا ، مستعينا بتناسخ الأرواح ، والولادة مرة ثانية ، وممارسة الروح لحياة ثانية يفصلها عن الحياة الأولى بمدة زمنية كبيرة •••

*

وإذا كان الاغريقي قد وضع على لسان المسيح قوله عن نفسه : (ائى كذاب ••• ان الشيطان في داخلي) ا

- فلقد وضع الهندي على لسان النبي قوله : (عندما يأتي جبريل أشعر كما لو أنه يأتي من أعماقي ، من نفسي) ا (ص ١١٠٦) •

وإذا كان الاغريقي قد أشار الى أنه عندما تختلط الأمور على صاحب الرسالة - المسيح - يكون الله والشيطان واحدا ا ، حسب بزاعمه المضلل ، فان الهندي اقتبس تلك الفكرة ووضعها في مناقشة صحابة النبي للصفقة المزعومة مع أبي سفيان حول وضع معبودات الجاهلية الثلاث : اللات ، والعزى ، ومناة • فهو يزعم أن النبي كان يبرز قبواه للصفقة (بأن تلك المعبودات الثلاث لن يكن كفوا لله • وغاية ما في الأمر أن يكون لهن نوع من الوسيلة اليه ، أى يكن ذات وضع أقل ا

وهنا يصرخ بلال : مثل الشياطين • فيقول له سلمان : لا ، بل
مثل ملائكة الطبقة العليا •

فيعقب النبي بقوله : ملائكة وشياطين • شيطان وجبريل • انما
جميعا تقبل بوجودهم بين الله والانسان) ! (ص ١٠٧) •

(وعندما يسترد النبي وعيه ، فانه يصرخ بكل قوته ويقول : انه
الشيطان ! في المرة الأخيرة ، كان شيطانا ! ••• لقد انخدع وعرف أن
الشيطان جاءه على هيئة كبير الملائكة ، وأن المقاطع التي تلاها في خيمة
الشعر كانت شيطانية ، فيعود الى مدينة الجاهلية بأسرع ما يكون ،
قاصدا بيت الحجر الأسود ويقف أمام التماثيل الثلاثة ويعلن محو تلك
المقاطع التي همسها الشيطان في أذنه) (ص ١٢٣ - ١٢٤) •

*

ولقد تكلم نقاد فيلم « التجربة الأخيرة للمسيح » ، عما به من أخطاء
عقائدية من وجهة نظر المسيحية ، فقالوا ان تصوير المسيح (وهو يلتقط
أقذارا وأحجارا ويقول : هذا هو دمي أيضا ، فان هذا يجعله مؤسس
عقيدة وحدة الوجود) التي تقول بأن الله والطبيعة شيء واحد) كما
انه مؤسس للمسيحية) •

كذلك التقط الهندي هذه الفكرة ونسج على منوالها ، فاخترع
مشهدا يزعم فيه أن النبي صعد الجبل ليسأل كبير الملائكة جبريل في
موضوع المعبودات الثلاث • وأن جبريل عندما رآه يصعد صار يرتجف
ويتمنى لو أن النبي لهم يحضر اليه ، ثم يحدث نفسه قائلا : انه (يأتي
الى من أجل الوحي ، يطلب مني أن أختار بين أن يكون مؤمنا بالاله
الواحد (موحدا حقيقيا) ، او مؤمنا بالاله الواحد مع عبادة آلهة اخرى
(موحدا مزعوما) (ص ١٠٩) •

*

• لقد استخدم اليوناني فقرات من الأناجيل ، استنبط منها حينا ،

با استهواه. خياله واستخدم لفهما ، أحيانا ، تفاسير منحرفة وروايات منحولة ، أوقعته في هذه المضللات •

فمثلا : تذكر الأناجيل المتشابهة (متى ومرقس ولوقا) أن الروح أخرج المسيح الى البرية ، وهناك جربه الشيطان • وبعد أن اجتاز التجارب بسلام ، « تركه إبليس ، واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخلمه - متى ٤ : ١١ » •

الا أن لوقا ختم حديثه عن تجربة الشيطان للمسيح بقوله : « ولما أكمل إبليس كل تجربة ، فارقه الى حين - ٤ : ١٣ » • ان هذا يعنى ، بدهاءة ، أن للشيطان عودة أخرى لتجربة المسيح • وكان هذا هو ما استثمره اليوناني في روايته : التجربة الأخيرة للمسيح ، الا أنه ضل في روايته لتلك التجربة التي اعتمد فيها على تفسيرات خاطئة وروايات متهرئة •

كذلك يقرر انجيل يوحنا أن يهوذا كان امينا للصندوق (١٣ : ٢٩) ، ولهذا وصفه اليوناني بأنه أفضل أصحاب المسيح ، وصوره في صورة يهودى حريص على الاسرائيليين أكثر من حرص المسيح نفسه •

وكذلك يذكر انجيل يوحنا ، أنه في العشاء الأخير ، قال المسيح ليهوذا : « ما انت تعمل ، فاعمله باكثر سرعة • وأما هذا فلم يفهم أحد من المتكئين لماذا كلمه به - ١٣ : ٢٧ - ٢٨ » • من هنا قال اليوناني - وغيره من المدافعين عن يهوذا - أن المسيح كان يرجوه أن يخونه لكي يقبضوا عليه ويقتلوه صلبا ، بزعم أن تلك كانت خطة الله لخلاص العالم من الخطيئة !

ولقد كان هذا ما فعله الهندي في سيره على اليوناني ، اذ اعتمد في حديثه عن المقاطع الشيطانية ، على روايات متهاككة قامت على

تفاسير منحرفة لبعض آيات القرآن ، مثل قول الله لنبيه : ﴿ ولولا ان
ثبتناك لقد كنت تركن اليهم شيئا قليلا . اذن لأذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ (الاسراء : ٧٤ - ٧٥) •
ان الفهم اللغوي لهذه الآيات ليس في حاجة الى خلفية علمية أو
تاريخية بما كان بين هؤلاء - المشركين الذين تحدث عنهم القرآن -
وبين الرسول • فالآية الأولى تؤكد بوضوح ان الله ثبته ، وبالتالي لم
يركن اليهم • والآية الثانية تبين أنه لو فعل وركن اليهم ، ولو شيئا قليلا ،
لكان عذابه مضاعفا •

ان القضية واضحة تماما • لكن هناك من تعاملوا عن صدر الآية
الأولى ، ووقفوا ينظرون الى بعض بقيتها نظر من يريد وقوع المنفى
وفوعه ، فاخترعوا روايات باطلة لا تصمد أمام التمحيص العلمي ساعة
من نهار • وليس معنى ركون الرسول الى المشركين - لو وقع - أن
يأتيتهم بقرآن من عنده ، ليرضيهم ، افتراء على الله • وكيف يكون هذا ،
والله يحذر المؤمنين من الركون الى الظالمين ، في قوله :

﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون
الله من اولياء ثم لا تنصرون ﴾ (هود : ١١٣) •
فالركون اليهم ، يعنى - لغة - موالاتهم ، أو القعود عن مجاهدتهم ،
أو الاعتماد عليهم •

*

وأخيرا ، نلاحظ أن اليوناني قد استخدم النساء في حياة المسيح
أسوأ استخدام ، وعلى خطاه سار الهندي عاريا ، مجردا من كل ستر أو
حياء •

*

ولما كانت رواية التجربة الأخيرة للمسيح ، من أكثر الكتب رواجاً

عندما صدرت عام ١٩٥٥ ، فقد سال لعاب الدجال الهندي أن يكون لروايته الشيطانية مثل ذلك الرواج . ولما كان يعلم في قرارة نفسه أنه كاتب مغمور فاقد الموهبة ، فلم يجد له من وسيلة سوى ارضاء المزاج الغربي الذي تربي على الخوف من الاسلام والظعن في نبيه وكتابه وكرهية المسلمين - كما قرر ذلك بحق برنارد شو قبل خمسين عاما - وذلك بترديد أكاذيب بالية عن القرآن ، والخوض في مطاعن قديمة حول تعدد زوجات الرسول ، وكلها من الموضوعات التي قتلت بحثا وتفنيدا ، ولم يبق فيها مزيد لمستزيد .

« فليس تحت الشمس جديد . ان وجد شيء يقال له : افظر ! هذا جديد ، فهو منذ زمان كان في الدهور التي كانت قبلنا - سفر الجامعة ١ : ٩ - ١٠ » .

*

على أن هناك فرقا جوهريا بين الهدف النهائي لكل من اليوناني والهندي من روايتيهما : فالأول يزعم أن روايته : التجربة الأخير للمسيح ، ستدفع كل انسان حر الى أن يحب المسيح أكثر وأفضل من أي وقت مضى ، بينما يفصح الثاني في كل سطر من سطور روايته الشيطانية عن عداوة فاجرة لنبي الاسلام ، فائطلق كالكلب المسعور ينهش لحم ضحيته بطريقة تشمئز منها بقية الكلاب والخنازير . . .

*

حقا انها لفضيحة وخديعة . . . ومن عجب أن يصفق المخدوعون لخدعهم . . . لكنها طبيعة البلهاء . . .

*

وأخيرا ، نقول انه ليس عجيبا أن تصدر هذه الأساطير الشيطانية عن بعض من ينتسب الى الهند أو اليونان . . .
اقرأوا التاريخ القديم ، ان شئتم ، وقرأوا من أين جاءت مثل هذه الأساطير . . .

محاكمة الكاتب سلمان رشدي وفق أحكام الكتاب المقدس

● تمهيد :

ملأ الكاتب الهندي سلمان رشدي روايته « مقاطع شيطانية »
بالطعن في المقدسات المشتركة بين اليهود والمسيحيين والمسلمين . فلقد
طعن في الاله ، والملائكة والنبين ، وكان لأمين العرش جبريل ، وأبي
الأنبياء ابراهيم النصيب الأكبر من السخرية والشتائم والاهانات .
وباختصار ، لقد جدف على المقدسات المشتركة .

وفي هذه المحاكمة التي تتم وفق مفاهيم الكتاب المقدس وأحكامه
وعقوباته ، سوف ننحى جانبا تجديفه على مقدسات الاسلام ، ونكتفى
بالنظر في جرائمه التي تقع في المساحة المشتركة من المعتقدات بين أتباع
الاديان الثلاثة : اليهودية والمسيحية والاسلام ، مع ملاحظة هامة سبقت
الإشارة اليها في مستهل الحديث عن قضية هذا الكاتب ، ألا وهي :
(أنه يضع فكره وعقله ، مكان فكر كل شخصياته وعقولها . وهو يسوق
أفكاره سوفا من وراء شخصياته التي تبدو كالأقنعة أو المشجب حامل
الأفكار) .



● من مفاهيم الكتاب المقدس :

يعتبر الملاك الذي يصطفيه الله ويرسله الى البشر ، حاملا لاسم
الله ، ومن ثم يجرم التمرد عليه أو الاستخفاف به . وما يحدث في حياة
البشر من اعتبار السفير ممثلا لرأس الدولة ، كذلك الحال بالنسبة
لهؤلاء الملائكة - «وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم»
(الروم : ٢٧) - اذ يعتبر التجديف عليهم كأنه تجديف على اسم الله .
ولهذا كان تعليم الله لموسى ولبنى اسرائيل في قوله :

« ها انا مرسل ملائنا امام وجهك ليحفظك في الطريق وليجيبك بك الى المكان الذي اعدتة • احترز منه واسمع لصوته ولا تنمرد عليه • لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن اسمى فيه • وليكن ان سمعت لصوته وفعلت كل ما أتكلم به أعادي أجداءك وأضايق مضايقتك - خروج ٢٣ : ٢٠ - ٢٢ » •

ومن هذا المفهوم ، كان تعليم المسيح لتلاميذه :

« الحق الحق اقول لكم : الذى يقبل من ارسله ، يقبلنى • والذى يقبلنى ، يقبل الذى ارسلنى - انجيل يوحنا ١٣ : ٢٠ » •

وفي كثير من قصص الكتاب المقدس ، يكون الحديث عن الله كأنه حديث عن ملائكته ، والعكس بالعكس •

ففى قصة الذبيح ابن ابراهيم ، تجدها تتبادل الحديث عن الله ، وعن الملاك الذى ارسله الى ابراهيم ، كالآتى :

« وحدث بعد هذه الأمور ان الله امتحن ابراهيم • فقال له : يا ابراهيم • فقال : هاأنا • فقال : خذ ابنك وحينئذ الذى تحبه • •

واصعده هناك محرقة على احد الجبال • •

ثم مد ابراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه • فناداه ملاك الرب من السماء وقال : ابراهيم ، ابراهيم • فقال : هاأنا • فقال : لا تمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئا • لانى الآن علمت انك خائف

الله ، فلم تمسك ابنك وحينئذ عنى - تكوين ٢٢ : ١ - ١٢ » •

لم يقل الملاك لابراهيم : الآن علمت أنك خائف الله ، فلم تمسك

ابنك وحينئذ عنه ، انما قال : ... عنى •

ومثل ذلك ، ما كان فى أول وحي تلقاه موسى فى سيناء :

« ظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عتيقة • فنظر واذا

العليقة تتوقد بالنار ، والعليقة لم تكن تجترق . فقال موسى : أميل الآن
لأنظر هذا المنظر العظيم ..

فلما رأى الرب أنه مال لينظر ، ناداه الله من وسط العليقة -
خروج ٣ : ٢ - ٤ « .

ومثل ذلك كثير ، كما رأينا سلفاً في قصة جدعون ، حيث
« ظهر له ملاك الرب .. فالتفت إليه الرب وقال - قضاة ٦ : ١٢-١٤ « .

وإذا كان هذا هو الحال مع الملائكة المرسلين ، بوجه عام ، فإن
لجبرئيل أمين الوحي ومعلم الأنبياء وضعاً متميزاً ولا شك . فهو بلغة
الكتاب المقدس : **الواقف قدام الله .**

فقد جاء لذكرياً يشره بابنه يحيى (يوحنا) ويقول له :

« أنا جبرائيل الواقف قدام الله ، وأرسلت لك لأكلمك وأبشرك بهذا -
انجيل لوقا ١ : ١٩ - « .

وكان هو الذي أرسل الى مريم العذراء ليشرها بابنها المسيح عيسى :

« أرسل جبرائيل الملاك من الله .. الى عذراء مخطوبة لرجل ..
واسم العذراء مريم - انجيل لوقا ١ : ٢٦ - ٢٧ « .

* *

● عقوبات التجديف على المقدسات :

التجديف من أكبر الخطايا ، فهو وإن كان كلمة ، أو كلمات ، تقال
إلا أن عقوبتها رهيبه . فلقد حذر المسيح من تلك الخطية ، وخاصة
عندما يكون التجديف على الروح ، فقال :

« كل خطية وتجديف يغفر للناس . وأما التجديف على الروح فلن
يغفر للناس . ومن قال كلمة على ابن الإنسان (المسيح) يغفر له .
وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له : لا في هذا العالم ، ولا
في الآتى ..

يا أولاد الأفاعى : كيف تقدررون أن تتكلموا بالصالحات وأتم
أشرار • فانه من فضلة القلب يتكلم الفم •
ولكن ، اقول لكم : ان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس ، سوف
يعطون عنها حسابا يوم الدين • لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان -
انجيل متى ١٢ : ٣١ - ٣٧ » •

وقد اعتبر المسيح التجديف من أكبر الشرور ، فجعله يعادل الزنا
والقتل ، اذ قال : « من قلوب الناس تخرج الأفكار الشبيرة :
زنا ، فسق ، قتل ، سرقة ، طمع ، خبث ، مكر ، عهارة ، عين شريرة ،
تجديف ، كبرياء ، جهل • جميع هذه الشرور تخرج من الداخل ، وتنجس
الانسان - انجيل مرقس ٧ : ٢١ - ٢٣ » •

ولقد حرمت التوراة سب الله وسب الرؤساء الدينيين ، فقالت :
« لا تسب الله ، ولا تلعن رئيسا في شعبك - خروج ٢٢ : ٢٨ » •

*

ولقد جعلت التوراة عقوبة مثل هذا التجديف : القتل رجما ،
يستوى في ذلك الاسرائيلي الذي يؤمن بالله والتوراة ، أو غير
الاسرائيلي الذي له دين آخر ، أو الذي ليس له دين على الاطلاق •
« كلم الرب موسى قائلا : أخرج الذي سب (وهو ابن رجل
مصرى) الى خارج المحلة ، فيضع جميع السامعين أيديهم على رأسه ،
ويرجمه كل الجماعة •

وكلم بنى اسرائيل قائلا : كل من سب الهه يحمل خطيته • ومن
جذف على اسم الرب فانه يقتل • يرجمه كل الجماعة رجما • الغريب
كالوطني : عندما يجذف على الاسم يقتل - لاويين ٢٤ : ١٣ - ١٦ » •

كذلك جعلت التوراة عقوبة سب الوالدين ، أحدهما أو كليهما ، انما
هى القتل ، فقالت :

(كل انسان سب ابيه او امه ، فانه يقتل - لاويين ٢٠ : ٩) .

وخلاصة القول : ان عقوبة التجديف على الله ، أو اسمه ، أو ملائكته ، أو خليفه ابراهيم ، أو أنبيائه - الذين هم أكبر الرؤساء الدينيين ، وسبهم أو السخرية منهم ، أو الحديث عنهم باستهزاء ، كل ذلك وأمثاله ، عقوبته : القتل رجما . ويحدث ذلك بأن تقوم الجماعة التي تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وأنبيائه ، بتنفيذ الحكم على رؤوس الأشهاد .

* *

● جرائم الكاتب سلمان رشدى :

١ - السخرية من الاله ومن خلقه البشر ذوى خيال وأحلام ، وذلك فى قوله (لو كنت الله ، لأبطلت الخيال فورا من اذهان الناس . وآنذاك قد يستطيع أولاد الزنا المساكين مثلى أن يحصلوا على قسط طيب من الراحة) بالنوم بلا أحلام بمضاجعة الأمهات ليلا ! (ص ١٢٢) .

٢ - الحديث عن اسم الله بسخرية وتهكم ، اذ يقول :

(يوجد الله يسمونه هنا : الله ، الذى يعنى ببساطة : الاله . واذا ما سألت الجاهليين عنه فسيترفون بان هذا الشخص له نوع من السلطان الكلى ، الا أنه لا يتمتع بحظوة كبيرة بينهم . فهو اله يقوم بكل الأدوار فى زمن التماثيل المتخصصة) ! (ص ٩٩) .

وجدير بالذكر أن لفظ الجلالة : الله ، بهذا النطق الصوتى (ALAH) كما فى العربية - هو ما ذكره عالم اللاهوت الدكتور

سكوفيلد فى الطبعة الأولى من تفسيره للكتاب المقدس الانجلىزى (ENGLISH BIBLE) - بمعاونة ثمانية من العلماء حملة الدكتوراة فى اللاهوت - وذلك فى تعليقه على العدد الأول من سفر التكوين الذى

يقول : (في البدء خلق الله^(١) السموات والأرض) • وللأسف ، فإن الطبقات التالية لتفسير سكوفيلد ، قد حذفت كلمة (ALAH) ، حتى لا يترك عامة المسيحيين أن عليهم أن يعبدوا الإله الذي يعبده المسلمون ، ويعرفونه باسم : الله :

يقول الله في قرآنه ، تعليماً للمسلمين :

﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم والهنأ والهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ (العنكبوت : ٤٦) •

٣ - الاستهزاء بالملائكة والسخرية من تطويح الله لهم بكلمات معسولة ووعود براءة • فهو يقول :

(وماذا عن الحالة الملائكية ؟ هي وضع وسط بين الألوهية والانسية • ألم يعترهم الشك أبدا ؟ بلى • فقد حدث ذات يوم أن اجترضوا على إرادة الله ، حيث تواروا تحت العرش متدمرين ، ومتجاسرين على التساؤل عن أشياء محظور السؤال عنها : هل من الصواب أن ... ؟ ... فكان طبيعياً أن يهدىء الإله من تدمرهم مستخدماً مهارات الإدارة الإلهية • فلقد أشبع غرورهم بقوله : ستكونون وسائل تنفيذ إرادتي في الأرض ، وأدواتي لخلص الإنسان وهلاكه ، وكل الهلم جرا المعتادة ! وآئذاك : هتافات فرح سريعة ، ونهاية للاحتجاج ، وعودة ثانية إلى العمل ، تصاحبهم الهالات !

إن الملائكة يمكن تهنئتهم بسهولة ، فإذا جعلتهم وسائل في يدك ، فلسوف يعزفون لحن فيثارتك المفضل . أما البشر ، فانهم نوع مشاكس ، يستطيع الشك في كل شيء ، حتى ما تشهد عيونهم) (ص ٩٢) •

The three primary names of Diety : Elohim, (١)
Jehova, and Adoni, and the five most important of the Compound
names, occur in Genesis.

Elohim (sometimes EL or Elah), English form : God ,
formed from : EL = strength, or. the strong one, and Alah, to
swear , to bind oneself by an oath, so implying faithfulness.

٤ - وفي تهكم عايش ، يقول :

(في تلك السنوات ... هل من الممكن القول بأن كبير الملائكة جبريل ؟
إيم. أن يقول : الله ؟ قد تسلطت عليه فكرة التشريع) ! (ص ٣٦٣)
(أنا - كبير الملائكة - الدموي ، جبريل نفسه) (ص ٨٣) .

٥ - وعن إبراهيم خليل الله ، يقول :

(في قديم الزمان ، جاء الأب إبراهيم الى هذا الوادي بصحبة
هاجر وابنه اسماعيل . وهناك في تلك البرية عذيمة الماء تظلى عنها ،
فسأله : هل يمكن أن تكون هذه ارادة الله ؟ فأجابها : انها كذلك .
ثم رحل ابن الزنا ! منذ البدء ، استخدم الناس الاله لتبرير ما لا يمكن
تبريره !) (ص ٩٥) .

ان ذلك الكاتب الهندي يشتم أئني الأنبياء ويصفه بابن الزنا ،
ثم يتهمه بالكذب على الله !

٦ - ثم هو يتهم الأنبياء جميعا بأنهم جاءوا من عند أنفسهم ، ومن
ثم كان منهم الواقعي ، ومنهم المثالي ، ومنهم المتزمت ، ومنهم المتساهل ،
وذلك ما ينطوي عليه قوله :

(ما هو نند ، أكثر الانبياء واقعية ، فقد وافق على فترة انتقالية)
(ص ٣٨١)



● الحكم :

من الثابت أن الكاتب الهندي سلمان رشدي قد ارتكب الجرائم
الآتية :

- التجديف على الله .
- التجديف على اسم الله .
- التجديف على الملائكة .

– سب خليل الله ابراهيم والظعن فيه •

– الظعن في الأنبياء والسخرية منهم •

وتطبيقا للأحكام الواردة في : (خروج ٢٢ : ٢٨) ، (لاويين ٢٤ : ١٥ – ١٦) ، (لاويين ٢٠ : ٩) ، واسترشادا بتعاليم المسيح في : (متى ١٢ : ٣١ – ٣٧) ، (مرقس ٧ : ٢١ – ٢٣) – تكون عقوبة الكاتب الهندي سلمان رشدي هي :

الرجم حتى الموت •

* *

ذلك هو الحكم على سلمان رشدي ، وفق أحكام الكتاب المقدس وهو حكم لا رجعة فيه ولا فرصة عنده للنجاة منه •

وجدير بالذكر هنا أن رئيس لجنة الفتوى بالازهر قد قال في تصريح له : (ان سلمان رشدي يستحق الاعدام بسبب رسول الله ﷺ غير انه يجب التحقيق معه وتمكينه من الدفاع عن نفسه • ثم ان له حق الرجوع والتوبة ، وهنا يسقط عنه الحد) (١) •

* *

(من له اذنان للسمع فليسمع) كما قال المسيح كثيرا في الانجيل •••
ولكن : (رب مستمع ، والقلب في صمم) ، كما قال الشاعر
أحمد شوقي •••

* * *

(١) شيطان الغرب : ص ٩٧

حقوق الانسان ...

نعم ... وألف نعم من أجل حقوق الانسان ...

وهل الدين - كما تعلمناه فهما واستيعابا وإيمانا - في أحد مقاصده الكبرى ، الا من أجل حقوق الانسان !؟

لكن كل حق يقابله واجب ... فتلك بديهية منطقية ، أقرتها خبرات الحياة ، وذلك هو العدل والميزان الذي تستقيم بهما أمور الحياة .

ولسنا الآن في صدد الحديث عن حقوق الانسان في الاسلام ، في بضع صفحات من هذا الكتاب ، فذلك موضوع يحتاج الى بضع مئات من الصفحات . لكننا نكتفي بمسه مساهمات خفيفة في صورته العامة التي تتكلم عن حق الكائن الحي من انسان وحيوان ونبات ... ان أول حق للكائن الحي ، هو حق الحياة . فلا يهلك الا في منفعة ، أو اقامة لعدل ، أو درءا لمفسدة ﴿ والله لا يحب الفساد ﴾ (البقرة : ٢٠٥)

وقد لعن القرآن أولئك الطغاة الذين اذا ما آل اليهم الأمر ، أفسدوا في الأرض باهلاك الحرث والنسل : من انسان وحيوان ونبات ، فقال :

﴿ واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد . واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم ، فحسبه جهنم ، ولبئس المهاد ﴾ (البقرة : ٢٠٥ - ٢٠٦) .

وكان من أحاديث الرسول أن رجلا غفر الله له ، من أجل شربة ماء سقاها لكلب في يوم قائف ، فأنقذه بها من الهلاك ، وأن امرأة دخلت النار في قطة حبستها ولم تطعمها حتى ماتت . (فلا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض) (رواه البخاري) .

وإذا كان الانسان قد أحل له أكل لحوم بعض الحيوانات والطيور ،
فان هذا الحق الذي منحه الله له ، يقابله واجب هو أن يكون رحيمًا
بالحيوان حين الذبح • وفي هذا قال الرسول : « ان الله كتب الاحسان
على كل شيء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتل ، واذا ذبحتم فأحسنوا
الذبح ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » (رواه مسلم) •

وإذا كان الانسان قد استخدم بعض اخوته من بنى الانسان في
خدمته ، فان عليه واجبا قبلهم ، حدده الرسول بقوله : « هم اخوانكم
جعلهم الله تحت أيديكم ، فأطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون ،
ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم » (رواه مسلم) •

وإذا كان الانسان قد استخدم بعض الدواب في الركوب والتنقل
وحمل الأثقال والعمل ، فان من حق تلك الحيوانات أن تمهد لها
الطرق ، تخفيفا عليها • وقول عمر - الخليفة الثاني - في هذا مشهور ،
يعطى القدوة والمثل في العالم أجمع لتقدير الحاكم لمسئوليته ، حتى
أمام الحيوان ، اذ قال : « والله لو عثرت بغلة في العراق لعددت نفسي
مستولا عنها لم لم أمهد لها الطريق » •

ونعود الآن لنقصر الحديث عن حقوق الانسان ، فنقول : انه
بعد حقه في الحياة ، ككائن بيولوجي ، فان له حق الكرامة ، منحة
من خالقه : الله ، وليست عطية من مخلوقين مثله :

﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من
الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (الاسراء : ٧٠) •

وله الحق في حرية العقيدة ، دون ضغط أو اكراه :

﴿ لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ﴾ (البقرة : ٢٥٦)

ثم نعبّر الآن عشرات الحقوق الى أن نصل لحقه في الكرامة في
غيته ، لا في حضوره فقط • وفي هذا يقول القرآن :

﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ، ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا
فكرهتموه ، واتقوا الله ، ان الله تواب رحيم ﴾ (الحجرات : ١٢)

وللانسان الحق في الكرامة ، ليس حيا فقط - سواء في حضوره
أو في غيبته - وإنما له الحق في الكرامة ميتا . فلقد وقف رسول الله
لجنازة رجل ميت من غير المسلمين ، فلما استنكر الصحابة ذلك وقالوا
له : انها ليهودي ، وقد علموا ما فعله اليهود بهم ، قال :
((اليست نفسا)) ؟!

المسلم ، اذن ، بحكم عقيدته وتعاليم نبيه ، هو من أكثر الناس
إيمانا بحقوق الانسان . ولكنها حقوق - مثل كل الحقوق - يقابلها
واجبات . فهما وجهان متقابلان لعملة واحدة ، لو أخذنا أحد الوجهين
وأغفلنا الوجه الآخر ، لتحولت تلك العملة الى نقد زائف يتعرض حامله
لأشد العقوبات .



ان حقوق الانسان ، شعار يراق يستهوى الأنفس السوية ، ولكنه
غالبا ما يطلق ليكون : كلمة حق يراد بها باطل . وما ذلك في حياة
البشر بالشئ الجديد .

لقد كان : السلام . . . والعمل من أجل السلام . . . ومن أجل
عالم يسوده السلام . . . هي أكبر الشعارات ترديدا على ألسنة
المستولين في القوتين العظميين ، أثناء فترة الحزب الباردة . ولم تكن
هذه الشعارات أكثر من خداع . فلو صدقوا فيما يزعمون لتحقيق
السلام في العالم ، ولكن هيهات . . .

ولقد كان الحب ، وما زال ، هو أكثر الشعارات استحواذا على
النفوس ولكنه ، كالعادة ، كلمة حق يراد بها باطل .

وما بالناس نذهب بعيدا ، ولدينا ما زعمه الدجال اليوناني في تجرته
الشيطانية الأخيرة للمسيح ، من أنها من أجل حب المسيح ! يقول هذا بكل
تبجح ، بعد أن هوى بالمسيح الى الحضيض ، وجعله أضحوكة شديدة المرارة
والسخرية !

وهكذا كان شعار حقوق الانسان ، هو ما رددته المرددون دفاعاً عن الدجال الهندي ، في مقاطعه الشيطانية ، بزعم حقه في حرية التعبير .

ان دل هذا على شيء ، فانما يدل على جهل فاضح أو تزييف متعمد . وان قبل هذا من ملايين البشر التي لا تدرى من حقيقة هذا الأمر شيئاً ، فلا يمكن قبوله ، ولو للحظة واحدة ، من كبار المسئولين ، مثل بعض السادة قادة الدول وساستها ورجال الفكر فيها ، الذين يفترض فيهم المعرفة والدراية بما يصدر عن هيئة الأمم المتحدة من موثيق واعلانات .

لقد أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة - في العاشر من ديسمبر ١٩٤٨ - **الاعلان العالمى لحقوق الانسان** ، ودعت الدول الأعضاء الى ترويج نصه ، والعمل على نشره وتوزيعه . والآن ، ماذا يقول هذا الاعلان ؟

ان أول سطر فى الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، يتحدث عن كرامة الانسان . فهو ينظر اليه بما هو أهله ، أى كمخلوق ذى مثل عليا وقيم يعيش من أجلها ، لا مجرد كائن حى أو حيوان ناطق يسعى من أجل حياته المادية .

تقول ديباجة هذا الاعلان : (لما كان الاعتراف بالكرامة المتصلة فى جميع اعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام فى العالم .
ولما كان تناسى حقوق الانسان وازدراؤها قد أفضيا الى أعمال همجية آذت الضمير الانسانى . .

ولما كان من الضرورى ان يتولى القانون حماية حقوق الانسان . .
ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت فى الميثاق من جديد ايمانها بحقوق الانسان الأساسية بكرامة الفرد . .) .

ان الحديث فى ديباجة الميثاق ينصب على : كرامة الانسان والمحافظة

عليها ومنع الأذى عن الضمير الانساني . وان هذا لهو ما يريه
كل انسان حر مستنير .

تأتي بعد ذلك مواد الاعلان ، التي تركز على المحافظة على كرامة
الانسان ، فتقول مادته الأولى : (يولد جميع الناس احرارا متساويين في
الكرامة والحقوق ، وقد وهبوا عقلا وضميرا ، وعليهم أن يعامل بعضهم
بعضا بروح الاخاء) .

وتقول مادته الثانية عشرة : (لا يعرض احد لحملات على شرفه
وسمته ، ولكل شخص الحق في حماية القانون من مثل تلك الحملات) .
وتقول مادته التاسعة عشرة : (لكل شخص الحق في حرية الرأي
والتعبير) .

ثم تقول مادته التاسعة والعشرون (وهي قبل الأخيرة) في واجبات
ذلك الانسان الذي كفل له هذا الاعلان العالمي كل هذه الحقوق ،
ما يلي :

١ - (على كل فرد واجبات نحو المجتمع الذي يتاح فيه وحده
لشخصيته أن تنمو نموا حرا كاملا .

٢ - يخضع الفرد في ممارسة حقوقه وحرياته لتلك القيود التي
يقرها القانون فقط ، لضمان الاعتراف بحقوق الغير وحرياته واحترامها
ولتحقيق مقتضيات العدالة للنظام العام والمصلحة العامة والأخلاق في
مجتمع ديمقراطي .

٣ - لا يصح بحال من الأحوال أن تمارس هذه الحقوق ممارسة
تتناقض مع أغراض الأمم المتحدة ومبادئها) .

لقد تمسك المدافعون عن اللجان الهندي بالمادة التاسعة عشر
التي تتحدث عن حرية الرأي والتعبير ، ونسوا أو تناسوا أن تلك الحرية
مقيدة بروح هذا الاعلان العالمي وبمختلف موادها وخاصة المادة

الثانية عشرة التي تحظر أن يتعرض الانسان لحملات على شرفه وسمعته .
ثم **المادة التاسعة والعشرون - الفقرة (٢) -** التي تقضى باحترام حقوق الغير وحرياته ومقتضيات المصلحة العامة والأخلاق .

وإذا نحينا جانباً حملات الدجال الهندي على الله وملائكته ، ونظرنا فيما سطره عن البشر : ابراهيم ومحمد والأنبياء ، لوجدناه قد اغتال شخصياتهم ، وانتهك حقوقهم ، وشن حملات مسعورة على شرفهم وسمعته .

انه المجرم الحقيقي الذي تعدى على حقوق الانسان وانتهكها بغير حساب .

انه المجرم الحقيقي الذي تعدى على حقوق الانسان وانتهكها بغير مروجها لأشد العقاب .

ان المملكة المتحدة قد خالفت الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، وأخلت بتعهداتها الذي يلزمها (باتخاذ اجراءات مطردة ، قومية وعالمية ، لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالية فعالة بين الاعضاء) .

ان القوانين تسن لتواجه متطلبات الحياة الطيبة ، ونهاء على خبرات البشر وتجاربهم ، ولقد أكدت الأزمة التي أحدثتها رواية « مقاطع شيطانية » ضرورة اتخاذ اجراءات لتعديل القانون الانجليزي الحالي ، الذي يحمى فقط المذهب الانجليكاني - مذهب الدولة - من الطعن والتجريح ، بينما لا تجد بقية المذاهب المسيحية الأخرى - مثل الكاثوليك والأرثوذكس - ولا تجد بقية الديانات مثل : اليهودية والاسلام ، أى حماية في ظل هذا القانون .

لقد قال المسيح في موعظته : « بالدينونة التي بها تدينون ، تدينون . وبالكيل الذي به تكيلون ، يكال لكم - متى ٧ : ٢ - ٣ » .

ولقد كان هذا ما حدث فعلاً . . . فحين غضبت عشرات الملايين من المسيحيين على فيلم الزور والبهتان « التجربة الأخيرة للمسيح » تمسك

المدافعون عنه ، أعداء الله وأنبيائه ، بدعوى : حرية الرأي والتعبير •
وَأَنْتَ أَتَى الْمَدَافِعِينَ عَنِ الْمَسِيحِ ، فلم يجدوا ردا حاسما لايقاف
الفيلم ، سوى استخدام العنف والاعتداء على دور العرض ، وتخويف
جمهور النظارة وارهابهم • ولما كان منهم من يدافع عن الدجال
الهندي بذات الدعوى ، وهى : حرية الرأي والتعبير ، فالآن تقول
لهم ولأمثالهم ، ما قاله المسيح : (بالكيل الذى به تكيلون ، يكال
لكم) !



لقد كانت السيدة مارجریت تاتشر من أول المدافعين عن الدجال
الهندي في بذائاته الشيطانية ، بدعوى أن أى تهجم عليه يعتبر (تهجما
على حرية الكلمة التى هى من الحريات الأساسية للإنسان)

لقد كالت هنا بكيلين ، فالكل يعلم حملتها على بيتر رايت مؤلف كتاب:
صائد الجواسيس ، في عام ١٩٨٨ ، وملاحقتها له في أستراليا ومحاولتها
منع نشر الكتاب في العالم • ثم تأتى حملتها الضارية على كتاب مماثل آخر
هو: التاريخ الرسمى للمخابرات البريطانية في الحرب العالمية الثانية ،
الذى كتبه سير مايكل هوارد أستاذ التاريخ الحديث (سابقا) بجامعة
أوكسفورد •

ان الحرية حين تترك بلا ضوابط وحدود تتحول الى فوضى شاملة ،
اذأها تتحول الى عدوان على (حقوق الغير وحرياته ومقتضيات النظام
العام والمصلحة العامة والأخلاق في المجتمع الديمقراطي) ، كما يقول
الاعلان العالمى لحقوق الانسان •

بل ان الحرية الشخصية أصبحت موضع تقييد ومساءلة ، حيث
ان اطلاقها بلا حدود يعنى الجاق الضرر بالغير وبالمصلحة العامة •
ولهذا كان تركيز الكونجرس الأمريكى على الأهمية القصوى لعامل
الأخلاق وحسن السلوك الشخصى للمرشحين لتولى المناصب الكبرى في
الإدارة الأمريكية • ومن هذه المنطلق القويم رفض مجلس الشيوخ الأمريكى
ترشيح جون تاووزيرا للدفاع ، في فبراير ١٩٨٩ ، بسبب تعاطيه الخمر

وعلاقاته النسائية ، كما رفض ترشيح ريتشارد ارميتاج مساعدا لوزير الدفاع بسبب تورطه في عمليات سرية تمت من خلف ظهر الكونجرس •
وهكذا يثبت واقع الحياة ، استحالة اطلاق الحريات بلا حدود •
فليس هناك حق مطلق للتعبير وابداء الرأي ، ولكن هناك حق للتعبير تقيده حقوق الآخرين واعتبارات الأخلاق التي تلزم لاقامة مجتمع متحضر •
بل ان واقع الحياة قد أثبت ضرورة التمسك بالأخلاق باعتبارها عاملا أكيد المفعول في محاربة وباء العصر – الايدز – والتوقف عن ممارسة الشذوذ الجنسي واستعمال حقن المخدرات • لقد كان هذا ما قرره **المؤتمر الدولي للايدز** الذي عقد في مونتريال بكندا في صيف عام ١٩٨٩ •
لقد كانت العلاقات الجنسية تعتبر عند كثيرين من المسائل الخاصة جدا ، التي لا يسمح بمناقشتها • بل ان المدلول اللغوي للكلمة الانجليزية (Private) في أحد استعمالها المتعلقة بالعمرة ، ليؤكد هذه الخصوصية أما الآن فان هذه الخصوصية أصبحت موضع تقييد ، حرصا على سلامة البشرية من طاعون العصر •

حرية التعبير ، اذن ، حرية مقيدة • وفي هذا يقول الكاتب الانجليزي **رونالد بارك** في مقال نشرته صحيفة صن البريطانية (٥ ملايين نسخة) (لم يكن أحد خارج الأوساط الأدبية يعرف شيئا عن سلمان رشدي • لكنه فجأة أصبح من المشاهير الذين دخلوا صحائف التاريخ ، حيث لم يسبق أن تجمع مثل هذا العدد من أصوات الدول لتحتج من أجل حماية انسان واحد : ان البعض يتصورون أن هذا الرجل مجرد كاتب برىء ، وهم يؤكدون أننا جميعا نتمتع بحرية الكلام والنشر ، وهذا صحيح ، ولكن اليس هناك حد لكل شيء ؟! اننا مثلا لا نستطيع أن نعرض على قلب نظام الحكم ، بالرغم من هذه الحرية • واذا حدث فسوف نحاكم فورا بتهمة الخيانة العظمى •

اننا لا نستطيع ان نقوم بالتشهير او الذم ، والا فان مواد القانون ستطولنا ، والأحكام ستلاحقنا • وحتى الآونة الأخيرة من تاريخنا ، لم

لم يكن لنا أن تتهجم على الدين أو نعلن الكفر • ولكن قلة تمسكنا بالدين
أدت بنا الى التخلي عن اعتبار الزندقة من الجرائم التي يعاقب عليها
القانون •

ورغم ذلك بقي في النفوس احساس بالمرارة والاحتقار للذين يستخفون
او يستهزؤون بالمعتقدات التي تعطي الآخرين معنى وقيمة للحياة •

واذا نظرنا الى سلمان رشدي ، فسوف نجد أنه ولد وتربى أصلا
في بيئة اسلامية (في الهند) ، ولذا فانه حتما يدرك مدى ولاء ووفاء
المسلمين لنبیهم ولآله وصحبه ورسالته • وبالتأكيد فان رشدي كان يعلم ،
عندما صور النبي بالصورة التي صوره بها ، أن أشواكه الجارحة ستدمي
قلوب المسلمين • فلماذا اساء اليهم هذه الاساءة الفاحشة ؟!

هل قام بذلك لينال الشهرة بأى ثمن ، أم ليجلب الانتظار الى كتابه ،

أم ليكسب المال بأى طريقة ، أم لينفث عن صدره غله وحقدته على دين
ترعرع فيه قبل ان يقوم بنبذہ ؟ لقد اعتذر سلمان رشدي الى الخميني
بذلة ، كما اعتذر الى المسلمين عما سببه لهم من اساءة لمشاعرهم ، لكن
المؤسف أنه لم يقدر ، قبل قيامه بتأليف كتابه ، أن هذا الكتاب سيؤذي
الى تلك المشاعر • ومع ذلك لم ينطق سلمان رشدي بكلمة اعتذار واحدة
الى البلاد التي اتخذها وطنا له (انجلترا) وسبب لها كل هذه المشاكل •
لذا فقد آن الأوان أن يكفر عن اساءاته اليها ، وأن يشرح كيف أرغمته
دوافعه الخفية الى اهانة ١٠٠٠ مليون مسلم في مختلف أنحاء العالم •

لقد غادر رشدي بومباي ليجيء الينا ويدرس عندنا ، ويحصل
على الجنسية ، ولن يستغرب اذا علم ان عددا كبيرا من سكان الجزر
البريطانية يتمنون لو أنه لم يأت الينا من بلاده (١) •

هذا ، ولقد شهدت القاهرة ندوة في شهر ابريل ١٩٨٩ ، موضوعها :
العرب واوروبا عام ١٩٩٢ ، شارك فيها عدد من خبراء السياسة العالمية ،

(١) صحيفة الأهرام : ١٩٨٩/٣/٧

كان منهم من الجانب الأوروبي ، المسيو كلود شيسون ، وزير خارجية فرنسا (سابقا) ، ومفوض السوق الأوروبية المشتركة (سابقا) ، وتحلث منهم من الجانب العربي الأستاذ محمد حسنين هيكل ، الذى طرح عدة تساؤلات تتعلق بأوروبا الموحدة المزمع بروزها الى الوجود عام ١٩٩٢ ، فكان التساؤل الأول متعلقا بهذا الكيان الضخم الذى لم تكتمل صورته النهائية بعد ، وكان (التساؤل الثانى عن طبيعة روح هذا الكيان الضخم الذى سوف نراه أمام عيوننا عبر البحر سنة ١٩٩٢ . . ان أوروبا الموحدة تبدو أمامنا مأخوذة بإمكانيات القوة التى يمكن أن تتوافر لها ، لكننا لا نسمع ما فيه الكفاية عن القيم التى تستهدفها هذه القوة وتسمى اليها) .

ثم كان التساؤل الثالث - الذى يتعلق بسوء الفهم الأوروبى للإسلام والاصرار على اصدار الأحكام المسبقة على العرب والمسلمين ، اذ قال :

(هناك التساؤل الثالث : عن الدواعى الحقيقية لمظاهر من سوء الفهم تشوب دائما صورة العرب فى أوروبا ، رغم ما أشرت اليه عن قرون التواصل الحضارى بين الطرفين . على خلفية هذا التواصل الحضارى بين الطرفين ، فلا بد أن نقول بأمانة انه يدهشنا هذا الذى نراه أحيانا من اختصار الإسلام الى الارهاب ، ومن اختصار العرب الى البترول ، ومن اختصار جقائق الصراع العربى الاسرائيلى الى حكاية معاداة السامية .

وفيما يجرى على رقعة العالم كله الآن ، فاننا لا نرى سيئات تنسب الى أمة بأسرها ، كما نرى فى حالتنا عمليات الجيش السرى اليابانى لم تنسب الى الأمة اليابانية ، وعمليات الجيش السرى الفرنسى لم تنسب الى الأمة الفرنسية ، وعمليات الجيش السرى الأيرلندى لم تنسب الى الأمة الأيرلندية . هناك تقتصر المسئوليات على حدودها السليمة ، وفى حالتنا تطفى الأحكام ويجرى تعميمها بدون تحرز أو تمييز .

ولقد كانت أوروبا أولى من غيرها بأن تفهم طبائع مراحل التطور

على أرضنا وتساعد على اجتيازها ان استطاعت بدون تعسف لا مبرر له .
وانصافا لأنفسنا فنحن لم نلجأ الى مثل هذا التعسف في الأحكام ،
وما كان أسهل ان نقول ان اسوا ظواهر العصر الحديث اوروبية : النازية
اوروبية ، والفاشية اوروبية ، والستالينية اوروبية ، والاستعمار اوروبى ،
والصهيونية اوروبية ، والتمييز العنصرى اوروبى ، والحربان الوحيدتان
على مستوى العالم في التاريخ كله اوروبيتان - الأولى والثانية -
لكننا من جانبنا أدركنا أن أوروبا الحقيقية أكبر عشرات المرات من كل
ما ظهر على أرضها من افرازات وتقلصات مراحل التطور والنمو .

**التساؤل الرابع : ومن الحق أن نتحدث عنه بصراحة ، فما ظهر
لنا حتى الآن ان أوروبا ، مجتمعة أو متفرقة ، تتعامل مع العالم
العربى أحيانا - اكرر أحيانا - بمواقف تتراوح بين الأبوية المتفضلة ، او
الانتهازية المتسللة .**

فما بين دروس تبدأ بالتبشير بمزايا الاعتدال في الصراع العربى
الاسرائيلى ، وحتى التحذير من عواقب ما يسمونه الارهاب الدولى والذى
توجه تهمة الى العرب جزافا - مرورا بالدروس عن حرية الراى بصدد
تلك الضجة المفتعلة عن كتاب لا يختلف احد في انه اهانة بالغة للدين
الاسلامى .

لقد وصلت الينا هذه الضجة هنا في العالم العربى وكأنها اصداء
صليبية في غير موضعها وفي غير زمانها . . ومع ذلك فما زلنا نسمع
دروس حرية الراى ، وحرية البحث ، وحرية الخيال من اناس يعرفون قبل
غيرهم ان بلادهم ، وهى صاحبة التاريخ الطويل والتقاليد العتيقة
في السعى من اجل الحرية ، تعرف حتى الآن قيودا على هذه
الحرية ، تفرض نفسها بسطوة النفوذ او سلطة القانون .
وآخر مثل لها ، حين اضطر رئيس البرلمان الألمانى ، قبل شهور

قليلة ، الى الاستقالة لأنه جازف بإبداء رأى قصده خيرا ، ولكن الذين لم تعجبهم بعض الألفاظ نزعوا القائل من فوق مقعده .

و حين ذهب بعض العقلاء منا (نحن المسلمين) الى المحاكم البريطانية يشكون من اهانة دينهم ، كان حكم القاضى أن قانون تحقير الأديان فى بريطانيا ينطبق على المسيحية (المذهب الانجليكانى) ولا ينطبق على الاسلام . ففى بريطانيا وفى غيرها قوانين تسمح بمناقشة الأديان ونقدها ، ولكن القوانين (فى بلاد كثيرة) تمنع تحقير الأديان لأنه يتجاوز حق اى فرد فى الاعتقاد والخيال ويمس حق الآخرين فى احترام مقدساتهم مهما كان او يكون (١) .

*

وأخيرا ، ومهما يكن من أمر ، فلا سلام للبشر ولا أمن بينهم الا بالحق والعدل . وبدونهما تنهار المبادئ التى جاهدت من أجلها البشرية عبر القرون ، ويتحول العالم الى غابات تسرح فيها الوحوش والحيوانات، وان ارتدت ياقات بيضاء ، وانطلقت تغزو اجواز الفضاء .

(١) صحيفة الاهرام : ١٩٨٩/٤/٥

الباب الخامس

من آيات الله

● فضائح المشركين

● غزو الفضاء

فضائح المبشرين

● امبراطوريات التبشير والفضائح !

على مدى عام واحد - ما بين منتصفى ٨٧ ، ١٩٨٨ - تفجرت في الولايات المتحدة عدة فضائح لقادة العمل التبشيري ، ظلت تتردد أصدأؤها عبر العالم مدة طويلة ، وكشفت عن أن عالم التبشير المسيحي هناك عبارة عن امبراطوريات ضخمة لها أباطرتها المحترفون والمحتالون .

وأنه - كما تقول مجلة **الشاهد(١)** - في تحقيقها الشهري الذي اختارته عن : **تجارة المبشرين** ، انما هو (عالم من النصب والاحتيال والدجل والابتزاز والسرقات والتهديد والكذب والنفاق والجنس والخيانات الزوجية والاعتصاب والبذخ والثروات الطائلة . عالم من الفضائح . . أسماء كثيرة أشهر في - في بلادها - من نجوم السينما والتلفزيون والمسرح . . رجال ونساء يسيطرون على عقول عشرات الملايين من البشر ، وعلى سوق مالى ضخمة لا يقل حجمه عن **٢ مليار دولار سنويا**) .

ان فضائح التبشير متداخلة ، فكلها تنتمى الى عالم واحد ، وما أر تظهر فضيحة حتى يتلوها مسلسل من الفضائح ، نعرض فيما يلي لشيء منها .



● جيمى وتيمى بيكر :

اعتادت تيمى بيكر الظهور على شاشات التلفزيون بجوار زوجها جيمى - حين يقدم مواعظه للملايين - وهى ترتدى لباس البحر (المايوه) ، وتبرر ذلك بقولها : علينا أن نكون جذابين ، واستعمال المساحيق وارتداء المايوه ليس أمرا سيئا !

(١) مجلة شهرية تصدر في قبرص - العدد ٣٩ - نوفمبر ١٩٨٨

وكالعادة ، يقول جيمى للملايين البسطاء : أرسلوا لنا تبرعاتكم
فسيساعدكم الله !

ويستجيب له الملايين من الناس ، وتنهال عليه الملايين من الدولارات!
وقد حدث فى عام ١٩٨٠ أن تعرض جيمى بيكر وزوجته لأزمة عائلية
خطيرة ، عرضت على شاشات التلفزيون ، اعترفت فيها تيمى أن الشيطان
أوقعها فى فخه ، وأنها تتعاطى المخدرات •

ولقد دخل الشيطان بينهما مرة أخرى ، حين تعرف جيمى على فتاة
تدعى جيسىكا هاهن ، فأعجب بها ورواها عن نفسها • ولما انجرت
الفضيحة ، كان تعليقه ، الذى يكشف عن ممارساته الجنسية مع المحترفات،
بقوله : ان جيسىكا تتمتع بمواهب المحترفات !

ثم تكلمت جيسىكا ، فقالت : جعلنى أشرب نبذا مملوءا بمخدر(١).
ثم نزع ثيابى ، وأجبرنى على مداعبته ، فلم أتمكن من مقاومته • لقد
مارسنا الحب طيلة ساعة كاملة ، بعد ذلك شعرت وكأننى مثل سندوتش
هامبرجر مهمل ، لا يرغب فيه أحد !

بعد ذلك قررت جيسىكا أن تلاحق بيكر قضائيا ، فأرسل يعرض
عليها صفقة ، يدفع بموجبها ٢٠ ألف دولار تقدا ، اضافة الى ٢٥ ألف
دولار فى حساب مصرفى باسمها مع الفوائد الشهرية ، فى مقابل صمتها
لمدة ٢٠ عاما •

لكن أصدقاء الفضيحة وصلت الى مسامع مبشر منافس له هو :
جيمى سواجارت - الذى كان بيكر قد طرده من برنامج التلفزيونى -
فتزعم حملة لاجباره على الاستقالة من مؤسسته التبشيرية بزعم :
الحفاظ على سمعة البشرين ! فاستقال بيكر فى فبراير ١٩٨٧

(١) ذلك دابهم مع ضحاياهم ، اذ يستخدمون الشراب ذى المخدر
حين الاعتداء عليهم أو التنويم المغناطيسى لاختضاع ارادة الضحايا وحثهم
على تغيير معتقداتهم • وهم يمارسون ذلك فى العالم كله •

بعد أن هدأت العاصفة قليلا ، ظهر بيكر على شاشات التلفزيون ليعلن أن سواجارت تزعم الحملة ضده ليضع يده على ١٢٩ مليون دولار هي العائد السنوي لمؤسسته التبشيرية . وكان رد سواجارت عنيفا - كعادته وباعتباره قد نصب نفسه حاميا للتبشير المسيحي في أمريكا - فكرر قوله بأنه : قد آن الأوان لكي يتم تنظيف البيت من الداخل ، وأنه لا يمكن لهذه المهزلة الفاضحة ان تستمر ، وان سرطانا يجب استئصاله من جسد المسيح !

وانقسم المبشرون ، بعضهم مع بيكر والبعض الآخر مع سواجارت واغتم مارفن جورمان - وهو مبشر شهير في نيويورك - الفرصة ليصفي حسابات قديمة مع سواجارت ، فهاجمه بعنف وطالبه بتعويض لا يقل عن ٩٠ مليون دولار بسبب الأضرار التي لحقت به من جراء حملة سواجارت عليه . بأنه مارس الخيانة الزوجية مرارا ، على حين اعترف جورمان نفسه أمام الملايين على شاشات التلفزيون بأنه لم يفعلها سوى مرة واحدة ، وتاب بعد ذلك !

وبعد سقوط بيكر ، أخذت وسائل الاعلان تبحث عن ماضيه وعن نمط حياته ، فاكتشف أنه يملك بيوتا فخمة جدا في كاليفورنيا وفلوريدا ، وأن جدران بعضها مطلاة بالذهب . وأنه وزوجته كانا يعيشان حياة البذخ بلا حدود على حساب تبرعات الأتباع والبسطاء ، وأن حسابات امبراطوريته ليست دقيقة ، فعندما تدخلت مصلحة الضرائب وسألت عن اختفاء ١٣ مليون دولار من الحسابات ، كانت اجابته ان الشيطان دخل الكمبيوتر واخفى الرقم ! فأوقفت مصلحة الضرائب تحقيقاتها ، لأنه لا سلطان لها على الشياطين !



● والآن . . . جاء الدور على سواجارت !

لقد كان هذا هو العنوان الذي اختارته مجلة تايم (١) في حديثها

TIME, March 7, 1988.

الأسبوعى فى باب : الدين ، عندما عرضت لفضيحة سواجارت الأخلاقية •
لقد تفجرت الفضيحة - المدعمة بالصور - بممارسة سواجارت
الجنس مع مومس محترفة • ثم ما لبثت تلك المومس ، واسمها دبرا ميورفى
أن كشفت عن بعض ما خفى • وكان مما قالت : انها كثيرا ما كانت تتمدد
أمامه عارية ••• وفى احدى المرات طلب منها أن ترتدى فستانا (على
اللحم •••) دون ملابس داخلية ، ثم خرجا فى نزهة بسيارته حول
المدينة •••

لقد كانت الصور التى حصل عليها روبرتس - المبرر المطرود وخصم
سواجارت - بواسطة مخبر سرى استأجره لهذا الغرض ، سلاحا فى
يده للمساومة مع سواجارت - ولما فشلت العملية تفجرت الفضيحة !
ولم يملك سواجارت - الذى دعتة مجلة تايم : ملك الفيديو التبشيري
- الا أن يعترف بفضيخته على شاشات التلفزيون ، ويطلب المغفرة من
الرب ، وزوجته وابنه ، ومن الآخرين ••• !

لقد كتبت مجلة : يو • اس • نيوز آند ورلد ريبورت (١) تعليقا
على فضيحة سواجارت ، قالت فيه : (ان جيمى سواجارت من الذين
يقلقهم الشيطان كثيرا • فهو يقول ان الشيطان هو الذى ابتدع الروك -
آند - رول ، والسينما ، والبيرة • وأن الشيطان هو الذى جعل جيم
بيكر يخدع زوجته ، وجعل أورال روبرتس يعزل نفسه فى برج ••• ولمدة
أكثر من ٣٠ عاما ، كان سواجارت يحاول أن يطرد الشيطان بعيدا
الى العالم والآخر • لكن أحدا ما كان يتوقع - بل كان آخر من يتوقع
هذا هو المبرر التلفزيونى العنيف (سواجارت) - أن يقوم الشيطان
برد الفعل العنيف هذا ••• !

من السابق لأوانه القول ما اذا كان صراع سواجارت مع الشيطان

(١) U. S. NEWS & WORLD REPORT. March 7, 1988.

— فقد صار معلوما أنه كان يدفع لموس لكى تقوم بتقديم حركات داعرة له — ما اذا كان هذا سوف يعطل خدمته التبشيرية العالمية ذات العائد السنوى الذى يبلغ ١٤٠ مليون دولار (توقفت خدمته التبشيرية تماما منذ مدة) •

لكن المدهش أن اعتراف سواجارت على شاشات التلفزيون بدموع تتساقط على خديه ، قد اعتبر أكثر قليلا من مهمة على مقياس انتهاك الحرمات وعمليات الاغتصاب للأمة (الأمريكية) يحصيها على مدار السنة مثل تلك الأعمال القذرة التى انكشفت للعيان.

ويبدو أن مشاكل سواجارت قد أكدت أن السمة العامة لبشرى أمريكا الإلكترونية أنهم فى جوع جنسى ، ولديهم جنون بالمال ••

وإذا راجعنا مسلسل العام الماضى لوجدنا : اعلان اورال روبرتستون أنه اذا لم يدفع له الناس المال (٨ مليون دولار) فان الله سيقتله !

ثم زنا جيمى وتيمى بيكر ، وفضائح الرشاوى المقدمة للسكوت عن فضائجهما •

والضغائن بين بيكر وجيرى فالويل من أجل ادارة مؤسسة بيكر •

والآن ، تأتي فضيحة سواجارت ، الذى يعتبر واحدا من أكثر وعاظ هذا البلد (الولايات المتحدة) سطوة ، والحكم الأخلاقى للملايين من المشاهدين ، الذى كان يتسلل كاللص لعقد لقاءات سرية مع موس !

ثم هناك مارفن جورمان البشر الذى طرد من وظيفته الكهنوتية منذ عامين ، عندما اتهمه سواجارت بالزنا) ذلك بعض ما كان من أمر فضائح المبشرين ، وفضائح سواجارت ملك الفيديو التبشيرى ، ورافع لواء الأخلاق المسيحية •



والآن ، ها هي بعض بيانات امبراطوريات المبشرين :

جيمى سواجارت : تبلغ عائداته السنوية ١٤٢ مليون دولار -
يملك مركزا عالميا فى باتون روج ، يشبه مدينة صغيرة ، يمتد فوق ٢٥٠
فدانا ، يستخدم ١٠٠٠ موظف ، يحتوى على مدارس ، وفنادق ،
واستوديوهات ، ودار عبادة تسع ٧٥٠٠ مصل • ويسكن سواجارت فى
فيلا تقدر بنحو ٢ر٤ مليون دولار ، فوق مساحة ٢٠ فدانا ، بنظام أمن
إلكترونى متقدم •

جيمى وتيمى بيكر : تبلغ عائداتهما السنوية ١٢٩ مليون دولار ،
وإثروتهما الشخصية ٧٠٠ مليون دولار • يملكان عدة فيلات وبيوت
فخمة • تصل استعراضاتهما التلفزيونية الى ١٣ مليون عائلة •

جيرى فالويل : مؤسس ورئيس حركة : الأكثرية الأخلاقية ، التى
تضم ٤ ملايين عضوا • تبلغ عائداته السنوية ٧٥ مليون دولار جمع ٦
مليون دولار للمساهمة فى الجملة ضد الجوع فى إفريقيا ، احتفظ منها
بنحو ٥٥ مليون دولار لنفسه ، وتبرع بالباقى لفقراء إفريقيا •
ورث امبراطورية بيكر •

أورال روبرتس : تبلغ عائداته السنوية ٥٨ مليون دولار • يملك
امبراطورية ضخمة بها محطة تلفزيون ، وجامعة ، ومستشفى ، ومركز
كبير للتجارة والتسوية •

بات روبرتسون : تبلغ عائداته السنوية ١٣٠ مليون دولار • يملك
سلسلة محطات تلفزيونية تصل برامجها الى ٣٣ مليون عائلة • كان
مرشحا لرئاسة الجمهورية فى انتخابات ١٩٨٨

*

● مواقف سواجارت من الإسلام ونبه :

اشتهر سواجارت بخصومته العنيدة للإسلام ، ونبه : محمد
رسول الله ، وكتابه : القرآن • وفى إحدى أحاديثه التلفزيونية قال :
(ان الخطر الذى يهدد الحضارة الغربية الآن ، ليس هو الشيوعية

والاتحاد السوفيتي ، وانما هو الاسلام الذي يغزو بلاد الغرب بصورة مذهلة . ان لندن عاصمة فكتوريا التي كانت تحكم العالم الاسلامي كله ، قد أصبحت تأوي أنشط مركز اسلامي في العالم ، وان عدد المراكز الاسلامية في الولايات المتحدة أصبح يفوق عدد أعضاء الحزب الشيوعي الأمريكي . وعلى حين يتراجع الحزب الشيوعي ، يتزايد عدد المراكز الاسلامية ، وتقوى جموع المسلمين (١) .

ثم كان لقاءه الشهير في نوفمبر ١٩٨٦ مع الداعية الاسلامي المعروف أحمد ديدات ، في مناظرة عامة حول موضوع : هل الكتاب المقدس كلمة الله ؟

وكما هو واضح من موضوع المناظرة أنه يتعلق بالكتاب المقدس ومدى حقيقة القول بأنه كلمة الله الا أن سوابجات انتهز الفرصة وبدأ حديثه بالطعن في الاسلام ونييه وكتابه ، فقال :

(لقد قابلت السيد ديدات لتوى عصر اليوم ، وفي الحقيقة فاني قابلته لبضع دقائق هذا المساء . وفي الحقيقة فانه من ذلك الطراز من الرجال الذين تقابلهم والذين تحبهم فورا . .

هو أحد العلماء ، وأنا لست من علماء الانجيل ، رغم كوني من الدارسين النهمين للانجيل . لقد كان يداعب زوجتي ويداعبني قبل أن أحضر الى هنا قائلا : الاسلام يبيع أربع زوجات ، ثم صحح وقال : يسمح حتى أربع . فقلت له : حسنا يا مستر ديدات ، المسيحية تسمح لنا بواحدة فقط ، ولذلك اصطاد افضلهن من اول قذيفة .

يشرفني أن أكون هنا الليلة ، وأنا سعيد أن أتيت لي هذه الفرصة ، للتحدث ولو قليلا حول ما نعتقد أنه كلمة الرب القدير : وأريد أن أقول شيئا قبل أن أبدأ في الموضوع ، وهو اني لم اكن اعرف كثيرا عن الاسلام . ولا اقول هنا باى نوع من التفاخر أو الزهو ، ولكن يجب ان اكون امينا .

(١) شيطان الغرب - ص ٧١

ففى الأشهر القليلة الماضية درست الاسلام على نحو ما ، واعترف

ان دراستى له كانت سطحية .

وفى الماضى - وأعتقد أن هذا حدث منذ حوالى سنتين - فى ذلك الوقت تفوهت على التليفزيون بعبارات نابية عن القرآن ، واذا لم تكونوا قد استمعتم الى فى ذلك الأسبوع بالذات ، فلن أقول لكم أبدا شيئا عن ذلك . ولكنى أعتذر عن ذلك ولن أكرره مرة أخرى ، لأنى أشعر بأن ذلك الذى فعلت كان تصرفا غير لائق .

وبعد ذلك درست قليلا ، كما ذكرت منذ لحظات ، وتعلمت أن المسلمين من أكثر الناس كرما وتفتحا على وجه الأرض . . .

لقد تعلمت احترام القرآن ، وتعلمت احترام المسلمين ، لكنى لا اومن أن القرآن كلمة الله ، ولا اومن أن محمدا كان نبي الله ، ولكنى أحترم فعلا معتقداتكم ، وأحترم اخلاصكم لدينكم . . .)

ثم دخل سواجارت ، بعد هذه المقدمة اللولبية ، فى الموضوع . . .

*

ان الاعتراف سيد الأدلة ، ولا شك . فبماذا اعترف سواجارت ؟

لقد أقر بأنه : لهم يكن يعرف كثيرا عن الاسلام ، وانه فى الأشهر القليلة الماضية درسه على نحو ما ، وان دراسته له كانت سطحية ، وانه طعن فى القرآن بعبارات نابية .

وخلاصة ما قاله سواجارت - متعلقا بموقفه من الاسلام ونبيه وكتابه - أنه : طعن (بغير علم) .

ذلك واحد من جوانب القضية ، وهو أهمها وأخطرها ، أن يدرس سواجارت احدى ديانات العالم الكبرى دراسة سطحية فى شهور قليلة ، ثم يتخذ منها موقف العداء والكفر . أما الجانب الآخر ، فهو مشهد سواجارت فى مناظرته وحديثه العدواني عن الاسلام ومقدساته . لقد كان سواجارت يمثل نجما تليفزيونيا مغرورا : يصول ويجول فوق

المسرح ، مستعرضا كل مواهبه وكبرياته وعضلاته ، وهو يثنى جانبه عجباً واستكباراً • وفي لغة عريضة راقية نقول : كان يتحدث (ثانياً عطفه) •

ففى معاجم اللغة : عطفاً كل شيء : جائبه ، وعطفاً الرجل : جانباه من لدن رأسه الى فخذه ، وعطفت الشيء عطفاً : ثبته وأملته •

ان شريط الفيديو شاهد على ثنى سواجارت لعطفه ... والآن ، ماذا نجد فى القرآن العظيم ، متعلقاً بهذا السواجارت وأمثاله ، الذين درجوا منذ القدم على الجدال فى أمور الدين بغير علم ، عبثاً واستكباراً ؟ يقول الله فى قرآنه :

﴿ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير •
ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله ، له فى الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة
عذاب الحريق • ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد ﴾
(الحج : ٨ - ١٠)

والآن ... ماذا تحقق من هذه الآيات القرآنية ؟

لقد وقف سواجارت يجادل فى الله - الاله الواحد الأحد الذى تنزه
عن المثل والمولد - يجادل بغير علم ، ثانياً عطفه ، فأذاقه الله الخزي
فى الدنيا ، وحسابه عند الله فى الآخرة •

فلم تمض الا شهور على مناظرته الشهيرة مع ديدات ، والتى
هاجم فيها الاسلام ومقدساته ، حتى سقط ملك الفيديو التبشيري عن
عرشه بفضيحة أخلاقية مدوية ، وفقد معها مئات الملايين من الدولارات
وسطوة ونفوذاً ...

﴿ ان فى ذلك لآية ، وما كان اكثرهم مؤمنين • وان ربك لهو
العزيز الرحيم ﴾ (الشعراء : ٨ ، ٩) •
ولكن المعاندين كثير ، منذ القدم ، والى الآن ، والى أن يرث الله
الأرض ومن عليها •

فلقد رأى فرعون وآله ما جاء به موسى من آيات الله ، فقالوا :
﴿ ساحر كذاب ﴾ (سورة ص : ٤) •

ورأى اليهود ما صنعه الله بيد عيسى من آيات ، فقالوا له :
(بك شيطان) ، وقالوا عنه : (لا يخرج الشياطين الا بعلزبول ، رئيس
الشياطين) •

ويرى من على شاكلة هؤلاء وهؤلاء ، آيات القرآن التي أرسل
الله بها محمدا ، ﴿ فسينفضون اليك رءوسهم ﴾ (الاسراء : ٥١) •

﴿ قلوبهم منكرة وهم مستكبرون • لا جرم ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون ، انه لا يحب المستكبرين ﴾ (النحل : ٢٢ ، ٢٣) •
﴿ ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير
علم الا ساء ما يزررون ﴾ (النحل : ٢٥) •

﴿ وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾
(يوسف : ١٠٥)

ولكن : ﴿ وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾
(يونس : ١٠١)

* *

غزو الفضاء

نقرأ في القرآن كثيرا من الآيات التي تتحدث عن الكون وبنائه وسماواته ، وعوالمه الهائلة ومخلوقاته المتنوعة ، فنعلم منه الكثير عن خواص البناء الكوني ، وأن الحياة ليست حكرا على الكرة الأرضية ، التي وصفها محمد رسول الله بأنها لا تزيد عن أن تكون : حلقة ملقاة في صحراء ...

ولا يتسع المجال لاستعراض ما جاء في القرآن ، وفي أحاديث الرسول خاصة بالكون وعجائبه ، لكننا نكتفي بلبقات قصيرة تمكنا من تجميع صورة اجمالية لخواص السماء ، وامكانية غزو الانسان للفضاء ، واحتمالات الاتصال بحضارات أخرى تحتويها ثنايا هذا الكون الرهيب .



● اهل السموات :

من المعلوم - لغة - أن « من » اسم لمن يصلح أن يخاطب (كالعاقل المتكلم) . وقد وردت « من » في آيات كثيرة من القرآن ، تشير الى خلق آخرين غير بنى آدم ، سماهم قدامى المفسرين : اهل السموات ، كما جاء في تفسيرهم لبعض هذه الآيات ، مثل :

﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله ﴾
(النمل : ٦٥)

يقول ابن كثير في تفسيره : (يقول تعالى ، أمرا رسول الله ﷺ أن يقول معلميا لجميع الخلق أنه : لا يعلم احد من اهل السموات والأرض الغيب الا الله) .

وكذلك في تفسير قوله تعالى :

﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ﴾ (الزمر : ٦٨)

٥١٣

(٣٣ - تعدد نساء الأنبياء)

يقول ابن كثير عن نفخة الصعق هذه : (هي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله) .

وعلى ضوء ما تقدم ، تفهم أن في السموات مخلوقات عاقلة كثيرة لا يعلمهن إلا الله :

﴿ وربك أعلم بمن في السموات والأرض ﴾ (الإسراء : ٥٥) .

فكلهم ملك لله ، وهم عبيده الناطقون باسمه :

﴿ إلا إن لله من في السموات ومن في الأرض ﴾ (يونس : ٦٦) .

وكل هذه الخلائق العاقلة تسأل الله من فضله ، فيجيبها - سبحانه - بما يشاء :

﴿ يسأله من في السموات والأرض ، كل يوم هو في شأن ﴾
(الرحمن : ٢٩)

يقول ابن كثير : (أي لا يستغنى عنه أهل السموات والأرض : يحيى حيا ، ويميت ميتا ، ويربى صغيرا ، ويفك أسيرا) .

حتى إذا كان اليوم الآخر ، جاءه كل مخلوق مكلف من أهل السموات وأهل الأرض ، ليوفي حسابه :

﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتية يوم القيامة فردا ﴾
(مريم : ٩٣-٩٥) .

*

● عوالم من الأحياء في السموات :

﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة ، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ﴾ (الشورى : ٢٩) .

وتفظ الدابة ، يقع في اللغة على حيوان جسماني يتحرك ويدب .

فالإيية واضحة في دلالتها على وجود الدواب في السموات كما هي في الأرض .

ويبين القرآن أن المقصود بالدابة - هنا - الأصل الذي جاءت منه الأنواع الرئيسية للمخلوقات ، كما في هذه الآية :

﴿ والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع ، يخلق الله ما يشاء ، إن الله على كل شيء قدير ﴾ (النور : ٤٤) .

وكلمة « ماء » هنا في صورتها النكرة ، لا تعنى الماء المعروف الذى يتكون جزيئه من ذرتين ايدروجين ، وذرة أوكسجين ، وإنما يعنى أصل النوع الذى تخلق منه المخلوق .
فالقرآن يحدثنا عن خلقه الانسان بقوله :

﴿ فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق ﴾
(الطارق : ٦ ، ٥) .

بل ان في السموات عوالم من النبات ، كما تفهمها من قول الحق في القرآن :

﴿ الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا اله الا هو رب العرش العظيم ﴾
(النمل : ٢٥ ، ٢٦)

فالخبأ - كما قال المفسرون - النبات ، الذى يخرج الله من الأرض .

*

● وفي السموات لغات للتخاطب ووسائل للاتصال بين المخلوقات :

﴿ قال ربى يعلم القول في السماء والأرض ، وهو السميع العليم ﴾
(الأنبياء : ٤) .

ثم تأتي بعد ذلك لآية قرآنية صريحة في تقرير وجود كواكب مأهولة أخرى غير الأرض :

﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينتزل الأمر بينهن
لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما ﴾
(الطلاق : ١٢) .

وقد قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ تسبح له السموات
السبع والأرض ومن فيهن ﴾ (الاسراء : ٤٤) ، أن قوله تعالى
في سورة الطلاق : ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ : (أى سبعا أيضا ، كما
ثبت في الصحيحين : « من ظلم قييد شبر من الأرض ، طوقه من سبع
أرضين » .

وفي الحديث الآخر : « ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن ،
والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ، في الكرسي ، الا كحلقة بأرض
فلاة » .

وعن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ سبع سموات ومن الأرض
مثلهن ﴾ قال : لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتهم ، وكفركم تكذيبها) .
حقا . لو عرف عرب الجاهلية وصدر الاسلام أن في الكون عوالم
ومخلوقات أخرى ، لكفروا بذلك واعتبروه فوق العقل والتضديق .
وما كان ليعقل هذا الا أبناء النصف الثاني من القرن العشرين ،
وما بعده من القرون .

بقى أن نشير الى أن لغة القرآن تسمح بأن العدد يذكر -
أحيانا - ليفيد الكثرة ، وذلك في مثل قوله تعالى لئيبه بخصوص
موقفه من المنافقين :

﴿ استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن
يعفر الله لهم ﴾ (التوبة : ٨٠) .

يقول ابن كثير : (ان السبعين انما ذكرت حسما لمادة الاستغفار
لهم ، لأن العرب في أساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامها) .
والخلاصة من كل ما تقدم : أن السموات - وهي تعنى لغة :

كلّ ما علا - تعجّ بشتى أنواع الحياة ومتطلباتها على كواكب أخرى
غير الأرض •



● في السموات طرق ومسارات :

لقد ورد في القرآن ما يفيد أن بها طرقا عديدة ومسارات مختلفة ،
وذلك في قوله تعالى : «قسما بالسماء ذات الطرق : ﴿والسماء ذات
الجبك • انكم لفي قول مختلف ﴿ (الذاريات : ٧ - ٨) •
والجبك ، مفردة : حبيكة ، وهي الطريق في الرمل ، أو بين
النجوم • وبالنسبة للسماء تكون هي الطريق بين النجوم •
ومن جبك السماء : مسالك الأجرام السماوية على
اختلاف مواقعها : ﴿كل في فلك يسبحون ﴿ (يس : ٤٠) •
ومن جبك السماء : مجرات الفضاء الكوني • وقديما أطلقوا عليها
اسم الطرق ، ومنها مجرتنا المعروفة بسكة التبانة أو الطريق اللبنى •
تشبيها لها بالطريق الذي تناثر فيه التبن ، أو بمجرى اللبن المراق •



● الصعود في مسارات متعرجة :

إن الحركة في الفضاء لا تعرف الخط المستقيم • ولقد ثبت ذلك
عمليا ، حيث إن الصعود في السماء لا يتم الا في مسارات منحنية
بعضها يضاوي أو شديد الانحناء • ولقد جرت خلال أبحاث الفضاء
حديثا عدة قياسات أكدت صحة انحناء الضوء في الفضاء
الكوني • ولعلنا نلمس بأنفسنا الإشارة الى انحناء السير في الفضاء
أو الصعود الى السماء ، بما عبر عنه القرآن دائما باستخدام كلمة :
«عروج» ، التي تعني الخروج عن الخط المستقيم ، وذلك في مثله قوله :

﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء
وما يعرج فيها ﴾ (الحديد : ٤) •

﴿ من الله ذى المعارج • تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة ﴾ (المعارج : ٣ ، ٤) •

ويتم السفر في الفضاء ، بالعروج دائما في السماء :

﴿ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون • لقالوا
انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ (الحجر : ١٤ ، ١٥)

*

● اشارات لغزو الفضاء :

نرى في القرآن اشارات لغزو الفضاء والصعود الى طبقات وكواكب
أخرى ، تتضمنها بعض آياته •

فالكون بسمواته وأراضيه هو مجال عمل الانسان واكتشافاته :

﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ، ان في
ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (الجاثية : ١٣) •

نعم ... ان الذين يتفكرون هم الذين يبصرون آيات الله ، أما
الباقون ، فهم في دنياهم يعمهون ...

﴿ وما انتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء ، وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير ﴾ (العنكبوت : ٢٢) •

فمن الواجب ألا يغتر الانسان بما أوتي من علم يصعد به الى
أغوار الفضاء ، أو يغوص به في أعماق البحار ، فكل ذلك من فضل
الله عليه وعلى الناس •

ثم تأتي الى آيات قرآنية واضحة تؤكد الانطلاق في السماء
﴿ طبقا عن طبق ﴾ سواء أكان ذلك لمركبات على هيئة أطباق ، أو للانتقال

المتضاعف عبر طبقات الجو المختلفة • وانه لما يأخذ بالألباب حقا ، أن هذا الانطلاق في السماء يرتبط بالقمر ، كما في قول الله تعالى :

﴿ فلا أقسم بالشفق • والليل وما وسق • والقمر اذا اتسق • لتركب طبقا عن طبق • فمالهم لا يؤمنون • واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون ﴾
(الانشقاق : ١٦ - ٢١)

« حقا لقد ركب الانسان طبقا عن طبق من أجل هذا القمر ! ونستطيع الآن أن نفسر قوله تعالى : ﴿ طبقا عن طبق ﴾ كما يلي :

١ - أن رائد الفضاء تدرّب أولا على مرحلة انعدام الوزن قبل القيام بالرحلة ، وذلك بالدوران في أطباق بسرعات مختلفة •

٢ - يركب رائد الفضاء في كابسولة في أعلى صاروخ متعدد المراحل ، كما لو كان الصاروخ فعلا طبقا عن طبق •

٣ - اختراق الصاروخ لطبقات الغلاف الجوى المختلفة مثل طبقات : التروبوسفير ، والستراتوسفير ، والإيونوسفير ، والاكسوسفير ، حتى ينفذ من جو الأرض متجها الى القمر •

٤ - لقد تم ارسال العديد من سفن الفضاء قبل نجاح الوصول الى القمر • وكانت هذه السفن كالأطباق تحمل ركابا متعاقبين ، طبقا عن طبق ، لتدور بهم حول الأرض • وهؤلاء الركاب مثل جاجارين ، وشبرد •••

٥ - في ٢١ يوليو عام ١٩٦٩ تمّت رحلة سفينة الفضاء (أبوللو - ١١) الأمريكية ، والتي حملت الرواد : نيل آرمسترونج ، والدرين ، وكولينز ، الى القمر حيث هبط آرمسترونج والدرين على سطح القمر لأول مرة في تاريخ البشرية بواسطة المركبة القمرية ، بينما ظل زميلهم كولينز ينتظرهما في مركبة أخرى تدعى (كولومبيا) كانت تدور حول القمر ، حتى التحمت بها المركبة القمرية بعد أداء مهمتها على سطح

القمر • وعادوا جميعا سالمين الى الأرض وقد ركبوا فعلا طبقا
عن طبق «(١)» •

*

هذا بعض ما تجده في القرآن العظيم عن السماء وأهل السماء
والصعود الى السماء • واذا اقتبست لغة القرآن ، فاني أقول :

« اتهموا بكتاب من قبل هذا او اثاره من علم ان كنتم صادقين »
(الأحقاف : ٤)

الناس ما في الكون وما في السماء ، كما

معراجهم الى السماء ، كما حدثهم

الاسراء والمعراج ، منذ أربعة عشر

معد للسموات ؟

اسعة !

لي الى القمر ، ويسألونه :

فيقول : رايتها كعملة من المعدن ملقاة في بحر « ! (٢) » •

سبحان الله ••• لقد قال الحق في قرآنه ، ومن أصدق من الله
حديثا : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ،
او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد » (فصلت : ٥٣) •

* *

● وماذا بعد الحق الا الضلال •••

فبعد هذا الحق يطلع علينا الدجال الهندي في روايته الشيطانية
بأكاذيب فاجرة ، يقول فيها : (عندما كان المؤمنون يناقشون وجهة نظر

(١) الكون والاعجاز العلمي : الدكتور منصور حسب النبي - ص ٢٢٦

(٢) القرآن وعلم الفلك : أحمد جبالية - ص ٢٠٠

ماهوند حول أى موضوع ، بدءاً من إمكانية السفر فى الفضاء ، الى دوام العذاب فى جهنم ، فان الملك (جيريل) يعود دائماً بالاجابة التى تلعم رأى محمد . فلقد قرر ، دون ادنى ظل من الشك ، انه من المستحيل ان يسير انسان على سطح القمر) (ص ٣٦٤) .

أى كذب وافتراء على الحق ، يثبته هذا الكذاب الجهول !؟

لقد ورد لفظ : القمر ، فى القرآن ٢٧٢ مرة (١) . وانى أدعو القارىء غير المسلم أن يراجع آيات القرآن التى تتحدث عن القمر ، سواء فى لغتها العربية ، أو فى تراجم معانيها الى اللغات الأخرى ، ليتبين حقيقة هذه الأكاذيب . ويوقن أن كاتبه الذى يقرأ له ما هو الا دجال مضل ، دونه عشرات الكذابين الذى اشتهروا فى التاريخ . . .

ألا ان : ﴿ لعنة الله على الكاذبين ﴾ (آل عمران : ٦١) .

*

حقاً ، قال الله فيه وفى أمثاله ، آية معجزة من معجزات العلم بما حدث لذلك الذى يصعد فى السماء دون وقاية وحجاب ، حيث يعانى من الضيق والشدة ما يفوق الوصف . وهو ما أكدته أبحاث الفضاء التى مهدت لصعود الانسان فى الفضاء ، والبير على سطح القمر ، والتطلع الى الكواكب الأخرى :

﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ (الأنعام : ١٢٥)

(١) تبينها أرقام السور والآيات كالاتى : ٧٧/٦ ، ٩٦/٦ ، ٥٤/٧ ، ٥/١٠ ، ٤/١٢ ، ٢/١٣ ، ٣٣/١٤ ، ١٢/١٦ ، ٣٣/٢١ ، ١٨/٢٢ ، ٦١/٢٩ ، ٢٩/٣١ ، ٢٩/٣١ ، ١٣/٣٥ ، ٣٩/٣٦ ، ٤٠/٣٦ ، ٥/٣٩ ، ٣٧/٤١ ، ٣٧/٤١ ، ١/٥٤ ، ٥/٥٥ ، ١٦/٧١ ، ٣٢/٧٤ ، ٨/٧٥ ، ٩/٧٥ ، ٦١/٢٥ ، ٢/٩١ ، ١٨/٨٤

خاتمة

الانسان عدو ما يجهل . . . تلك حكمة صاغتها مختلف الشعوب ،
بعد أن اكتسبتها من خبرات الحياة ، فصارت من حقائقها ومسلّماتها .
ويكفيها هنا مثلين للبرهنة على تغير المواقف من أقصاها الى
أقصاها ، أى بزاوية مقدارها ١٨٠ درجة ، عندما تعالج القضية الواحدة
مرة في الظلام والتعتيم ، ثم تبحث مرة أخرى في ضوء التنوير .



١ - موقف البابوية من الاسلام والمسلمين

(١) في ظل الجهالة والتعتيم :

في عام ١٠٩٥ وقف البابا ايربان الثانى ، رأس الكنيسة الكاثوليكية ،
ليعطى اشارة البدء بالحروب الصليبية ضد المسلمين ، قائلا : (أتمم
فرسان أقوياء ، ولكنكم تتناطحون وتتنابدون فيما بينكم .
ولكن تعالوا حاربوا الكفار . . تقدموا للدفاع عن المسيح . . لا تلهمكم
نساؤكم ولا أولادكم ولا أموالكم عن القتال فى سبيل الله . .
تقدموا الى بيت المقدس . انتزعوا الأرض الطاهرة واحفظوها لانفسكم .
ساغفر لكم ذنوبكم وخطاياكم بالقوة التى زودنى بها الله) ! .

(ب) فى ضوء التنوير :

عقد مجمع الفاتيكان الثانى فى الفترة (٦٢ - ١٩٦٥) ، وكان من
جملة قراراته فى وثائقه المنشورة ، قرارا يقول : (ان كنيسة المسيح
تعترف بأن مبادئ عقيدتها قد بنيت لدى الرسل والأنبياء طبقا لسر
الخلاص الالهى فى تعترف فعلا بان جميع المؤمنين ، وهم ابناء ابراهيم

— حسب العقيدة — داخلون في رسالة ذلك النبي ، ولنعانق أولا المسلمين الذين يعبدون الها واحدا ، والذين هم أقرب إلينا في المعنى الديني وفي علاقات ثقافية انسانية واسعة) .

وهكذا ، أبطلت الكنيسة في القرن العشرين ما سبق أن أعلنته في القرن الحادي عشر ، من اعتبار المسلمين كفارا .

*

٢ — موقف فولتير من الاسلام ونبيه

(أ) في ظل الجهالة :

كتب فولتير مسرحية بعنوان : محمد ، سب فيها النبي سبا قبيحا ، وأهداها للبابا بندكت الرابع عشر (تولى البابوية من ١٧٤٠ إلى ١٧٥٨) ، قائلا :

(فلتستغفر قدامتك لعبد خاضع من أشد الناس إعجابا بالفضيلة ، اذ تجرأ فقدم إلى رئيس الديانة ما كتبه ضد مؤسس ديانة كاذبة يبرية ، وإلى من غير وكيل رب السلام . والحقيقة أستطيع أن أتوجه بنقدي قسوة نبي كاذب وأغلاطه . فلنأذن لي قدامتك في أن أضع عند قدميك الكتاب ومؤلفه . أجشو وأقبل قدميك القديسين)^(١) (فولتير : ١٧ أغسطس ١٧٤٥) .

(ب) في ضوء التنوير :

ثم دار الزمان دورته وفتش فولتير الكتب — كما قال المسيح — وتعلم ، فغير موقفه بزاوية مقدارها ١٨٠ درجة ، وأعلن ذلك في كتابه (يقين اسانيد الاسلام)^(٢) الذي صدر غلافه بآية من القرآن العظيم تقول : ﴿ فبأى حديث بعده يؤمنون ﴾ (المرسلات : ٥٠) .

(١) مجلة الهلال — عدد شعبان ١٣٩٨ هـ (أغسطس ١٩٧١ م) .

(٢) LA CERTITUDE des EPREUVES DU MAHOMETI
SME .

يقول فولثير لقرائه المسيحيين : (كيف تحقرون كتابنا يدعو الى
الفضيلة والزكاة والرحمة ؟ كتابنا يجعل الرضوان الأعلى جزاء لمن
يعملون الصالحات ، وتتوفر فيهم الكمالات الذاتية ؟ ان الذين يهاجمون
القرآن لم يقرءوه قطعا . .) ١ .

ويقول القاموس الفلسفي لفولثير - طبعة ١٨٢٢ ، جزء ٦ ، ص ٤
- مخاطبا متعصبى الغرب ضد الاسلام : (أكرر لكم القول أيها الجهلة
الأغبياء ، الذين غرر بهم جهلة أغبياء ، وأفهموكم أن عقيدة محمد عقيدة
لذات وجنس ، قوامها الشهوات المادية ، في حين أنها أبعد ما تكون
عن هذا الوصف . لقد خدعتم في هذه الناحية كما خدعتم في نواح أخرى
عديدة . .)

أيها الأساقفة والرهبان: والقسس : اذا فرض عليكم قانون يحزم
تناول الطعام من الرابعة صباحا حتى العاشرة مساء في شهر يوليو - أي
في وقدة الصيف - عندما يخل الصيام في هذا الشهر . . . واذا حرم عليكم
لعب الميسر والالاستهدفتم للعنة الله . . . واذا حرم عليكم شرب الخمر
والأنبذة تحت التهديد بالجزاء نفسه . . . اذا فرض عليكم الحج في صحراء
محرقة . . . اذا فرض عليكم اعطاء ١/٢ من مالكم للفقراء . . . اذا كنتم
تتمتعون بزوجات تبلغ ثمانى عشرة زوجة أحيانا ، فجاء من يحذف
أربعة عشر من هذا العدد . . . هل يمكنكم الادعاء مخلصين بأن هذه
الشريعة شريعة لذات وجنس ؟ . . .

لقد هدم محمد الضلال السائد في العالم على عهده ، وقام بالكفاح
المفروض على الانسان لبلوغ الحقيقة . ولكن يبدو انه يوجد دائما من
يعملون على استبقاء الباطل وحماية الخطأ ! (١) .

*

ان خلاصة الخلاصة في موقف الجاهلين بحقيقة الاسلام ونبيه هو

(١) مجلة الدوحة - العدد ١٠٠ - أبريل ١٩٨٤

ما قرره الدكتور ميچيل ايرناندث في بحثه الذي ألقاه في مؤتمر الحوار
الاسلامي المسيحي ، الذي عقد في قرطبة باسبانيا عام ١٩٧٧ تحت عنوان:
(الجذور الاجتماعية والسياسية للصورة المزيفة التي كونتها المسيحية
عن النبي محمد) .

ولقد كان من أقواله :

(لا يوجد صاحب دعوة تعرض للتجريح والاهانة ، ظلما على مدى
التاريخ ، مثل محمد . وان الأفكار حول الاسلام والمسلمين ونبينهم محمد
استمرت تسودها الخرافة ...) .

* *

وأخيرا ، نختم حديثنا هذا باعتذار الى الله - سبحانه وتعالى -
والى ملائكته الكرام البررة ، والى أنبيائه ورسله المصطفين الأخيار ،
اعتذارا ملء رضاء الله ، عما صدر من بعض حثالة البشر من بداءات
وخطايا يشيب من هولها الولدان ، فلا نجد خيرا من آيات الله نرفعها
اليه ونقول :

﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين .
والحمد لله رب العالمين ﴾ (الصافات : ١٨٠ - ١٨٤) .

* * *

قائمة المراجع الرئيسية

(أ) تفاسير القرآن العظيم

- ١ - تفسير الطبري :
(جامع البيان في تفسير القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري)
- ٢ - تفسير الفخر الرازي :
(مفاتيح الغيب ، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي)
- ٣ - تفسير ابن كثير :
(تفسير القرآن العظيم ، لعلماد الدين أبي الفداء اسماعيل ابن كثير)



(ب) تراجم عربية للكتاب المقدس

- ٤ - طبعة البروتستانت ، (دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط)
- ٥ - طبعة الكاثوليك ، (دار المشرق - بيروت)
- ٦ - كتب الشريعة الخمسة ، (دار المشرق - بيروت)
- ٧ - العهد الجديد ، (دار المشرق - بيروت)
- ٨ - العهد الجديد ، (المطبعة الكاثوليكية - بيروت)



(ج) تراجم انجليزية

- King James Version . — ٩
— REVISED STANDARD VERSION (R.S.V.) — ١٠
— TORAY'S ENGLISH VERSION — ١١
— Hugh Schonfield : THE ORIGINAL NEW — ١٢
TESTAMENT, Firethorn Press, London. 1985.



(د) تراجم فرنسية

- LA BIBLE (A. T : Louis Segond). — ١٣
— TRADUCTION OECUMÈNIQUE DE LA — ١٤
BIBLE (T. O. B).
— LA BIBLE DE JÉRUSALEM. — ١٥



(هـ) مراجع متنوعة

- ١٦ — سيرة ابن اسحق : تحقيق وتعليق محمد حميد الله — معهد
الدراسيات والأبحاث للتعريب — الرباط •
١٧ — تهذيب سيرة ابن هشام : عبد السلام هارون — مكتبة
التوعية الاسلامية — القاهرة •
١٨ — نهاية الأرب في فنون الأدب : شهاب الدين النويري —
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر — القاهرة •
١٩ — تاريخ الأمم والملوك : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري •
٢٠ — نساء النبي : الدكتورة عائشة عبد الرحمن — دار الكتاب
العربي — بيروت •

٢١ - حياة محمد : الدكتور محمد حسين هيكل - دار المعارف
بمصر - القاهرة .

٢٢ - الرسول - حياة محمد : ر . ف . بودلى - ترجمة محمد
فرج ، وعبد الحميد جودة السحار - لجنة النشر للجامعيين - القاهرة .
٢٣ - محمد في حياته الخاصة : الدكتور نظمي لوقا - مكتبة
غريب - القاهرة .

٢٤ - الخالدون مائة - أعظمهم محمد رسول الله : الدكتور مايكل
هارت - ترجمة أنيس منصور - المكتب المصرى الحديث - القاهرة .
٢٥ - الاسلام - عقيدة وشريعة : الامام الأكبر محمود شلتوت -
دار الشروق - القاهرة .

٢٦ - الأحكام العبرية : دى بغلى - نقله الى العربية وعلق عليه
محمد حافظ صبرى ، تحت اسم : المقابلات والمناظرات .
٢٧ - أحكام الأسرة فى الجاهلية والاسلام : ابراهيم فوزى -
دار الكلمة للنشر - بيروت .

٢٨ - الطلاق فى الاسلام : مولانا محمد على - ترجمة السيدة
جيبية يكن - منشورات المكتبة العصرية - بيروت .

٢٩ - وضع المرأة فى الاسلام : الدكتور محمد معروف الدوليبى -
دار الكتاب اللبنانى - بيروت .

٣٠ - المرأة فى التصور الاسلامى : عبد المتعال الجبرى - مكتبة
وهبة - القاهرة .

٣١ - قصة زينب بنت جحش : الدكتور محمد بديع شريف -
مكتبة وهبة - القاهرة .

٣٢ - المرأة عبر التاريخ : مونيكا بيتر - ترجمة هنرييت عبودى -
دار الطليعة - بيروت .

٣٣ - الاسلام في فجر عظمته : موريس لومبارد

(L'ISLAM DANS SA PREMIERE GRANDEUR par :

Maurice Lombard).

ترجمة حسين العودات - منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي -
دمشق •

٣٤ - الفتوحات الاسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا ، في القرون

الثامن والتاسع والعاشر : جوزيف رينو

(Invasions des Sarrazins en France et de France en Savoie,
en Piémont et dans la Suisse, Pendant les huitième, neuvième et
dixième siècle de notre ère, par : M. Reinaud) .

تعريف د. اسماعيل العربي - دار الحداثة للطباعة والنشر - بيروت •

٣٥ - العرب وأوروبا : لويس يونج

(THE ARABS AND EUROPE, by : Lewis Young)

ترجمة ميشيل أزرق - دار الطليعة - بيروت •

٣٦ - الحضارة العربية : الدكتور ي • هل - ترجمة الدكتور

ابراهيم العدوي - كتاب الهلال - يونية ١٩٧٩ - القاهرة •

٣٧ - ثورة الفكر : الدكتور لويس عوض - مركز الأهرام

للترجمة والنشر - القاهرة •

٣٨ - مارتن لوثر - الدكتور القس حنا الخضري - دار الثقافة -

القاهرة •

٣٩ - شيطان الغرب سلمان رشدي : سعيد أيوب - دار

الاعتصام - القاهرة •

٤٠ - آيات سماوية في الرد على آيات شيطانية : الدكتور

شمس الدين القاسي - دار مايو الوطنية للنشر - القاهرة

٤١ - رسالة العلم والايمان : الدكتور محمد جمال الدين

الفندي - مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية - القاهرة •

٥٢٩

(٣٤ - تعدد نساء الانبياء)

- ٤٢ - الكون والاعجاز العلمى للقرآن : الدكتور منصور
حسب النبى - دار الفكر العربى - القاهرة •
- ٤٣ - القرآن وعلم الفلك : أحمد جبالية - الدار العربية للكتاب -
طرابلس - ليبيا •
- ٤٤ - الاعلان العالمى لحقوق الانسان - مطبوعات الأمم المتحدة •



- Karen Armstrong : 'THE GOSPEL ACCOR- _ ٤٥
DING TO WOMAN, Elm Tree Books, London, 1986.
- H. Root (& others) : GOD, SEX & LOVE _ ٤٦
Fontana Books, London, 1963.
- R. H. Bainton : Sex, Love and Marriage, _ ٤٧
Fontana Books, London, 1964.
- Bertrand Russel : Why I am not a Christian, _ ٤٨
George Allen & Unwin, London, 1957.
- C. H. Dodd : The Meaning of Paul for Today, _ ٤٩
Fontana Books, 1964.
- D. E. Nineham : SAINT MARK, Penguin _ ٥٠
Books, London, 1963.
- G. B. Caird : SAINT LUKE, Penguin Books, _ ٥١
1963 .
- J. C. Fenton : SAINT MATTHEW, Penguin _ ٥٢
Books , 1963.
- G. A. Wells : The Jesus of The Early Christi- _ ٥٣
ans, Penherton Books, London, 1971.
- David Catarrivas : ISRAEL, Vista Books, _ ٥٤
London, 1964.



مخويات الكتاب

الصفحة

المقدمة ٥

الباب الأول : نساء الأنبياء

(٧ - ١١٢)

٩	نساء ابراهيم
١٣	نساء يعقوب
١٥	نساء موسى
١٦	نساء جدعون
٢٢	نساء داود
٣٤	نساء سليمان
٣٨	نساء هوشع
٣٩	نساء محمد
٩٨	خصوصية التشريع
٩٨	من شريعة موسى
١٠٠	في المسيحية
١٠١	في الاسلام
١٠٨	هؤلاء المراءون

الباب الثاني : تعدد الزوجات

(١١٣ - ١٨٤)

١١٥	تعدد الزوجات في اليهودية
١١٧	تعدد الزوجات في المسيحية
١٢٧	حقيقة المقال
١٢٩	دائرة التبشير بالانجيل
١٣٣	توقع نهاية العالم سريعا
١٤٧	الخلاصة
١٥١	الواقع بين النظرية والتطبيق
١٥٢	اولا - تحريم الطلاق وتعدد الزوجات في المسيحية
١٥٢	الطلاق في فرنسا

الصفحة

١٥٣	الطلاق في سويسرا
١٥٤	الطلاق في ألمانيا
١٥٥	الطلاق في إنجلترا
١٥٦	اعترافات
١٥٩	دعوات للإصلاح
									السماح للرجل بتعدد النساء - تكون الأولى هي الزوجة
١٥٩	والأخريات سرارى
١٦٢	إعادة النظر في موقف المسيحية من تعدد الزوجات
١٦٦	ثانيا - التعاليم الأخلاقية في الإنجيل
١٦٧	من إنجيل مرقس
١٦٨	من إنجيل لوقا
١٦٩	من إنجيل متى
١٧١	من إنجيل يوحنا
١٧١	كيف راعى المسيح قانونه الأخلاقى
١٧٦	تعاليم المسيح الأخلاقية وتعاليم السابقين
١٧٨	تعدد الزوجات في الإسلام

الباب الثالث : مكانة المرأة

(١٨٥ - ٣٠٨)

١٨٧	مكانة المرأة في اليهودية
١٨٧	المرأة هي المسؤولة عن الخطيئة البشرية الأولى
١٩١	زوجة العبد وأولادها ملك لسيده
١٩١	المرأة تباع وتشتري
١٩١	نجاسة ولادة الأنثى ضعف نجاسة ولادة الذكر
١٩٢	الميراث للذكور فقط
١٩٢	لا ترث النساء الا عند فقد الذكور
١٩٣	عقوبات خاصة بالنساء فقط
١٩٣	في الزواج والطلاق والانفاق
١٩٥	في الميراث
١٩٦	مكانة المرأة في المسيحية
١٩٦	تمهيد
١٩٨	بين مسيحية بولس ومسيحية المسيح
١٩٨	١ - الخطيئة الأصلية
٢٠٤	٢ - الالتزام بالناموس

الصفحة

٢٠٥	٣ - كيفية الخلاص
٢٠٨	المرأة في مسيحية المسيح
٢٠٨	مواقف المسيح مع المرأة
٢١٢	تعاليم المسيح حول المرأة
٢١٢	تعاليم المسيح والأسرة
٢١٤	المرأة في مسيحية بولس
٢١٤	مواقف بولس مع المرأة
٢١٤	تعاليم بولس حول المرأة
٢١٤	المرأة مسئولة عن الخطيئة البثرية الأولى
٢١٥	المرأة دون الرجل
٢١٥	تعاليم بولس والأسرة
٢١٩	المرأة في ظل الكنيسة
٢٢١	دراسة تاريخية
٢٢٥	فكر آباء الكنيسة وتعاليمهم في الجنس والمرأة والزواج
٢٣٩	نتائج هذا الفكر المسيحي الكنسي
٢٥١	خاتمة .. وتعليق
٢٥٨	مكانة المرأة في الاسلام
٢٥٨	آدم هو المسئول عن الخطيئة البثرية الأولى
٢٦٧	النساء شقائق الرجال
٢٦٧	المرأة أم الخليقة
٢٦٨	اكرام الأم أضعاف اكرام الأب
٢٧٠	الترحيب بالأنثى منذ ولادتها
٢٧١	حق الأنثى في التربية والتعليم
٢٧٢	المرأة أهل للمسئولية الكاملة
٢٧٤	المرأة انسان
٢٧٥	مسئولية المرأة العامة
٢٧٦	حق المرأة في عقد الزواج
٢٨١	المرأة زوجة
٢٨١	الزواج سكيئة ومودة
٢٨٢	الزواج ميثاق غليظ
٢٨٤	ادارة البيت المسلم
٢٩٠	مشاكل تهدد الحياة الزوجية
٢٩١	أبغض الحلال الى الله الطلاق
٢٩٧	مسئولية الرجل بعد الطلاق

الصفحة

٢٩٨	الأعباء المالية للرجل
٣٠٠	ميراث المرأة
٣٠٢	شهادة المرأة
٣٠٥	عقوبة لحماية سمعة المرأة

الباب الرابع : حقائق ومواقف

(٣٠٩ - ٥٠٠)

٣١١	حضارة لا اله الا الله .. وتحرير الانسان
٣١٣	قالوا عن حضارة الاسلام
٣٤٥	هذا التلوث الجنسى
٣٤٧	وقائع جنسية ..
٣٥٠	اساليب القصص الجنسى
٣٥٨	انزلاق الى الاباحية ..
٣٥٩	الادب الاباحى والادب العالمى
٣٦٠	الفقر والرذيلة
٣٦٤	أوروبا : مهلا ... !
٣٦٨	أوروبا تريد ان ترتد ٩٠٠ عام !
٣٦٨	ادانة الحروب الصليبية
٣٧٠	انتهاك حقوق الانسان عبر تاريخها
٣٧٠	١ - انتهاك حقوق الانسان الاوروبى
٣٧٥	٢ - انتهاك حقوق اليهود
٣٧٩	٣ - انتهاك حقوق المسلمين
٣٨٥	٤ - انتهاك حقوق شعوب المستعمرات
٣٨٨	٥ - انتهاك حقوق المسيح
٣٨٩	قضية الدجال الهندى
٣٨٩	النشأة والخلفية ..
٣٩١	عاصفة كان يمكن تفاديها
٣٩٥	مقاطع شيطانية
٤٠٠	الامكنة والاشخاص
٤٠٢	الألفاظ والتراكيب
٤٠٥	تزييف الحقائق واختلاق الاكاذيب !
٤٠٥	١ - من حقائق التاريخ الاسلامى
٤٠٧	٢ - من حقائق الاسلام والتاريخ
٤٥٥	مفتريات على سلمان الفارسى !
٤٥٨	صفقة مزعومة بين النبو وأبى سفيان !

الصفحة

٤٦٢	النبي في غرفة نوم هند !
٤٦٤	وماذا عن الماخور ؟!
٤٦٥	مفتريات حول موت النبي !
٤٦٩	حملة مسعورة على عيسى ومحمد
٤٦٩	فيلم التجربة الشيطانية
٤٧٢	رد الفعل والتعليقات
٤٧٥	بين شيطانيات : الهندي .. واليوناني !
٤٨١	محاكمة الكاتب سلمان رشدي وفق أحكام الكتاب المقدس
٤٨١	تمهيد
٤٨١	من مفاهيم الكتاب المقدس
٤٨٣	عقوبات التجديف على المقدسات
٤٨٥	جرائم الكاتب سلمان رشدي
٤٨٧	الحكم
٤٨٩	حقوق الانسان

الباب الخامس : من آيات الله

(٥٠١ - ٥٢١)

٥٠٣	فضائح المبشرين
٥٠٣	امبراطوريات التبشير والفضائح !
٥٠٣	جيمى وتيمى بيكر
٥٠٥	والآن .. جاء الدور على سواجارت
٥٠٨	مواقف سواجارت من الاسلام ونبيه
٥١٣	غزو الفضاء
٥١٣	اهل السموات
٥١٤	عوالم من الأحياء في السموات
٥١٧	في السموات طرق ومسارات
٥١٧	الصعود في مسارات متعرجة
٥١٨	اشارات لغزو الفضاء
٥٢٠	وماذا بعد الحق الا الضلال
٥٢٢	خاتمة
٥٢٢	١ - موقف البابوية من الاسلام والمسلمين
٥٢٣	٢ - موقف فولتير من الاسلام ونبيه
٥٢٦	قائمة المراجع الرئيسية
٥٣١	محتويات الكتاب

كتب للمؤلف

تطلب من مكتبة وهبة - ١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة

بليفون ٣٩١٧٤٧٠

* أساسيات العلوم الذرية الحديثة

فى التراث الاسلامى - ١٩٧٧

* المسيح

فى مصادر العقائد المسيحية - ١٩٧٨

* وقد صدرت ترجمته الانجليزية عام ١٩٨٥ تحت عنوان :

THE CHRIST as seen in The Sources of The Christian

Beliefs.

* الوحى والملائكة

فى اليهودية والمسيحية والاسلام - ١٩٧٩

* النبوة والأنبياء

فى اليهودية والمسيحية والاسلام - ١٩٧٩

* اعجاز النظام القرآنى - ١٩٨٠

* طائفة الموحدين

بن المسيحيين عبر الفرون - ١٩٨٠

* حقيقة التبشير

بين الماضى والحاضر - ١٩٨١

* اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس - ١٩٨٧

* حوار عبر النصوص

بين المسيحية والاسلام

(بالفرنسية)

DLALOGUE TRNSTEXTUEL

entre

Lo Christianisme et L'Islam

Centre Abaâd, 6 rue Baudin, 93400 Saint Ouen, PARIS, 1987

رقم الايداع بدار الكتب المصرية ٨٩/٧٢٤٩

الترقيم الدولى ٥ - ١٩٩ - ٣٠٧ - ٩٧٧

دار الين والادب
٩٢٥٢٠٤
الزهر ٣٣ رمضان ١٤٠٥ هـ - جوار جامع الدمام

هذا الكتاب

● يتحدث الكثر في موضوع تعدد الزوجات ، وفق شائعات متوارثة صارت بقوة التكرار كأنها حقائق ومسلمات . لكن الدراسة المقارنة لتعدد نساء الأنبياء وما يرتبط بها من مكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ، لكفيلة بتصحيح المفاهيم الخاطئة ...

● لقد عانت المرأة في الغرب كثيراً من المظالم والاضطهادات ، في ظل تقاليد أسبغت عليها هالات القداسة ، فاعتُبرت : أقداراً ... ، وجرى التساؤل عما إذا كانت إنساناً . أو أن الله يهتم بخلاصها ، ثم كانت الطامة الكبرى فيما عُرف بمذابح النساء بزعم معاشرتهن للشيطان .. ، مذابح كانت من القسوة بحيث قضت تماماً على معظم النساء في بعض القرى الأوروبية ...

● وفي هذا الكتاب حديث عن حضارة لا إله إلا الله وهي حضارة قال فيها بعض علماء الغرب : إن أشياء كثيرة لا يزال على الغرب أن يتعلمها من الحضارة الإسلامية، منها النظرة المتسامحة وعدم التمييز على أساس الدين والعرق واللون ...

● ومن المؤكد أن هناك حملة مسعورة على عيسى ومحمد من مظاهرها تحويل قصة اليوناني - كازانتزاكس - : التجربة الأخيرة للمسيح إلى فيلم أُخرج في نفس العام الذي صدرت فيه رواية الهندي سلمان رشدي : مقاطع شيطانية فكلاهما سباً وبذاءات وأكاذيب ... لقد زعم اليوناني أن المسيح زنى بمريم المجدلية وجعل يهوذا الخائن بطلا يسب المسيح ويقول له : أيها الخائن ! وجعل الشيطان يوقع المسيح في حباله ... وعلى خطأ سار الهندي ...

● إن محاكمة سلمان رشدي وفق أحكام الكتاب المقدس سوف تكشف لنا أن الحكم عليه سيكون رادعاً ... ومن المؤكد أن الذين يدافعون عن هذا الدجال الهندي تحب اسم : حقوق الإنسان ، إنما هم جهلة لم يقرأوا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ...

● ومؤلف الكتاب : ليس غريباً على معالجة هذا الموضوع . فقد أثرى المكتبة العربية بالعديد من مؤلفاته القيمة في موضوع « مقارنة الأديان » .

● ويسر مكتبة وهبة : أن تقوم بنشر هذا الكتاب إسهاماً منها في معركة الحق ضد الباطل ، وهي معركة مستمرة ما بقي الإنسان .. وبالله التوفيق .

مكتبة وهبة